

في لحظة في طرفة عين

(١ كو ١٥: ٥٢)

إعداد الراهب
مكاري البهنساوي

تحت إشراف
الأنبا اسطفاتوس
أسقف ببا والفشن وسمسطا

في لحظة في طرفة عين

إعداد الراهب مكاري البهنساوي

Designed By Jack Abdu - 01285638821

قصدنا بهذا الكتاب أن تشتتوا الملكوت فإذا صار شهوتكم أصبح الصعب سهلاً والمستحيل ممكناً واليأس رجاء والمرض فرحاً والألم لذة والحياة بجملتها لحناً شجياً كون المسيح إلهاً العظيم الجبار يضبط حياتنا ويعرفنا بأسمائنا ويدبر خطة عجيبة لخلاصنا ويكثرث لأمرنا ويهتم لحالنا ويشتهي فرحنا، ولا دليل على ذلك بأكثر من قوله بضمه القدوس "لا تضطرب قلوبكم. أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي. في بيت أبي منازل كثيرة، وأنا فإني كنت قد قلت لكم. أنا أمضي لأعدكم مكاناً، وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وأخذكم إليّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً" (يو ١٤: ٢، ٣)، فإلفرح من يكون معه معيناً لمجده الذي مجرد بصيصاً منه أدهش بطرس بل والهبه فلم يرد أن يفارق الجبل المقدس قائلاً "يا معلم، جيد أن نكون ههنا. فلنصنع ثلاث مظال: لك واحدة، ولموسى واحدة، ولإيليا واحدة" (لو ٩: ٣٣).

دير الأنبا مكاريوس الاسكندري

وادي الرِّيَّان

الفيوم

فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ

(١كو١٥: ٥٢)

ἐν ἄτόμῳ, ἐν ῥιπῇ ὀφθαλμοῦ

الراهب مكاري الرِّيَّاني

دير الأنبا مكاريوس الإسكندري
وادي الرِّيَّان
الفيوم

فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةٍ عَيْنٍ

(١٥ : ٥٢)

ἐν ἀτόμῳ, ἐν ῥιπῇ ὀφθαλμοῦ

الراهب مكاري الرِّيَّاني

اسم الكتاب: فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ
المؤلف: الراهب مكاري الرّياني
المطبعة:

رقم الإيداع بدار الكتب:

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز إعادة نشر أو طباعة هذا الكتاب بأية طريقة طباعية أو إلكترونية أو وضعه على شبكة الإنترنت إلا بإذن خاص ومكتوب من المؤلف.
يمكنك أن تحتفظ بهذا الكتاب للاستخدام الشخصي فقط وليس بهدف بيعه أو المتاجرة به بأية طريقة كانت ومهما كانت الأسباب.
يُطلب هذا الكتاب من:

١. مكتبة دير القديس الأنبا مكاريوس الإسكندري - وادي الرّيان - الفيوم

[الراهب ايساك الرّياني | تليفون: ٠١٢٨٩٨٢٠٦٥٣]

٢. جميع المكتبات المسيحية والكنائس بالقاهرة والأقاليم.



البابا تاودروس الثاني
بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية

إهداء

أهدى هذا العمل البسيط لأبينا الروحي إليشع المقارى الذى "فتح لى باباً عظيماً وفعّالاً" (١كو ١٦ : ٩) من حيث أنه قد منحنى فرصة أن أسكن هذه البرية المقدّسة التى وطأتها أقدام القديسين، والذى أفاض علينا من روحه المُلتهبة محبةً للرب يسوع والمُمتلئة غيرة على خلاص كافة الخليقة فصرنا لا نسعى فى إثر خلاصنا فقط بل لا نطيق ولا نحتمل أيضاً أن نرى آخرين لا زالوا بعيدين عن هذا الخلاص الثمين الذى وهبه لنا الرب على خشبة الصليب المقدّسة.

كما أهديه أيضاً إلى من قاموا بتشجيعى لإنهاء هذا العمل حتى يخرج إلى النور، وفى مُقدمتهم أبينا الراهب القس أندرياس المقارى الذى اقتطع من وقته الثمين والغالى ساعات وساعات فى بذلٍ وتضحيةٍ حقيقيةٍ لمُراجعة الكتاب وتنقيحه كلمة بكلمة كي ما يصير خيراً للكنيسة ونفعاً لمُؤمنيه ووزنةً تُقدّمها لإلهنا الحَنّان ذبيحة حب تصعد إلى عظّمته شاهدةً أمام الجميع بأعماله المجيدة التى يصنعها معنا.

إلى هؤلاء وغيرهم أقدم اعتذاراً معه تفسيراً مصحوباً بحذرٍ يتبعه رجاءٌ، أمّا الاعتذار فلأننى تأخرت كثيراً فى الكتابة إذ ظللت خمسة عشر شهراً أقوم بالتحضير استعداداً للكتابة، ولو أنى لم أقدم بعزم ثابت على البدء فيها لظللت أحضّر لفترات أطول، والتفسير يُفهم ضمناً من طول فترة التحضير فلولا أنى اعتبرت أن ما أكتبه هو هدف حياة البشر على الأرض ومغزى وجودهم عليها مع اختلاف مذاهبهم ومُعتقداتهم وعاداتهم وأماكن وجودهم ما تأخرت أبداً فى الكتابة.

أمّا الحذر فكان يُراودنى لئلا أحيد عن الهدف الأساسى الذى قصدته من الكتابة ألا وهو خير وفائدة الجميع مؤمناً أنه "لِعَمَلٍ كَثِيرٍ لَأَنْهَاءَ الدَّرْسِ الْكَثِيرُ تَعَبٌ لِلْجَسَدِ". (جا ١٢ : ١٢) ولذلك رجوت ولا زلت أرجو أن يعمل الله بروحه القدوس فى الكلمات

فِيهِبَهَا قُوَّةً وَعُمَقًا لَا لِأَزِيدَ أَنَا لَكِنْ لِيزداد هو وَأُنْقِصَ أَنَا" (يو ٣ : ٣٠) من ناحية، وأن لا يشعر واحدٌ أنى قد أزد - ولو قليلاً - عما نعت به داود نفسه فقال لشاول "وَرَاءَ مَنْ خَرَجَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ؟ وَرَاءَ مَنْ أَنْتَ مُطَارِدٌ؟ وَرَاءَ كَلْبٍ مَيِّتٍ! وَرَاءَ بُرْغُوثٍ وَاحِدٍ" (اصم ٢٤ : ١٤)، "لأنَّ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ قَدْ خَرَجَ لِيُقَتِّلَ عَلَى بُرْغُوثٍ وَاحِدٍ! كَمَا يُتَّبَعُ الْحَجَلُ فِي الْجِبَالِ" (اصم ٢٦ : ٢٠) من ناحية أخرى. وحينها يمتلئ الجميع ثِقَةً من سلامة الهدف الذى كان دافعاً للتحضير ومن ثَمَّ للكتابة.

†

لحظات حاسمة

لحظات كثيرة يجتازها الإنسان في حياته - التي هي "أسرع من عداء تفر ولا ترى خيراً" (أى ٩: ٢٥) - قد يَعِدُّها حاسمة كالتى فيها يأتى مولوده الجديد، أو كالتى يترقيها لمعرفة نتيجة اختبار أو عمل ما، أو كالتى فيها يتلقَى أخبار إصابته بمرض خطير أو أخبار شفاء من أدواء مُستعصية، أو كالتى ينال فيها حُكماً ببراءته عما لم يرتكب أو حُكماً بادانته فيما اقترفت يده، وهكذا فلحظات أخرى قد يَعِدُّها كل شعب حاسمة له ولِمُسْتَقْبَله كالتى فيها يتلقى أنباء انتصار جيشه فى أحد المعارك والحروب أو حتى هزيمته، وكالتى يترأى إلى علمه فيها نبأ موت أحد رؤسائه المناضلين أو تتحى غيره عن مقاليد الحُكم، أو كالتى يدخل فيها تحت الحصار من قبيل أعدائه وهكذا حال انفكاكه منه، ولحظات أخرى يَعِدُّها المؤمنون بدين أو بعقيدة مُعَيَّنة حاسمة من جهة مُستقبل وجودهم واستتباب أمنهم كالتى وُضِعَ تحت برائتها شعبنا القبطى المسيحى^(١) يوم أن أمر المُعِزِّ لِدِينِ الله الفاطمى البابا أبرام بن زرعه بنقل جبل المُقَطَّم مُثْبِتاً لكلمات الإنجيل وآياته، ويوم أن عُدَّ مجمع خلقيدون الذى فيه انشطرت الكنيسة ما بين مؤيديه ومُعَارِضيه، ويوم أن انسكبت أحشاء آريوس الهرطوقى فى أحد الحمامات العامة فَأُنْقِذَت الكنيسة من بدعته.

هكذا فلحظات أخرى كثيرة فى الإنجيل المُقَدَّس عُدَّت حاسمة من جهة مُعاملات الله مع الإنسان نَذْكُرُ منها مثلاً اللحظات التى قضى فيها الله على الإنسان بأحكامٍ مصيرية كاللحظة التى أخطأ فيها أبوانا فى الفردوس (تك ٣: ٦) فَطُرِدَا منه (تك ٣: ٢٤)، وكالتى أصدر الله فيها حُكمه على عادى الكاهن وبيته (اصم ٢: ٢٧-٣٤)، واللحظات التى أظهر فيها أحد أبطال التوبة عزمًا قوياً وإرادة ثابتة على تغيير طريقه السائر فيه صوب

الهلاك كالابن الضال (لو ١٥ : ١٨)، وكزكا العشار (لو ١٩ : ٨)، وكالسامريّة (يو ٤ : ٢٨)، وكالصلص اليمين (لو ٢٣ : ٤١-٤٢)، وهكذا كاللحظات التي أقام فيها الله عهداً أو ميثاقاً مع أحد أبراره الأتقياء كميثاقه مع نوح (تك ٩ : ٩)، ومع إبراهيم (تك ١٧ : ١)، ومع يعقوب (تك ٢٨ : ١٣-١٥)، وكنسكاب روحه القدوس يوم الخمسين (أع ٢ : ١-٣) مُتَمِّماً وعده السابق على لسان يوثيل النبي (يو ٢ : ٢٨-٣٠)، وبالمثل اللحظات التي أبدى فيها أحد مُختارَيّ الله ندماً على ما اقترفته وأثم فيه كشمشون (قض ١٦ : ٢٨)، وكداود (٢صم ١٢ : ١٣)، وكسليمان (جا ١ : ١٧)، وأخيراً اللحظات التي اجتلبت الفرح كتلك التي سمع فيها حزقيا الملك وعد الله له على لسان إشعياء النبي بإطالة عُمره خمسة عشرة سنة، وكالتي فرح فيها التلاميذ لمّا رأوا الرب قائماً من بين الأموات (لو ٢٤ : ٤١)، (يو ٢٠ : ٢٠)

كل هذه اللحظات عَدّها أصحابها ومن جازوا فيها حاسمة في حياتهم الأرضيّة، أمّا لحظتنا فتتفوق لحظاتهم كثيراً في حقيقة كونها حاسمة ذلك لأن عدم حدوث ما تمّ في إحدى هذه اللحظات السالفة الذكر كان يُمكن إتمامه بعدها، فالعهود التي أبرمها الله مع أبراره القديسين ورجاله الأتقياء كان يُمكن بدؤها في وقت آخر، ومناخس الروح التي تتّخس ضماير البعيدين فيُظهرون ندماً على ما اقترفته أياديهم ومن ثمّ يُقدّمون على تغيير طرقهم الرديئة إن لم تُستجاب من قِبَل الإنسان قد تطغى على ضميره فيستجيبها في وقت آخر، أمّا لحظتنا فمتى أتت الإنسان ووافته لا ينفع معها تغيّر ولا تأجيل ففيها إمّا أن يُدرك الإنسان العمل الذي عمله الرب من البداية إلى النهاية^(٢) فيكسب، أو أن يخسر أهم شيء جُعِلَ له فلا تبقى بعد فائدة لمُحاولة أن يعرف ما فاتته وضاع منه إذ يكون قد ضاع فعلاً، وهذه اللحظة هي التي فيها تُفارق روح الإنسان جسده لتعرف مصيرها الذي لن يتعدّى واحداً من احتمالين أعلنهما الملاك لدانيال النبي فقال "وَكَثِيرُونَ

مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي ثُرَابِ الْأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ هَؤُلَاءِ إِلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ وَهَؤُلَاءِ إِلَى الْعَارِ لِلْإِرْدَاءِ الْأَبَدِيِّ" (دا ١٢: ٢).

لن نحاول طبعاً أن نتطرق إلى كيفية مفارقة الروح للجسد في تلك اللحظة الرهيبة فلا يدرك هذا الأمر إلا من اجتازه بنفسه^(٣) والذي حال اجتيازه لها - أى لتلك اللحظة - لا يعدّ منها ليحدثنا بتفاصيلها^(٤). ولذلك أفردنا هذا العمل لنتناول بعض الموضوعات التي تُفقد من قراءها إيجابياً، فلا يهملنا طريقة مفارقة الروح للجسد بقدر ما يهملنا إعدادها لئلا يفوتها أهم ما أُعدّ لها من قبل الرب ألا وهى الأبدية السعيدة واللانهاية مع يسوع المسيح الذى "صَنَعَ الْكُلَّ حَسَنًا فِي وَقْتِهِ وَأَيْضًا جَعَلَ الْأَبَدِيَّةَ فِي قُلُوبِهِمُ الَّتِي بَلَّاهَا لَا يُدْرِكُ الْإِنْسَانُ الْعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُهُ اللَّهُ مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النَّهَايَةِ" (جا ٣: ١١).

ببركة صلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا تاووضروس الثانى نُصدر هذا العمل الذى تأخر كثيراً راجين من الرب أن يعمل بروحه القدوس فى ضعفه وبساطته فيهبه قوة تُشجّع وتُبَنِّه وتُحَذِّرُ ومن ثَمَّ تجتذب الجميع لإعادة ترتيب أولوياتهم فيصير لطلب وجه مُخلّصنا يسوع المسيح فى ملكوته الأبدى الأولوية العُظمى بعدما تناساه الأكثرون ولسان حالهم يقول "أَيْنَ هُوَ مَوْعِدُ مَجِيئِهِ؟ لِأَنَّهُ مِنْ حِينَ رَفَدَ الْآبَاءُ كُلُّ شَيْءٍ بَاقٍ هَكَذَا مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ" (بط ٣: ٤).

†

فكرة الكتاب

قال أحد الحكماء: {عندما يتألم الإنسان أو يتعذّب فإنه لا يجب عليه أن يقول "هذا ردى"، لأنه لا يوجد ردى يفرضه الله على الإنسان، ولكنه من الجيد أن يقول "إنه مرّ"، لأنه توجد أنواع من الأدوية تُصنع من الأعشاب المرّة}، هكذا وبنفس هذا المنهج بدأت فكرة هذا الكتاب منذ فترة ليست بقصيرة عندما عصفت بكنيستنا المحبوبة بعض الاضطهادات والمضايقات والشدائد فملأت الكثيرين قلقاً وانزعاجاً واضطراباً بل وشكاً فى حماية الله الذى يسمح لأبنائه بتلك المضايقات، والحقيقة إن هذه الثمرة - أى هذا الكتاب - بدأت ببذرة صغيرة عبارة عن رسالة بسيطة لبعض الأحياء تدعوهم فيها لنفض القلق والاضطراب ودحض الخوف والحزن الردى^(٥) الذى ليس بحسب مشيئة الله (٢كو ٧: ١٠)، ولتجنّب كل شك قد تكون تلك الأحداث قد غرسته غرساً داخل القلب لتتال منه مأربها فى اجتذاب الروح أو النفس^(٦) للسلوك فى فتور وتراخٍ واستسلام كامل لكافة الأحداث.

لكنّ الرب الحنان الذى عودنا أن "يُخرج من الآكل أكلاً ومن الجافى حلاوة" (قض ١٤: ١٤) وأن يُحوّل كل الأشياء لخير الإنسان وفائدته (رو ٨: ٢٨) عمل بروحه القدس فى الكلمات فحوّلها من رسالة صغيرة إلى موضوع كبير يُنبّه الجميع - ممن شغلهم العالم باهتماماته الزائلة بل بالحرى انشغلوا هم به بكامل إرادتهم وعزمهم وشوقهم - إلى حقيقة كثيراً ما غابت عنهم رغم تكرار رؤيتهم لها على غيرهم ألا وهى حتمية مفارقة روح الإنسان لجسده فى لحظة معينة وضرورة اجتهاده الحثيث والمتّصل لإعدادها لتلك اللحظة.

حقيقة الموت كانت موجودة لكنّ البشر نسوها والرب بحنانه العجيب وبحكمته القادرة حوّل الأحداث لصالح الإنسان لكى ما ينتبه لهذه الحقيقة ويعود ليتذكّرها فيُعِدّ العدة لها،

وهكذا فالكلمات كانت فى الفكر والرب حَوْلها من كونها لِأناس بعينهم لِإِلاج موضوعٍ واحدٍ - ألا وهو القلق بسبب الأحداث - لتكون لكثيرين لِمُعالجة موضوعٍ لا يُحَقَّر فقط على ضرورة إستعداد الإنسان تَخَوُّفاً من العذاب الأبدى بل يتدرَّج مُشجَّعاً الجميع ومُنَبِّهاً إياهم على الخسارة التى يلقاها البعض عندما لا يتلذذون ويتذوَّقون حلاوة الرب الذى يَهَب احتمالاً لتلك الآلام والضيقات التى كانت قبلاً تُسبَّب لهم آلاماً، ومن ثَمَّ ينالوا فهماً جديداً يؤدى بهم إلى التمتع بالفرح الحقيقى الذى لـ "بهجة الخلاص" (مز ٥١) فيطِفِّقوا راكضين إلى عُمق روحى لا يطبق فيه الإنسان رؤيته لِأناسٍ بعيدين عن الخلاص فلا يُبْطِل الصلاة لأجلهم وعنهم مُتَمِّماً ما أعلنه الرب لإرميا النبى "وَلَوْ وَقَفُوا فِي مَجْلِسِي لَأَخْبَرُوا شَعْبِي بِكَلَامِي وَرَدُّوهُمْ عَنْ طَرِيقِهِمُ الرَّدِيءِ وَعَنْ شَرِّ أَعْمَالِهِمْ." (أر ٢٣: ٢٢)، وخلال الموضوع أشرنا تبعاً إلى لزوم السلوك بتدقيق والامتناع عن كل شر وشبه شر لكى "توجد عند الرب بلا دنس ولا عيب فى سلام" (٢بط ٣: ١٤) فلا تكون علينا شكايه كقول مار بولس الرسول "وَكَلَاماً صَاحِياً غَيْرَ مَلُومٍ، لِكَيْ يُخْزَى الْمُضَادُّ، إِذْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ رَدِيءٌ يَقُولُهُ عَنْكُمْ" (تى ٢: ٨)، مع التطرُّق إلى بعضٍ من مُعطِلات الإستعداد الدائم والسهو الروحى توقُّعاً لمجئ الرب الثانى أو ترقُّباً للحظة مُفارقة الروح للجسد ذلك الحدث المخوف الرهيب الذى قد يكون فى أية لحظة من لُحيظات يومٍ عادى.

†

الباب الأول

التفكير فى حل وحيد هو الإستعداد

الله يُحوّل الشر إلى خير

دائماً ما يُحوّل الله الشر الذى يختاره الإنسان لنفسه أو الذى تفرضه عليه الأحداث والظروف إلى خير، فخطأ أبونا فى الفردوس (تك ٣ : ٦) حوّلته إلى فداء عظيم قال عنه القديس أغسطينوس {أيها الخطأ السعيد الذى أهّل لنا هذا الفداء العظيم}، وحسد إخوة يوسف له (تك ٣٧ : ٢٨) حوّلته إلى خير له إذ صيّرته متولّياً على أرض مصر (تك ٤١ : ٤٣)، ولهم - أى لإخوته - إذ بسببه وجدوا طعاماً لهم ولأبنائهم (تك ٤٢ : ٧)، وللأرض كلها حيث "جاءت كل الأرض إلى مصر إلى يوسف لتشتري قمحاً لأنّ الجوع كان شديداً في كل الأرض" (تك ٤١ : ٥٧)، وكما أنه - أى الله - يُحوّل الشر لخير فهو يُحوّل أيضاً كل ما تتضمنه الحياة من اخفاقات وفشل وأحزان لتكون فى صالح الإنسان وخيره المطلق كمرض مار بولس الرسول وضعفه الذى حوّلته لقوة (٢كو ١٢ : ٩) جعلته لا يقبله فقط ويرضى به^(٧) بل أيضاً يفتخر بكافة ضعفاته واضطهاداته وأتاعبه ويُسرّ بها فيقول "لذلك أسرّ بالضعفات والشتائم والضروب والاضطهادات والضيقَات لأجل المسيح. لأنّني حينما أنا ضعيفٌ فحينئذٍ أنا قويٌّ". (٢كو ١٢ : ١٠)، ولهذا السبب قال أحد الأشخاص {لا حزن يُزعج أولاد الله، عندما يعلمون السبب الذى لأجله يُرسل الله لهم هذا الألم}، وقال آخر {إن الله يستخدم كل ما تتضمنه الحياة بما فى ذلك الألم ليساعدنا كى ما تنمو شخصياتنا وصفاتنا}.

الله يُحوّل الأحداث

وكما أن الله يُحوّل الشر لخير ويحوّل اخفاقات الإنسان وفشله لتكون فى صالحه، فهو يستخدم كافة الأحداث التى يواجهها الإنسان فتطغى عليه بأحزانها وأتاعبها ليجعلها هى عينها له سبب بركة ونفع^(٨) ولذلك استخدم الأحداث الماضية^(٩) والتى كانت سبب قلق وتعب لكثيرين لتكون هى عينها سبب نفع وخير لهم ولنا جميعاً، أما القلق فكان بسبب تذكركم لتلك اللحظة الحتمية التى فيها تُفارق روح الإنسان لجسده كقول بولس الرسول "وَكَمَا وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الدَّيْنُونَةُ" (عب ٩: ٢٧)، والتى كانت - أى تلك اللحظة - لديهم فى طى النسيان بسبب انشغالاتهم وهموم حياتهم التى لم تطغَ عليهم رغماً عنهم بل بكافة إرادتهم وعزمهم واشتياقهم، أما الخير والنفع فلأن هذه الأحداث آلت بهم إلى تذكّر وجوب وضرورة الاستعداد الدائم كحل وحيد لاجتياز تلك اللحظة المرهوبة والصعبة.

أما كونها مرهوبة فلأن فيها تفتتح أبواب الجحيم^(١٠) مُحاولَةً أن تقبض على تلك الروح المفارقة لجسدها لِتَرْجَ بها فى أعماق ظلماتها (مت ٢٥: ٣٠) حيث الدود الذى لا يشبع ولا يموت والبكاء الذى لا ينقطع بسبب العذاب الشديد من ناحية والانفصال عن الله مصدر الحياة والفرح والسلام من ناحية أخرى، وأما عن صعوبتها فلأن عندها يتحدد مصير الإنسان الدائم والأبدى إما تتعماً فى الأبدية السعيدة أو شقاءً وازدراءً فى العذاب الأبدى، ولأن فيها أيضاً يتضح وينكشف جلياً المعنى الاسمى للحياة التى عاشها الإنسان على الأرض التى عبّر عنها الجامع فى قوله "صَنَعَ الْكُلَّ حَسَنًا فِي وَقْتِهِ وَأَيْضًا جَعَلَ الْأَبَدِيَّةَ فِي قُلُوبِهِمُ الَّتِي بِلَاهَا لَا يُدْرِكُ الْإِنْسَانُ الْعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُهُ اللَّهُ مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النَّهَايَةِ." (جا ٣: ١١) رداً على من يتساءلون {ما هو معنى الحياة؟ كيف يُمكننى الحصول على تتاعُم لسبب الحياة التى أعيشها الآن؟ إننى أَسْتَقِظ ... أكل ... أنا ...

ثُمَّ أَكْرَرْ نفس العملية يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام، ولكن لماذا؟ بأى هدف؟ هل لِمُجَرِّد أن أبلَى وأطرح كتوب يَبْلَى، مُجَرِّد أن أَمْضَى لأُفْسِحَ مجالاً لآخر؟ كيف أتواءم مع جميع الألغاز المُحِيرَةِ التى تواجه حياتى بشكل معقول؟ ماذا عن أوقات عدم وجود عمل وديون المستشفى والفشل والشقاء المُرُّ وكسر القلب؟ لماذا لا بد أن توجد هذه الأمور؟ هل توجد خِطَّة ذكيَّة وراء هذه الأشياء؟، ومن يقولون {لا فرق أن يكون الإنسان حيّاً أو ميتاً، الحياة نافلة^(١١)، شيء زائد عن اللزوم لا معنى له}.

"رأس الحكمة مخافة الرب" (مز ١١١ : ١٠)

كما أن بداية الطريق الروحى لأى إنسان يكون دائماً بمخافته للرب (مز ١١١ : ١٠) يتدرّج فيه - أى فى الطريق - ليصل إلى درجة المحبة الكاملة التى تطرح الخوف خارجاً (أيو ٤ : ١٨)^(١٢) ومن ثَمَّ يوقن أن "مَنْ خَافَ فَلَمْ يَتَكَمَّلْ فِي الْمَحَبَّةِ" (أيو ٤ : ١٨)، هكذا فإنَّ بداية الإستعداد لتلك اللحظة المخوفة هو الخوف من الموت نفسه ذلك الذى علَّم به الآباء العظام كيوحنا السِّلْمَى الذى قال (كما أن الحاجة إلى الخبز تفوق الحاجة إلى سائر الأغذية كذلك فإن الحاجة إلى الاهتمام بذكر الموت تفوق الحاجة إلى سائر الأعمال الروحيَّة)، وهكذا كالقديس إسحق السريانى فى قوله (طوبى لمن يتذكَّر خروجه من هذه الحياة ويقطع علاقته بنعيمها)، (يجب أن نتذكر الموت دائماً، لأننا بهذا التأمّل نقترّب إلى الله بقلوبنا).

• الخوف لا يعيب الإنسان

ولا يُحَسَب للإنسان عيبٌ أن يخاف الموت لأنه يُعَدُّ حقاً عدواً كُلِّى القوة والسلطة والرسول بولس يُعلِّم بأن يُعطى لكل واحدٍ حقه "فَأَعْطُوا الْجَمِيعَ حُقُوقَهُمْ: الْجَزِيَّةَ لِمَنْ لَهُ

الْجَزِيَّةُ. الْجَبَايَةُ لِمَنْ لَهُ الْجَبَايَةُ. وَالْخَوْفَ لِمَنْ لَهُ الْخَوْفُ. وَالْإِكْرَامَ لِمَنْ لَهُ الْإِكْرَامُ" (رو ١٣ : ٧)، ولذلك كانت تعاليم آباء الكنيسة تدعو إلى ضرورة تذكُّر الإنسان للموت وتضع له أهمية تفوق الحاجة الطبيعيَّة إلى الطعام^(١٣) - كيوحنا السلمي الذى قال {إن ذكر الموت يُؤلِّد فى العائشين فى وسط العالم^(١٤) حُزناً وضياًعاً وبالأحرى فتوراً فى الهمة، أما عند الخارجين منه^(١٥) فيؤلِّد اقضاءً للهموم وصلاةً متواصلةً ويقظةً للذهن، وهذه تعود بدورها فتولِّد ذكر الموت} - بل وكانت - أى تلك التعاليم - تعتبره - أى ذكر الموت - عطية من الله كسائر عطاياه للبشر - كقوله أيضاً {لا يُخامرنا الشك فى أن ذكر الموت عطية من الله كسائر الصالحات، وإلا فكيف يتفق أن نزور المقابر مرّات كثيرة ونلبث قُساءً لا دموع لنا، فى حين أننا كثيراً ما نبكى ونتخشّع خلواً من مثل ذلك المنظر^(١٦)} - وكانت تُشجّع انتظاره كشهوة^(١٧)، وتضع من ينتظره بشوق فى مرتبة القديسين^(١٨)، وتعتبره بمثابة اللجام الذى يُقيّد السائر فى طريق الخطيئة حتى يتدرّج فلا يعود يطلبها بكامل إرادته وعزمه^(١٩)، وهكذا فكانت تلك التعاليم أيضاً تعدُّ تذكُّر الإنسان للموت وسيلة نافعة وناجحة ليلهج طريق العفاف والطهارة^(٢٠)، وليسلك فى سائر الفضائل المسيحيَّة النافعة كالصوم^(٢١)، وأخيراً ليمتلئ براً وتقوى^(٢٢).

• للموت شوكة وغلبة وسلطان وظلمة

للموت شوكة

ولا عجب أو غرابة أن تلهج كافة تعاليم آباء الكنيسة وقديسيها هذا النهج الذى يدعو الإنسان لِتَذَكُّر تلك اللحظة المرهوبة التى للموت فيرهبها ويخافها إذ له - أى للموت - شوكة (١كو ١٥ : ٥٥) قوية هى الخطية (١كو ١٥ : ٥٦) التى أدخلها الإنسان إلى العالم (رو ٥ : ١٢) فتسلّطت عليه (رو ٦ : ١٢ - ١٩)، واستعبدته بقسوتها (رو ٦ : ٢٠)

ليصير بلا ثمر بل وفى يأس من لا يجد مفرّاً من الموت سوى انتظاره فى فتور ولا مُبالاة قال عنهم - أى عن هذا الفتور وتلك اللامبالاة - واحدٌ فى سفر زكريا "قَدْ جُلْنَا فِي الْأَرْضِ وَإِذَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مُسْتَرْيَحَةٌ وَسَاكِنَةٌ" (زك ١ : ١١)، أما سليمان الجامعة فى سفر الأمثال شبّه من هُم على هذه الشاكلة من الفتور واللامبالاة بالبهائم فقال "مِنْ جِهَةِ أُمُورِ بَنِي الْبَشَرِ إِنَّ اللَّهَ يَمْتَحِنُهُمْ لِئَرِيَهُمْ أَنَّهُ كَمَا الْبَهِيمَةِ هَكَذَا هُمْ. لِأَنَّ مَا يَحْدُثُ لِبَنِي الْبَشَرِ يَحْدُثُ لِلْبَهِيمَةِ وَحَادِثَةٌ وَاحِدَةٌ لَهُمْ. مَوْتُ هَذَا كَمَوْتِ ذَاكَ وَنَسَمَةٌ وَاحِدَةٌ لِلْكُلِّ. فَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مَزِيَّةٌ عَلَى الْبَهِيمَةِ لِأَنَّ كِلَيْهِمَا بَاطِلٌ. يَذْهَبُ كِلَاهُمَا إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ. كَانَ كِلَاهُمَا مِنْ التُّرَابِ وَإِلَى التُّرَابِ يَعُودُ كِلَاهُمَا" (جا ٣ : ١٨ - ٢٠).

للموت غلبة

للموت أيضاً غلبة (١كو ١٥ : ٥٥) لم يفلت منها قِصار العمر - كابن داود الذى ولدته له بتسبع (٢صم ١٢ : ١٨) - ولا طِوال السنين كآدم (تك ٥ : ٥) وشيث (تك ٥ : ٨) وأنوش (تك ٥ : ١١) وقينان (تك ٥ : ١٤) ومهلئيل (تك ٥ : ١٧) ويارد (تك ٥ : ٢٠) الذين صاروا رغم طول سنى حياتهم ييغضون تلك اللحظة^(٢٣) التى فيها تظهر غلبة هذا العدو القوى لهم باقتناصه لحياتهم التى كانوا يظنونها قصيرة مع أنها ليست كذلك كيعقوب الذى قال لفرعون "أَيَّامُ سِنِي غُرْبَتِي مِئَةٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً. قَلِيلَةٌ وَرَدِيَّةٌ كَأَنَّتْ أَيَّامُ سِنِي حَيَاتِي وَلَمْ تَبْلُغْ إِلَى أَيَّامِ سِنِي حَيَاةِ آبَائِي فِي أَيَّامِ غُرْبَتِهِمْ." (تك ٤٧ : ٩)، وكأيوب الذى قال "قَدْ ذُبْتُ. لَا إِلَى الْأَبَدِ أَحْيَا. كُفَّ عَنِّي لِأَنَّ أَيَّامِي تَفْحَةٌ"^(٢٤) (أى ٧ : ١٦) وقال "أَلَيْسَتْ أَيَّامِي قَلِيلَةً؟ انْزُكْ! كُفَّ عَنِّي فَأَبْتَسِمُ قَلِيلاً" (أى ١٠ : ٢٠) وأيضاً قال "إِذَا مَضَتْ سِنُونَ قَلِيلَةٌ أَسْلُكَ فِي طَرِيقٍ لَا أَعُودُ مِنْهَا." (أى ١٦ : ٢٢).

بل ومن غلبة الموت لهم صاروا يشعرون بتفاهة حياتهم - كأيوب الذى قال "أَمَّا الرَّجُلُ فَيَمُوتُ وَيَبْلَى. الْإِنْسَانُ يُسَلِّمُ الرُّوحَ فَأَيِّنَ هُوَ" (أى ١٤ : ١٠)، "وَلِمَاذَا لَا تَغْفِرُ ذَنْبِي وَلَا تُزِيلُ إِنْشِي لِأَنِّي الْآنَ أَضْطَجِعُ فِي التُّرَابِ؟ تَطْلُبُنِي فَلَا أَكُونُ!" (أى ٧ : ٢١) - وطفقوا يعتبرونها - أى حياتهم - مثل حياة البهائم - كقول الجامعة "قُلْتُ فِي قَلْبِي: «مَنْ جِهَةٌ أُمُورِ بَنِي الْبَشَرِ إِنَّ اللَّهَ يَمْتَحِنُهُمْ لِيُرِيَهُمْ أَنَّهُ كَمَا الْبَهِيمَةِ هَكَذَا هُمْ». لَأَنَّ مَا يَحْدُثُ لِبَنِي الْبَشَرِ يَحْدُثُ لِلْبَهِيمَةِ وَحَادِثَةٌ وَاحِدَةٌ لَهُمْ. مَوْتُ هَذَا كَمَوْتُ ذَاكَ وَنَسَمَةٌ وَاحِدَةٌ لِلْكَلِّ. فَالَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مَزِيَّةٌ عَلَى الْبَهِيمَةِ لَأَنَّ كِلَيْهِمَا بَاطِلٌ. يَذْهَبُ كِلَاهُمَا إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ. كَانَ كِلَاهُمَا مِنَ التُّرَابِ وَإِلَى التُّرَابِ يَعُودُ كِلَاهُمَا. مَنْ يَعْلَمُ رُوحَ بَنِي الْبَشَرِ هَلْ هِيَ تَصْعَدُ إِلَى فَوْقِ رُوحِ الْبَهِيمَةِ هَلْ هِيَ تَنْزِلُ إِلَى أَسْفَلَ إِلَى الْأَرْضِ" (جا ٣ : ١٨ - ٢١)، وكقول صوفر النعمانى "أَمَّا الرَّجُلُ فَقَارِغٌ عَدِيمُ الْفَهْمِ وَكَجَحْشٍ الْفَرَا يُولَدُ الْإِنْسَانُ" (أى ١١ : ١٢) - ومنهم من كان يمدح الغير مولودين حاسداً إياهم "لِمَاذَا أَعَانْتَنِي الرُّكْبُ وَلِمَ النَّدْيُ حَتَّى أَرْضَعَ؟ لِأَنِّي قَدْ كُنْتُ الْآنَ مُضْطَجِعاً سَاكِناً. حِينَئِذٍ كُنْتُ نِمْتُ مُسْتَرِيحاً" (أى ٣ : ١٢ - ١٣)، "فَغَبِطْتُ أَنَا الْأَمْوَاتُ الَّذِينَ قَدْ مَاتُوا مُنْذُ زَمَانٍ أَكْثَرَ مِنَ الْأَحْيَاءِ الَّذِينَ هُمْ عَائِشُونَ بَعْدُ. وَخَيْرٌ مِنْ كِلَيْهِمَا الَّذِي لَمْ يُولَدُ بَعْدُ الَّذِي لَمْ يَرَ الْعَمَلَ الرَّدِيءَ الَّذِي عَمِلَ تَحْتَ الشَّمْسِ" (جا ٤ : ٢ - ٣).

الموت لا يُمَيِّز ولا يُحَابِي

غلبة الموت وسطوته لم يفلت منها الْمُتَعَلِّمُونَ الْمُتَقَفُونَ كموسى الذى تربى فى بيت فرعون فَتَهَدَّبَ بِحِكْمَةِ الْمِصْرِيِّينَ وَبِحَضَارَتِهِمْ وَقِيلَ عَنْهُ "فَتَهَدَّبَ مُوسَى بِكُلِّ حِكْمَةِ الْمِصْرِيِّينَ وَكَانَ مُتَقَدِّراً فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ" (أع ٧ : ٢٢)، وكبولس الذى تربى "مُؤَدِّباً عِنْدَ رِجْلَيْ غَمَالَاتِيلَ عَلَى تَحْقِيقِ النَّامُوسِ الْأَبَوِيِّ" (أع ٢٢ : ٣) والذى كان يتقدم فى

الديانة اليهودية على كثيرين من أترابه في غيرته على تقليدات آبائه (غلا ١ : ١٤)، ولا غير المتعلمين كعاموس الذي "كان بين الرعاة من تقوع" (عا ١ : ١) والذي قال عن نفسه "لَسْتُ أَنَا نَبِيًّا وَلَا أَنَا ابْنُ نَبِيٍّ بَلْ أَنَا رَاعٍ وَجَانِي جُمُيزٍ. فَأَخَذَنِي الرَّبُّ مِنْ وَرَاءِ الضَّأْنِ وَقَالَ لِي الرَّبُّ: اذْهَبْ تَتَّبَأْ لِشَعْبِي إِسْرَائِيلَ" (عا ٧ : ١٤ - ١٥).

لم يفلت منها عُظماء الملوك كداود (امل ٢ : ١٠) الذي قال الله عنه "وَجَدْتُ دَاوُدَ بَنَ يَسَى رَجُلًا حَسَبَ قَلْبِي الَّذِي سَيَصْنَعُ كُلَّ مَشِيئَتِي" (أع ١٣ : ٢٢)، وكسليمان (امل ١١ : ٤٣) الذي كانت فيه "حكمة الله" (امل ٣ : ٢٨) والذي كان "مُسَلِّطًا عَلَى جَمِيعِ الْمَمَالِكِ مِنَ النَّهْرِ إِلَى أَرْضِ فِلِسْطِينَ وَإِلَى تَحُومِ مِصْرَ. كَانُوا يُقَدِّمُونَ الْهَدَايَا وَيَخْدُمُونَ سُلَيْمَانَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ" (امل ٤ : ٢١) وقال عنه الكتاب "وَكَانَ طَعَامُ سُلَيْمَانَ لِلْيَوْمِ الْوَاحِدِ: ثَلَاثِينَ كُرَّ سَمِيدٍ وَسِتِّينَ كُرَّ دَقِيقٍ وَعَشْرَةَ ثِيرَانٍ مُسَمَّنَةٍ وَعِشْرِينَ ثَوْرًا مِنَ الْمَرَاعِي وَمِئَةَ خُرُوفٍ، مَا عَدَا الْأَيَّالَ وَالطُّبَّاءَ وَالْيَحَامِيرَ وَالْأَوْرَ الْمُسَمَّنَ. لِأَنَّهُ كَانَ مُسَلِّطًا عَلَى كُلِّ مَا عَبَرَ النَّهْرَ مِنْ تَفْسَحَ إِلَى غَزَّةَ عَلَى كُلِّ مُلُوكِ عَبْرِ النَّهْرِ، وَكَانَ لَهُ صُلْحٌ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ حَوْلَيْهِ. وَسَكَنَ يَهُودًا وَإِسْرَائِيلُ آمِنِينَ كُلُّ وَاحِدٍ تَحْتَ كَرَمَتِهِ وَتَحْتَ تِيقَتِهِ مِنْ دَانَ إِلَى بَيْتِ سَبْعٍ كُلَّ أَيَّامِ سُلَيْمَانَ. وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ أَرْبَعُونَ أَلْفَ مِدْوَدٍ لِحَيْلِ مَرْكَبَاتِهِ، وَأَتْنَا عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ" (امل ٤ : ٢٢ - ٢٦)، ولم يفلت منه أيضاً ضُعفاء العبيد ومُحتقريهم كالذين كانوا لأيوب مع بقره وأنته (أى ١ : ١٥) فسقط عليهم السبنيون وقتلوه، وكالذين كانوا له مع غنمه وجماله (أى ١ : ١٦ - ١٧) فسقطت عليهم النار من السماء والكلدانيين من الأرض فماتوا.

لم يفلت من الموت أيضاً الأغنياء كإبراهيم الذي قال عنه الكتاب "فَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَايَ امْرَأَتَهُ وَلُوطًا ابْنَ أَخِيهِ وَكُلَّ مُقْتَنِيَاتِهِمَا الَّتِي افْتَتَيَا وَالنُّفُوسَ الَّتِي امْتَلَكَا فِي حَارَانَ. وَخَرَجُوا لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ" (تك ١٢ : ٥)، "فَصَنَعَ إِلَى أَبْرَامَ خَيْرًا بِسَبَبِهَا وَصَارَ لَهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ وَأُتْنٌ وَجِمَالٌ" (تك ١٢ : ١٦)، وكأيوب

الذى قال "يَضْطَجُعُ غَنِيًّا وَلَكِنَّهُ لَا يُضْمُّ. يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ وَلَا يَكُونُ" (أى ٢٧ : ١٩)، وكالغنى الغبى (لو ١٦ : ٢٢)، ولا الفقراء كلعازر المسكين (لو ١٦ : ٢١) الذى كانت الكلاب تأتى لتلحس جروحه وهو مطروح عند الباب يشتهى أن يملأ بطنه من الفتات الساقط من مائدة الغنى.

للموت سلطان

فضلاً عما للموت من شوكة وغلبة فله أيضاً سلطان (رو ٢٠ : ٦) لم تتعداه أرواح رجال الله الأبرار (امل ١٣ : ٢٤) وقديسوه كيعقوب الذى قال لأبنائه عن يوسف "إِنِّي أَنْزِلُ إِلَى ابْنِي نَائِحاً إِلَى الْهَآوِيَةِ" (تك ٣٧ : ٣٥) وعن بنيامين "فَإِذَا أَخَذْتُمْ هَذَا أَيْضاً مِنْ أَمَامِ وَجْهِهِ وَأَصَابَتْهُ أَذِيَّةٌ تَنْزُلُونَ شَيْبَتِي بِشَرِّ إِلَى الْهَآوِيَةِ" (تك ٤٤ : ٢٩)، وكصموئيل النبى (اصم ٢٨ : ١٩) مع أنه أمضى طوال حياته فى خدمة الرب (اصم ٢ : ١٨) فتزايد "تمواً وصلاً لدى الرب والناس" (اصم ٢ : ٢٦)، والذى كان "يدعو باسم الرب فيستجيب له" (مز ٩٩ : ٦)، ولم تتخطاه أيضاً أرواح الأشرار كقورح ودانان وأبيرام الذين انشقت الأرض وابتلعتهم وكل ما كان لهم إلى الهاوية (عدد ١٦ : ٣٣)، وكناداب بن يربعام الذى "عَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ وَسَارَ فِي طَرِيقِ أَبِيهِ وَفِي خَطِيئَتِهِ الَّتِي جَعَلَ بِهَا إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ. وَفَتَنَ عَلَيْهِ بَعْشًا بَنُ أَخِيَّا مِنْ بَيْتِ يَسَاكَرَ، وَضَرَبَهُ بَعْشًا فِي جِبْتُونَ الَّتِي لِلْفِلِسْطِينِيِّينَ. وَكَانَ نَادَابُ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مُحَاصِرِينَ جِبْتُونَ. وَأَمَاتَهُ بَعْشًا فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لَأَسَا مَلِكِ يَهُوذَا وَمَلِكِ عَوْضاً عَنْهُ" (امل ١٥ : ٢٦ - ٢٨)، وكزمرى الذى ملك على إسرائيل والذى حال رؤيته للمدينة وقد أُخِذَتْ "دَخَلَ إِلَى قَصْرِ بَيْتِ الْمَلِكِ وَأَحْرَقَ عَلَى نَفْسِهِ بَيْتَ الْمَلِكِ بِالنَّارِ، فَمَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَاهُ الَّتِي أَخْطَأَ بِهَا بِعَمَلِهِ الشَّرِّ فِي عَيْنَيِ

الرَّبِّ وَسَيَرِهِ فِي طَرِيقٍ يَرْبَعَامَ، وَمِنْ أَجْلِ خَطِيئَتِهِ الَّتِي عَمِلَ بِجَعْلِهِ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ" (١٨: ١٩ - ١٦).

للموت ظلمة

للموت أيضاً ظلمة تمتاها أيوب عوضاً عن تجربته القاسية^(٢٥) فقال "إِذَا رَجَوْتُ
الْهَآوِيَةَ بَيْتًا لِي وَفِي الظَّلَامِ مَهَّدْتُ فِرَاشِي وَقُلْتُ لِلْقَبْرِ: أَنْتَ أَبِي وَلِلدُّودِ: أَنْتَ أُمِّي وَأُخْتِي"
(أى ١٧: ١٣ - ١٤)، "لَيْتَكَ تُؤَارِنِي فِي الْهَآوِيَةِ وَتُخَفِّنِي إِلَى أَنْ يَنْصَرِفَ غَضَبُكَ
وَتُعَيِّنَ لِي أَجَلًا فَتَذْكُرَنِي" (أى ١٤: ١٣)، وأشار إليها يوثيل النبی كأحد أحداث يوم
الدينونة الرهيب فقال "يَتَرَكَضُونَ فِي الْمَدِينَةِ. يَجْرُونَ عَلَى السُّورِ. يَصْعَدُونَ إِلَى الْبُيُوتِ.
يَدْخُلُونَ مِنَ الْكُوى كَاللِّصِّ. قُدَامَهُ تَرْتَعِدُ الْأَرْضُ وَتَرْجُفُ السَّمَاءُ. الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُظْلِمَانِ
وَالنُّجُومُ تَحْجِزُ لِمَعَانِهَا" (يو ٢: ٩ - ١٠) وهكذا أيضاً عاموس النبی فى قوله "وَيْلٌ لِلَّذِينَ
يَسْتَهْتُونَ يَوْمَ الرَّبِّ. لِمَاذَا لَكُمْ يَوْمَ الرَّبِّ هُوَ ظَلَامٌ لَا نُورٌ؟" (عا ٥: ١٨)، ثُمَّ صَدَّقَ الرب
على نبوءتهما فقال عن العبد البطل "وَالْعَبْدُ الْبَطَالُ اطْرَحُوهُ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ، هُنَاكَ
يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الْأَسْنَانِ". (مت ٢٥: ٣٠).

لم يغلب الموت سوى الرب

ذاك العدو الغاشم الذى طالما نخس البشرية بشوكته التى هى الخطية واستبد عليهم
بغلبته وسلطانه وأخافهم بظلمته كسر يسوع شوكته "إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي
الْفَرَايِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسْطِ مُسَمَّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ" (كو ٢: ١٤)
وتسلط عليه بسلطانه الإلهى القوى "إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلَاطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا
بِهِمْ فِيهِ" (كو ٢: ١٥) تحقيقاً لقوله لليهود "أَمْ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَ الْقُوِيِّ

وَيَنْهَبَ أَمْنِعَتُهُ، إِنْ لَمْ يَرِبِطِ الْقَوِيُّ أَوَّلًا، وَحِينَئِذٍ يَنْهَبُ بَيْتَهُ؟" (مت ١٢ : ٢٩)، وأبطل ظلمته بنوره العجيب الذي غمر الهاوية لحظة أن أسلم روحه على خشبة الصليب ونزل إليها لكي ما يُكرز للمُسمكين فيها كقول مار بطرس الرسول "فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الْأَثْمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللَّهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُخَيِّ فِي الرُّوحِ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا ذَهَبَ فَكَّرَزَ لِلْأَرْوَاحِ الَّتِي فِي السَّجْنِ" (١بط ٣ : ١٨ - ١٩) وأيضاً كقول بولس الرسول "لِذَلِكَ يَقُولُ: «إِذْ صَعِدَ إِلَى الْعَلَاءِ سَبَى سَبِيًّا وَأَعْطَى النَّاسَ عَطَايَا». وَأَمَّا أَنَّهُ «صَعِدَ»، فَمَا هُوَ إِلَّا إِنَّهُ نَزَلَ أَيْضًا أَوَّلًا إِلَى أَفْسَامِ الْأَرْضِ السُّفْلَى. الَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضًا فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلَأَ الْكُلَّ" (أف ٤ : ٨ - ١٠).

على أن الرب لم يغلبه فقط ويُجرِّده من سلطانه وسطوته اللتان استبد بهما على الهاوية فحبس بها أرواح الأبرار والأشرار على السواء^(٢٦) بل أعطى أيضاً تابعيه من القوة بحيث ما يتغلبوا عليه ويدحروهُ^(٢٧) وذلك بأن جعل لهم طريقاً واحداً للخلاص هو شخصه القدوس كقوله "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤ : ٦)، وجعل من نفسه الباب الوحيد لنوال ذلك الخلاص فقال "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا بَابُ الْخِرَافِ. جَمِيعُ الَّذِينَ أَنْتَوُا قَبْلِي هُمْ سُرَاقٌ وَلُصُوصٌ، وَلَكِنَّ الْخِرَافَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ. أَنَا هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرْعًى" (يو ١٠ : ٧ - ٩)، بل وأبقى لهم جسده ودمه الأقدسين كعربون لتدق الحياة الأبدية على الأرض "فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الْإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فَيَكُمُ. مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أَقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ" (يو ٦ : ٥٣ - ٥٤) من ناحية، وكحماية من العدو المُقَيَّدُ ألف سنة رمزية تمتد مُنْذُ أَنْ صُلِبَ الْمَسِيحُ وَإِلَى مَجِيئِهِ الثَّانِي على السحاب من ناحية أخرى.

من الذى ينال الغلبة

بديهى أنه ليس كل من تبعوا الرب قد نالوا الخلاص الثمين الذى قدمه بجسده على خشبة الصليب لأن كثيرين "بدأوا بالروح وأكملوا بالجسد" (غلا ٣: ٣)، وآخرون فترت حرارتهم الأولى (رو ٣: ١٥) فطفق الله مُزِمِعاً أن يتقيأهم من فمه (رو ٣: ١٦) لأنهم أصبحوا غير حارين ولا باردين ولو أن الأولين أو الآخرين أو غيرهم خافوا تلك اللحظة المُرْهبة والمُفْزَعَة جداً^(٢٨) لقدّموا لها حتماً الإستعداد الدائم واللازم كما أنهم حال إقدامهم على إحدى اللقاءات الهامة - من وجهة نظرهم - يُعِدُّون العِدَّةَ لها، فكما أن الجيش لى ما يحظى بالانتصار فى إحدى المعارك لابد وأن يستعد ليوم المعركة، وكما أن التلميذ الذى يبتغى اجتياز أحد الامتحانات الصعبة لابد له وأن يُعدَّ العِدَّةَ لذلك الامتحان، هكذا من يخشى تلك اللحظة الهامة جداً لابد له وأن يُعدَّ لها العِدَّةَ بألا يفتر نهاراً وليلاً أن يكون على إستعداد لها لئلا تبغته فيصير مثواه النار الأبدية، قال أحد الأفاضل لـ"لو قيل إن واحداً فقط من كافة البشرية ستكون عاقبته النار الأبدية، لبذلت كل ما فى وسعى وجُهدى لأستعد ليوم الممات فلا أكون أنا ذاك الشقي الذى ينال ذلك العقاب".

هنا ونقول إن كان القلق الأعظم الذى يطغى ويسود مشاعر الكثيرين مدعاه خوفهم من تلك اللحظة الحاسمة التى فيها تُفارق أرواحهم أجسادهم فالحل الوحيد إذن هو الإستعداد الدائم والتام لها إذ هى بمثابة الخلاصة للعمل الذى يُعِدُّه الله للإنسان مُنذ جُبلته على الارض وحتى موته وهو عينه ما يتضح بأجلى بيان من قول الجامعة "صَنَعَ الْكُلَّ حَسَنًا فِي وَقْتِهِ وَأَيْضًا جَعَلَ الْأَبَدِيَّةَ فِي قُلُوبِهِم الَّتِي بِلَاهَا لَا يُدْرِكُ الْإِنْسَانُ الْعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُهُ اللَّهُ مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النَّهَايَةِ" (جا ٣: ١١).

طلب الإستعداد لا يعنى ...

نداؤنا بضرورة الإستعداد الدائم لاجتياز تلك اللحظة الحاسمة اتّباعاً لوصيّة الربّ الواضحة التى قال فيها "كُونُوا أَنْتُمْ إِذَا مُسْتَعِدِّينَ، لِأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لَا تَنْظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الْإِنْسَانِ" (لو ١٢ : ٤٠) ليس معناه:

• فُقْدَانُ الْأَمَلِ وَالرَّجَاءِ

طلبنا بضرورة الإستعداد الدائم لتلك اللحظة الحاسمة لا يعنى أننا فقدنا أملنا ورجاءنا فى إله قاسٍ لا يُبَالِي بالبشر ناظراً إليهم كأشياء عديمة القيمة^(٢٩) مُتَلَذِّذاً بأن يبعثهم بلحظة مُفاجئة قاسية لاقتناص أرواحهم المسكينة والقائها فى الهاوية!!! لأنه هو نفسه من خطط لخلاص الإنسان مُنْذُ سقوط أبويْنَا فى الفردوس وهو عينه الذى غرس الاشتياق للأبدية فى قلوب البشر لكى ما يدركوا العمل الذى يُعِدُّ لهم من البداية إلى النهاية كقول الجامعة "صَنَعَ الْكُلَّ حَسَنًا فِي وَقْتِهِ وَأَيْضًا جَعَلَ الْأَبَدِيَّةَ فِي قُلُوبِهِمُ الَّتِي بِلَاهَا لَا يُدْرِكُ الْإِنْسَانُ الْعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُهُ اللَّهُ مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النَّهَايَةِ." (جا ٣ : ١١) وهو الذى أوجد رجاءً لكل الأحياء (جا ٩ : ٤) مهما كانت تجاربهم كأيوب الذى تمنى الهاوية له مثنوى ومُسْتَقَرَّ لشعوره الباطنى بقسوة تجربته (أى ١٤ : ١٣) لكنه رجع فقال "لَأَنَّكَ تَنْسَى الْمُسْقِفَةَ. كَمِيَاهِ عَبَرْتَ تَذْكُرُهَا. وَفَوْقَ الظَّهِيرَةِ يَقُومُ حَظُّكَ. الظَّلَامُ يَتَحَوَّلُ صَبَاحًا. وَتَطْمَئِنُّ لِأَنَّهُ يُوجَدُ رَجَاءٌ. تَتَجَسَّسُ حَوْلَكَ وَتَضْطَجِعُ آمِنًا" (أى ١١ : ١٦ - ١٨)، وكأى ذليل رذله الجميع ونبذوه كقول أليفاز التيمانى "الْمُنْجَى الْبَائِسَ مِنَ السَّيْفِ مِنْ فَمِهِمْ وَمِنْ يَدِ الْقَوِيِّ. فَيَكُونُ لِلذَّلِيلِ رَجَاءٌ وَتَسُدُّ الْخَطِيئَةَ فَاهَا" (أى ٥ : ١٥ - ١٦)، بل وحتى للشجرة التى قُطِعَتْ من الأرض وجفَّ أصلها فيها كقول أيوب "لَأَنَّ الشَّجَرَةَ رَجَاءٌ. إِنْ قُطِعَتْ تُخْلِفُ أَيْضًا وَلَا تُعْدَمُ أَغْصَانُهَا. وَلَوْ قَدَّمَ فِي الْأَرْضِ أَصْلُهَا وَمَاتَ فِي التُّرَابِ جَذْعُهَا فَمِنْ رَائِحَةِ

الماء تُفْرِخُ وَتُنْبِتُ فُرُوعاً كَالْعَرَسِ" (أى ١٤ : ٧ - ٩)، فهل يترك الله باباً مفتوحاً للمتقّل بتجارب لا حصر لها وللذليل المُهان المنبوذ بل وحتى للشجرة المقطوعة والمائتة ويُغلقه فى وجوه الذين انتخبهم لخلاصه العجيب (مت ٢٠ : ١٦) والذين عينهم فى صفوف المدعّوين للحياة الأبديّة (يو ٣ : ١٦)، والذين من أجلهم أخلّى ذاته من مجد الألوهة آخذاً شكل العبد (فى ٢ : ٧)، مُطيعاً مُريداً أن يموت من أجلهم "ليُظهرهم من خطاياهم" (عب ١ : ٣) وأن يقوم بلاهوته فيقيمهم معه "وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجَلَسْنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (أف ٢ : ٦)، وأخيراً أعطاهم وعوده الإلهيّة الصادقة التى تُنْبِتُ عندهم الرجاء وتُقويه بيد رسله وتلاميذه كيُقبول الرسول الذى قال "وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ" (يع ١ : ٤)، وكبولس الرسول الذى قال "عَالِمِينَ أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا وَالصَّبْرُ تَرْكِيبَةً وَالتَّرْكِيبَةُ رَجَاءٌ وَالرَّجَاءُ لَا يُخْزِي لِأَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ قَدْ انْكَبَتَ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا" (رو ٥ : ٣ - ٥)، وقال "لأنه إن كان لنا فى هذه الحياة فقط رجاء فى المسيح فإننا أشقى جميع الناس" (١ كو ١٥ : ١٩)، وكيوحنا الحبيب الذى قال "أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، الْآنَ نَحْنُ أَوْلَادُ اللَّهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لِأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ. وَكُلُّ مَنْ عِنْدَهُ هَذَا الرَّجَاءُ بِهِ، يُظْهَرُ نَفْسُهُ كَمَا هُوَ طَاهِرٌ" (١ يو ٣ : ٢ - ٣).

• الخوف أو القلق

نفس الطالب بضرورة الإستعداد الدائم لم نقصد به أن نحذو بالأكثرين للشعور بخوف دائم وبقلق مُستمر :

◀ من عدو - هو الشيطان - انحلّ من سجنه ساقطاً مثل البرق من السماء (لو ١٠ : ١٨) ليفتك بغضبه وبغيظه العظيمين (رو ١٢ : ١٢) بساكنى الأرض من الذين تبعوا

الرب فدعاهم لِعشاء عُرسه (رؤ ١٩ : ٩) كما أنه هَيَّج السبئيون ليسفطوا على بقر أيوب وأنته وغلمانه فيضربونهم بحد السيف (أى ١ : ١٥)، وكما أنه أيضاً هَيَّج الكلدانيين ليهجموا على جمال أيوب ويقتلوا رُعاتها (أى ١ : ١٧)، وهكذا كما أنه أنزل ناراً من السماء فأحرقت غنم أيوب وغلمانه (أى ١ : ١٦)!!! لأنه رغم قوته التى أعلنها الكتاب المُقدَّس فى قوله "كَيْفَ سَقَطْتَ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهْرَةٌ بِنْتُ الصُّبْحِ؟ كَيْفَ قُطِعْتَ إِلَى الْأَرْضِ يَا قَاهِرَ الْأُمَمِ؟" (إش ١٤ : ١٢)، "هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: أَنْتَ خَاتِمُ الْكَمَالِ، مَلَأَنْ حِكْمَةً وَكَامِلُ الْجَمَالِ. كُنْتَ فِي عَدْنِ جَنَّةِ اللَّهِ. كُلُّ حَجَرٍ كَرِيمٍ سِتَارَتُكَ، عَفِيقُ أَحْمَرٍ وَبَافُوتُ أَصْفَرٌ وَعَفِيقُ أَبْيَضُ وَرَبْرَجْدٌ وَجَزْعٌ وَيَسْبَبٌ وَبَافُوتُ أَرْزَقُ وَبَهْرَمَانُ وَزُمْرُدٌ وَدَهَبٌ. أَنْشَأُوا فِيكَ صَنْعَةً صَيِّغَةِ الْفُصُوصِ وَتَرْصِيْعَهَا يَوْمَ خُلِفْتَ. أَنْتَ الْكُرُوبُ الْمُنْبَسِطُ الْمُظَلَّلُ. وَأَقْمَتُكَ. عَلَى جَبَلِ اللَّهِ الْمُقَدَّسِ كُنْتَ. بَيْنَ حِجَارَةِ النَّارِ تَمْشَيْتَ. أَنْتَ كَامِلٌ فِي طُرْقِكَ مِنْ يَوْمٍ خُلِفْتَ حَتَّى وَجَدَ فِيكَ إِنِّمْ" (حز ٢٨ : ١٢ - ١٥) والتى أبقاها له الله رغم فَقْدانه لمكانته السامية لم يزل تحت سلطان المسيح المُطلق، هذا - أى السُلطان - الذى أظهره لنا الرب فى ملء الزمان كما فى شِفائه لأدواء مُستعصية كَنَازِفَةِ الدَّم (لو ٨ : ٤٣)، وكعبد خادم الملك الذى كان مُشْرِفاً على الموت (يو ٤ : ٤٦) وكمريض البركة (يو ٥) وكآخرين قال عنهم مار لوقا الإنجيلي "وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، جَمِيعُ الَّذِينَ كَانَ عِنْدَهُمْ سَقَمَاءُ بِأَمْرَاضٍ مُخْتَلِفَةٍ قَدَّمُوهُمْ إِلَيْهِ، فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَشَفَاهُمْ. وَكَانَتْ شَيَاطِينُ أَيْضاً تَخْرُجُ مِنْ كَثِيرِينَ وَهِيَ تَصْرُخُ وَتَقُولُ: «أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ!» فَانْتَهَرَهُمْ وَلَمْ يَدَعْهُمْ يَتَكَلَّمُونَ، لِأَنَّهُمْ عَرَفُوهُ أَنَّهُ الْمَسِيحُ" (لو ٤ : ٤٠ - ٤١)، وهكذا أيضاً كما فى إقامته للأموات كلعازر (يو ١١ : ٤٣) وكابن الأرملة (لو ٧ : ١٤ - ١٥)، وكابنة يائيرس (مت ٩ : ٢٥).

إذن فسلطان الشيطان محدود بحسب ما يسمح له الله كقول يوحنا المعمدان "لَا يَقْدِرُ إِنْسَانٌ أَنْ يَأْخُذَ شَيْئاً إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ السَّمَاءِ" (يو ٣ : ٢٧) وكقول الرب

لبيلاطس "لَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيَّ سُلْطَانُ النَّبْتَةِ، لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدْ أُعْطِيتَ مِنْ فَوْقُ" (يو ١٩ : ١١)،
 وإلا لقدّر أن يَضِلَّ الْمُخْتَارِينَ الَّذِينَ لِأَجْلِهِمْ قَصَرَ اللَّهُ أَيَّامَ الضَّيْقَةِ الْآخِرَةِ (مر ١٣ :
 ١٩)، ولقدّر أيضاً أن يُشَدَّدَ فِي إِغْلَاقِهِ عَلَى أَرْوَاحِ الَّذِينَ اقْتَنَصَهُمْ فِي الْهَالِيَةِ قَبْلَ الْفِدَاءِ
 فَلَمْ تَغَادِرْهَا عَائِدَةً إِلَى جَسَدِهَا الْمُسَجَّى مَيِّتاً فِي الْقَبْرِ حَالِماً دَعَاها الرَّبُّ كَابِنَةً يَابِرُسَ الَّتِي
 قَالَ لَهَا يَسُوعُ "يَا صَبِيَّةُ، لَكَ أَقُولُ: قُومِي وَلِلْوَقْتِ قَامَتِ الصَّبِيَّةُ وَمَشَتْ، لِأَنَّهَا كَانَتْ ابْنَةً
 اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً" (مر ٥ : ٤١ - ٤٢)، وكابن الأرملة الذي أوقف نعشه قائلاً له "أَيُّهَا
 الشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ فُتْمٌ!. فَجَلَسَ الْمَيِّتُ وَابْتَدَأَ يَتَكَلَّمُ، فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ" (لو ٧ : ١٤ - ١٥)،
 وهكذا كلعازر الذي ناداه بصوت عظيم "لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجاً! فَخَرَجَ الْمَيِّتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلَاهُ
 مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِطَةٍ، وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمِنْدِيلٍ" (يو ١١ : ٤٣-٤٤).

◀ من أتباع له (٣٠) - أى للشيطان - دعاَهُم الجامعة بالجهال في قوله "مَخَافَةُ الرَّبِّ رَأْسُ
 الْمَعْرِفَةِ. أَمَّا الْجَاهِلُونَ فَيَحْتَقِرُونَ الْحِكْمَةَ وَالْأَدَبَ." (أم ١ : ٧)، "أَيُّهَا الْحَقَمَى تَعَلَّمُوا ذِكَاءً
 وَيَا جُهَّالَ تَعَلَّمُوا فَهْماً" (أم ٨ : ٥) إذ يفتخرون بسلطانهم الغاش الخادع الذي أوحى إليهم
 من يتبعونه - أى الشيطان - أنه وهبه - أى هذا السلطان - إياهم كاملاً بلا رادع ولا
 ضابط فلا يفترون أن يُعَيِّرُوا الاسم القدوس "حَتَّى مَتَى يَا اللَّهُ يُعَيِّرُ الْمُقَاوِمَ وَيُهَيِّنُ الْعَدُوَّ
 اسْمَكَ إِلَى الْغَايَةِ؟" (مز ٧٤ : ١٠) "قُمْ يَا اللَّهُ. أَقِمِ دَعْوَاكَ. أَذْكَرُ تَغْيِيرِ الْجَاهِلِ إِيَّاكَ الْيَوْمَ
 كُلَّهُ." (مز ٧٤ : ٢٢)، ويُقاومونه "لَا تَنْسَ صَوْتِ أَضْدَادِكَ ضَجِيجَ مُقَاوِمِكَ الصَّاعِدَ
 دَائِماً." (مز ٧٤ : ٢٣)، "حَتَّى مَتَى الْخُطَاةُ يَا رَبُّ حَتَّى مَتَى الْخُطَاةُ يَشْمَتُونَ؟ يُبْقُونَ
 يَتَكَلَّمُونَ بِوَقَاحَةٍ. كُلُّ فَاعِلِي الْإِثْمِ يَفْتَخِرُونَ. يَسْحَقُونَ شَعْبَكَ يَا رَبُّ وَيَذُلُّونَ مِيرَاثَكَ" (مز
 ٩٤ : ٣ - ٥)، وَيُنَجِّسُوا هَيْكَلَهُ "اللَّهُمَّ إِنَّ الْأُمَمَ قَدْ دَخَلُوا مِيرَاثَكَ. نَجَسُوا هَيْكَلَ قُدْسِكَ.
 جَعَلُوا أُورُشَلِيمَ أَكْوَماً" (مز ٧٩ : ١) وَيفتكوا بتابعيه ومؤمنيه "دَفَعُوا جُنْثَ عِبِيدِكَ طَعَاماً
 لِطُيُورِ السَّمَاءِ لَحْمَ أَنْفِيَانِكَ لِوَحُوشِ الْأَرْضِ. سَفَكُوا دَمَهُمْ كَالْمَاءِ حَوْلَ أُورُشَلِيمَ وَلَيْسَ مَنْ

يَذْفِرُ" (مز ٧٩: ٢ - ٣) "يَسْحَقُونَ شَعْبَكَ يَا رَبُّ وَيَذْلُونَ مِيراثَكَ. يَقْتُلُونَ الْأَرْمَلَةَ وَالْغَرِيبَ وَيُمِيشُونَ الْيَتِيمَ. وَيَقُولُونَ: الرَّبُّ لَا يُبْصِرُ وَاللَّهُ يَعْقُوبُ لَا يُلَاحِظُ" (مز ٩٤: ٥ - ٧)، شاتمين شامتين ولسان حالهم يقول كرؤساء الكهنة "قَدْ اتَّكَلَّ عَلَى اللَّهِ، فَلْيُنْقِذْهُ الْآنَ إِنْ أَرَادَهُ!" (مت ٢٧: ٤٣)، وكريشاقى قائد جيش ملك آشور "وَلَا يَجْعَلْكُمْ حَرْقِيًا تَتَكَلَّمُونَ عَلَى الرَّبِّ قَائِلًا: إِنْقَازًا يُنْقِذُنَا الرَّبُّ وَلَا تُدْفِعْ هَذِهِ الْمَدِينَةَ إِلَى يَدِ مَلِكِ أَشُورَ. لَا تَسْمَعُوا لِحَرْقِيَّهِ. لِأَنَّهُ هَكَذَا يَقُولُ مَلِكُ أَشُورَ: اغْضَبُوا مَعِيَ صُلْحًا وَاخْرُجُوا إِلَيَّ، وَكُلُّوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ جَفَنَتِهِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ تِينَتِهِ وَاشْرَبُوا كُلَّ وَاحِدٍ مَاءَ بَرْهِ حَتَّى آتِي وَأَخْذُكُمْ إِلَى أَرْضٍ كَأَرْضِكُمْ، أَرْضَ حِنْطَةٍ وَخَمَرٍ، أَرْضَ خُبْزٍ وَكَرُومٍ، أَرْضَ زَيْتُونٍ وَعَسَلٍ وَاحْيُوا وَلَا تَمُوتُوا. وَلَا تَسْمَعُوا لِحَرْقِيَّهِ لِأَنَّهُ يَغْرُكُمْ قَائِلًا: الرَّبُّ يُنْقِذُنَا. هَلْ أَنْقَذَ إِلَهُةُ الْأُمَمِ كُلَّ وَاحِدٍ أَرْضَهُ مِنْ يَدِ مَلِكِ أَشُورَ؟ أَيْنَ إِلَهُةُ حَمَاةٍ وَأَرْفَادٍ؟ أَيْنَ إِلَهُةُ سَفَرَوَائِمٍ وَهَيْعٍ وَعَوَا. هَلْ أَنْقَذُوا السَّامِرَةَ مِنْ يَدِي؟ مَنْ مِنْ كُلِّ إِلَهَةِ الْأَرْضِ أَنْقَذَ أَرْضَهُمْ مِنْ يَدِي حَتَّى يُنْقِذَ الرَّبُّ أُورُشَلِيمَ مِنْ يَدِي؟" (٢مل ١٨: ٣٠ - ٣٥).

أما عدم الخوف الذى نطلبه وننادى به فمدعاه أن لهم ولى قوى قال عن نفسه "إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَنِي يَهُوذَا مَعًا مَظْلُومُونَ وَكُلُّ الَّذِينَ سَبَوْهُمْ أَمْسُكُوهُمْ. أَبُو أَنْ يُطْلُقُوهُمْ. وَلِيَهُمْ قَوِيٌّ. رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ. يُقِيمُ دَعْوَاهُمْ لِيُرِيحَ الْأَرْضَ وَيُزْعِجَ سَكَّانَ بَابِلَ." (أر ٥٠: ٣٣ - ٣٤) وهو لا يفتر أن ينخس بمناخس الروح ضمائر هؤلاء الغطاريس الذين يقولون "الرَّبُّ لَا يَرَانَا! الرَّبُّ قَدْ تَرَكَ الْأَرْضَ" (حز ٨: ١٢) فَيُجِيبُهُمْ "إِفْهَمُوا أَيُّهَا الْبُلْدَاءُ فِي الشَّعْبِ وَيَا جُهَلَاءَ مَتَى تَعْقِلُونَ؟ الْغَارِسُ الْأَذْنُ أَلَا يَسْمَعُ؟ الصَّانِعُ الْعَيْنَ أَلَا يُبْصِرُ؟" (مز ٩٤: ٨ - ٩)، وهو يُدْرِكُ كل الإدراك أن هذا الاضطهاد الذى يَهَيِّجُ به الشيطان مع أتباعه هو لشخصه القدوس وليس لأبنائه ومؤمنيه كقوله "اذْكُرُوا الْكَلَامَ الَّذِي قُلْتُمْ لَكُمْ: لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ. إِنْ كَانُوا قَدْ اضْطَهَدُونِي فَسَيَضْطَهَدُونَكُمْ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ حَفَظُوا كَلَامِي فَسَيَحْفَظُونَ كَلَامَكُمْ. لَكِنَّهُمْ إِنَّمَا يَفْعَلُونَ بِكُمْ هَذَا كُلَّهُ مِنْ أَجْلِ اسْمِي، لِأَنَّهُمْ لَا

يَعْرِفُونَ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يو ١٥ : ٢٠ - ٢١)، ولذلك عندما أهاج الشيطان شاول الطرسوسي^(٣١) لكى ما يَنْفُثْ تهديداً وقتلاً لتلاميذ الرب فى أورشليم (أع ٩ : ١) مُضْطَهِّداً إياهم حتى الموت مُسَلِّماً إلى السجن رجالاً منهم ونساء (أع ٢٢ : ٤) مُجْبِراً إياهم على التجديف والافتراء طاردهم إلى المُدُن التى فى الخارج (أع ٢٦ : ١١) ظهر له الرب الحَنَّان من السماء مُعْتَبِراً أن هذا الاضطهاد هو لشخصه القدوس قائلاً له "سَأُولُ، سَأُولُ! لِمَاذَا تَضْطَهِّدُنِي؟ أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِّدُهُ. صَعَبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاحِسَ" (أع ٩ : ٤ - ٥).

الله ينظر الظلم ولا يسكت

أما عن الظلم الذى يتجبر به هؤلاء وغيرهم قائلين "الرَّبُّ لَا يَرَانَا! الرَّبُّ قَدْ تَرَكَ الْأَرْضَ" (حز ٨ : ١٢) ظانين أنه فى قُدرة أيديهم أن يصنعوا بِهِمْ شَرًّا (تك ٣١ : ٢٩) وقتما أرادوا، فالله يَنْظُرُهُ وَلَا يَغْضُ بصره عنه بل معه يَهَبُ التعزية الخفية للاحتمال ولدحض الخوف "إِنْ رَأَيْتَ ظُلْمَ الْفَقِيرِ وَنَزَعَ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ فِي الْبِلَادِ فَلَا تَرْتَعْ مِنَ الْأَمْرِ لِأَنَّ فَوْقَ الْعَالِي عَالِيًّا يُلَاحِظُ وَالْأَعْلَى فَوْقَهُمَا" (جا ٥ : ٨)، وهو؛ أى الله؛ وإن بدا أنه "قد ترك الأرض" (حز ٨ : ١٢)^(٣٢) إلا أنه يتأنى - "لِأَنَّ الْقَضَاءَ عَلَى الْعَمَلِ الرَّدِيءِ لَا يُجْرَى سَرِيعاً" (جا ٨ : ١١) - لكى ما يجتذب مثل هؤلاء للتوبة كما أعلن مار بولس الرسول فى قوله "أَمْ تَسْتَهِينُ بَعْنَى لُطْفِهِ وَامْهَالِهِ وَطُولِ أَنْاتِهِ غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللَّهِ إِنَّمَا يَفْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟" (رو ٢ : ٤) تماماً كما تأتى على قايين مُحذِراً إياه بقوله "لِمَاذَا اغْتَطَلْتَ وَلِمَاذَا سَقَطَ وَجْهُكَ؟ إِنْ أَحْسَنْتَ أَفْلاً رَفَعُ. وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيئَةٌ رَابِضَةٌ وَإِلَيْكَ اسْتِيَاقُهَا وَأَنْتَ تَسْوُدُ عَلَيْهَا" (تك ٤ : ٦ - ٧) فلما سقط لم يُعَاقِبْهُ مُباشرة بل أراد اجتذابه للاعتراف بجريمته ثِقَةً منه فى نوال المغفرة والصفح^(٣٣)، وكما تأتى على فرعون

وعبيده فترات طويلة صعد خلالها بنى اسرائيل إليه (خر ٢: ٢٣) فَسَمِعَ أَنِّيَنَّهُمْ وَ تَذَكَّرَ مِيثَاقَهُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ (خر ٢: ٢٤ - ٢٥).

من تقع عليهم يد الظلم

أما الأتقياء الذين يقعون تحت طائلة هذا الظلم وذاك التجبر فهم أفضل من عصافير كثيرة يُباع الواحد منها بأقل من فلس ومع ذلك فليس منسياً أمام الله (لو ١٢: ٦ - ٧)، وهم أسمى من زنايق الحقل التي لا تتعب ولا تغزل ولكن الله يلبسها بهاءً بأكثر مما لبس سليمان في كل مجده (لو ١٢: ٢٧)، ولذا فهو يعد لهم العدة ليؤهلهم لميراث السموات الذي لا يفنى ولا يضمحل والذي لا يمكن نواله إلا باجتياز ضيقات كثيرة (أع ١٤: ٢٢) (٢٢) كصك العبور الوحيد الذي يضمن إحامله سلامة الوصول للملكوت، ولذلك يَسْتَحْدِمُ الله شر الظالمين ويحوّله لخير المتقين كقول الجامعة "الْخَاطِئُ وَإِنْ عَمِلَ شَرًّا مِثَّةَ مَرَّةٍ وَطَالَتْ أَيَّامُهُ إِلَّا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ يَكُونُ خَيْرٌ لِلْمُتَّقِينَ اللَّهُ الَّذِينَ يَخَافُونَ قُدَّامَهُ. وَلَا يَكُونُ خَيْرٌ لِلشَّرِيرِ وَكَالظِّلِّ لَا يَطِيلُ أَيَّامُهُ لِأَنَّهُ لَا يَخْشَى قُدَّامَ اللَّهِ" (جا ٨: ١٢ - ١٣)، وهكذا يستخدِم مقاومة المعاندين ليؤكد بها ويَزَكِّي صبر المُحتملين الأمر الذي أعلنه على لسان رسوله "غَيْرَ مُحَوِّفِينَ بِشَيْءٍ مِنَ الْمُقَاوِمِينَ، الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ لَهُمْ بَيِّنَةٌ لِلْهَلَاكِ، وَأَمَّا لَكُمْ فَلِلْخَلَاصِ، وَذَلِكَ مِنَ اللَّهِ" (في ١: ٢٨)، ومن ثَمَّ يُعْطِيهِم الطوبى "طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شَرِيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ" (مت ٥: ١١) "انْ عَيْرْتُمْ بِاسْمِ الْمَسِيحِ فَطُوبَى لَكُمْ لِأَنَّ رُوحَ الْمَجْدِ وَاللَّهُ يَحِلُّ عَلَيْكُمْ" (١ بط)، ويهبهم الاتكال عليه والتسليم الكلي له "كان لنا في أنفسنا حُكْمُ الْمَوْتِ لَكِي لَا نَكُونَ مُتَكَلِّينَ عَلَى أَنْفُسِنَا" (٢كو ١: ٩) فيصير لسان حالهم رغم أية أحداث وضيقات يقول مع المُرْتَلِّ "في يوم دعوتك أجبتني" (مز ١٣٨: ٣)، "أَسْرَعُ أَجْبِنِي يَا رَبُّ. فَنَيْتُ رُوحِي. لَا تَحْجُبْ

وَجْهَكَ عَنِّي فَأُشْبِهَ الْهَابِطِينَ فِي الْجُبِّ. أَسْمِعْنِي رَحْمَتَكَ فِي الْعَدَاةِ لَأَنِّي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. عَرَفَنِي الطَّرِيقَ الَّتِي أَسْلُكُ فِيهَا لَأَنِّي إِلَيْكَ رَفَعْتُ نَفْسِي" (مز ١٤٣: ٧ - ٨)، "مُبَارَكُ الرَّبِّ صَخَّرَتِي الَّذِي يُعَلِّمُ يَدَيَّ الْقِتَالَ وَأَصَابِعِي الْحَرْبَ. رَحِمَتِي وَمَلَجَائِي صَرَّحِي وَمُنْقِذِي مَجَّنِّي وَالَّذِي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ الْمُخْضِعُ شَعْبِي تَحْتِي" (مز ١٤٤: ١ - ٢) مؤمناً بالحقيقة الإلهية التي تجيء كوعد - يلائم ويوافق كل مكان وزمان - على لسان الرب القائل لايليا النبي "قد أبقيت لنفسى سبع آلاف رُكبة لم تتحن لبعل" (امل ١٩: ١٨) مع أنه قد بدى للوهلة الأولى أن الكل قد انحرف ولم يعد يوجد مؤمنين بالرب سوى حفنة هاربة خائفة وضعيفة.

الشعور بالغربة

هذا الظلم الذى أثاره الشيطان مُهَيِّجاً أتباعه على مُتَقَى الرب فضلاً أنه آل بهم - أى بهؤلاء المُتَقِينَ - إلى ضيقات وأتعاب أكسبتهم صك العبور للملكوت واغتصاب الطوبى ومن ثَمَّ الشعور الدائم والكلّى بالافتكال على الله والالتصاق به فهو أيضاً يغرس داخلهم شعور بالغربة عن العالم وما فيه مؤكداً قول الرب "إِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُبْغِضُكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أَبْغَضَنِي قَبْلَكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ خَاصَّتَهُ. وَلَكِنْ لَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ، بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ مِنَ الْعَالَمِ، لِذَلِكَ يُبْغِضُكُمْ الْعَالَمُ" (يو ١٥: ١٨ - ١٨) فلا يطفقون يشعروا بأى ارتباط بشئ مما فى العالم حتى وإن كانوا فى أمس الاحتياج له موقنين من وصية الرسول التى قال فيها "فَأَقُولُ هَذَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: الْوَقْتُ مُنْذُ الْآنَ مُقَصَّرٌ لِكَيْ يَكُونَ الَّذِينَ لَهُمْ نِسَاءٌ كَأَن لَيْسَ لَهُمْ وَالَّذِينَ يَبْكُونَ كَأَنَّهُمْ لَا يَبْكُونَ وَالَّذِينَ يَفْرَحُونَ كَأَنَّهُمْ لَا يَفْرَحُونَ وَالَّذِينَ يَسْتَرْوْنَ كَأَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ هَذَا الْعَالَمَ كَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَعْمِلُونَهُ. لَأَنَّ هَيْئَةَ هَذَا الْعَالَمِ تَزُولُ" (١كو ٧: ٢٩ - ٣١) واثقين من قدرتهم على إتمام ما أوصى

به مار يوحنا الحبيب والذى طالما ظنّوه صعباً بل ومُستحيلاً "لَا تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ. إِنَّ أَحَبَّ أَحَدِ الْعَالَمِ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الْآبِ. لِأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ شَهْوَةٌ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةٌ الْعُيُونِ، وَتَعْظُمُ الْمَعِيشَةُ، لَيْسَ مِنَ الْآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ. وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللَّهِ فَيَنْبُتُ إِلَى الْأَبَدِ" (١يو ٢: ١٥ - ١٧).

إدراك الإنسان لغربته الأرضية رغبة إلهية

مثل هذا الشعور بالغربة ما أراد الله منذ أن بدأ عهده مع البشر أن يغرسه داخلهم لنلا يرتبطوا بالأرض وما عليها فنجدّه يقول لإبراهيم "وَأَقِيمْ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا لَأَكُونَ إِلَهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مِلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلَهُهُمْ." (تك ١٧: ٧ - ٩)، ويقول لموسى النبی "وَأَنَا ظَهَرْتُ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بِأَنِّي إِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَأَمَّا بِاسْمِي «يَهُوَه» فَلَمْ أُعْرِفْ عِنْدَهُمْ. وَأَيُّضًا أَقَمْتُ مَعَهُمْ عَهْدِي: أَنْ أُعْطِيَهُمْ أَرْضَ كَنْعَانَ أَرْضَ غُرْبَتِهِمُ الَّتِي تَغْرَبُوا فِيهَا" (خر ٦: ٣ - ٤)، وهو الأمر الذى أدركه رجال الله وأبراره فحيّوه وعلموه لذويهم كإسحق الذى فى مُباركته ليعقول قال له "والله الْقَدِيرُ يُبَارِكُكَ وَيَجْعَلُكَ مُنْمَرًا وَيُكَثِّرُكَ فَتَكُونُ جُمْهُورًا مِنَ الشُّعُوبِ. وَيُعْطِيكَ بَرَكَهَ إِبْرَاهِيمَ لَكَ وَلِنَسْلِكَ مَعَكَ لَتَرِثَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ الَّتِي أَعْطَاهَا اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ" (تك ٢٨: ٣ - ٤) وكموسى الذى قال عن عيسو ويعقوب "ثُمَّ أَخَذَ عِيسُو نِسَاءَهُ وَبَنِيهِ وَبَنَاتِهِ وَجَمِيعَ نَفُوسِ بَيْتِهِ وَمَوَاشِيَهُ وَكُلَّ بَهَائِمِهِ وَكُلَّ مُقْتَنَاهُ الَّذِي اقْتَنَى فِي أَرْضِ كَنْعَانَ وَمَضَى إِلَى أَرْضٍ أُخْرَى مِنْ وَجْهِ يَعْقُوبَ أَخِيهِ لِأَنَّ أَمْلَاكَهُمَا كَانَتْ كَثِيرَةً عَلَى السُّكْنَى مَعًا وَلَمْ تَسْتَطِعْ أَرْضُ غُرْبَتِهِمَا أَنْ تَحْمِلَهُمَا مِنْ أَجْلِ مَوَاشِيهِمَا" (تك ٣٦: ٦ - ٧) وعن يعقوب "وَسَكَنَ يَعْقُوبُ فِي أَرْضِ غُرْبَةِ أَبِيهِ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ" (تك ٣٧: ١) وكيعقوب الذى قال لفرعون "أَيَّامُ

سِنِي عُرْبَتِي مِئَةً وَثَلَاثُونَ سَنَةً. قَلِيلَةٌ وَرَدِيَّةٌ كَانَتْ أَيَّامُ سِنِي حَيَاتِي وَلَمْ تَبْلُغْ إِلَى أَيَّامِ سِنِي حَيَاةِ آبَائِي فِي أَيَّامِ عُرْبَتِهِمْ». (تك ٤٧ : ٩) وهكذا كالنبي في المزامير الذى قال عن نفسه "اسْتَمِعْ صَلَاتِي يَا رَبُّ وَاصْنَعْ إِلَى صُرَاخِي. لَا تَسْكُتْ عَنْ دُمُوعِي. لِأَنِّي أَنَا غَرِيبٌ عِنْدَكَ. نَزِيلٌ مِثْلُ جَمِيعِ آبَائِي" (مز ٣٩ : ١٢)، "غَرِيبٌ أَنَا فِي الْأَرْضِ. لَا تُخَفِ عَنِّي وَصَايَاكَ". (مز ١١٩ : ١٩).

إذن شعور الإنسان بغربته على الأرض أمراً ابتغاه الله له مُنْذُ الْقَدَمِ، لكنه - أى الإنسان - فى تصورات قلبه الشرير وميله المتواصل للأرضيات ولشهواتها (تك ٨ : ٢١) هذا بالله أن يجتذبه بأحداثٍ تُضَيِّقُ عليه الوسع الذى سعى إليه فى العالم ليرجع فلا يتشبث ولا يتمسك بشئٍ مما فيه إذ يكون قد أدرك ما أدركه أبرار الكتاب وقديسيه من حيث كونهم غُرباء ونُزلاء على الأرض.

أما الوعد الإلهى الذى يُلْازِمُ مِثْلَ هَؤُلَاءِ فى إدراكهم الجديد أن الحزن لابد وأن يتحول إلى فرح - كقول الرب "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ سَتَبْكُونَ وَتَتَوَحَّوْنَ وَالْعَالَمُ يَقْرَحُ. أَنْتُمْ سَتَحْزَنُونَ، وَلَكِنَّ حُزْنَكُمْ يَتَحَوَّلُ إِلَى فَرَحٍ" (يو ١٦ : ٢٠) - والكآبة إلى تعزية فائقة يهبها الله لهم رغم كافة ضيقاتهم (٢ كو ١ : ٣)، والألم يتحول لمجد كقول الرسول "إِنْ آلامَ هَذَا الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لَا تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِيْنَا" (رو ٨ : ١٨)، ومشاعر الحزن والأسى الطبيعية التى تُسببها هذه الآلام تتحول لتسليم كامل لله الذى يُدَبِّرُ كافة التفاصيل والدقائق لحياة الإنسان من بداءتها إلى انتهائها (جا ٣ : ١١).

• الرهينة الجبرية (أى التى بدافع الهروب من الضيقات)

ضرورة ولزوم دوام استعداد الإنسان لأهم لحظية يواجهها فى حياته كُلِّهَا فضلاً عن أنه لا يعنى فُقدان الأمل والرجاء فى إله قاسٍ يتلذَّذُ بأن يبيعَ خاصته بأحداثٍ مُروِّعه

ليقتنص أرواحهم المسكينة، ولا يعنى الخوف أو القلق من الشيطان الذى يسوق أتباعه ليقتنص أرواح من تبعوا الرب بقساوة قلب^(٣٥) فهو - أى طلب الإستعداد - لا يعنى أيضاً ضرورة ولوج المسيحى للطريق الرهبانى كحل وحيد^(٣٦) لتجنّب الضيقات والاضطهادات والآتاع التى يعتبرها كمُعْطَّلات عن الشعور براحة تُهيئُه لِحالَةٍ يقدر فيها أن يستعد لتلك اللحظة الحاسمة من حياته الأرضية، وذلك لِعِدَّة أسباب:

+ الذى يهرب ليسكن الصحارى سعياً للراحة التى يظنّها تؤهِّله لبدء استعدادة لن يجدها - أى الراحة - هناك أيضاً بل سَفَاجُهُ أَتْعَابٌ من نوع آخر يسوقها عليه الشيطان لِيُعْطِلَ ما أراد أن يعملَه فترك الكل لأجله، لأن الشيطان لا يكف أن يجول مُلْتَمِساً (١بط ٥: ٨) لى ما يبتلع الإنسان، فيأتى عليه بأتعابٍ - أينما وُجِدَ - لَتُعْطِلَ سعيه الدائم ليصير مُسْتَعِدّاً مؤهلاً لتلك اللحظة.

أتعاب الرهبة غير أتعاب العالم

وطبيعى أن الأتعاب التى يواجهها الإنسان تختلف باختلاف طريقة الحياة التى رغب أن ينهجها فسُكَّان البرارى لهم أتعابٌ تختلف عما لسُكَّان العالم^(٣٧)، فلو أن الجميع صاروا مدعوين للرهبة الجبرية - أى التى بدافع الهروب من الضيقات والمُضايقات - كطريق وحيد يهرب فيه الإنسان من مُضايقات العالم فينال سلاماً يؤهِّله للاجتهاد فى طريق الخلاص لكان فى ذلك ظُلْمٌ لكثيرين ممن لا يبتغون الرهبة أو لا يقدرُون عليها، لأن الوحي الإلهى يُعلن أنه "لَيْسَ الْجَمِيعُ يَقْبَلُونَ هَذَا الْكَلَامَ بَلِ الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُمْ" (مت ١٩: ١١)، وأن "مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ" (مت ١٩: ١٢) من ناحية، ولأن الطريق الطبيعى الذى خصّه الله للإنسان مُنْذُ خَلْقَتِهِ أن يكون له "مُعِيناً نظيره لى لا يكون وحده" (تك ٢: ١٨) فيُثْمِرُوا وَيُكثِرُوا ويملأوا الأرض (تك ١: ٢٦) من ناحية أُخرى،

الأمر الذى أعلن عنه الله لما قال "لِذَلِكَ يَنْتَرِكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا" (تك ٢: ٢٤)^(٣٨)، وأوضحه بولس الرسول فى قوله "وَلَكِنْ أَقُولُ لِغَيْرِ الْمُتَزَوِّجِينَ وَلِلْأَرَامِلِ إِنَّهُ حَسَنٌ لَهُمْ إِذَا لَبِثُوا كَمَا أَنَا"^(٣٩). وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يَضْبُطُوا أَنْفُسَهُمْ فَلْيَتَزَوَّجُوا لِأَنَّ التَّزَوُّجَ أَصْلَحُ مِنَ التَّحَرُّقِ. وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُونَ فَأَوْصِيهِمْ لَا أَنَا بَلِ الرَّبُّ أَنْ لَا تَفَارِقَ الْمَرْأَةُ رَجُلَهَا. وَإِنْ فَارَقَتْهُ فَلْتَلْبَثْ غَيْرَ مُتَزَوِّجَةٍ أَوْ لِنَصَالِحِ رَجُلِهَا. وَلَا يَنْتَرِكُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ" (١كو ٧: ٨ - ١١)، وفى قوله أيضاً "لَكِنَّكَ وَإِنْ تَزَوَّجْتَ لَمْ تُخْطِئِ. وَإِنْ تَزَوَّجْتَ الْعَذْرَاءُ لَمْ تُخْطِئِ. وَلَكِنْ مِثْلَ هَؤُلَاءِ يَكُونُ لَهُمْ ضَيْقٌ فِي الْجَسَدِ. وَأَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَشْفِقُ عَلَيْكُمْ". (١كو ٧: ٢٨) وأخيراً فى قوله "لِيُوفِ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ حَقَّهَا الْوَاجِبَ وَكَذَلِكَ الْمَرْأَةُ أَيْضاً الرَّجُلَ. لَيْسَ لِلْمَرْأَةِ تَسَلُّطٌ عَلَى جَسَدِهَا بَلْ لِلرَّجُلِ وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ أَيْضاً لَيْسَ لَهُ تَسَلُّطٌ عَلَى جَسَدِهِ بَلْ لِلْمَرْأَةِ. لَا يَسْلُبُ أَحَدُكُمْ الْآخَرَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَى مُوَافَقَةٍ إِلَى حِينٍ لِكَيْ تَتَقَرَّعُوا لِلصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ ثُمَّ تَجْتَمِعُوا أَيْضاً مَعاً لِكَيْ لَا يُجَرِّبَكُمُ الشَّيْطَانُ لِسَبَبِ عَدَمِ نَزَاهَتِكُمْ. وَلَكِنْ أَقُولُ هَذَا عَلَى سَبِيلِ الْإِذْنِ لَا عَلَى سَبِيلِ الْأَمْرِ" (١كو ٧: ٣ - ٦).

لكل واحد مقدرة على إرضاء الرب

أما مار بولس الرسول الذى أوضح أن لكل واحد موهبته الخاصة من الله "لَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ لَهُ مَوْهِبَتُهُ الْخَاصَّةُ مِنَ اللَّهِ. الْوَاحِدُ هَكَذَا وَالْآخَرُ هَكَذَا" (١كو ٧: ٧)، وقدرته الخاصة على الاحتمال "وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْأُمُورِ الَّتِي كَتَبْتُمْ لِي عَنْهَا فَحَسَنٌ لِلرَّجُلِ أَنْ لَا يَمَسَّ امْرَأَةً. وَلَكِنْ لِسَبَبِ الرَّبِّ لِيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ امْرَأَتُهُ وَلِيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ رَجُلُهَا" (١كو ٧: ١ - ٢)، "وَلَكِنْ أَقُولُ لِغَيْرِ الْمُتَزَوِّجِينَ وَلِلْأَرَامِلِ إِنَّهُ حَسَنٌ لَهُمْ إِذَا لَبِثُوا كَمَا أَنَا. وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يَضْبُطُوا أَنْفُسَهُمْ فَلْيَتَزَوَّجُوا لِأَنَّ التَّزَوُّجَ أَصْلَحُ مِنَ التَّحَرُّقِ" (١كو ٧: ٨ - ٩)، والذى أعلن أن من يتزوج لا يخطئ "لَكِنَّكَ وَإِنْ تَزَوَّجْتَ لَمْ تُخْطِئِ. وَإِنْ تَزَوَّجْتَ الْعَذْرَاءُ لَمْ تُخْطِئِ.

وَلَكِنَّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ يَكُونُ لَهُمْ ضِيقٌ فِي الْجَسَدِ. وَأَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَشْفِقُ عَلَيْكُمْ" (١كو ٧: ٢٨)،
 لم يغفل أن يُذكّر كل واحد متزوجاً كان أم أعزّباً بقدرته على إرضاء الرب وخدمته في أى
 طريق حياة ينهج ويختار فلا يصير فى هم وثقل من ناحية "فَأُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا بِلَا هَمٍّ. غَيْرُ
 الْمُتَزَوِّجِ يَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ كَيْفَ يُرْضِي الرَّبَّ وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُ فَيَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ
 يُرْضِي امْرَأَتَهُ. إِنَّ بَيْنَ الزَّوْجَةِ وَالْعُذْرَاءِ فَرْقًا: غَيْرُ الْمُتَزَوِّجَةِ تَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ لِتَكُونَ
 مُقَدَّسَةً جَسَدًا وَرُوحًا. وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجَةُ فَتَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ تُرْضِي رَجُلَهَا" (١كو ٧: ٣٢ -
 ٣٤)، ومن ناحية أخرى لا يتخبط كمن كان يطلب إرضاء الرب وإذا أربكته انشغالاته
 الزوجية "هَذَا أَقُولُهُ لِخَيْرِكُمْ لَيْسَ لِكَيِ أُلْقِيَ عَلَيْكُمْ وَهَقًّا بَلْ لِأَجْلِ اللَّيَاقَةِ وَالْمُتَابَرَةِ لِلرَّبِّ مِنْ
 دُونِ ارْتِبَاكِ". (١كو ٧: ٣٥) اتخذ منها عُذْرًا يُقدِّمه للرب يوم أن يسأله عن تهاونه
 وتقصيره.

وصية الرسول بقدسية الزواج

على أن بولس الرسول لم يكتفِ فقط بأن يوصى بالزواج كتدبير إلهي (تك ٢)، (مت
 ١٩: ٤ - ٦) لَمَنْ "أَرَادَ أَنْ يَقْبَلَ" (مت ١٩: ١٢) ولا بأن يوضح أن هموم الحياة
 وارتباكات الزواج لا تُعدّ أموراً تُعطلّ عن خدمة الرب، بل عَنِ أَيْضاً بِإِظْهَارِ أَنَّ
 العلاقات الأسرية تُمثّل صورة مُصَغَّرَةً تُظهِرُ علاقة الرب بالكنيسة، فالرجال أوصاهم
 بضرورة محبة نساءهم بنفس الدرجة التي أحب بها الرب الكنيسة وأسلم ذاته لأجلها (أف
 ٥: ٢٥) إِذْ قَالَ "أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضاً الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ
 لِأَجْلِهَا، لِكَيِ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّراً إِيَّاهَا بِغَسَلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ" (أف ٥: ٢٥ - ٢٦)، وأوصاهم
 بالألا يَكُونُوا فُسَاءَةً عَلَيْهِنَّ (كو ٣: ١٩) تبعاً لنهج الرب الذي أظهر رحمته على الكنيسة
 لكي ما "يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لَا دَنَسَ فِيهَا وَلَا غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ، بَلْ

تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلَا عَيْبٍ" (أف ٥: ٢٧)، والنساء أوصاهنَّ بالخضوع لرجالهنَّ - تَمَثُّلاً بخضوع الكنيسة للمسيح^(٤١) - فقال "أَيُّهَا النِّسَاءُ، اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا يَلِيقُ فِي الرَّبِّ" (كو ٣: ١٨)، وهكذا أوصاهنَّ أن يتحلين بالوقار "كَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ النِّسَاءُ ذَوَاتٍ وَقَارٍ، غَيْرَ ثَالِبَاتٍ، صَاحِيَّاتٍ" (١١: ٣: ١١)، وبالأمانة "كَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ النِّسَاءُ أَمِينَاتٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ" (١١: ٣: ١١)، وبالحشمة والأعمال الصالحة "وَكَذَلِكَ أَنْ النِّسَاءُ يُزَيِّنَ ذَوَاتِهِنَّ بِلِبَاسِ الْحِشْمَةِ مَعَ وَرَعٍ وَتَعَقُّلٍ، لَا بِضَفَائِرٍ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ لَالِيٍّ أَوْ مَلَابِسَ كَثِيرَةٍ النَّمَنِ، بَلْ كَمَا يَلِيقُ بِنِسَاءٍ مُتَعَاهِدَاتٍ بِتَقْوَى اللَّهِ بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ" (١١: ٢: ٩ - ١٠)، وبالقداسة "كَذَلِكَ الْعَجَائِزُ فِي سِيرَةٍ تَلِيقُ بِالْقَدَاسَةِ، غَيْرَ ثَالِبَاتٍ، غَيْرَ مُسْتَعْبَدَاتٍ لِلْخَمْرِ الْكَثِيرِ، مُعَلِّمَاتٍ الصَّلَاحِ" (١١: ٢: ٣)، أما الأولاد فأوصاهم بضرورة السعى والاجتهاد لإرضاء الرب من خلال إرضائهم لأبائهم "أَيُّهَا الْأَوْلَادُ، أَطِيعُوا وَالِدَيْكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ لِأَنَّ هَذَا مَرْضِيٌّ فِي الرَّبِّ" (كو ٣: ٢٠).

وهكذا لم يُظهرُ الرسولُ قُدْسِيَّةَ الزواج فقط وصلاحه وخيره من وجهة نظر المسيحية بل أوضح أيضاً وجوب عدم اعتباره دافعاً يتخذه الإنسان حُجَّةً وذريعة للانشغال بالأرضيات واهتماماتها الزائلة الباطلة ومن ثَمَّ عدم الاستعداد للحظة الموت، هذا فضلاً عن البركات التي لا تُحصى ولا تُعد التي يغتنمها الأزواج والزوجات والأولاد من اتِّباعهم لوصايا الرب وتعاليمه كما أُعْلِنَتْ فِي الْإِنْجِيلِ الْمُقَدَّسِ.

ليس عند الله مُحَابَاة

+ سببٌ آخر لا يحدو بأحد أن يتخذ الرهبنة كطريقٍ جبريٍّ من الله وضعه لمن يبتغون الإِستعداد الدائم لتلك اللحظة الحاسمة يوضحه بولس الرسول في قوله "أَمِ اللَّهُ لِلْيَهُودِ

فَقَطُّ؟ أَلَيْسَ لِلْأُمَمِ أَيْضاً؟ بَلَى لِلْأُمَمِ أَيْضاً؟ لِأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ هُوَ الَّذِي سَيَبْرُرُ الْخِتَانَ بِالْإِيمَانِ وَالْعُرْلَةَ بِالْإِيمَانِ" (رو ٣: ٢٩ - ٣٠).

فإن كان الله الذي اختار بنى إسرائيل كشعب مُقَدَّس "لَأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ. إِيَّاكَ قَدْ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلَهِكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْباً أَخْصَ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ" (تث ٧: ٦) - ودعاه ابناً "فَاعْلَمْ فِي قَلْبِكَ أَنَّهُ كَمَا يُؤَدِّبُ الْإِنْسَانَ ابْنُهُ قَدْ أَدَّبَكَ الرَّبُّ إِلَهِكَ" (تث ٨: ٥)، وتعب في تعليمه "فَأَذَلَّكَ وَأَجَاعَكَ وَأَطْعَمَكَ الْمَنَ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُهُ وَلَا عَرَفَهُ آبَاؤُكَ لِتُعَلِّمَكَ أَنَّهُ لَيْسَ بِالْخُبْرِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ بَلْ بِكُلِّ مَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِ الرَّبِّ يَحْيَا الْإِنْسَانُ" (تث ٨: ٣)، ووهبه فُرْصَةً أَنْ يَرَاهُ "هَلْ سَمِعَ شَعْبٌ صَوْتَ اللَّهِ يَتَكَلَّمُ مِنْ وَسْطِ النَّارِ كَمَا سَمِعْتَ أَنْتَ وَعَاشَ؟" (تث ٤: ٣٣)، وتولَّى أمر حمايته "وَفِي الْبَرِّيَّةِ حَيْثُ رَأَيْتَ كَيْفَ حَمَلَكَ الرَّبُّ إِلَهِكَ كَمَا يَحْمِلُ الْإِنْسَانُ ابْنَهُ فِي كُلِّ الطَّرِيقِ الَّتِي سَلَكَتُمُوهَا حَتَّى جِئْتُمْ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ" (تث ١: ٣١) - قد رَتَّبَ بِحُكْمَتِهِ (رو ١١: ٣٣) أَنْ يَأْتِيَ الْوَقْتُ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ مَلَأُ الْأُمَمِ (رو ١١: ٢٥) إِلَى الْإِيمَانِ^(٤١) فَيُنَالُونَ الرَّحْمَةَ (رو ١١: ٣١) إِذْ أَنْ هَبَاتِهِ وَدَعْوَتِهِ هِيَ بَلَا نَدَامَةٍ (رو ١١: ٢٩) وَمَنْ تَمَّ لَا يَصِيرُ تَمَيِّزاً بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْيَهُودِ^(٤٢) "لَأَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْيَهُودِيِّ وَالْيُونَانِيِّ لِأَنَّ رَبّاً وَاحِداً لِلْجَمِيعِ غَنِيّاً لِجَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهِ. لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ" (رو ١٠: ١٢ - ١٣)، وَلَا مَا بَيْنَ الْعَبِيدِ وَالْأَحْرَارِ أَوْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ "لَيْسَ عَبْدٌ وَلَا حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لَأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (غلا ٣: ٢٨)، فَهَلْ يَصِيرُ - أَى اللَّهُ - هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَهُ مَنْ يَطْلُبُونَ الرَّهْبَةَ^(٤٣) فَقَطُّ؟!

الوصايا للجميع

+ سببُ آخر لا يدعو للاعتقاد أو للظن بأن الطريق الرهباني هو الحل الوحيد الذي يفلت به الإنسان من الأتعاب والضيقات والمُضايقات فيصير أكثر تهيئةً للإستعداد هو أن الوصايا التي أعطاها الرب في الإنجيل هي للجميع ف "لَا تَزْنِ. لَا تَقْتُلْ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ. لَا تَسْلِبْ. أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ" (مر ١٠ : ١٩) التي قالها الرب للشباب الغنى لا تَحْصُ سُكَّانَ الْبَرَارَى وَالصَّحَارَى وَحَدَّاهُمْ وَإِلَّا لَمَا قَالَ لَهُ قَبْلَهَا "إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا" (مت ١٩ : ١٧).

وكانه بيّن له أن دخول الحياة هو مُرتبٌ فقط بحفظ الإنسان للوصية التي هي له مصباح يُنير طريقه زواجاً كان أم رهبنة كقول النبي "وَصَايَا الرَّبِّ مُسْتَقِيمَةٌ تُفْرَحُ الْقُلُوبَ. أَمْرُ الرَّبِّ طَاهِرٌ يُنِيرُ الْعَيْنَيْنِ" (مز ١٩ : ٨)، "لَأَنَّ الْوَصِيَّةَ مِصْبَاحٌ وَالشَّرِيعَةُ نُورٌ وَتَوْبِيخَاتِ الْأَدَبِ طَرِيقُ الْحَيَاةِ" (أم ٦ : ٢٣)، وهي له أيضاً حياةً متى حفظها وعمل بها - كقول الله "احْفَظْ وَصَايَايَ فَتَحْيَا" (أم ٤ : ٤) "احْفَظْ وَصَايَايَ فَتَحْيَا وَشَرِيعَتِي كَحَدَقَةٍ عَيْنِكَ" (أم ٧ : ٢) - بل ودواء له من كل سقم "لَا تَبْرَحْ عَنْ عَيْنِكَ. احْفَظْهَا فِي وَسْطِ قَلْبِكَ. لِأَنَّهَا هِيَ حَيَاةٌ لِلَّذِينَ يَجِدُونَهَا وَدَوَاءٌ لِكُلِّ الْجَسَدِ" (أم ٤ : ٢١ - ٢٢)^(٤٤)، وكلها وصايا لا تَحْصُ فئَةٌ مُعَيَّنَةٌ من تابعي الرب بل تَعُمُّ وتَضُمُّ جميع الذين يُريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع (٢تى ٣ : ١٢).

وكما أن الوصايا التي توهّل الإنسان - أيّاً كان مكان سُكناه - للسكن في مسكن الرب وفي جبل قُدسه هي للجميع، فالوصايا التي تُحَفِّزُ على السلوك الحكيم "اسْلُكُوا بِحِكْمَةٍ مِنْ جِهَةِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ، مُفْتَدِينَ الْوَقْتَ" (كو ٤ : ٥)، "وَأَنْ تَكُونَ سِيرَتُكُمْ بَيْنَ الْأُمَمِ حَسَنَةً، لِكَيْ يَكُونُوا فِي مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ كَفَاً عَلَيَّ شَرّاً يُمَجِّدُونَ اللَّهَ فِي يَوْمِ الْإِفْتِقَادِ، مِنْ أَجْلِ أَعْمَالِكُمُ الْحَسَنَةِ الَّتِي يُلَاحِظُونَهَا" (١بط ٢ : ١٢) هي أيضاً للجميع، وهكذا

أيضاً الوصايا التي تدعو للطاعة والخضوع لأوامر الحُكَّام والملوك "فَاخْضَعُوا لِكُلِّ تَرْتِيبٍ بَشَرِيٍّ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ. إِنْ كَانَ لِلْمَلِكِ فَكَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْكُلِّ، أَوْ لِلْوَلَاةِ فَكَمُرْسَلِينَ مِنْهُ لِلانْتِقَامِ مِنْ فَاعِلِي الشَّرِّ، وَلِلْمَدْحِ لِفَاعِلِي الْخَيْرِ. لِأَنَّ هَكَذَا هِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ أَنْ تَفْعَلُوا الْخَيْرَ فَتُسَكَّنُوا جَهَالَةَ النَّاسِ الْأَغْيَاءِ" (بط ٢: ١٣ - ١٥)، "فَأَعْطُوا الْجَمِيعَ حُقُوقَهُمْ: الْجِزْيَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِزْيَةُ. الْجِبَايَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِبَايَةُ. وَالْخَوْفَ لِمَنْ لَهُ الْخَوْفُ. وَالْإِكْرَامَ لِمَنْ لَهُ الْإِكْرَامُ" (رو ١٣: ٧).

الوصايا التي تَحِضُّ على ضرورة احتمال الآلام والضيقات هي أيضاً للجميع، فيعقوب وبولس الرسولان لما قالا "طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَحْتَمِلُ التَّجَرِبَةَ، لِأَنَّهُ إِذَا تَرَكَى يَبَالُ «إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ" (يع ١: ١٢)، "ان كُنَّا نَتَأَلَمُ مَعَهُ فَلِكِى نَتَمَجَّدُ أَيْضاً مَعَهُ" (رو ٨: ١٧) لم يقصداً أو بالحرى يَخْصَصَا فَنَةً مُعَيَّنَةً مِنْ تَابَعِى الرَّبِّ بِمِثْلِ مَا أَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ فِي قَوْلِهِ "فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضَيْقٌ وَلَكِنْ ثَقُوا أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ" (يو ١٦: ٣٣) لَمْ يَخْصُصْ أَيْضاً فَنَةً مُعَيَّنَةً عَنْ أُخْرَى فَلِكُلِّ نَصِيْبِهِ مِنَ الْأَتْعَابِ الَّتِي يَسْمَحُ بِهَا لَهُ اللَّهُ لُتَرْكَى إِيْمَانُهُ وَلِتُظْهَرَ مَدَى مُحِبَّتِهِ لَهُ - أَى لِلرَّبِّ - تِلْكَ الَّتِي بِسَبَبِهَا يَحْتَمِلُ الْأَتْعَابَ وَالْآلَامَ بِشُكْرِ وَبِفَرَحٍ فَاِبْرَاهِيمَ الْمُتَزَوِّجَ كَانَتْ لَهُ أَتْعَابٌ عَدَمُ الْإِنْجَابِ (تك ١٥: ٢) وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ يَشْكُرُ اللَّهَ وَيَحْتَفِظُ لَهُ فِي قَلْبِهِ بِمُحَبَّةٍ قَوِيَّةٍ، وَإِيلِيَّا الْأَعْدَبُ كَانَتْ لَهُ أَتْعَابُ الْخِدْمَةِ وَمَعَ ذَلِكَ تَجَدَّهَ حَارّاً فِي خِدْمَتِهِ نَارِيّاً فِي شَهَادَتِهِ لِلرَّبِّ (١مل ١٩: ٢)، (١مل ١٩: ١٠).

هُنَا وَنَذَكُرُ قِصَّةَ مَفَادِهَا أَنَّ أُنَاساً مُتَزَوِّجِينَ يَعِيشُونَ بِتَوَانٍ سَأَلُوا الْقَدِيسَ يُوْحَنَّا السُّلْمَى قَائِلِينَ {كَيْفَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْلُكَ رَهْبَانِيّاً وَنَحْنُ مُتَزَوِّجُونَ وَمُنْهَمَكُونَ فِي هُمُومِ الْحَيَاةِ؟} فَأَجَابَهُمْ {أَفْعَلُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنَ الصَّالِحَاتِ، لَا تُعَيِّرُوا أَحَدًا، وَلَا تَخْدَعُوا أَحَدًا، وَلَا تَسْرِقُوا أَحَدًا، وَلَا تَتَشَامَخُوا عَلَى أَحَدٍ، وَلَا تَمَقَّنُوا أَحَدًا، وَلَا تَنْتَقِطَعُوا عَنْ صَلَوَاتِ الْكَنِيسَةِ، اعْطُوا

المُحتاجين، لا تعثروا أحداً، لا تقتربوا من نصيب غيركم بل اكتفوا بما عندكم، إن فعلتم هذا فلن تكونوا بعيدين عن ملكوت السموات}.

الفضائل للجميع^(٤٥)

وكما أن الوصايا هي للجميع فالفضائل التي أُعلنَ عنها في الإنجيل المُقدس هي أيضاً للجميع فالعطاء أمرٌ إلهيٌّ موضوعٌ على الجميع بلا تفرقة^(٤٦) بين شخص وآخر - كقول الكتاب "يُوجدُ مَنْ يُفَرِّقُ فَيَزِدُّهُ أَيْضاً وَمَنْ يُمَسِّكُ أَكْثَرَ مِنَ اللَّائِقِ وَإِنَّمَا إِلَى الْفَقْرِ. النَّفْسُ السَّخِيَّةُ تُسَمَّنُ وَالْمُرْوِي هُوَ أَيْضاً يُرْوَى" (أم ١١: ٢٤ - ٢٥)، "الصَّالِحُ الْعَيْنِ هُوَ يُبَارِكُ لِأَنَّهُ يُعْطِي مِنْ خُبْزِهِ لِلْفَقِيرِ" (أم ٢٢: ٩)، "أَكْرِمِ الرَّبَّ مِنْ مَالِكَ وَمِنْ كُلِّ بَاكُورَاتِ غَلَّتِكَ" (أم ٣: ٩) - فالرب الذي طَوَّبَ الكثيرين من آباء الرهبة وقديسيها الذين بلغوا درجة من العطاء حتى أنهم باعوا ملابسهم ليتصدقوا بثمرتها على المُحتاجين^(٤٧) طَوَّبَ أيضاً الأرملة الفقيرة التي أَلْقَتْ فِي الْخِزَانَةِ كُلَّ مَا كَانَ عِنْدَهَا (لو ٢١: ٤)، وعمل الرحمة "الرَّجُلُ الرَّحِيمُ يُحْسِنُ إِلَى نَفْسِهِ وَالْقَاسِي يُكْذِّرُ لَحْمَهُ" (أم ١١: ١٧)، "مَنْ يَحْتَقِرْ قَرِيبَهُ يُخْطِئُ وَمَنْ يَرْحَمْ الْمَسَاكِينَ فَطُوبَى لَهُ" (أم ١٤: ٢١)، "الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ يَحْفَظَانِ الْمَلِكَ وَكُرْسِيُّهُ يُسْنَدُ بِالرَّحْمَةِ" (أم ٢٠: ٢٨) أمرٌ لازمٌ وواجبٌ على الجميع، فهو لا يخص فئة عن أخرى، ولذا طَوَّبَ الرب السامري الصالح الذي أظهر الرحمة مع اليهودي المُعتَبَرِ عَدُوًّا (لو ١٠: ٣٠ - ٣٧)، كما أنه طَوَّبَ أيضاً الكثيرين من آباء الرهبة الذين اشتهروا بأعمال الرحمة كالأنبا أغاثون الذي لِعِظَمَ رحمته كان يقول {كنت أود لو وجدت رجلاً مجزوماً يأخذ جسدي ويُعطيني جسده}.

هكذا فإن عمل الصلاة عُدَّ وصيةً إنجيليّةً بسم الله للجميع تابعيه "وَقَالَ لَهُمْ أَيْضاً مَثَلًا فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلُّ حِينٍ وَلَا يَمَلَّ" (لو ١٨: ١)، "أَفَلَا يُنْصِفُ اللَّهُ مُحْتَارِيهِ،

الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَارًا وَلَيْلًا، وَهُوَ مُتَمَهِّلٌ عَلَيْهِمْ؟ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُنْصِفُهُمْ سَرِيعًا" (لو ١٨ : ٧ - ٨)، "صَلُّوا بِلَا انْقِطَاعٍ" (١٧ : ٥)، فبولس الرسول كبتول مُكْرَس لخدمة الرب كان يُصَلِّي لشعبه "تَشْكُرُ الله كُلَّ حِينٍ مِنْ جِهَةِ جَمِيعِكُمْ، ذَاكِرِينَ إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِنَا" (١٧ : ٢) وَكَمَعْلَمَ كَانَ يَحُضُّهُمْ وَيُوصِيهِمْ بِالصَّلَاةِ^(٤٨) "أَيُّهَا الْإِخْوَةُ صَلُّوا لِأَجْلِنَا" (١٧ : ٥ : ٢٥)، "وَاطْبُؤْا عَلَى الصَّلَاةِ سَاهِرِينَ فِيهَا بِالشُّكْرِ، مُصَلِّينَ فِي ذَلِكَ لِأَجْلِنَا نَحْنُ أَيْضًا، لِيَفْتَحَ الرَّبُّ لَنَا بَابًا لِلْكَلامِ، لِنَتَكَلَّمَ بِسِرِّ الْمَسِيحِ، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَنَا مُوثَّقٌ أَيْضًا" (كو ٤ : ٢ - ٣)، "أَخِيرًا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ صَلُّوا لِأَجْلِنَا، لِكَيْ تَجْرِيَ كَلِمَةُ الرَّبِّ وَتَتَمَجَّدَ، كَمَا عِنْدَكُمْ أَيْضًا" (٢٣ : ١)، وهكذا فَالصَّوْمُ أَيْضًا عُدَّةٌ أَمْرًا إِلَهِيًّا مَفْرُوضًا عَلَى الْجَمِيعِ فبولس البتول الْمُتَفَرِّغُ لِلخدمة كَانَ يَصُومُ "فِي تَعَبٍ وَكَدٍّ. فِي أَسْهَارٍ مَرَارًا كَثِيرَةً. فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ. فِي أَصْوَامٍ مَرَارًا كَثِيرَةً. فِي بَرْدٍ وَعَرِيٍّ" (٢٧ : ١١)، وداود الْمُتَزَوِّجُ كَانَ أَيْضًا يَصُومُ كَمَا بَعْدَ مَوْتِ شَاوُل "فَأَمْسَكَ دَاوُدُ ثِيَابَهُ وَمَرَّقَهَا وَكَذًا جَمِيعُ الرِّجَالِ الَّذِينَ مَعَهُ. وَنَدَبُوا وَيَكُوا وَصَامُوا إِلَى الْمَسَاءِ عَلَى شَاوُلَ وَعَلَى يُونَاثَانَ ابْنِهِ وَعَلَى شَعْبِ الرَّبِّ وَعَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لِأَنَّهُمْ سَقَطُوا بِالسَّيْفِ" (٢ صم ١ : ١١ - ١٢)، وموت أبْنِير "وَجَاءَ جَمِيعُ الشَّعْبِ لِيُطْعِمُوا دَاوُدَ خُبْزًا، وَكَانَ بَعْدُ نَهَارًا. فَحَلَفَ دَاوُدُ: «هَكَذَا يَفْعَلُ لِي اللهُ وَهَكَذَا يَزِيدُ إِنْ كُنْتُ أَذُوقُ خُبْزًا أَوْ شَيْئًا آخَرَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ" (٢ صم ٣ : ٣)، وكما أَيْضًا أَثْنَاءَ مَرَضِ ابْنِهِ "فَسَأَلَ دَاوُدُ اللهَ مِنْ أَجْلِ الصَّبِيِّ، وَصَامَ دَاوُدُ صَوْمًا، وَدَخَلَ وَبَاتَ مُضْطَجِعًا عَلَى الْأَرْضِ" (٢ صم ١٢ : ١٦).

لذا وَيُلاحِظُ فِي عِظَاتِ الْقَدِيسِ مَكَارِيوسِ الْكَبِيرِ أَنَّهُ يَتَحَدَّثُ دَائِمًا إِلَى الْمَسِيحِيِّينَ عَامَةً وَلَيْسَ إِلَى الرُّهْبَانِ بَوَجهِ خَاصٍ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى وَعِيهِ الْمُسْتَتِيرِ أَنَّ الْحَيَاةَ فِي الْمَسِيحِ هِيَ لِجَمِيعِ الَّذِينَ اعْتَمَدُوا لاسْمِهِ وَيُحِبُّونَهُ مِنْ كُلِّ قُلُوبِهِمْ، وَأَنَّ الْحَيَاةَ بِقُوَّةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ هِيَ الَّتِي تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ رُوحِيًّا وَلَيْسَ أَى شَكْلٍ خَارِجِيٍّ حَتَّى وَلَوْ اتَّخَذَ شَكْلًا دِينِيًّا أَوْ رَهْبَانِيًّا، وَقَدْ قَالَ فِي أَحَدِ الْمَرَّاتِ {حَقًّا أَنَّهُ لَيْسَ عِذْرًا وَلَا مَتَزَوِّجَةً وَلَيْسَ رَاهِبًا وَلَا مُتَزَوِّجًا،

إنما إستعداد القلب هو ما يطلبه الله وهو يُعطى الجميع نعمة الروح القدس الذى يعمل فى الإنسان ويقود حياة كل من يرغب فى الخلاص}، وفى عِظة أُخرى قال للرهبان وبقية المؤمنين على السواء {النفس التى لا تزال تحيا فى العالم وفى ظلام الخطية ولم تمت بواسطة المسيح ولا يزال روح الخُبث فى داخلها لا تنتمى إلى المسيح، لا تنتمى إلى جسد النور بل إلى جسد الظلمة ولا تزال جزءاً لا ينفصل عن الظلمة، أما الذين لهم حياة روح النور، أعنى قوة الروح القدس فإنهم جزء لا ينفصل من النور}.

الحياة الأبدية للجميع

البتول والمتزوج سيقفان كلاهما على جبل صهيون ويشتركان فى الترنيمة الجديدة أمام العرش وحول الخروف تماماً مثلما ظهر إيليا البتول مع موسى المتزوج مع الرب على جبل التجلى^(٤٩) لِيُمَثِّلَا كلا الفريقين، لذا فإن الأساس الحقيقى لنوال الحياة فى المسيح يسوع هو الموت عن الإنسان العتيق بأهوائه وشهواته، فقد يكون المتزوج متوانياً ومستعبداً لشهوات كثيرة وحينها يُحرم من الحياة الأبدية مُقارنةً مع الراهب العَمال بالفضائل وبالمحبة القوية للرب، وعلى العكس فقد يكون المتزوج أكثر طُهوراً وأوفر غيرَةً بمحبته لله وأشدَّ انحصاراً بالروح وحينها يكون فى نظر الله أكثر صلاحاً ممن ترهَّب ولا يزال سالكاً كمن لم يمت أهواءه وشهواته، فالله هو لجميع الذين يطلبونه، كذلك الخلاص ومن ثمَّ الحياة الأبدية مؤمنين كانوا أو غير مؤمنين، عادلين أو ظالمين، أتقياء أو أشرار، حُكماء أو بُسطاء، أصِحَّاء أو مرضى، لأنه "ليس عند الله مُحاباة" (رو ٢ : ١١) والفيصل الوحيد هو مدى رغبة الإنسان فى أن يختار الحياة والخير والبركة ويرفض الموت والشر واللعنة (تث ٣٠ : ١٩).

فإن كانت وصية الرب يسوع هي للجميع بلا استثناء أياً كان مكان وجودهم وسكنهم أو طريقة معيشتهم، وإن كانت الأتعاب والضيقات والشدائد موضوعة من قبل الرب على الجميع ليُزَكَّى بها إيمانهم ويحيد بهم من الانشغال عنه لأن "من تألم بالجسد كُفَّ عن الخطية" (ابط ٤: ١)، فالهرب للبرية للرهبنة الجبرية - أى التى بدافع الهروب من الضيقات والمضايقات - لا يُعدّ حلاًّ نقصده بطلبنا بضرورة إستعداد الإنسان الدائم لأهم لحظة فى حياته كلها.

†

الباب الثانى

يقول طبيب نفسانى {يُمْكِنُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَحْتَمِلَ أَعْظَمَ الصَّعُوبَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ أَوْ الرُّوحِيَّةِ، أَمَّا مَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْتَمِلَهُ هُوَ الإِحْسَاسُ بِأَنَّ الْحَيَاةَ بَلَا مَعْنَى، يَجِبُ أَنْ نَجِدَ طَرِيقَةً مَا يُمْكِنُ مِنْ خِلَالِهَا أَنْ يَكُونَ لِلْحَيَاةِ اعْتِبَارٌ وَتَقْدِيرٌ تَظْهَرُ مِنْ خِلَالِهِ أَنَّهَا مُهِمَّةٌ، وَإِلَّا فَطَرِيقَتَا الْجَنُونِ} ويقول آخر كان قد قضى فترة من الزمن فى معسكرات الاعتقال النازية^(٥٠) {إن التقارير التى كانت تصل تُبَيِّنُ أَنَّ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَظَلُّونَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ دَاخِلَ مُعَسْكَرَاتِ الْعِتْقَالِ الْوَحْشِيَّةِ الشَّنِيعَةِ الْفَظِيعَةِ، هُمُ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا هَادِفِينَ فِي الْحَيَاةِ وَالَّذِينَ كَانَتْ لِلْحَيَاةِ مَعْنَى بِالنَّسْبَةِ لَهُمْ، أَمَّا الَّذِينَ لَمْ تَكُنْ لَهُمُ الْحَيَاةُ ذَاتَ مَعْنَى فَقَدْ كَانُوا يَقْضُونَ نَحْبَهُمْ}.

على نفس هذا النهج ولأن الأسباب التى ذكرناها لِنُحَفِّزَ عَلَى عَدَمِ فُقْدَانِ الْأَمَلِ وَالرَّجَاءِ وَعَدَمِ الشُّعُورِ بِالْخَوْفِ الدَّائِمِ وَالْقَلَقِ الْمُسْتَمَرِّ وَعَدَمِ الْفَهْمِ أَنَّ الْهَرُوبَ هُوَ الْحَلُّ الْوَحِيدُ لاجْتِيَاظِ ضَيْقَاتِ وَأَتْعَابِ الْحَيَاةِ رُبَّمَا لَا تُقْنِعُ الْبَعْضَ، نَتَطَرَّقُ إِلَى السَّبَبِ الرَّئِيسِيِّ الَّذِي يَغْرُسُ دَاخِلَ الْجَمِيعِ الدَّافِعَ الْقَوَى الَّذِي لَا يَدْفَعُهُمْ فَقَطْ لِلِاسْتِعْدَادِ لَتِلْكَ اللَّحْظَةِ الْهَامَةِ مِنْ حَيَاتِهِمْ، وَلَا لَعَمَلِ نَفْسِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي أَشْرْنَا إِلَيْهَا - أَى عَدَمِ فُقْدَانِ الْأَمَلِ وَعَدَمِ الْخَوْفِ وَعَدَمِ تَفْضِيلِ الْهَرُوبِ عَلَى مُوَاجَهَةِ أَتْعَابِ الْحَيَاةِ - بَلْ وَيَجْعَلُهُمْ أَيْضاً يَحْتَمِلُونَ بِفَرَحٍ مَا يَأْتِي عَلَيْهِمْ هُوَ أَنْ:

(١) الْمَسِيحُ ضَاطِبُ الْكُلِّ

ثِقَّةَ الْجَمِيعِ الْكُلِّيَّةِ أَنَّ لَهُمْ إِلَهًا يَضْبِطُ حَيَاتِهِمْ بِكَافَةِ تَفَاصِيلِهَا بَلْ وَأَدَقَّهَا يُعْطِيهِمْ رَجَاءً رَاسِخاً يَحْتَمِلُونَ بِهِ مَا يَأْتِي عَلَيْهِمْ مِنْ ضَيْقَاتٍ وَمَا يُوَاجِهُونَهُ مِنْ شِدَائِدٍ وَأَتْعَابٍ عَلَى

أساس أن ضابط حياتهم هو إلههم الذى "أحبهم إلى المُنْتَهَى" (يو ١٣ : ١) فأسلم ذاته من أجلهم (أف ٥ : ٢٥) لكى ما "يُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُنْقِذُ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْمَوْتِ وَأَعْيُنَهُمْ مِنَ الدَّمْعِ وَأَرْجُلَهُمْ مِنَ الزَّلَقِ" (مز ١١٦ : ٦ - ٨) ولكى ما "يُصْعِدُ مِنَ الْهَاطِيَةِ أَنْفُسَهُمْ وَيُحْيِيهِمْ مِنَ بَيْنِ الْهَابِطِينَ فِي الْجُبِّ" (مز ٣٠ : ٣) بل ويهبهم الحياة الأبدية (يو ٣ : ١٦) بأن يسحقهم بآلام التجارب ويُمَحِّصَهُمْ ليخرجوا كالذهب (أى ٢٣ : ١٠) فيُزَكِّيَ إِيْمَانَهُمُ الَّذِي هُوَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي (١ بط ١ : ٧)، ومن ثَمَّ يَنَالُوا إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ الَّذِي وَعَدَ بِهِ اللَّهُ الَّذِينَ يَحْبُونَهُ (يع ١ : ١٢).

الله عالٍ فوق الكل

قد يتراءى للبعض للحيطة أن الرب يسوع المسيح الذى هو عالٍ بسلطانه الإلهى فوق الجميع - كقول صوفر النعمانى لأيوب "إِلَى عُمْقِ اللَّهِ تَنْصِلُ أُمٌّ إِلَى نِهَايَةِ الْقَدِيرِ تَنْتَهِي؟ هُوَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ فَمَاذَا عَسَاكَ أَنْ تَفْعَلَ؟ أَعَمَقُ مِنَ الْهَاطِيَةِ فَمَاذَا تَدْرِي؟ أَطَوَّلُ مِنَ الْأَرْضِ طَوْلُهُ وَأَعْرَضُ مِنَ الْبَحْرِ" (أى ١١ : ٧ - ٩) وكقول مار بولس الرسول "وَأَمَّا رَأْسُ الْكَلَامِ فَهُوَ أَنَّ لَنَا رَبِّيسَ كَهَنَةٍ مِثْلَ هَذَا، قَدْ جَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ الْعُظْمَى فِي السَّمَاوَاتِ" (عب ٨ : ١) - لم يُعَدَّ يُبَالَى بِالْإِنْسَانِ الَّذِي خَلَقَهُ فَتَرَكَ لِلْأَقْوَى الْقُدْرَةَ أَنْ يَتَسَلَّطَ بسلطانه الغاشم على الضعيف الذى يتبعه - أى يتبع الرب - لكن الحقيقة أنه - أى الرب - هو من يتحكَّم ويضبط أدق التفاصيل لحياة وسلوك أى إنسان مهما كان تماماً كما أن الفخارى يتحكَّم بيديه فى الطين الذى يشغله ليُخرج ما يبتغى الأمر الذى أعلن عنه الرب فى قوله على لسان إرميا النبى "أَمَّا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصْنَعَ بِكُمْ كَهَذَا الْفَخَارِيِّ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ يَقُولُ الرَّبُّ؟ هُوَذَا كَالطِّينِ بِيَدِ الْفَخَّارِيِّ أَنْتُمْ هَكَذَا بِيَدِي يَا

بَيَّتْ إِسْرَائِيلَ. تَارَةً أَتَكَلَّمُ عَلَى أُمَّةٍ وَعَلَى مَمْلَكَةٍ بِالْقَلْعِ وَالْهَدْمِ وَالْإِهْلَاكِ" (أر ١٨ : ٦ - ٧).

فمهما ظنَّ الإنسان أنه صار إليها - كقول أحد المُلحدين^(٥١) {النقطة الفاصلة في التاريخ سوف تكون تلك اللحظة التي يُدرك فيها المرء أن الإله الحقيقي للإنسان هو الإنسان نفسه}. - يظل الرب يسوع المسيح هو الضابط الأعظم والأوحد لكافة الأشياء ولجميع المخلوقات والكائنات إذ فيه "خُلِقَ الْكُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سَوَاءً كَانَ عُرُوشاً أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلَاطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ" (كو ١ : ١٦ - ١٧) وبه "كان كل شيء وبغيره لم يكن شيء مما كان" (يو ١ : ٣)، وبكلمته "صُنِعَتِ السَّمَوَاتُ وَبِنِسْمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا" (مز ٣٣ : ٦).

ضابطٌ للكون

هو الذي يَضِيطُ الكونَ الشاسع الذي لا تحصرُهُ ولا تحدُّهُ أعيننا وأبصارنا إذ هو من أوجده من العدم كالسَّمَوَاتِ الشَّاسِعَةِ التي مع عِظَمِها وجبروتها كانت لها نُقْطَةُ بَدَايَةِ فِي لحظة من الزمان أسماها موسى النبي "فِي الْبَدْءِ خلق الله السموات والأرض" (تك ١ : ١)، والتي أعلن الرب عن وجوده السابق عليها فقال "لَمَّا تَبَيَّنَتِ السَّمَاوَاتُ كُنْتُ هُنَاكَ أَنَا. لَمَّا رَسَمَ دَائِرَةً عَلَى وَجْهِ الْعَمْرِ. لَمَّا أَثْبَتَ السُّحْبَ مِنْ فَوْقُ. لَمَّا تَشَدَّدَتِ يَنَابِيعُ الْعَمْرِ" (أم ٨ : ٢٧ - ٢٨) وأشار إلى تسلُّطه عليها كقوله لآيوب "مَنْ يُحْصِي الْعُيُومَ بِالْحِكْمَةِ وَمَنْ يَسْكُبُ أَرْقَاقَ السَّمَاوَاتِ" (أى ٣٨ : ٣٧)، و**كَالتَّلْجِ** الذي قال عنه أليهو "الله يُرْعِدُ بِصَوْتِهِ عَجَبًا. يَصْنَعُ عَظَائِمَ لَا نُذَرِكُهَا. لِأَنَّهُ يَقُولُ لِلتَّلْجِ: اسْقُطْ عَلَى الْأَرْضِ. كَذَا لِوَابِلِ الْمَطَرِ وَابِلِ أَمْطَارِ عِزِّهِ" (أى ٣٧ : ٥ - ٦)، وقال عنه الله لآيوب "أَدَخَلْتُ إِلَى خَزَائِنِ التَّلْجِ أَمْ أَبْصَرْتُ مَخَازِنَ الْبَرَدِ الَّتِي أَبْقَيْتَهَا لَوْفَتِ الضَّرِّ لِيَوْمِ الْقِتَالِ وَالْحَرْبِ؟" (أى ٣٨ : ٢٢ -

(٢٣)، وَالْغَيْمِ وَالسُّحْبِ التى قال عنها أليهو "مِنْ نَسَمَةِ اللَّهِ يُجْعَلُ الْجَمْدُ وَتَنْتَضِيْقُ سِعَةُ الْمِيَاهِ. أَيْضاً بَرِيٌّ يَطْرُحُ الْغَيْمَ. يُبَدِّدُ سَحَابَ نُورِهِ. فَهِيَ مُدَوَّرَةٌ مُتَقَلِّبَةٌ بِإِدَارَتِهِ لِتَفْعَلَ كُلَّ مَا يَأْمُرُ بِهِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الْمَسْكُونَةِ سِوَاءَ كَانَ لِلتَّأْدِيبِ أَوْ لِأَرْضِهِ أَوْ لِلرَّحْمَةِ يُرْسِلُهَا" (أى ٣٧: ١٠ - ١٢) وقال عنها أيضاً "أَنْصُتْ إِلَى هَذَا يَا أَيُّوبُ وَقِفْ وَتَأَمَّلْ بِعَجَائِبِ اللَّهِ. أَتَذْكُرُ انْتِبَاهَ اللَّهِ إِلَيْهَا أَوْ إِضَاءَةَ نُورِ سَحَابِهِ. أَتَذْكُرُ مُوَازَنَةَ السَّحَابِ مُعْجَزَاتِ الْكَامِلِ الْمَعَارِفِ" (أى ٣٧: ١٤ - ١٦)، وَالنُّورِ الذى قال عنه الله لأيوب "أَيِّنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَيْثُ يَسْكُنُ النُّورُ وَالظُّلْمَةُ أَيْنَ مَقَامُهَا حَتَّى تَأْخُذَهَا إِلَى تَحُومِهَا وَتَعْرِفَ سُبُلَ بَيْتِهَا؟" (أى ٣٨: ١٩ - ٢٠) وقال عنه أيضاً "فِي أَيِّ طَرِيقٍ يَتَوَرَّعُ النُّورُ وَتَتَفَرَّقُ الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ عَلَى الْأَرْضِ؟" (أى ٣٨: ٢٤)، وهكذا كَالْبَحْرِ الذى حجزه الله بمصاريع حين اندفق فخرج إلى الرحم (أى ٣٨: ٨) والذى قال عنه لأيوب "هَلِ انْتَهَيْتِ إِلَى يَنَابِيعِ الْبَحْرِ أَوْ فِي مَقْصُورَةِ الْعَمْرِ تَمْشَيْتِ؟" (أى ٣٨: ١٦)، وَالْأَرْضِ التى أعلن إشعياء النبى عن ضبط الله القوى لها وما عليها فقال "فِيمَنْ تُشَبَّهُونَ اللَّهَ وَأَيَّ شَيْءٍ تُعَادِلُونَ بِهِ؟ أَلَصَنَّمُ يَسْبِكُهُ الصَّانِعُ وَالصَّانِعُ يُعْشِيهِ بِذَهَبٍ وَيَصُوغُ سَلَاسِلَ فِضَّةٍ. الْفَقِيرُ عَنِ التَّقَدُّمَةِ يَنْتَخِبُ خَشَباً لَا يَسْوَسُ يَطْلُبُ لَهُ صَانِعاً مَاهِراً لِيَنْصُبَ صَنَمًا لَا يَتَزَعَّزَعُ! أَلَا تَعْلَمُونَ؟ أَلَا تَسْمَعُونَ؟ أَلَمْ تُخْبَرُوا مِنْ الْبَدَاءَةِ؟ أَلَمْ تَفْهَمُوا مِنْ أَسَاسَاتِ الْأَرْضِ؟ الْجَالِسُ عَلَى كُرَةِ الْأَرْضِ وَسُكَّانُهَا كَالْجُنْدُبِ. الَّذِي يَنْشُرُ السَّمَاءَاتِ كَسَرَاقٍ وَيَبْسُطُهَا كَخِيَمَةٍ لِلسَّكَنِ. الَّذِي يَجْعَلُ الْعُظَمَاءَ لَا شَيْئاً وَيُصَيِّرُ قُضَاةَ الْأَرْضِ كَالْبَاطِلِ. لَمْ يُعْرَسُوا بَلْ لَمْ يُزْرَعُوا وَلَمْ يَتَأَصَّلْ فِي الْأَرْضِ سَاقُهُمْ. فَتَفْخَ أَيْضاً عَلَيْهِمْ فَجَفُوا وَالْعَاصِفُ كَالْعَصْفِ يَحْمِلُهُمْ. فِيمَنْ تُشَبَّهُونِي فَأَسَاوِيهِ؟ يَقُولُ الْفَدُوسُ. ارْزُقُوا إِلَى الْعَلَاءِ عُيُونُكُمْ وَاَنْظُرُوا مَنْ خَلَقَ هَذِهِ؟ مَنْ الَّذِي يُخْرِجُ بَعْدَ جُنْدِهَا يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ؟ لِكثَرَةِ الْقُوَّةِ وَكَوْنِهِ شَدِيدِ الْقُدْرَةِ لَا يُفْقَدُ أَحَدٌ" (إش ٤٠: ١٨ - ٢٦)، وأخيراً كَأَبْوَابِ الْمَوْتِ التى قال عنها الله لأيوب "هَلِ انْكَشَفَتْ لَكَ أَبْوَابُ الْمَوْتِ أَوْ

عَايَنْتَ أَبْوَابَ ظِلِّ الْمَوْتِ؟" (أى ٣٨ : ١٧) وقيل عنها فى سفر الرؤيا "بيده مفاتيح الهاوية والموت" (رؤ ١ : ١٨).

ضابطاً لِحَلَاةِ

والله كما أن له القدرة والسلطان المطلق على الكون الذى أبدعه له أيضاً نفس السلطان على النباتات التى أنبتها بقدرته المطلقة من أرض يابسة لا نبت فيها (تك ١ : ١١) فأخرجت ما كان فيها مكنوناً من الأثمار فى فعل إعجازى قال عنه القديس باسيليوس الكبير {كانه كان عليها ثوب حزن وعبوسة فطرحته ولبست ثوباً بهياً زاهراً، وسُرت بزِينتها التى تَحْصّها وأبرزت أجناساً من نباتات لا تُحصى}، والله لم يُنبِتها بسلطانه الإلهى فقط بل وأيضاً يعتنى بها فمن ناحية جعل لإنباتها وحياتها رجاء حتى وإن قُطِعت من الأصل "لأنّ للشجرة رجاء". إن قُطِعت تُخَفّ أيضاً ولا تُعَدَمُ أَغْصَانُهَا. وَلَوْ قَدِمَ فِي الْأَرْضِ أَصْلُهَا وَمَاتَ فِي التُّرَابِ جِذْعُهَا فَمِنْ رَائِحَةِ الْمَاءِ تَفْرِخُ وَتُنْبِتُ فُرُوعاً كَالْغَرْسِ" (أى ١٤ : ٧ - ٩) ومن ناحية أخرى فهو يُلبسها ثوباً بهياً لم يكن أعظم الملوك وأمجدهم يكتسون به كقوله "وَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِاللِّبَاسِ؟ تَأْمَلُوا زَنَايِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لَا تَتَعَبُ وَلَا تَغْزِلُ. وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ وَلَا سَلِيمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا. فَإِنْ كَانَ عَشْبُ الْحَقْلِ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ وَيُطْرَحُ غَدًا فِي النَّتْرِ، يُلْبِسُهُ اللَّهُ هَكَذَا، أَفَلَيْسَ بِالْحَرِيِّ جِدًّا يُلْبِسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الْإِيمَانِ؟" (مت ٦ : ٢٨ - ٣٠)،

ومع ضبط الله الدقيق لنباتات الأرض لم يغفل طيور السماء التى يُدَبِّر لها كافة احتياجاتها فمع أنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن إلا أنه يتعهد بإطعامها "انْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لَا تَزْرَعُ وَلَا تَحْصُدُ وَلَا تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟" (مت ٦ : ٢٦) ومع أن الواحد منها لا يُساوى

فلساً واحداً (مت ١٠ : ٢٩) حتى أنه يبدو تافهاً في أعين البشر إلا أنه لا يسقط إلا بإذن وبأمر ضابط الكل الذي خلقه وأوجده من العدم (تك ١ : ٢٠ - ٢١).

هذا وقد جعل لها الله صفات تؤكد عظمته وقُدرة إجلاله وعِظَم سلطانه وإبداعه إذ جعل لكل منها خواص ثلاثتها وتُناسبها من حيث طريقة معيشتها ومكان وجودها فلبعضها مخالب حادة ومُنقار مُدبب به يُمكن الإمساك بالفريسة وتمزيقها، ومنها ما يلتقط الحب وخلقته مُهيأة لذلك، ومنها ما لا يختلط بغيره إلا في وقت الجماع، وقد تعجّب القديس باسيليوس الكبير من ضبط الله الدقيق لكافة خلائقه وأبسطها فقال {كيف أقدر على الاستقصاء في شرح خواص الطيور وأحوال معيشتها، وكيف أن الكركى يتسلّم الحراسة الليلية بأمر ومرسوم، فبعضها يرُقّد وبعضها يطوف فيجعل التي نامت في طمأنينة، فإذا أتمّت التي تحرس حراستها صاحت وصارت إلى النوم، ثمّ تسلّمت الأخرى النوبة فوقّت ما عليها مما تقدم من الأخرى في حراستها، أمّا اللقلق فله طريقة ليست بعيدة عن الفهم المنطقي إذ أن جماعة تأتي إلى بعض الديار في وقت واحد ثمّ تتصرف أيضاً في وقت واحد كأنها على ميعاد، أمّا اهتمام اللقلق بما يشيخ ويكبر منه ففيه كفاية لأولادنا أن يكونوا مُحبين لأبائهم فهو متى شاخ وسقط ريشه دار به أولاده فسخنوه بأجنحتهم وأعدّوا له أيضاً من الطعام بمقدار ما كان يصل إليه ويحملونه برفق على أجنحتهم، أمّا اليمامة فيقولون إنها إذا انفصلت عن الذكر لا تدنو إلى مُشاركة غيره بل تبقى أرملة، وكيف أن الخُفاش طائر ذو أربعة، وكيف له أسنان دون الطيور كلها ويعيش كذوات الأربع ويطفو في الهواء، وكيف أنه يحب بعضه بعضاً في الطبع ويتصل في الطيران حتى تراه كالقلادة، كل واحد مُتعلّق بالآخر بصورة لا تكاد تراها فينا نحن البشر، أمّا الأوز فهو من جنس شديد السهر وحاد في الاستشعار}

على أن الله في ضبطه وعنايته بطيور السماء لا ينسى أيضاً حيوانات وبهائم الأرض كالأشبال التي يُهيئ لها الطعام وهي في كمونها "أَتَصْطَادُ لِلْبُوتَةِ فَرِيَسَةً أَمْ تُشْبَعُ

نَفْسَ الْأَشْبَالِ حِينَ تَرْبِضُ فِي عَرِينِهَا وَتَكْمُنُ فِي غَابَتِهَا لِلْكُمُونِ؟" (أى ٣٨ : ٣٩-٤٠)،
وكحمار الوحش الذى جعل دائرة الجبال مرعاه وقد عهدَ بأن ينبت له عُشْباً لأكله وحاجته
"مَنْ سَرَحَ الْفَرَاءَ حُرّاً وَمَنْ فَكَّ رُبُطَ حِمَارِ الْوَحْشِ؟ الَّذِي جَعَلَتِ الْبَرِّيَّةَ بَيْتَهُ وَالسَّبَّاحَ مَسْكَنَهُ.
يَضْحَكُ عَلَى جُمُهورِ الْقَرْيَةِ. لَا يَسْمَعُ زَجَرَ السَّائِقِ. دَائِرَةُ الْجِبَالِ مَرْعَاهُ وَعَلَى كُلِّ خُضْرَةٍ
يُقَنِّشُ" (أى ٣٩ : ٥-٨)^(٥٢)، وكالأيائل التى يُلاحِظُ مُحَاضِبُهَا ويعلم ميعاد ولادتها "أَتَعْرِفُ
وَفَتَّ وَلَادَةَ وَغُولِ الصُّخُورِ أَوْ تُلَاحِظُ مَخَاضَ الْإِيَالِ؟ أَتَحْسِبُ الشُّهُورَ الَّتِي تُكْمَلُهَا أَوْ
تَعْلَمُ مِيعَادَ وَلَادَتِهِنَّ؟" (أى ٣٩ : ١ - ٢)، وكالفرس الذى يُعطيهِ قوته ويكسو عُقَقَهُ عُرْفاً
مانِحاً إِيَّاهُ الْقُدْرَةَ عَلَى الْوَثْبِ "هَلْ أَنْتَ تُعْطِي الْفَرَسَ قُوَّتَهُ وَتَكْسُو عُقَقَهُ عُرْفاً؟ أَتَوْبُهُ
كَجَرَادَةٍ؟ نَفْخُ مَنْخَرِهِ مُرْعَبٌ" (أى ٣٩ : ١٩ - ٢٠)، والشجاعة فى الحروب "يُبْحَثُ فِي
الْوَادِي وَيَقْفِرُ بِبَاسٍ. يَخْرُجُ لِلِقَاءِ الْأَسْلِحَةِ. يَضْحَكُ عَلَى الْخَوْفِ وَلَا يَزْتَاغُ وَلَا يَرْجِعُ عَنِ
السَّيْفِ. عَلَيْهِ تَصِلُ السَّهَامُ وَسِنَانُ الرُّمْحِ وَالْحَرْبَةِ. فِي وَثْبِهِ وَغَضَبِهِ يَلْتَهُمُ الْأَرْضَ وَلَا
يُؤْمِنُ أَنَّهُ صَوْتُ الْبُوقِ. عِنْدَ نَفْخِ الْبُوقِ يَقُولُ: هَهُ! وَمِنْ بَعِيدٍ يَسْتَرْوِحُ الْقِتَالِ صِيَاحُ الْقُوَادِ
وَالْهَتَافُ" (أى ٣٩ : ٢١ - ٢٥)، وعن هذا الضبط الدقيق والاعتناء الوافر من الله
لحيوانات الأرض وبهائمها قال القديس باسيليوس الكبير {قد تُبْصِرَ الثعلب يُدَاوِي ذاته
بصمغ الصنوبر، والسلفاة^(٥٣) إذا لسعتها أفعى دفعت عن نفسها ضرر السم بالزعرتر^(٥٤)،
والقنفذ البرى وقد رصد لحركاته واحدٌ من ذوى الاجتهاد فوجد لوكره منفذين فإذا شعر بريح
شمالية سد ناحية الشمال، وإذا أحس بالأخرى الجنوبية انتقل إلى الجنوب، أمّا البقرة
فتكون محبوسة فى الشتاء زماناً طويلاً فإذا جاء الربيع رأيتها تُشير برأسها إلى الأبواب
من الاصطبلات إذ هى تحس طبيعياً بوقت الربيع ومن ثَمَّ تُغَيِّرُ شكل مقامها كأنها بذلك
على ميعاد واحد، فما الرأى فى هذا، وماذا فيه للبشر من دليل، فالدليل من ذلك أن
اهتمام الخالق يلحق كل شئ من خليقته} وقال أيضاً {إن الله الذى خلق البهائم عزّاها^(٥٥)
فجعل فى قوة مشاعرهما ما يقوم لها مقام النقص فى النطق، وإلا فمن أين للحمل الصغير

فيما بين أعداد من الغنم يخرج من الحظيرة فيعرف صوت أمه ويطلبها قاصداً لبنها لإطعامه، فإن وجد حلماتها ناشفة اكتفى بها غير ساعٍ لغيرها، ومن أين تعرف أم الحمل ولدها من خراف أولاد غيرها فتقصده دونها، فالصوت واحد واللون واحد والمشتم^(٥٦) يُشبه بعضها البعض بحسب ما يصل إليه شمتنا نحن، إلا أن هناك حساً أحداً من حسنا وبذلك الحس يعرف كل منها ما يخصه، وهذا دليل وبرهان على أن طبائع كل الأشياء تعمل بالذات وليس بالتعلم، وإن ليس في الموجودات شئ غير مُرتب، بل في كل شئ أثر ما من حكمة الخالق يتبين به أن الكل إنما هو مخلوق على التحفظ والتمسك بما يخصه من الصلاح}.

ضابطاً لحياة الإنسان

يضبط أعضائه

الله الذي يُناديه المسيحي كل يوم مُعترفاً بضبطه لكافة الأشياء قائلاً {الضابط الكل الرب إلها، أيها السيد الرب الإله ضابط الكل} لا يضبط حياة الإنسان الخارجية فقط بل وبسلطانه المطلق يضبط أيضاً جسده وأعضائه "رَأَتْ عَيْنَاكَ أَعْضَائِي وَفِي سِفْرِكَ كُلُّهَا كُتِبَتْ يَوْمَ تَصَوَّرْتَ إِذْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهَا" (مز ١٣٩: ١٦)، إذ هو وحده خالقها ومُبدعها فيُحصى كل عظامه "لَمْ تَخْتَفِ عَنْكَ عِظَامِي حِينَما صُنِعْتُ فِي الْخَفَاءِ وَرُقِمْتُ فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ" (مز ١٣٩: ١٥) "كَمَا أَنَّكَ لَسْتَ تَعْلَمُ مَا هِيَ طَرِيقُ الرِّيحِ وَلَا كَيْفَ الْعِظَامُ فِي بَطْنِ الْحَبْلِ كَذَلِكَ لَا تَعْلَمُ أَعْمَالُ اللَّهِ الَّذِي يَصْنَعُ الْجَمِيعَ" (جا ١١: ٥) مُرتباً إياها بإبداع مع الأنسجة والأعصاب مُكوّناً الجسد كما عند خلقته "كَسَوْتَنِي جِلْدًا وَلَحْمًا فَتَسَجَّنَتْنِي بِعِظَامٍ وَعَصَبٍ" (أى ١٠: ١١) ومُحيياً له حال فنائه "فَتَتَبَّأْتُ كَمَا أُمِرْتُ. وَبَيْنَمَا أَنَا أَتَتَبَّأُ كَانَ صَوْتُ وَإِذَا رَعَشُ فَتَقَارَبَتِ الْعِظَامُ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى عَظْمِهِ. وَنَظَرْتُ وَإِذَا

بِالْعَصَبِ وَاللَّحْمِ كَسَاهَا، وَبُسِطَ الْجِلْدُ عَلَيْهَا مِنْ فَوْقُ، وَلَيْسَ فِيهَا رُوحٌ" (حز ٣٧: ٧)،
حَافِظاً إِيَّاهَا مِنَ الْكَسْرِ "يَحْفَظُ جَمِيعَ عِظَامِهِ. وَاحِدٌ مِنْهَا لَا يَنْكَسِرُ" (مز ٣٤: ٢٠)، وَإِهْبِأْ
لَهَا النِّشَاطَ وَالتَّجَدُّدَ مَتَى اعْتَرَاهَا الضُّمُورُ الْفَنَاءُ "وَيَقُودُكَ الرَّبُّ عَلَى الدَّوَامِ وَيُشْبِعُ فِي
 الْجُدُوبِ نَفْسَكَ وَيُنَشِّطُ عِظَامَكَ فَتَصِيرُ كَجَنَّةٍ رِيًّا وَكَنْبَعِ مِيَاهٍ لَا تَنْقَطِعُ مِيَاهُهَا" (إش ٥٨:
 ١١)، وَالْحَيَاةَ مَتَى أَصَابَتْهَا ظُلْمَةُ الْمَوْتِ "قَالَ لِي: «تَنَبَّأْ لِلرُّوحِ، تَنَبَّأْ يَا ابْنَ آدَمَ، وَقُلْ
 لِلرُّوحِ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَلُمَّ يَا رُوحُ مِنَ الرِّيَّاحِ الْأَرْبَعِ وَهَبْ عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَتْلَى
 لِيَحْيُوا». فَتَنَبَّأْتُ كَمَا أَمَرَنِي، فَدَخَلَ فِيهِمُ الرُّوحُ، فَحَيُّوا وَقَامُوا عَلَى أَقْدَامِهِمْ جَيْشٌ عَظِيمٌ
 جَدًّا جَدًّا" (حز ٣٧: ٩ - ١٠).

والله فضلاً على أنه يُحْصِي عِظَامَ الْإِنْسَانِ فَهُوَ يُمِسِّكُ بِيَدِهِ قَلْبَهُ "قَلْبُ الْمَلِكِ فِي يَدِ
 الرَّبِّ كَجَدَاوِلِ مِيَاهٍ" (أم ٢١: ١) وَيَمْتَحِنُهُ "الْبُوطَةُ لِلْفِضَّةِ وَالْكُورُ لِلذَّهَبِ وَمُمْتَحِنُ الْقُلُوبِ
 الرَّبُّ" (أم ١٧: ٣) لِيَهْبِهِ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ "لَأَنَّهُ بِهِ تَفْرَحُ قُلُوبُنَا لِأَنَّنَا عَلَى اسْمِهِ الْقُدُّوسِ
 اتَّكَلْنَا" (مز ٣٣: ٢١) "مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ نَفْسَهُ بِلَا شَاهِدٍ، وَهُوَ يَفْعَلُ خَيْرًا يُعْطِينَا مِنَ
 السَّمَاءِ أَمْطَارًا وَأَزِمَةً مُثْمِرَةً وَيَمْلَأُ قُلُوبَنَا طَعَامًا وَسُرُورًا." (أع ١٤: ١٧)، وَالْتَعَزِيَّةُ "الَّذِي
 أَرْسَلْتُهُ إِلَيْكُمْ لِهَذَا بَعَيْنِي لَكُمْ تَعَلَّمُوا أَحْوَالَنَا، وَلَكِي يُعَزِّي قُلُوبَكُمْ" (أف ٦: ٢٢)، وَالثَّبَاتُ
 "لَكِي يَثْبُتَ قُلُوبُكُمْ بِلَا لَوْمٍ فِي الْقِدَاسَةِ، أَمَامَ اللَّهِ أَبِينَا فِي مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ
 جَمِيعِ قَدِيسِيهِ" (١ تس ٣: ١٣)، وَالْهَدَايَةُ (أر ١٠: ٢٣)، لِيُسِيرَهُ حَيْثُمَا شَاءَ (أم ٢١: ١)
 فلا "يَمِلُ يَمَنَةً وَلَا يَسْرَةً" (أم ٤: ٢٧) ولا يسلُكُ في طُرُقٍ "تَبْدُو مُسْتَقِيمَةً مَعَ أَنْ عَاقِبَتُهَا
 الْمَوْتُ" (أم ١٤: ١٢).

يَضْبُطُ رُوحَهُ

وهو - أى الله - لا يضبط أعضاء الإنسان وقلبه فقط بل وروحه أيضاً فيها يهبه الحياة "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهِ أَدَمَ تُرَاباً مِنَ الْأَرْضِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً" (تك ٢: ٧) "أَيُّهَا السَّيِّدُ بِهِذِهِ يَحْيُونَ وَبِهَا كُلُّ حَيَاةٍ رُوحِي فَتَشْفِينِي وَتُحْيِينِي" (إش ٣٨: ١٦) "وَأَضَعُ عَلَيْكُمْ عَصَباً وَأكْسِيكُمْ لَحْماً وَأَبْسُطُ عَلَيْكُمْ جِلْدًا وَأَجْعَلُ فِيكُمْ رُوحاً فَتَحْيُونَ وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ" (حز ٣٧: ٦) "فَتَتَبَّأْتُ كَمَا أَمَرَنِي، فَدَخَلَ فِيهِمُ الرُّوحُ، فَحَيُّوا وَقَامُوا عَلَى أَقْدَامِهِمْ جَيْشٌ عَظِيمٌ جِدًّا جِدًّا" (حز ٣٧: ١٠)، والتجديد "وَأَعْطَيْهِمْ قُلُوبًا وَاحِدًا، وَأَجْعَلُ فِي دَاخِلِكُمْ رُوحاً جَدِيدًا، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِهِمْ وَأَعْطَيْهِمْ قَلْبَ لَحْمٍ" (حز ١١: ١٩) "إِطْرَحُوا عَنْكُمْ كُلَّ مَعَاصِيكُمْ الَّتِي عَصَيْتُمْ بِهَا، وَاعْمَلُوا لِأَنْفُسِكُمْ قُلُوبًا جَدِيدًا وَرُوحاً جَدِيدَةً. فَلِمَاذَا تَمُوتُونَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ؟" (حز ١٨: ٣١)، والقداسة "إِنَّ بَيْنَ الزَّوْجَةِ وَالْعَذْرَاءِ فَرْقًا: غَيْرُ الْمُتَزَوِّجَةِ تَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ لِتَكُونَ مُقَدَّسَةً جَسَدًا وَرُوحًا" (١كو ٧: ٣٤)، والابتهاج "جَعَلْتُ الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ. لِأَنَّهُ عَنْ يَمِينِي فَلَا أَتَزَعَّجُ. لِذَلِكَ فَرِحَ قَلْبِي وَابْتَهَجْتُ رُوحِي. جَسَدِي أَيْضًا يَسْكُنُ مُطْمَئِنًّا" (مز ١٦: ٨ - ٩)، والراحة "ثُمَّ إِنِّي أَفْرَحُ بِمَجِيءِ اسْتِفَانَّاسٍ وَفِرْتُونَاثُوسَ وَأَخَانِيكُوسَ لِأَنَّ نُفُصَانَكُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ جَبَرَوْهُ إِذْ أَرَاخُوا رُوحِي وَرُوحَكُمْ. فَاعْرِفُوا مِثْلَ هَؤُلَاءِ" (١كو ١٦: ١٧ - ١٨)، والغيرة "وَبَيْنَمَا بُولُسُ يَنْتَظِرُهُمَا فِي أَثِينَا احْتَدَّتْ رُوحُهُ فِيهِ إِذْ رَأَى الْمَدِينَةَ مَمْلُوءَةً أَصْنَامًا" (أع ١٦: ١٧)، والحكمة "وَتُكَلِّمُ جَمِيعَ حُكَمَاءِ الْقُلُوبِ الَّذِينَ مَلَائَتْهُمْ رُوحَ حِكْمَةٍ أَنْ يَصْنَعُوا نِيَابَ هَارُونَ لِتَقْدِيسِهِ لِيَكُنَّ لِي" (خر ٢٨: ٣) "لَا أَزَالُ شَاكِرًا لِأَجْلِكُمْ، ذَاكِرًا إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِي، كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلَهُ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، أَبُو الْمَجْدِ، رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالْإِعْلَانِ فِي مَعْرِفَتِهِ،" (أف ١: ١٦ - ١٧)،

وهكذا فهو لا يضبط روحه فقط بل و "يزنها" (أم ١٦: ٢) لأنه هو إلهها (عدد ١٦: ٢٢) ويدرك خفياتها "لأنَّ عَيْنِيهِ عَلَى طُرُقِ الْإِنْسَانِ وَهُوَ يَرَى كُلَّ خَطَوَاتِهِ" (أى ٣٤: ٢١) "مِنْ الرَّبِّ خَطَوَاتُ الرَّجُلِ. أَمَّا الْإِنْسَانُ فَكَيْفَ يَفْهَمُ طَرِيقَهُ؟" (أم ٢٠: ٢٤)، ويفحص أسرارها "نَفْسُ الْإِنْسَانِ سِرَاجُ الرَّبِّ يُفْتَشُّ كُلَّ مَخَادِعِ الْبَطْنِ" (أم ٢٠: ٢٧) "لَكِنَّهُ يَعْرِفُ أَعْمَالَهُمْ وَيُقَلِّبُهُمْ لَيْلًا فَيَنْسَحِقُونَ" (أى ٣٤: ٢٥) إذ أن عينيه "فِي كُلِّ مَكَانٍ عَيْنَا الرَّبِّ مُرَاقِبَتَيْنِ الطَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ" (أم ١٥: ٣) ليتشدد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه (مل٢).

يضبط انفعالاته

وكل هذه المشاعر تظهر نتاج ربط دقيقٍ من الله لروح الإنسان مع جسده عن طريق الغدد الصماء التى ليست لها قنوات تصب فيها هرموناتها وإفرازاتها بل تصبها مباشرةً فى الدم، فإذا انفلتت روح الإنسان بالفرح يتغير الدم لديه بما ينصب فيه من هرمونات تصل إلى كافة العظام والأعضاء فتتجدد الخلايا وتنتعش الأعضاء بعلامات تسمى بالدلالات التعبيرية ومن ثم ينطبع هذا الفرح على عيني الإنسان فتشرق وأيضاً على وجهه وعلى حركات اليدين والرجلين كما جاء فى قول النبی "أَسْمِعْنِي سُرُورًا وَفَرَحًا فَتَبْتَهِجَ عِظَامُ سَحَقْتَهَا." (مز ٥١: ٨).

هكذا فانفعال الإنسان بالحزن يُعكّر الدم بما ينصب فيه من هرمونات تؤدى إلى موت الخلايا وضعف البدن وهزال الأعضاء مما ويتضح بأجلى بيان على لون الوجه وحركات اليدين والرجلين حتى ولو حاول الإنسان إخفاء حزنه وضيقة وهو ما أشار إليه النبی فى قوله عما يؤثر به انفعال الحزن على العظام "يَا رَبُّ لَا تُؤَبِّخْنِي بِغَضَبِكَ وَلَا تُؤَدِّبْنِي بِغَيْظِكَ. اِرْحَمْنِي يَا رَبُّ لِأَنِّي ضَعِيفٌ. اشفني يَا رَبُّ لِأَنَّ عِظَامِي قَدْ رَجَفَتْ وَنَفْسِي قَدْ اِرْتَاعَتْ جِدًّا. وَأَنْتَ يَا رَبُّ فَحَتَّى مَتَى" (مز ٦: ١ - ٣) "كَالْمَاءِ انْسَكَبْتُ."

انْفَصَلَتْ كُلُّ عِظَامِي. صَارَ قَلْبِي كَالشَّمْعِ. قَدْ ذَابَ فِي وَسْطِ أُمْعَائِي" (مز ٢٢ : ١٤)
 "ارْحَمْنِي يَا رَبُّ لِأَنِّي فِي ضَيْقٍ. خَسَفَتْ مِنَ الْعَمِّ عَيْنِي. نَفْسِي وَبَطْنِي. لِأَنَّ حَيَاتِي قَدْ
 فَنَيْتُ بِالْحُزْنِ وَسَنِينِي بِالتَّهْدِي. ضَعُفَتْ بِشَقَاوَتِي قُوَّتِي وَبَلَيْتُ عِظَامِي" (مز ٣١ : ٩ -
 ١٠) "لَمَّا سَكَتُ بَلَيْتُ عِظَامِي مِنْ زَفِيرِ الْيَوْمِ كُلِّهِ، لِأَنَّ يَدَكَ ثَقُلَتْ عَلَيَّ نَهَارًا وَلَيْلًا.
 تَحَوَّلْتُ رُطُوبَتِي إِلَى يُبُوسَةِ الْقَيْظِ" (مز ٣٢ : ٣ - ٤) "لَيْسَتْ فِي جَسَدِي صِحَّةٌ مِنْ جِهَةِ
 غَضَبِكَ. لَيْسَتْ فِي عِظَامِي سَلَامَةٌ مِنْ جِهَةِ خَطِيئَتِي" (مز ٣٨ : ٣) "أَقُولُ لِلَّهِ صَخْرَتِي:
 «لِمَاذَا نَسَيْتَنِي؟ لِمَاذَا أَذْهَبُ حَزِينًا مِنْ مُضَايِقَةِ الْعُدُوِّ؟» بِسَحْقٍ فِي عِظَامِي عَيَّرَنِي
 مُضَايِقِي بِقَوْلِهِمْ لِي كُلَّ يَوْمٍ: «أَيْنَ إِلَهُكَ؟» (مز ٤٢ : ٩ - ١٠) "تَحْبُبُ وَجْهَكَ عَنِّي فِي
 يَوْمِ ضَيْقِي. أَمِلْ إِلَيَّ أَذْنُكَ فِي يَوْمِ أَدْعُوكَ. اسْتَجِبْ لِي سَرِيعًا. لِأَنَّ أَيَّامِي قَدْ فَنَيْتُ فِي
 دُخَانٍ وَعِظَامِي مِثْلُ وَقِيدٍ قَدْ بَيَسَتْ" (مز ١٠٢ : ٢ - ٣)، وعن العين "يَا رَبُّ أَمَامَكَ كُلُّ
 تَأَوُّهِ وَتَتَهَّدِي لَيْسَ بِمَسْتُورٍ عَنكَ. قَلْبِي خَافِقٌ. قُوَّتِي فَارَقْتَنِي وَنُورُ عَيْنِي أَيْضًا لَيْسَ
 مَعِي" (مز ٣٨ : ٩ - ١٠) "فلما قصدت معرفة هذا إذ هو تعب في عيني" (مز ٧٣ :
 ١٦).

ضابطاً لأفكار الأشرار

فان كان الله يضبط كل ما فى حياة الإنسان من جسده وأعضائه وأسراره وخفيات
 قلبه فهو أيضاً يضبط كافة الامم المفتخرين بقوتهم فيجعلهم "كَالتُّرَابِ بِسَيْفِهِ وَكَالْقَشِّ
 الْمُنْدَرِي بِقَوْسِهِ. يَطْرَدُهُمْ" (إش ٤١ : ٢ - ٣) بل ويأخذهم بالمؤامرة التى فكروا بها (مز
 ١٠ : ٢) على من تبعوه وآمنوا به لينصفهم ولينتقم لمظلمتهم "هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنَّ
 بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَنِي يَهُوذَا مَعَا مَظْلُومُونَ وَكُلُّ الَّذِينَ سَبَوْهُمْ أَمْسَكُوهُمْ. أَبُوا أَنْ يُطْلَقُوهُمْ.
 وَلِيَهُمْ قُوَّةٌ. رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ. يُقِيمُ دَعْوَاهُمْ لِيُرِيحَ الْأَرْضَ وَيُزْعِجَ سُكَّانَ بَابِلَ. سَيْفٌ عَلَى

الْكَلْدَانِيِّينَ يَقُولُ الرَّبُّ وَعَلَى سُكَّانِ بَابِلَ وَعَلَى رُؤَسَائِهَا وَعَلَى حُكَمَائِهَا. سَيْفٌ عَلَى الْمُخَادِعِينَ فَيَصِيرُونَ حُمَقًا. سَيْفٌ عَلَى أُنْبَالِهَا فَيَرْتَعِبُونَ" (أر ٥٠: ٣٣ - ٣٦)، وهو لا ينصف الذين صرخوا إليه فقط (خر ٢) بل وأيضاً الذين لم يشعروا بحاجتهم لحمايته وتدخله^(٥٧) كقوله لأيوب "مَنْ فَرَعَ قَنَوَاتٍ لِلْهَطْلِ وَطَرِيقاً لِلصَّوَاعِقِ لِيَمُطَرَ عَلَى أَرْضٍ حَبِيثُ لَا إِنْسَانَ عَلَى قَفَرٍ لَا أَحَدَ فِيهِ لِيُزَوِّيَ الْبَلَقَعَ وَالْخَلَاءَ وَيُنْبِتَ مَخْرَجَ الْعُشْبِ؟" (أى ٣٨: ٢٥ - ٢٧).

هكذا فإنَّ ضبط الرب يسوع المسيح لكافة تفاصيل الحياة لا ينحصر فقط في ضبطه لحياة من تبعوه مؤمنين بقوة سُلْطَانِهِ الإلهي بل ويمتد أيضاً ليشمل حياة المُعَانِدِينَ فيحكم وَيَضْبُطُ أفعالهم المُقاومة لخلاصه العجيب ومن ثَمَّ يُحوِّلُهَا لفائدةٍ وخيرٍ لأبنائه كقول مار بولس الرسول "غَيْرَ مُخَوِّفِينَ بِشَيْءٍ مِنَ الْمُقَاوِمِينَ، الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ لَهُمْ بَيِّنَةٌ لِلْهَلَاكِ، وَأَمَّا لَكُمْ فَلِلْخَلَاصِ، وَذَلِكَ مِنَ اللَّهِ" (فى ١: ٢٨)، بل ولِخِلاصِ الْمُعَانِدِينَ أَنْفُسَهُمْ إِذْ يَنْخَسِ ضِمَائِرُهُمْ بِطَرَفَاتِهِ الْحَانِيَةِ الْمُلْحَظَةِ عَلَى أَبْوَابِ قُلُوبِهِمْ لِيَجْتَذِبَهُمْ إِلَى حَظِيرَتِهِ^(٥٨) كوعده الإلهي الصادق "وَلِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ، يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ أَيْضاً فَتَسْمَعُ صَوْتِي، وَتَكُونُ رَعِيَّةً وَاحِدَةً وَرَاعٍ وَاحِدٌ" (يو ١٠: ١٦).

٢) المسيح كُلِّي الْحِكْمَةِ

طلبنا بضرورة الإستعداد الدائم لتلك اللحظة الفريدة والوحيدة في حياة الإنسان وتاريخه مع التشديد على أن هذا الطلب لا يعنى فُقدان الأمل والرجاء ولا يوجب الشعور بالخوف والقلق ولا يدفع دفعاً للهروب من الحياة فضلاً على أنه يستند على إيماننا الواثق بضبط الرب يسوع لكافة الأشياء والأحداث منذ تأسيس العالم وبخضوعها له "أَخْضَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ

تَحْتَ قَدَمَيْهِ. لِأَنَّهُ إِذْ أَخْضَعَ الْكُلَّ لَهُ لَمْ يَنْزُكْ شَيْئاً غَيْرَ خَاضِعٍ لَهُ عَلَى أَنَّا الْآنَ لَسْنَا نَرَى الْكُلَّ بَعْدُ مُخْضَعاً لَهُ" (عب ٢: ٨) فهو أيضاً يرتكز على إيماننا الكامل بحكمته العجيبة في تدبير الكون بأحداثه وبدقائق تفاصيله وبمن فيه، تلك الحكمة التي تعجب منها مار بولس الرسول لما رآها في عمل واحد من أعمال الله^(٥٩) فقال "يَا لَعُمَقِ غِنَى اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الْاسْتِغْصَاءِ! لِأَنَّ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟ أَوْ مَنْ سَبَقَ فَأَعْطَاهُ فَيَكَافَأُ؟ لِأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلُّ الْأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ" (رو ١١: ٣٣ - ٣٦)، والتي قال عنها أيضاً أبونا متى المسكين {أما الإيمان بالله فهو يحتاج إلى حب وطاعة ودالة شخصية كأساس حتمى حتى يبلغ الإنسان بها إلى صلة عميقة بالله، قوامها الأمانة والثقة المطلقة في الله نفسه في كل الأمور والأحوال والظروف، يكون من نتيجتها الاعتماد الكلى عليه والاستسلام المطلق لمشيئته مهما اصطدم هذا الإيمان أو هذه الأمانة بالواقع أو المنطق أو العقل}.

الله بسيط متواضع

مع أن الله روح بسيط غير مُركَّبٍ ظهر لنا في ملء الزمان (غلا ٤: ٤) وعلمنا أن نكون "بُسطاء كالحمائم" (مت ١٠: ١٦)، ومع أنه كلى التواضع قال عن نفسه "تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم" (مت ١١: ٢٩)، ومع أنه أيضاً كلى الوداعة "إِذْ شَتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عَوِضاً وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَهْدُدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بَعْدِلٌ" (ابط ٢: ٢٣) علمنا ألا "تُجَازَى عَنْ شَرِّ بَشَرٍّ أَوْ عَنْ شَتِيمَةٍ بِشَتِيمَةٍ، بَلْ بِالْعَكْسِ نُبَارِكُ" (ابط ٣: ٩) لأن "مَنْ يُجَازِي عَنْ خَيْرٍ بِشَرٍّ لَنْ يَبْرِحَ الشَّرُّ مِنْ بَيْتِهِ" (أم ١٧: ١٣)، وأوصانا ألا نقول "إِنِّي أُجَازِي شَرًّا بَلْ نَنْتَظِرْهُ فَيُخَلِّصَنَا" (أم ٢٠: ٢٢)، فهو أيضاً

كَلَى الحِكمة^(٦٠) أعلن عن نفسه لأحدُهم قائلاً {الله مُدرك كامل ولا يُمكن إدراك كماله}، وهو وإن كان كاملاً فى بساطته وتواضعه ووداعته فهو بالمثل فى حكمته ولذلك لما أثارت هذه الحِكمة المُطلقة الحمية عند بولس الرسول ليتغنى بها قائلاً "يَا لَعُمُقِ غِنَى الله وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ!" (رو ١١ : ٣٣) رجع بعدها فأوضح أن عجبه ليس على حكمة الله المُطلقة والتي بها يُدبّر كافة الخلائق العاقلة وغير العاقلة لكنّه - أى تعجبه - ينحصر فقط فى واحدٍ من أحكامه وطُرُقهِ ألا وهو دعوته للأُمَم من خلال تقسية اليهود لِقُلُوبِهِم إلى أن يَجِيء الوقت الذى تذوب فيه قساوتهم فيرجعون إلى الحظيرة فى اتفاق رأى ووحدة تامة مع الأُمَم، وهكذا قال "مَا أَبْعَدَ أَحْكَامُهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقُهُ عَنِ الاسْتِفْصَاءِ! لِأَنَّ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟" (رو ١١ : ٣٣ - ٣٤)، حيثُ نلحظ من النص اليونانى للآية أن كلمة ἀνεξεραύνητος تُبَيِّنُ ليس فقط عدم القُدرة على الإدراك إنما أيضاً عدم القُدرة على مُجرد الشروع فى الفحص، وهو الأمر الذى استخدمه القديس يوحنا ذهبى الفم فى رده على الآنوميين القائلين بِجواز إدراك الإنسان للجوهر الإلهى، وعنه شرح بأن الرسول لم يُبعد عن الإنسان أية احتمالية لإدراك ما لله بقوله (ما أبعد أحكامه عن الإدراك) إنما أبعد عنه - أى عن الإنسان - أية مُحاولَة منه لِمُجَرَّد مُحاولَة الشروع فى الفحص، ذلك بأن قال (ما أبعد أحكامه عن الفحص)، ونفس المعنى يوضحه النص الانجليزى الذى استخدم كلمة unsearchable بمعنى (غير قابل للتفتيش) غير قابل للبحث)، وكذا يُبَيِّنُه النص القبطى الذى استخدم تعبير ἀνεξεραύνητος ويتكون من الحرف ἀν وهو أداة نكرة للجمع والحرف τ بمعنى (بدون) غير (بلا) وكلمة ερευνω بمعنى (فحص) بحث (تفتيش) فيكون المعنى (غير قابلة للفحص) غير قابلة للتفتيش).

لا يقدر الإنسان أن يدرك الله

ثُمَّ أَنْ مِنْ بَيْنِ مَا يُقَرَّبُ لَنَا^(١١) مَدَى حِكْمَةِ اللَّهِ هُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُدْرِكَ عُمْقَ اللَّهِ "إِلَى عُمْقِ اللَّهِ تَتَّصِلُ أَمْ إِلَى نِهَآيَةِ الْقَدِيرِ تَنْتَهِي؟ هُوَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ فَمَاذَا عَسَاكَ أَنْ تَفْعَلَ؟ أَعْمَقُ مِنَ الْهَآوِيَةِ فَمَاذَا تَدْرِي؟" (أى ١١ : ٧ - ٨)، وَلَا أَعْمَالَهُ "كَمَا أَنَّكَ لَسْتَ تَعْلَمُ مَا هِيَ طَرِيقُ الرِّيحِ وَلَا كَيْفَ الْعِظَامُ فِي بَطْنِ الْخُبْلَى كَذَلِكَ لَا تَعْلَمُ أَعْمَالَ اللَّهِ الَّذِي يَصْنَعُ الْجَمِيعَ" (جا ١١ : ٥)، "أَنْظُرْ عَمَلَ اللَّهِ لِأَنَّهُ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى تَقْوِيمِ مَا قَدْ عَوَّجَهُ؟" (جا ٧ : ١٣)، وَلَا عِظَائِمَهُ "لَكِنْ كُنْتُ أَطْلُبُ إِلَى اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ أَجْعَلُ أَمْرِي. الْفَاعِلِ عِظَائِمَ لَا تُفْحَصُ وَعَجَائِبَ لَا تُعَدُّ" (أى ٥ : ٨ - ٩)، "فَاعِلِ عِظَائِمَ لَا تُفْحَصُ وَعَجَائِبَ لَا تُعَدُّ." (أى ٩ : ١٠)، وَلَا أَفْكَارَهُ وَطَرَقَهُ "لِأَنَّهُ كَمَا عَلَتْ السَّمَاوَاتُ عَنِ الْأَرْضِ هَكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنِ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنِ أَفْكَارِكُمْ" (إش ٥٥ : ٩)، "هَا هَذِهِ أَطْرَافُ طَرَقِهِ وَمَا أَخْفَصَ الْكَلَامَ الَّذِي نَسَمَعُهُ مِنْهُ! وَأَمَّا رَعْدُ جَبْرُوتِهِ فَمَنْ يَفْهَمُ؟" (أى ٢٦ : ١٤)، "يَا لِعُمْقِ غِنَى اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطَرَقَهُ عَنِ الْاسْتِقْصَاءِ! لِأَنَّ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟" (رو ١١ : ٣٣ - ٣٤) وهذا من ناحية.

لا يقدر الإنسان أن يدرك نفسه

أَمَّا مِنَ النَّاحِيَةِ الْآخَرَى فَالْإِنْسَانُ لَا يَقْدِرُ حَتَّى أَنْ يُدْرِكَ نَفْسَهُ، فَمَعَ أَنَّهُ قَدْ سَبَرَ أَغْوَارَ الْبِحَارِ وَالْمُحِيطَاتِ وَطَفَقَ يَغْزُو الْكَوَاكِبَ وَالْمَجَرَّاتِ وَأَقَامَ السُّدُودَ الشَّاهِقَاتِ وَالْمَدَائِنَ الشَّامِخَاتِ إِلَّا أَنَّهُ وَقَفَ عَاجِزًا كُلَّ الْعِجْزِ عَنِ إِدْرَاكِ مَكْنُونَاتِ نَفْسِهِ وَمَا إِلَيْهَا مِنْ حَوَاسٍ خَمْسَةِ (اللمس | السمع | النظر | التذوق | الشم) تَتَدَاخَلُ فِي عَمَلِهَا بِتَرَابُطٍ عَجِيبٍ عَنِ طَرِيقِ الْجِهَازِ الْعَصْبِيِّ وَالْعِضْلِيِّ وَالتَّنَفُّسِيِّ وَالدَّمَوِيِّ، نَاهِيكَ عَنِ الْغَازِ الَّذِي يَمْتَلِئُ بِهِ

جسده الضئيل كمثّل مضخّة هائلة تمتص بالتنفّس أكسجين الهواء وتفرّز ثانى أكسيد الكربون وبهذه العملية الميكانيكيّة الكيميائيّة الحيويّة تجرى عمليات لا حصر لها، يتحوّل بها الغذاء إلى دم وإلى خلايا حيّة لبناء الجسم، ولا يدرك كيف أن الماء يُشكّل ثلث جسده بحيث لو أمكن عصره لصار فى حجم الدبوس الصغير، وكيف أن لحمه وعظامه وغضاريفه وما إليها من ألياف وأعصاب ومواد كثيرة منها كربون ومغنيسيوم وكبريت ونحاس وبوتاسيوم وغيرها تعمل معاً بتوافق عجيب وبوحدة مُدهشة من أجل صالح الجسم وخيره، وكيف أنه يحمل ما بين أعضائه البسيطة والصغيرة ظلمة لا يقدر ولا أعظم المُخترعين على بناء مثلها من حيث أنها تعمل ليلاً ونهاراً بدون إصلاحات أو أعطال وبدون عناية أو صيانة منه ولمُدّة سبعين أو ثمانين سنة لتضخ حوالى ٢٨٠٠٠٠ طن من الدم سنوياً.

حكمة الله فى التدبير

{من يستطيع أن يفحص تدبيرات الله بخصوص الكنيسة ويُقدّم لنا صورة التخطيط الكبير عن رحلتها عبر وادى البكاء والدموع حتى تصل إلى وطنها الدائم فى السماء}{^(١٢) إن كان الله غير مُدركٍ فى أعماله ولا فى طُرّقه وأفكاره ولا فى عظمته فهو أيضاً غير مُدركٍ فى تدابيره - "لأنّه ليس هو إنساناً مثلي فأجاوبه فتأتني جميعاً إلى المُحاكمة" (أى ٩: ٣٢) - العجيبة التى بها يُدبّر كافة الأحداث التى يواجهها أبناؤه الذين "اختارهم من العالم لأنهم ليسوا من العالم" (يو ١٥: ١٨ - ١٩)، كأحداث الاضطهاد العظيم التى واجهتها الكنيسة الأولى فى أورشليم (أع ٨: ١) وكان الرب يسمح بها بحكمته العجيبة لكى ما "يَتَشَتَّتَ الْجَمِيعُ فِي كُورِ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ" (أع ٨: ٢) فيجولون مُبشّرين بالكلمة (أع ١: ٤)، ولولا تلك الأحداث التى دُبّرت بحكمته لما انحدر فيلبس مُبشّراً بالمسيح

للسامريين الذين حالما سمعوه مُعَايِنِينَ لِلآيَاتِ الَّتِي أَجْرَاهَا اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ آمَنُوا مُتَهَلِّلِينَ فَرَحِينَ "وَكَانَ الْجُمُوعُ يُصْغُونَ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِلَى مَا يَقُولُهُ فِيلْبُسُ عِنْدَ اسْتِمَاعِهِمْ وَنَظَرِهِمْ الْآيَاتِ الَّتِي صَنَعَهَا لِأَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الَّذِينَ بِهِمْ أَرْوَاحُ نَجِسَةٌ كَانَتْ تَخْرُجُ صَارِخَةً بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَكَثِيرُونَ مِنَ الْمَقْلُوجِينَ وَالْعُرْجِ شَفُوا. فَكَانَ فَرَحٌ عَظِيمٌ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ" (أع ٨: ٦ - ٨).

نفس الأمر نقوله في تدبير الله بحكمته العجيبة لحياة شاول الطرسوسى، فقد تركه يتأدَّب تحت رجلى غمالاتيل على تحقيق الناموس الأبوى (أع ٢٢: ٣) فيمتلئ غيرة على تقليدات^(١٣) آبائه وعلى شريعة الله "وَكُنْتُ غَيُورًا لِلَّهِ كَمَا أَنَّكُمْ جَمِيعُكُمْ الْيَوْمَ" (أع ٢٢: ٣)، تلك الغيرة التى أدَّت به لأن يضطَّهدَ المسيحيين حتى الموت "وَاضْطَهَدْتُ هَذَا الطَّرِيقَ حَتَّى الْمَوْتِ مُقَيَّدًا وَمُسَلَّمًا إِلَى السُّجُونِ رَجَالًا وَنِسَاءً" (أع ٢٢: ٤) بل ويضطرُّهم إلى التجديف "وَفِي كُلِّ الْمَجَامِعِ كُنْتُ أُعَاقِبُهُمْ مِرَارًا كَثِيرَةً وَأُضْطَرُّهُمْ إِلَى التَّجْدِيفِ. وَإِذْ أَفْرَطَ حَقَّقِي عَلَيْهِمْ كُنْتُ أَطْرُدُهُمْ إِلَى الْمَدْنِ الَّتِي فِي الْخَارِجِ" (أع ٢٦: ١١)، والرب الذى كان يُدبِّر بحكمته العجيبة حياة شاول مُنْذُ ولادته حتى هذه الدرجة من الغيرة على الشريعة والناموس كان يُدبِّر بحكمته أيضاً تحويل هذه الغيرة لتصير فى اتجاهها الصحيح فتخدم الإيمان بدلاً من أن تُقاومه، فبدأ عمله بأن نخسه بمناخس الروح (أع ٩: ٥) برويته لوجه استفانوس الملائكى وقتما كان يُرجم من ناحية ومُعَايِنَتَهُ لِسَلامِ المسيحيين وقتما كان يضطهدهم بعنف ويقتلهم من ناحية أخرى، وإذ حاول مِرَاراً أن يُسَكِّتَ ضميره كانت أصواتهم ترن في أذنيه حين كانوا يشهدون بأنهم يروا السماء مفتوحة ويتمتعون برؤية يسوع المسيح عن يمين العظمة، وهكذا إلى أن أتت اللحظة التى أبقاها له المسيح وهو فى طريقه لدمشق إذ "أَبْرَقَ حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ فَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ وَسَمِعَ صَوْتًا قَائِلًا لَهُ: «شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهْدُنِي؟» فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟، فَقَالَ الرَّبُّ: أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهْدُهُ. صَعَبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ». فَقَالَ وَهُوَ مُرْتَعِدٌ وَمُتَحَيِّرٌ: «يَا رَبُّ

ماذا تُريدُ أَنْ أَفْعَلَ؟" فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «فُمْ وَادْخُلِ الْمَدِينَةَ فَيَقَالَ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ" (أع ١٣: ٦).

وهكذا رأينا أَنَّ الذي كان قبلاً مُجَدِّفاً ومُفْتَرِياً ومُضْطَهِّداً قَبْلَ الْإِيمَانِ فَصَارَ مُحَبِّباً هَائِماً عاشِيقاً يَقُولُ "لَيْسَ أَنِّي قَدْ نَلْتُ أَوْ صِرْتُ كَامِلاً، وَلَكِنِّي أَسْعَى لَعَلِّي أُدْرِكُ الَّذِي لِأَجْلِهِ أُدْرِكُنِي أَيْضاً الْمَسِيحُ يَسُوعُ. أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، أَنَا لَسْتُ أَحْسِبُ نَفْسِي أَنِّي قَدْ أُدْرِكْتُ. وَلَكِنِّي أَفْعَلُ شَيْئاً وَاحِداً: إِذْ أَنَا أَنْسَى مَا هُوَ وَرَاءُ وَأُمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ قُدَّامُ. أَسْعَى نَحْوَ الْغَرَضِ لِأَجْلِ جَعَالَةِ دَعْوَةِ اللَّهِ الْعُلَيَّا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (فى ٣: ١٢ - ١٤)، ويقول أَيْضاً "لَكِنْ مَا كَانَ لِي رِيحاً فَهَذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةَ لِكَيِ أَرْبِحَ الْمَسِيحَ وَأُوجَدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بَرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ، الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ. لِأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَشَرِكَةَ آلَامِهِ، مُتَسَبِّحاً بِمَوْتِهِ، لَعَلِّي أَبْلُغُ إِلَى قِيَامَةِ الْأَمْوَاتِ" (فى ٣: ٧ - ١١).

خبرة إيمانية

ربما تتشابه حالة الكثيرين من أعضاء الكنيسة الأولى الذين واجهوا ذاك الاضطهاد العظيم (أع ٨: ١) (أع ٩: ١) فتشككوا في حكمة الله وسيادته على الأحداث مع حالة البعض من أعضاء الكنيسة الحاليين، لكنَّ الأخيرين لَهُم امتيازٌ لم يختبره الأولون في اضطهادهم إذ أُتِيحتَ لَهُم - أَى لِلْآخِرِينَ - الْفُرْصَةُ لِمُعَايِنَةِ نَهَايَةِ تِلْكَ الْأَحْدَاثِ الْمُخِيفَةِ وَكَيْفَ أَنَّ اللَّهَ دَبَّرَهَا بِحِكْمَتِهِ وَضَبَطَهَا لَتَجِيَّ بِالْخَيْرِ وَبِالْفَائِدَةِ لِأَبْنَائِهِ الْمُضْطَهَّدِينَ فَجَعَلَ مِنْهَا سَبَباً لِلتَّشَبُّثِ الَّذِي آلَ إِلَى تَبَشِيرِ الْقُرَى وَالْمَدَائِنِ الْمُجَاوِرَةِ مِنْ نَاحِيَةٍ "وَحَدَّثَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ اضْطِهَاداً عَظِيماً عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ فَتَشَبَّثَ الْجَمِيعُ فِي كُورِ الْيَهُودِيَّةِ

وَالسَّامِرَةَ مَا عَدَا الرُّسُلَ. وَحَمَلَ رِجَالٌ أَنْفِيَاءَ اسْتَفَانُوسَ وَعَمِلُوا عَلَيْهِ مَنَاحَةً عَظِيمَةً. وَأَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ يَسْطُو عَلَى الْكَنِيسَةِ وَهُوَ يَدْخُلُ الْبُيُوتَ وَيَجْرُ رِجَالاً وَنِسَاءً وَيُسَلِّمُهُمْ إِلَى السَّجْنِ. فَالَّذِينَ تَشَتَّتُوا جَالُوا مُبَشِّرِينَ بِالْكَلِمَةِ" (أع ٨: ٤)، ومن ناحية أخرى نهايةً لغيره شاول التي لم تكن بحسب المعرفة ومن ثم اجتذابه للإيمان ليصير إناءً مختاراً يحمل اسم الرب لشعوبٍ وأممٍ ويكون مُستعداً لقبول آلام الكرازة بالطريق الذي كان قبلاً يضطهده "وَبَعْدَ ذَلِكَ جِئْتُ إِلَى أَقَالِيمِ سُورِيَّةٍ وَكِلِيكِيَّةٍ. وَلَكِنِّي كُنْتُ غَيْرَ مَعْرُوفٍ بِالْوَجْهِ عِنْدَ كَنَائِسِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ. غَيْرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ أَنَّ الَّذِي كَانَ يَضْطَهُدُنَا قَبْلًا، يُبَشِّرُ الْآنَ بِالْإِيمَانِ الَّذِي كَانَ قَبْلًا يُثْلِفُهُ. "فَكَانُوا يُمَجِّدُونَ اللَّهَ فِيَّ". (غل ١: ٢١ - ٢٤).

حكمة الله في التعليم

كما أن الرب يسوع المسيح حكيمٌ في تدبيره لكافة أمور الحياة ودقائقها، فهو أيضاً حكيمٌ في تعليمه، استخدم حياة شاول الأولى وقصة اجتذابه للإيمان كدرسٍ عمليٍّ يُظهر طول أناته على كل الذين هم عتيدين أن ينجحوا مسلكه - أى شاول - مضطهدين أبناءه ومن ثمَّ يُرحموا برحمته كقوله لتيموثاوس "صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحَقَّةٌ كُلُّ قُبُولٍ: أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخَطَاةَ الَّذِينَ أُولَئِهِمْ أَنَا. لَكِنِّي لِهَذَا رُحِمْتُ: لِيُظْهَرَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ فِيَّ أَنَا أَوَّلًا كُلِّ أَتَاءٍ، مِثَالاً لِلْعَتِيدِينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ" (١تى ١: ١٥ - ١٦)، وهو لا يستخدم فقط سلوك الآخرين وبحكمته يُحوِّله لفائدة لهم ولغيرهم لكنه يتدرَّج في تعليمه لكل شخص حسب قدرته على الاحتمال والاستيعاب، فالسامريَّة لم يُصارحها بأنه المسيح الذي تنتظره مع أنسابها وأهلها اللهم إلا بعدما تدرَّج معها في حديث بسيط (يو ٤: ٧) مُجتنباً إيها بسلاسة للاعتراف بخطاياها (يو ٤: ١٦ - ١٨) وبحاجتها وغيرها للمسيا الذي يُقال له المسيح والذي حال إتيانه يُخبرهم بكل شئٍ "قَالَتْ

لَهُ الْمَرْأَةُ: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَسِيًّا، الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ، يَأْتِي. فَمَتَى جَاءَ ذَلِكَ يُخْبِرُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ» (يو ٤: ٢٥)، وداود لم يُظهِرْ له خطيته مباشرةً إنما تدرَّج معه بلسان ناثن النبي (٢صم ١٢: ١ - ٦) ليجتذبه للاعتراف بخطيته (٢صم ١٢: ١٣) وللايمان بحاجته الدائمة لى ما "يغتسل كثيراً من إثمهِ ومن خطيته يتطهَّر" (مز ٥١: ٢ - ٣) وللثقة فى غُفران الله الذى له السلطان أن "يُنَجِّيهِ من الدماء ويفتح شفّيته فيُخبر فمه بتسبيحه" (مز ٥١: ١٤ - ١٥)، أمّا يونان النبي ولكى ما يلفت انتباهه إلى مدى عنايته - أى الله - بكافة خليقته أنبت له اليقطينة التى لمّا ارتفعت فوقه لِئُظَلِّلَ عليه (يون ٤: ٦) ضربها الله بدودة عند طلوع الفجر فبيست (يون ٤: ٧) وإذ اكتأب يونان مُغْتَظاً بالصواب قال له الله "أَنْتَ شَفَقْتَ عَلَى الْيَقُطِينَةِ الَّتِي لَمْ تَتَعَبْ فِيهَا وَلَا رَيْبُهَا الَّتِي بَنَتْ لَيْلَةً كَانَتْ وَبُنَتْ لَيْلَةً هَلَكَتْ. أَفَلَا أَشْفَقُ أَنَا عَلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رُبُوعًا مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ يَمِينَهُمْ مِنْ شِمَالِهِمْ وَبَهَائِمٍ كَثِيرَةٍ!" (يون ٤: ١٠ - ١١).

هكذا عمل الرب أيضاً مع بطرس فلم يُعَاتِبْهُ عَلَى إنكاره واعتزازه بقوة إيمانه التى جعلته قبلاً يقول "يَا سَيِّدُ، لِمَاذَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَتَّبِعَكَ الْآنَ؟ إِنِّي أَضَعُ نَفْسِي عَنْكَ" (يو ١٣: ٣٧)، لكنّه تدرَّج معه فى حوار (يو ٢١: ١٥ - ١٧) ليجتذبه للاعتراف بل بالأكثر لإدراك أن محبته للرب تكون بالقدر الذى يهبه الله نفسه لأنه "بدونه لا يقدر أن يفعل شئ" (يو ١٥: ٥) بنفس الطريقة التى كان فيها النبي يطلب من الله القوة والعزيمة ليتوب قائلاً "توبنى يا رب فأتوب" (أر ٣١: ١٨)، أمّا فيلبس ولكى ما يجعله يُدرك درجته من الإيمان ومن ثَمَّ يُنْمِيهِ داخله سألّه لمّا نظر جمعاً كثيراً مُقْبِلًا عليه "مِنْ أَيْنَ نَبْتَاعُ خُبْزًا لِيَأْكُلَ هَؤُلَاءِ؟" (يو ٦: ٥)، والرب لم يسأله عن المكان الذى يُمَكِّنُ منه شراء الخبز وإنما قال هذا "لِيَمْتَحِنَهُ، لِأَنَّهُ هُوَ عِلْمٌ مَا هُوَ مُزْمَعٌ أَنْ يَفْعَلَ" (يو ٦: ٦) وَلِيُعَلِّمَهُ الاتكال الكلى عليه إذ هو صاحب السلطان المطلق ليشبع هذه الأعداد كما أشبع آباءهم فى البرية.

حكمة الله في التأديب

الله في محبته للإنسان أعطاه القدرة على التمييز بين الخير والشر ووهبه العقلية والبصيرة ومن ثمَّ السلطان لكي ما يحكم على فاعلي الشر بتأديبات "فإني أنا كأني غائب بالجسد ولكن حاضراً بالروح قد حكمت كأني حاضراً في الذي فعل هذا هكذا باسم ربنا يسوع المسيح إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح" (١ كو ٥ : ٣ - ٤) هي بمثابة اللجام الذي يقيده عن تكرار فعل الشر، ولذلك أوصى الآباء بتأديب أبنائهم "أدب ابنك لأن فيه رجاء ولكن على إيمانيه لا تحمل نفسك" (أم ١٩ : ١٨)، "رب الولد في طريقه فمتى شاخ أيضاً لا يحد عنه" (أم ٢٢ : ٦)، "لا تمنع التأديب عن الولد لأنك إن ضربت به عصاً لا يموت. تضربه أنت بعصاً فتنتقذ نفسه من الهاوية." (أم ٢٣ : ١٣ - ١٤)، وبالمثل أوصى الأبناء بقبول تأديبات آبائهم "اسمع يا ابني تأديب أبيك ولا ترفض شريعة أمك لأنهما إكليل نعمة لرأسك وفلاذد لعنوك" (أم ١ : ٨)، "الابن الحكيم يقبل تأديب أبيه والمستهزئ لا يسمع انتهاراً" (أم ١٣ : ١)، "اسمع المشورة واقبل التأديب لكي تكون حكيماً في آخرتك" (أم ١٩ : ٢٠).

وجوب قبول تأديبات الله

فإن كانت تأديبات الإنسان التي يسئها بحكمته المحدودة لها فعالية هذا مقدارها حتى أن الله وصف رافضها بالضلال "حافظ التعليم هو في طريق الحياة ورافض التأديب ضال" (أم ١٠ : ١٧)، وبالبلاهة "من يحب التأديب يحب المعرفة ومن يبغي التوبيخ فهو بليد" (أم ١٢ : ١)، وبالفقر والهوان "قفروا وهوان لمن يرفض التأديب ومن يلاحظ التوبيخ يكرم" (أم ١٣ : ١٨)، وبالحماقة "الأحمق يستهين بتأديب أبيه أما مراعي التوبيخ فيذكرى"

(أم ١٥: ٥)، فكم وكم تكون ضلالة وحمافة من يرفض تأديبات الرب التي يؤدّب بها من يحبهم (أى ٥: ١٧) بحكمته العالية من حيث كونه إلهاً يُدرك أوائل الأمور وينظر آخرها ولذلك قال له إرميا النبي "أَدَّبَنِي يَا رَبُّ وَلَكِنْ بِالْحَقِّ لَا بَغْضَبِكَ لِئَلَّا تُقْنِيَنِي" (أر ١٠: ٢٤) بل وهو نفسه - أى الله - قال عن سليمان "إِنْ تَعَوَّجَ أُوذَّبُهُ بِقَضِيبِ النَّاسِ وَبِضَرْبَاتِ بَنِي آدَمَ. وَلَكِنْ رَحْمَتِي لَا تَنْزَعُ مِنْهُ" (٢صم ٧: ١٤ - ١٥).

وكما أن "كُلَّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لَا يَرَى أَنَّهُ لِلْفَرْحِ بَلْ لِلْحَزَنِ" (عب ١٢: ١١) إلا أنه أخيراً يُعطى "الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ نَمَرٌ بَرٌّ لِلسَّلَامِ" (عب ١٢: ١١)، هكذا تأديبات الله التي بحكمته يسمح بها لتصير فى صالح وفائدة الإنسان الذى كان يسلك قبلاً مُقاوماً للتأديب إذ تَوَكَّدَ بنوته لله "إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللَّهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لَا يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلَا تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ، فَأَنْتُمْ نَعُولٌ لَا بَنُونَ" (عب ١٢: ٧ - ٨)، وتهبه الكرامة "قَفَّرَ وَهَوَانَ لِمَنْ يَرْفُضُ التَّأْدِيبَ وَمَنْ يُلَاحِظُ التَّوْبِيخَ يُكْرَمُ" (أم ١٣: ١٨)، والفهم "مَنْ يَرْفُضُ التَّأْدِيبَ يَرْذُلُ نَفْسَهُ وَمَنْ يَسْمَعَ لِلتَّوْبِيخِ يَنْتَبِهُ فَهْمًا". (أم ١٥: ٣٢)، ويُكسبه البركة "مَنْ يَقُولُ لِلشَّرِّيرِ: «أَنْتَ صَدِيقٌ» تَسْبُهُ الْعَامَّةُ. تَلْعَنُهُ الشُّعُوبُ. أَمَّا الَّذِينَ يُؤَدِّبُونَ فَيَنْعَمُونَ وَبِرَكَّةٍ خَيْرٍ تَأْتِي عَلَيْهِمْ" (أم ٢٤: ٢٤ - ٢٥)، والحكمة "الْعَصَا وَالتَّوْبِيخُ يُعْطِيَانِ حِكْمَةً وَالصَّبْرُ الْمُنْتَلَقُ إِلَى هَوَاهُ يُخْجِلُ أُمَّهُ" (أم ٢٩: ١٥)، وتهبه الطوبى "طُوبَى لِرَجُلٍ يُؤَدِّبُهُ اللَّهُ. فَلَا تَرْفُضُ تَأْدِيبَ الْقَدِيرِ. لِأَنَّهُ هُوَ يَجْرَحُ وَيَعْصِبُ. يَسْحَقُ وَيَدَاهُ تَشْفِيَانِ" (أى ٥: ١٧ - ١٨)، وتنقذه من الهاوية "لَا تَمْنَعِ التَّأْدِيبَ عَنِ الْوَلَدِ لِأَنَّكَ إِنْ ضَرَبْتَهُ بِعَصَا لَا يَمُوتَ. تَضْرِبُهُ أَنْتَ بِعَصَا فَتُنْقِذَ نَفْسَهُ مِنَ الْهَآوِيَةِ". (أم ٢٣: ١٣ - ١٤).

أمثله من تأديبات الله

حكمة الله فى التأديب تتضح من معاملات الله مع الكثيرين، كشعب إسرائيل الذى كثيراً ما حاد عن الرب فأدبهم بتسليمهم لأيدى أعدائهم "فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَدَفَعَهُمْ بِأَيْدِي نَاهِيَيْنَ نَهْبُوهُمْ، وَبَاعَهُمْ بِيَدِ أَعْدَائِهِمْ حَوْلَهُمْ، وَلَمْ يَقْدِرُوا بَعْدُ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ" (قض ٢: ١٤)، "فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَبَاعَهُمْ بِيَدِ كُوشَانَ رِشْعَتَايِمَ مَلِكِ أَرَامِ النَّهْرَيْنِ. فَعَبَدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ كُوشَانَ رِشْعَتَايِمَ ثَمَانِي سِنِينَ وَعَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ، فَشَدَّدَ الرَّبُّ عِجْلُونَ مَلِكَ مُوَابَ عَلَى إِسْرَائِيلَ، لِأَنَّهُمْ عَمِلُوا الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ" (قض ٣: ٨ - ١٢)، لكى ما تتذلل وتتسحق نفوسهم فيندمون ويصرخون إليه ومن ثمَّ يُخَلِّصَهُمْ وَيُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ "وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ، فَأَقَامَ الرَّبُّ مُخْلَصاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَخَلَّصَهُمْ. عُنْثِيئِيلَ بَنَ قَنَارَ أَخَا كَالِبَ الْأَصْغَرَ" (قض ٣: ٩)، "وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ، فَأَقَامَ لَهُمُ الرَّبُّ مُخْلَصاً إِيْهُودَ بَنَ جِيرَا الْبِنْيَامِينِيِّ، رَجُلًا أَعْسَرَ. فَأَرْسَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِيَدِهِ هَدِيَّةً لِعِجْلُونَ مَلِكِ مُوَابَ" (قض ٣: ١٥)، وهكذا كموسى الذى سمح له بسنوات هذه عددها فى الغربة بمديان لكى ما تتسحق نفسه فيشعر بضغفه و بِثِقَلِ فَمِهِ وَلِسَانِهِ" (خر ٤: ١٠) بعدما كان مُعْتَرِضاً بِقُوْتِهِ (خر ٢: ١٢)، وأخيراً كيعقوب الذى سمح له بأتعاب كثيرة تارة من عيسو أخيه وأخرى من لابان خاله وأخيرة من أبنائه لكى ما تتذلل نفسه شاعراً بضغفه وبعجزه قائلاً "أَيَّامُ سِنِي غُرْبَتِي مِئَةٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً. قَلِيلَةٌ وَرَدِيَّةٌ كَانَتْ أَيَّامُ سِنِي حَيَاتِي وَلَمْ تَبْلُغْ إِلَى أَيَّامِ سِنِي حَيَاةِ آبَائِي فِي أَيَّامِ غُرْبَتِهِمْ" (تك ٤٧: ٩).

الذى لم يزل مُتسائلاً

أما الذى لم يزل مُتسككاً مُتسائلاً عن تدبير الله للأحداث بهذا الطريق أو ذاك بعدما أشرنا بإيجاز لجوانب يسيرة جداً من حكمته الإلهية العالية لربما هو فى حاجة لسماع ما قاله الآباء والأنبياء عما اختبروه وعاینوه من تلك الحكمة الإلهية ومن ثمَّ أوجزوه لنا فى كلمات يسيرة توقى أسئلتنا وشكنا وضعف إيماننا منهم الجامعة الذى قال "حَيْثُ تَكُونُ كَلِمَةُ الْمَلِكِ فَهَئَاكَ سُلْطَانٌ. وَمَنْ يَقُولُ لَهُ: «مَاذَا تَفْعَلُ؟» (جا ٨: ٤)، "كَمَا أَنَّكَ لَسْتَ تَعْلَمُ مَا هِيَ طَرِيقُ الرِّيحِ وَلَا كَيْفَ الْعِظَامُ فِي بَطْنِ الْحَبْلِ كَذَلِكَ لَا تَعْلَمُ أَعْمَالُ اللَّهِ الَّذِي يَصْنَعُ الْجَمِيعَ" (جا ١١: ٥)، وأيوب الذى قال "فَاعِلُ عِظَائِمٍ لَا تُفْحَصُ وَعَجَائِبُ لَا تُعَدُّ. هُوَذَا يَمُرُّ عَلَيَّ وَلَا أَرَاهُ وَيَجْتَازُ فَلَا أَشْعُرُ بِهِ. إِذَا خَطَفَ فَمَنْ يَرُدُّهُ وَمَنْ يَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَفْعَلُ؟" (أى ٩: ١٠ - ١٢)، "هَا هَذِهِ أَطْرَافُ طُرُقِهِ وَمَا أَخْفَضَ الْكَلَامَ الَّذِي نَسْمَعُهُ مِنْهُ! وَأَمَّا رَعْدُ جَبَرُوتِهِ فَمَنْ يَفْهَمُ؟" (أى ٢٦: ١٤)، وأليهو القائل "لِمَاذَا تُخَاصِمُهُ؟ لِأَنَّ كُلَّ أُمُورِهِ لَا يُجَابِبُ عَنْهَا" (أى ٣٣: ١٣)، وأخيراً بولس الرسول فى قوله "بَلْ مَنْ أَنْتِ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الَّذِي تُجَاوِبُ اللَّهَ؟ أَلَعَلَّ الْجِبَلَةَ تَقُولُ لِحَابِلِيهَا: «لِمَاذَا صَنَعْتَنِي هَكَذَا؟» أَمْ لَيْسَ لِلْخَزَافِ سُلْطَانٌ عَلَى الطِّينِ أَنْ يَصْنَعَ مِنْ كُتْلَةٍ وَاحِدَةٍ إِنَاءً لِلْكَرَامَةِ وَآخَرَ لِلْهَوَانِ؟" (رو ٩: ٢٠ - ٢١).

٣) التسليم الكلى للمسيح

ثقة الإنسان التامة بضبط الله لكافة الأشياء والأحداث من ناحية وبحكمته اللامتناهية التى يعجز - أى الإنسان - عن محاولة إدراكها من ناحية أخرى يهبه تسليماً كاملاً له - أى لله - يُصير لسان حاله دائم اللهج والهيذ بالمبدأ الذى أعلنه البشير لوقا لما قال "سَلَّمْنَا فَصِرْنَا نُحْمَلُ" (أع ٢٧: ١٥)، ومن ثمَّ لا يَعدُّ يكتفى به مبدأً فى حادثه واحدة

كخطر الأمواج على سفينة لوقا وبولس (أع ٢٧: ١٤) بل يصير منهجاً لحياته كما كانت لغيره من الآباء والأنبياء الذين سبقوه وأعلنوا جدوى الاتكال الكلى على الله والتسليم الكامل له "لَا تَتَكَلَّوْا عَلَى الرُّؤْسَاءِ وَلَا عَلَى ابْنِ آدَمَ حَيْثُ لَا خَلَاصَ عِنْدَهُ. تَخْرُجْ رُوحُهُ فَيَعُودُ إِلَى تَرَابِهِ. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَفْسِهِ تَهْلِكُ أَفْكَارُهُ" (مز ١٤٦: ٣ - ٤)، "الِإِحْتِمَاءُ بِالرَّبِّ خَيْرٌ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى إِنْسَانٍ. الْإِحْتِمَاءُ بِالرَّبِّ خَيْرٌ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى الرُّؤْسَاءِ" (مز ١١٨: ٨ - ٩)،

ومتى أدرك الإنسان هذا التسليم بل بالحرى أدركه هذا التسليم الكلى لله لا يعود يفقد أمله ورجاءه فى الإله الذى أوصى بتسليم كافة تفاصيل الحياة له مُتَعَهِّدًا أن يُدَبِّرَ حياته "من أول السنة إلى آخرها"، وأن يحمه ممن تجنّدوا وتآمروا عليه "وَهَذِهِ تَكُونُ الضَّرْبَةُ الَّتِي يَضْرِبُ بِهَا الرَّبُّ كُلَّ الشُّعُوبِ الَّذِينَ تَجَنَّدُوا عَلَى أُورُشَلِيمَ. لَحْمُهُمْ يَذُوبُ وَهُمْ وَاقِفُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ وَعَيُونُهُمْ تَذُوبُ فِي أَوْقَابِهَا وَلِسَانُهُمْ يَذُوبُ فِي فَمِهِمْ. وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ اضْطِرَابًا عَظِيمًا مِنَ الرَّبِّ يَحْدُثُ فِيهِمْ فَيَمْسِكُ الرَّجُلُ بِيَدِ قَرِيبِهِ وَتَعْلُو يَدُهُ عَلَى يَدِ قَرِيبِهِ" (زك ١٤: ١٢ - ١٣)، ولا يعود شاعراً بخوف أو بقلق لأنه "يحتمى بظل جناحي" (مز ٥٧: ١) الإله القوى فى سلطانه "إلى أن تعبر المصائب" (مز ٥٧: ١)، بل يطفق مؤمناً أن "كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يُحِبُّونَ الله" (رو ٨: ٢٨) وهذا يؤول به إلى أن يتبع الرب كما تتبع الخراف راعيها وتعرف صوته وتسمعه (يو ١٠: ١٦)^(٦٤)، ولا يعود يطلب الانعزال بعيداً عن أتعاب الحياة بل يواجهها بشجاعة وثقة من يؤمن أن الرب الذى "يجلس على كرة الأرض" (إش ٤٠: ٢٢) والذى "يُعلِّقُ الأرض على لا شئ" (أى ٢٦: ٧) له كل الأرض وملؤها وله السلطان المطلق أن يسمح بأحداث أو أن يُعْطِلَهَا^(٦٥) وفقاً لمشيئته الخاصة وحكمته الصالحة التى يعجز الإنسان عن إدراك أحد أصاغرها وأوضحها ولذا يصرخ إليه كل يوم قائلاً "لتكن مشيئتك" (مت ٦: ١٠)، "لتكن لا إرادتى بل إرادتك" (لو ٢٢: ٤٢)^(٦٦).

الباب الثالث

حقاً ما أُرهب هذه اللحظة التى تفوق فى صعوبتها تلك التى يكتشف فيها أحد المسافرين أنه قطع طريقاً خاطئاً ليصل إلى هدفه، لأن ذاك المُسافر قد يرجع عن طريقه الخاطئ سالكاً الآخر الصحيح فيُدرك هدفه سالماً غانماً حتى وإن كان قد أهدر بعض الوقت، أمّا تلك اللحظة فلا يقدر المُسافر خلالها أن يرجع منها ليسلك طريقاً آخر لأنه يكون قد قطع كل الطريق الذى هو سنى حياته الأرضيّة "القليلة والردئية" (تك ٤٧ : ٩) والتى شبهها أيوب بالظل "لأننا نحن من أمس ولا نعلم لأن أيماننا على الأرض كظل" (أى ٨ : ٩)، ووصفها يعقوب بالبخار الذى "يَظْهَرُ قَلِيلاً ثُمَّ يَضْمَحِلُّ". (يع ٤ : ١٤)، والتى لا تزد عن سبعون سنة وإن كانت مع القوة فثمانون وأكثرها تعب وبلية لأنه تُقْرَضُ سريعاً فتطير" (مز ٩٠ : ١٠).

ذلك الإنسان الذى يدرك تلك اللحظة بل بالحرى تُدركه هى برهبتها لن تُعد له حُرِيّة الاختيار التى وهبها له الله - مُميّزاً إياه بها عن بقية المخلوقات الحيّة - ليختار الخير والبركة والحياة ويترك الشر واللعة والموت (تث ٣٠ : ١٩) بل تُحْتَمُّ عليه أن يجتاز، بغير إرادته، من أحد طريقين بحسبما سلك فى حياته أحدهما مكتوباً عليه "الحياة الأبديّة" (دا ١٢ : ٢)، والآخر عليه لافتته تقول "العار للزدرء الأبدي" (دا ١٢ : ٢)، فما أُرهبها لحظة!!!.

أمّا طلبنا بضرورة إعداد العُدّة لاجتياز تلك اللحظة المُرهبة مع أننا لم نقصد به بث روح الخوف الدائم والقلق المُستمر من الأحداث - التى يقتتص فيها رئيس هذا العالم أرواح من فيه ليُرْجَ بها فى سجن الهاوية فتواجه مصيرها المحتوم - استناداً على ضبط الله لكافتها وثِقَةً فى حكمته البعيدة عن الفحص والاستقصاء فى تدبيرها وتحويلها للخير حتى ولو كانت فى ذاتها شراً، إلا أننا به - أى بهذا الطلب - عنيّا أن نُحوّل هذا

الخوف الذى "بحسب مشيئة الشيطان" (٢كو ٧: ١٠) لِيَكُونَ مُقَدَّساً بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللَّهِ (٢كو ٧: ١٠) قال عنه مار بولس الرسول "فَإِذْ نَحْنُ عَالِمُونَ مَخَافَةَ الرَّبِّ نُنْفَعُ النَّاسَ" (٢كو ٥: ١١)، "أَلَا أَنْ أَفْرَحُ، لَا لِأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ، بَلْ لِأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ لِلتَّوْبَةِ. لِأَنَّكُمْ حَزِنْتُمْ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللَّهِ لِكَيْ لَا تَتَحَسَّرُوا مِنَّا فِي شَيْءٍ" (٢كو ٧: ٩).

مخافة الله وصية

من حيث كون تصوُّر قلب الإنسان شرير مُنْذُ حَدَاتِهِ وَمِنْ حَيْثُ أَنَّهُ صَارَ يَمِيلُ لِلْفَسَادِ وَالْخَطِيئَةِ "فَمَاذَا نَقُولُ؟ هَلِ النَّامُوسُ خَطِيئَةٌ؟ حَاشَا! بَلْ لَمْ أَعْرِفِ الْخَطِيئَةَ إِلَّا بِالنَّامُوسِ. فَإِنِّي لَمْ أَعْرِفِ الشَّهْوَةَ لَوْ لَمْ يَقُلِ النَّامُوسُ «لَا تَشْتَهَ». وَلَكِنَّ الْخَطِيئَةَ وَهِيَ مُتَّخِذَةٌ فُرْصَةً بِالْوَصِيَّةِ أَنْشَأَتْ فِي كُلِّ شَهْوَةٍ. لِأَنَّ بُدُونِ النَّامُوسِ الْخَطِيئَةُ مَيِّتَةٌ. أَمَّا أَنَا فَكُنْتُ بِدُونِ النَّامُوسِ عَائِشاً قَبْلاً. وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَتِ الْوَصِيَّةُ عَاشَتِ الْخَطِيئَةُ فَمِتُ أَنَا فَوُجِدَتِ الْوَصِيَّةُ الَّتِي لِلْحَيَاةِ هِيَ نَفْسُهَا لِي لِلْمَوْتِ. لِأَنَّ الْخَطِيئَةَ وَهِيَ مُتَّخِذَةٌ فُرْصَةً بِالْوَصِيَّةِ خَدَعَتْنِي بِهَا وَقَتَلَتْنِي. إِذَا النَّامُوسُ مُقَدَّسٌ وَالْوَصِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ وَعَادِلَةٌ وَصَالِحَةٌ. فَهَلْ صَارَ لِي الصَّالِحُ مَوْتاً؟ حَاشَا! بَلِ الْخَطِيئَةُ. لِكَيْ تَظْهَرَ خَطِيئَةُ مُنْشَأَةٍ لِي بِالصَّالِحِ مَوْتاً لِكَيْ تَصِيرَ الْخَطِيئَةُ خَاطِئَةً جِداً بِالْوَصِيَّةِ. فَإِنَّمَا نَعْلَمُ أَنَّ النَّامُوسَ رُوحِيَّ وَأَمَّا أَنَا فَجَسَدِي مَبِيعٌ تَحْتَ الْخَطِيئَةِ. لِأَنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ مَا أَنَا أَفْعَلُهُ إِذْ لَسْتُ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُهُ بَلْ مَا أَبْغِضُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. فَإِنْ كُنْتُ أَفْعَلُ مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِنِّي أَصَادِقُ النَّامُوسَ أَنَّهُ حَسَنٌ. فَالآنَ لَسْتُ بَعْدُ أَفْعَلُ ذَلِكَ أَنَا بَلِ الْخَطِيئَةُ السَّاكِنَةُ فِيَّ. فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ أَيَّ فِي جَسَدِي شَيْءٌ صَالِحٌ. لِأَنَّ الْإِرَادَةَ حَاضِرَةً عِنْدِي وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى فَلَسْتُ أَجِدُ. لِأَنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ الصَّالِحَ الَّذِي أُرِيدُهُ بَلِ الشَّرَّ الَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. فَإِنْ كُنْتُ مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ إِيَّاهُ أَفْعَلُ فَلَسْتُ بَعْدُ أَفْعَلُهُ أَنَا بَلِ الْخَطِيئَةُ السَّاكِنَةُ فِيَّ. إِذَا أَجِدُ النَّامُوسَ لِي حِينَمَا أُرِيدُ أَنْ

أَفْعَلَ الْحُسْنَى أَنَّ الشَّرَّ حَاضِرٌ عِنْدِي. فَإِنِّي أُسِّرُ بِنَامُوسِ اللَّهِ بِحَسَبِ الْإِنْسَانِ الْبَاطِنِ. وَلَكِنِّي أَرَى نَامُوساً آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيئَةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي. وَيَحْيِي أَنَا الْإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُقَدِّنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا الْمَوْتِ؟" (رو ٧: ٧ - ٢٤). جعل الله من مخافته اللجام الذي يُقَيِّدُ الْإِنْسَانَ عَنْ طَرِيقِ الشَّرِّ اسْتِنَاداً عَلَى خَوْفِهِ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي أَعْلَنَ عَنْهُ الْإِنْجِيلُ لِمَنْ لَا يَسْلُكُ حَسَبَ الرُّوحِ، وَمِنْ هُنَا جَاءَتِ الْوَصَايَا الْإِنْجِيلِيَّةُ تُلْزِمُ الْإِنْسَانَ بِمَخَافَةِ اللَّهِ "فِي مَخَافَةِ الرَّبِّ ثِقَّةٌ شَدِيدَةٌ وَيَكُونُ لِبَنِيهِ مُلْجَأٌ مَخَافَةُ الرَّبِّ يَنْبُوعُ حَيَاةٍ لِلْحَيَدَانِ عَنْ أَشْرَاكِ الْمَوْتِ" (أُم ١٤: ٢٦ - ٢٧)، "الْقَلِيلُ مَعَ مَخَافَةِ الرَّبِّ خَيْرٌ مِنْ كَنْزٍ عَظِيمٍ مَعَ هَمٍّ" (أُم ١٥: ١٦)، "مَخَافَةُ الرَّبِّ أَدَبٌ حِكْمَةٍ وَقَبْلَ الْكَرَامَةِ التَّوَاضُّعُ." (أُم ١٥: ٣٣)، "لَا يَحْسِدَنَّ قَلْبُكَ الْخَاطِئِينَ بَلْ كُنْ فِي مَخَافَةِ الرَّبِّ الْيَوْمَ كُلَّهُ" (أُم ٢٣: ١٧)، "قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ كُلَّ مَا يَعْمَلُهُ اللَّهُ أَنَّهُ يَكُونُ إِلَى الْأَبَدِ. لَا شَيْءٌ يُزَادُ عَلَيْهِ وَلَا شَيْءٌ يُنْقُصُ مِنْهُ وَأَنَّ اللَّهَ عَمِلَهُ حَتَّى يَخَافُوا أَمَامَهُ" (جا ٣: ١٤).

الخوف مرحلة أولية

على أن طلبنا بضرورة الاستعداد الدائم لمواجهة تلك اللحظة الصعبة لا يقف عن حد الخوف حتى ولو كان مقدساً بحسب مشيئة الله وحكمته وتدبيره، وإلا لشابهنا في ذلك آخرين يرتعبون من إلههم ويشكّون في قدرته على محبتهم، إنما يُعَدُّ خُطُوَةً أُولِيَّةً يَتَّبِعُهَا:

الاشتياق للقاء

من الطبيعي أن الإنسان لا يأنس لمن يعرف أنه يخافه ولا يكنّ له مشاعر المحبة الصادقة والحقيقية، أمّا الله الكلّي التواضع والذى أوصانا أن نتعلّم من وداعته وتواضع

قلبه فنجد راحة لنفوسنا (مت ١١ : ٢٩) جعل من مخافة الإنسان له - مع كونه لا تتعدى فى سمو مكانتها عن علاقة عبد بسيده - الدرجة أو بالحرى الخطوة الأولى التى تصل به لحالة المحبة الكاملة التى "تطرح الخوف إلى خارج" (يو ٤ : ١٨) فيصير فى اشتياق كامل ودائم لمُلاقاة من تُحبهُ نفسه ولسان حاله يقول مع عذراء النشيد "أنا لحبيبي وإليّ اشتياقه. تَعَالَ يَا حَبِيبِي لِنَخْرُجْ إِلَى الْحَقْلِ وَلْنَبْتَ فِي الْقَرْيِ" (نش ٧ : ١٠ - ١١) "يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ إِنْ وَجَدْتُنَّ حَبِيبِي أَنْ تُخْبِرُنَّهُ بِأَنِّي مَرِيضَةٌ حَبًّا." (نش ٥ : ٨)، ومن ثمَّ يوقن أن إستعداده لتلك اللحظة الحاسمة من تاريخ حياته الأرضية مع أنه بدأ بمهابته لها وتخوفه منها إلا أنه انتهى به إلى اشتياق مُستمر ومُلح للوصول إليها لمُلاقاة المحبوب (أف ١ : ٦)، بل ويصير هذا الاشتياق لتلك اللحظة يفوق فى شهوة انتظاره انتظار إبراهيم لابن الموعد إسحق (تك ٢١ : ٢)، وانتظار يعقوب لرؤية يوسف ابنه (تك ٤٥ : ٢٨)، وانتظار بني إسرائيل لخلاص الله لهم من عبودية المصريين (خر ٢ : ٢٣)^(٦٧).

درجة الاشتياق

ثمَّ إن كانت درجة الاشتياق لمُلاقاة شخصٍ ما فى لحظة مُعيَّنة تختلف تبعاً لاختلاف الشخص نفسه، فالذى ينتظر رؤية أحد أصدقائه يشتاق لتلك اللحظة بدرجة تختلف عن اشتياق آخر لرؤية أحد أفراد أسرته، وهكذا يتغيّر الاشتياق متى كان الشخص المُنتظر هو أحد قادة الكنيسة ورؤسائها، وكل من هؤلاء المُنتظرين المُشتاقين يَعُدُّ العدة ليصير مُستَعِدًّا لذلك اللقاء بما يتناسب وأهميّة الشخص المُنتظر، فكم بالحرى ينبغى أن يكون الإستعداد للشخص المُشتاق لرؤية يسوع المسيح الذى هو {جوهر بسيط غير مُتغيّر، والنور والبهاء هما من طبيعته}^(٦٨)، والذى {يُحيى الإنسان برويته فيكسبه إمكانية عدم الموت}^(٦٩)، والذى حينما يراه الإنسان {يتحقق من بطلان كل ما هو تحت الشمس،

وَيُدرِكُ بَعْدَ الأشياءِ الزائلةِ فى العالمِ عن الأشياءِ الثابتةِ الحقيقِيَّةِ التى فى العالمِ الآخرِ،
 وحينها يعرف حقائق الإيمان التى يتمتع بها وجمال وطهر ما تَمِدُّه به الكنيسة، وهكذا
 يرى فى طبيعة جسده البعث والقيامة العتيدة وسر التجسُّد الإلهى والميلاد العذراوى^(٧٠)،
 وَيُدرِكُ مجد الله مُمتلئاً يقيناً واتكالاً بلا فحص^(٧١)، وهكذا يتغيَّر إلى شبه مجده^(٧٢) كما
 أعلن الرسول بالروح القدس "أَيُّهَا الْأَحْيَاءُ، الْآنَ نَحْنُ أَوْلَادُ اللَّهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا
 سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهَرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لِأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ. وَكُلُّ مَنْ عِنْدَهُ هَذَا
 الرَّجَاءُ بِهِ، يُظْهَرُ نَفْسَهُ كَمَا هُوَ طَاهِرٌ" (١ يوح ٣: ٢ - ٣).

قال القديس يوحنا ذهبى الفم إلو حدث أن استدعانا مَلِكٌ من ملوك الأرض ورغب
 إلينا أن نخدم بين يديه . لَمَّا تَنصَلْنَا أو تأخَرْنَا البَتَّةَ عن تلبية دعوته بل لتركنا كل شئ
 وبادرنا بنشاط إلى الالتحاق به، فإن كان ملك الملوك ورب الأرباب يدعونا إلى خدمته
 السماوية فلنحترس بالتالى لئلا نستغفى من الخدمة بدافع التهاون والتوانى فنوجد بلا عذر
 فى يوم الدين}.

سبب الاشتياق للرب يسوع المسيح

أما عن أسباب ضرورة إعداد الإنسان للعدَّة، بكل ما أُوتِيَ من جُهد، للإستعداد للقاء
 الرب يسوع مُشتاقاً لِذَلكَ اللقاء فهى كثيرة، منها أنه:

* أحب الإنسان

مع أن محبة داود النبى لأبنير رئيس جيش شاول كانت عظيمة إلى درجة جعلته
 يبيكه "وَدَفَنُوا أَبْنِيرَ فِي حَبْرُونَ. وَرَفَعَ الْمَلِكُ صَوْتَهُ وَبَكَى عَلَى قَبْرِ أَبْنِيرَ، وَبَكَى جَمِيعُ
 الشَّعْبِ. وَرَثَا الْمَلِكُ أَبْنِيرَ وَقَالَ: «هَلْ كَمَوْتَ أَحْمَقَ يَمُوتُ أَبْنِيرُ؟ يَدَاكَ لَمْ تَكُونَا

مَرْبُوطَتَيْنِ، وَرَجُلَاكَ لَمْ تُوضَعَا فِي سَلْسِلِ نَحَاسٍ. كَالسُّفُوطِ أَمَامَ بَنِي الْإِثْمِ سَقَطْتَ». وَعَادَ جَمِيعُ الشَّعْبِ يَبْكُونَ عَلَيْهِ" (٢صم ٣: ٣٠ - ٣٤)، ذلك الفعل الذى حَسَنَ فى أعين الشعب (٢صم ٣: ٣٦) إذ رأوه لا يرثى فقط مَنْ كان يُحَارِبُهُ طَالِباً نَفْسَهُ بل وأيضاً يَنْذِرُ صَوْماً حِدَاداً مِنْ أَجْلِ مَوْتِهِ "وَجَاءَ جَمِيعُ الشَّعْبِ لِيُطْعِمُوا دَاوُدَ خُبْزاً، وَكَانَ بَعْدَ نَهَارٍ. فَحَلَفَ دَاوُدُ: هَكَذَا يَفْعَلُ لِي اللَّهُ وَهَكَذَا يَزِيدُ إِنْ كُنْتُ أَذُوقُ خُبْزاً أَوْ شَيْئاً آخَرَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ. فَعَرَفَ جَمِيعُ الشَّعْبِ وَحَسُنَ فِي أَعْيُنِهِمْ، كَمَا أَنَّ كُلَّ مَا صَنَعَ الْمَلِكُ كَانَ حَسَناً فِي أَعْيُنِ جَمِيعِ الشَّعْبِ" (٢صم ٣: ٣٥ - ٣٦)، إلا أنها لا تُقَاسُ بِأَيَّةِ مَقَائِيسَ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ الْكَامِلَةِ الَّتِي أَغْدَقَهَا عَلَى الْإِنْسَانِ الْخَاطِئِ "فَإِنَّهُ بِالْجَهْدِ يَمُوتُ أَحَدٌ لِأَجْلِ بَارٍّ. رُبَّمَا لِأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضاً أَنْ يَمُوتَ. وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ لَنَا لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدَ خُطَاةٍ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا" (رو ٥: ٧ - ٨) ليس فقط الذى يطفق ساعياً لِمَحَبَّتِهِ طَالِباً لِمَعْرِفَتِهِ بل وأيضاً الذى صار له عَدَوًّا (رو ٥: ١٠) فأصبح بلا مَسِيحٍ أَجْنَبِيًّا عَنْ رَعِيَّةِ إِسْرَائِيلَ غَرِيباً عَنْ عَهْدِ الْمَوْعِدِ لَا رَجَاءَ لَهُ وَبِلا إِلَهٍ فِي الْعَالَمِ (أف ٢: ١٢).

مَحَبَّةُ اللَّهِ كَامِلَةٌ

على أن محبة الله التى يشترك الإنسان لرؤيتها فى المسيح لها خصائص عِدَّة نابعة من طبيعته، فهى لا نهائية ولا حدود لها (يو ١٣: ١) إذ هو نفسه بلا بداية وبلا نهاية (عب ٧: ٣) ولا تغيير فيها ولا ظل دوران (يع ١: ١٧) - كما تقول الترتيلة ليا رب أنت وحدك ... تبقى وكلها تبديد، لا دوران ولا تغيير ... فيك يا سيدى المجيد { -، وهى كاملة (يو ١٣: ١) لا نقص فيها نابعة من كماله المطلق الذى أظهره فى قوله "كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل" (مت ٥: ٤٨)، وهى عامة وشاملة للعالم كُلُّهُ "لأنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ

بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ. لِأَنَّهُ لَمْ يُرْسَلِ اللَّهُ ابْنُهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينِ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمَ" (يو ٣: ١٦ - ١٧)، وَلِمَنْ فِيهِ مِنْ مُؤْمِنِينَ "اللَّهُ يَحِبُّ الصَّادِقِينَ" (مز ١٤٦: ٨)، وَغَيْرِ مُؤْمِنِينَ "وَلِي خِرَافٌ آخَرٌ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ، يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ أَيْضاً فَتَسْمَعَ صَوْتِي، وَتَكُونُ رَعِيَّةً وَاحِدَةً وَرَاعٍ وَاحِدٌ" (يو ١٠: ١٦)، وَمُقَاوِمِينَ "مُؤَدِّباً بِالْوَدَاعَةِ الْمُقَاوِمِينَ، عَسَى أَنْ يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ تَوْبَةً لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، فَيَسْتَقْبِلُوا مِنْ فَخِّ إِبْلِيسَ إِذْ قَدْ افْتَتَسَهُمْ لِإِرَادَتِهِ" (٢تى ٢: ٢٥ - ٢٦)، وَمُفْتَرِينَ "وَأَنْ تَكُونَ سِيرَتُكُمْ بَيْنَ الْأُمَمِ حَسَنَةً، لِكَيْ يَكُونُوا فِي مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ كِفَاعِلِي شَرٍّ يُمَجِّدُونَ اللَّهَ فِي يَوْمِ الْإِفْتِقَادِ، مِنْ أَجْلِ أَعْمَالِكُمُ الْحَسَنَةِ الَّتِي يُلَاحِظُونَهَا" (١بط ٢: ١٢)، وَغَيْرِ فَاهِمِينَ "يُجَدِّفُونَ عَلَى الْأَسْمِ الْحَسَنِ" (رو ٢: ٢٤)، وَهَكَذَا لِسَائِرِ أَعْضَاءِ الْكَنِيسَةِ "أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضاً الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِهَا"، (أف ٥: ٢٥) مَعَ اخْتِلَافٍ وَتَبَايُنٍ سُلُوكِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ تَائِبِينَ كَانُوا "بَرَّرَهُمْ بِدَمِهِ فَخَلَّصُوا مِنَ الْغَضَبِ" (رو ٥: ٩) وَغَيْرِ تَائِبِينَ يَتَأَنَّى عَلَيْهِمْ بَطُولُ أَنَاتِهِ وَبِسَعَةِ صَدْرِهِ وَعِظَمُ وَجْزِيلِ رَحْمَتِهِ لِكَيْ مَا يَجْتَذِبُهُمُ لِلتَّوْبَةِ "أَمْ تَسْتَهِينُ بِغَنَى لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنَاتِهِ غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللَّهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟ وَلَكِنَّكَ مِنْ أَجْلِ قَسَاوَتِكَ وَقَلْبِكَ غَيْرِ التَّائِبِ تَذَخَّرُ لِنَفْسِكَ غَضَباً فِي يَوْمِ الْغَضَبِ وَاسْتَعْلَانَ دَيْنُونَةِ اللَّهِ الْعَادِلَةِ" (رو ٢: ٤ - ٥).

ما بين محبة الله ومحبة الآباء

محبة الآباء لإبنائهم ناقصة تبدأ من اللحظة التي يلدون فيها هؤلاء الأبناء (يو ١٦: ٢١)، أَمَا قَبْلَهَا فَلَا يَحِبُّونَهُمْ إِذْ كَيْفَ يَحِبُّونَ أَشْخَاصاً لَمْ يَعْرِفُونَهُمْ بَعْدَ اللَّهْمِ إِلَّا مِنْ حَيْثُ كُونِهِمْ أَبْنَاءَ لَهُمْ يُفْتَرَضُ عَلَيْهِمْ بِدَافِعِ غَرِيزَةِ الْأُمُومَةِ وَالْأَبَوَةِ أَنْ يَكُونُوا لَهُمْ مِنَ الْمَحَبَةِ مَا وَهَبَهُمُ اللَّهُ، أَمَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي يَشْتَاقُ الْإِنْسَانَ لِرُؤْيَتِهِ فَمَحَبَّتُهُ عَجِيبَةٌ كَامِلَةٌ نَابِغَةٌ مِنْ

كونه عارفاً لكل شخص من قبل ولادته كقول الجامعة "كَمَا أَنَّكَ لَسْتَ تَعْلَمُ مَا هِيَ طَرِيقُ الرِّيحِ وَلَا كَيْفَ الْعِظَامِ فِي بَطْنِ الْحُبْلَى كَذَلِكَ لَا تَعْلَمُ أَعْمَالَ اللَّهِ الَّذِي يَصْنَعُ الْجَمِيعَ" (جا ١١ : ٥)، وهكذا كقول بولس الرسول "وَلَكِنْ لَمَّا سَرَّ اللَّهُ الَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لِأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الْأُمَمِ، لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْماً وَدَمًا" (غلا ١ : ١٥ - ١٦)، وكقول المسيح لنتنائيل "قَبْلَ أَنْ دَعَاكَ فِيلُبُّسُ، وَأَنْتَ تَحْتَ الثَّنِيَّةِ، رَأَيْتُكَ" (يو ١ : ٤٨)، كما أنها - أى محبته - تتبّع من كونه صاحب المبادرة بمشاعر المحبة "نَحْنُ نُحِبُّهُ لِأَنَّهُ هُوَ أَحَبُّنَا أَوَّلًا." (١يو ٤ : ١٩) "أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، إِنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ أَحَبَّنَا هَكَذَا، يَنْبَغِي لَنَا أَيْضًا أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا" (١يو ٤ : ١١).

محبة الآباء لأبنائهم ناقصة لها نقطة بداية هي اللحظة التي يلدونهم فيها إلى العالم، ولربما يكون لها نهاية ناتجة عن خصام أو تغيير مُعتَقَد فينقسم الأب على الإبن والإبن على الأب، الأم على البنت والبنت على الأم، والحماة على كَنَّتِها والكنّة على حماتها (لو ١٢ : ٥٣)، أمّا محبة الرب يسوع المسيح فلا بداية لها من حيث كونه يُحِبُّ الإنسان قبل أن يولد، ولا نهاية لها من حيث أنه يُحِبُّ الإنسان وإن كان ذاك الإنسان نفسه لا يُحِبُّه بل ويُقاومه، وهو لا يُحِبُّ الإنسان فقط من قبل ولادته مع معرفته بسلوكه بل وأيضاً جعله له ابناً "كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللَّهِ. وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ الْوَالِدَ يُحِبُّ الْمَوْلُودَ مِنْهُ أَيْضًا. بِهِذَا نَعْرِفُ أَنَّنا نُحِبُّ أَوْلَادَ اللَّهِ: إِذَا أَحْبَبْنَا اللَّهَ وَحَفِظْنَا وَصَايَاهُ" (١يو ٥ : ١ - ٢) "انْظُرُوا آيَةً مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الْآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلَادَ اللَّهِ! مِنْ أَجْلِ هَذَا لَا يَعْرِفُنَا الْعَالَمُ، لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُ" (١يو ٣ : ١)، "لَأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَتَقَادُونَ بِرُوحِ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ" (رو ٨ : ١٤)، وخاصةً "كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَكَوُنَ الْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ. إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ" (يو ١ : ١٠ - ١٢)، "هُوَذَا عَلَى كَفِّي تَقَشُّتُكَ. أَسْوَازِكَ أَمَامِي دَائِمًا" (إش ٤٩ : ١٦)، وَلِدَّةٌ كَرَّمَ رَبَّ الْجُنُودِ هُوَ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ وَغَرَسَ لِدَّتِهِ رِجَالُ يَهُودَا.

فَانْتَظَرَ حَقًّا فَإِذَا سَقُكُ دَمٍ وَعَدَلًا فَإِذَا صُرَاخٌ" (إش ٥: ٧)، "وَالآنَ هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ خَالِقُكَ يَا يَعْقُوبُ وَجَابِلُكَ يَا إِسْرَائِيلُ: لَا تَخَفْ لِأَنِّي فَدَيْتُكَ. دَعَوْتُكَ بِاسْمِكَ. أَنْتَ لِي" (إش ٤٣: ١)، "هَذَا الشَّعْبُ جَبَلْتُهُ لِنَفْسِي. يُحَدِّثُ بِتَسْبِيحِي". (إش ٤٣: ٢١)، "أَذْكُرُ هَذِهِ يَا يَعْقُوبُ يَا إِسْرَائِيلُ فَإِنَّكَ أَنْتَ عَبْدِي. قَدْ جَبَلْتُكَ. عَبْدٌ لِي أَنْتَ. يَا إِسْرَائِيلُ لَا تُنْسَى مِنِّي" (إش ٤٤: ٢١).

*أَسْلَمَ ذَاتَهُ مِنْ أَجْلِ الْإِنْسَانِ^(٧٣)

أقصى ما طمح إليه الإنسان من درجات المحبة حسب شريعة الله التي أعلنها لموسى النبی هي أن "يُحِبَّ قَرِيبَهُ وَيَبْغِضَ عَدُوَّهُ" (مت ٥: ٤٣)^(٧٤)، ثُمَّ تَدْرَجُ الرَّبُّ فِي مَلَأَ الزَّمَانَ (غل ٤: ٤) لِيَسْمُوَ بِفِكْرِ الْإِنْسَانِ إِلَى دَرَجَةِ أَعْلَى هِيَ أَنْ يُحِبَّ الْجَمِيعَ بِلَا إِسْتِنَاءٍ أَحِبَّاءَ كَانُوا أَوْ أَعْدَاءَ (مت ٦: ٤٤)، وَيُصَلِّيَ لَهُمْ وَيُبَارِكُهُمْ (مت ٥: ٤٤) لئلا يفوته الأجر الذي جُعِلَ لَهُ "لَأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمْ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطِّ فَأَيُّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هَكَذَا؟" (مت ٥: ٤٦ - ٤٧)، أَمَّا يَسُوعُ صَاحِبُ الْمَحَبَّةِ الْكَامِلَةِ الْبَازِلَةِ وَالَّذِي أَعْلَنَ أَنَّهُ "أَلَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ." (يو ١٥: ١٣) لَمْ يُحِبَّ الْإِنْسَانَ فَقَطْ بَلْ وَأَيْضًا أَسْلَمَ ذَاتَهُ لِأَجْلِهِ "أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِهَا"، (أف ٥: ٢٥)، "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الْآنَ فِي الْجَسَدِ فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الْإِيمَانِ، إِيْمَانِ ابْنِ اللَّهِ، الَّذِي أَحْبَبَنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِي". (غل ٢: ٢٠)، "مُنْتَظَرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكِ وَظُهُورَ مَجْدِ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَمُخْلَصِينَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ"، (١: ٢: ١٣)، وَهُوَ لَمْ يَبْذُلْ نَفْسَهُ لِأَجْلِ الْبَارِ الَّذِي بِالْجُهِدِ يَمُوتُ آخِرَ لَأَجْلِهِ (رو ٥: ٧) بَلْ وَمِنْ أَجْلِ الْخَطَاةِ "بِالْجُهِدِ

يَمُوتُ أَحَدٌ لِأَجْلِ بَارٍّ. رُبَّمَا لِأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضاً أَنْ يَمُوتَ. وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيَّنَّ مَحَبَّتَهُ لَنَا لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا" (رو ٥ : ٧ - ٨)، وذلك لأجل أن يُخَلِّصَهُمْ بِلاَ أعمالٍ فى بر عملوها بل بمقتضى رحمته (تى ٣ : ٥)، ويُقِيمَهُمْ من موت الخطيَّة (رو ٧ : ١١) لِيُجْلِسَهُمْ معه فى السماويات (أف ٢ : ٦).

على أن الاشتياق المُلِحَّ للقاء الرب ليس فقط لأنه قَبِلَ أن يُسَلِّمَ نفسه لأجل خلاص الإنسان بل أيضاً لأنه مع كونه بهاء مجد الآب ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته (عب ١ : ٣) ومع كونه "أَسَسَ الْأَرْضَ. أَثْبَتَ السَّمَاوَاتِ بِالْفَهْمِ. وَبِعِلْمِهِ انْشَقَّتِ اللَّجْجُ وَتَقَطَّرُ السَّحَابُ نَدًى" (أم ٣ : ١٩ - ٢٠) قَبِلَ ليس فقط أن يُخْلِى ذاته من مجد الألوهة أَخِذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس (فى ٢ : ٧) بل وأيضاً أن يوصَفَ ببعض الصفات التى يأنف الإنسان الذى هو "كَالْحُلْمِ يَطِيرُ فَلَا يُوجَدُ وَيُطْرَدُ كَطَيْفِ اللَّيْلِ. عَيْنٌ أَبْصَرَتْهُ لَا تَعُودُ تَرَاهُ وَمَكَانُهُ لَنْ يَرَاهُ بَعْدُ" (أى ٢٠ : ٨ - ٩)، والذى "يُخْرِجُ كَالزَّهْرِ ثُمَّ يَذْوِي وَيَبْرَحُ كَالظَّلِّ وَلَا يَقِفُ" (أى ١٤ : ٢) من أن يوصَفَ بها، منها أنه يتعامل مع بعزبول "أَمَّا الْفَرِيسِيُّونَ فَلَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «هَذَا لَا يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ إِلَّا بِبِعْزَبُولَ رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ» (مت ١٢ : ٢٤)، وأنه أَكُولُ وَشَرِيبُ خَمَرٍ "جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فَيَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشَرِيبُ خَمَرٍ، مُحِبٌّ لِلْعَشَارِينَ وَالْخُطَاةِ. وَالْحِكْمَةُ تَبَرَّرَتْ مِنْ بَنِيهَا". (مت ١١ : ١٩)، وأنه محب للعشارين والزناة "وَكَانَ جَمِيعُ الْعَشَارِينَ وَالْخُطَاةِ يَذْنُونَ مِنْهُ لِيَسْمَعُوهُ. فَتَدَمَّرَ الْفَرِيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ قَائِلِينَ: «هَذَا يَقْبَلُ خُطَاةً وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ!» (لو ١٥ : ١ - ٢)، وأنه مُضِلٌّ "وَفِي الْغَدِ الَّذِي بَعْدَ الْإِسْتِعْدَادِ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِيسِيُّونَ إِلَى بِيلاطُسَ قَائِلِينَ: يَا سَيِّدُ، قَدْ تَذَكَّرْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْمُضِلَّ قَالَ وَهُوَ حَيٌّ: إِنِّي بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَفُومُ" (مت ٢٧ : ٦٢ - ٦٣)، وأنه خطيئة "لَأَنَّهُ مَا كَانَ النَّامُوسُ عَاجِزاً عَنْهُ فِي مَا كَانَ ضَعِيفاً بِالْجَسَدِ فَاللَّهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيئَةِ وَلِأَجْلِ الْخَطِيئَةِ دَانَ الْخَطِيئَةَ فِي الْجَسَدِ" (رو ٨ : ٣)، بل وَقَبِلَ وهو القدوس الذى لا عيب ولا دنس أن يحمل

خطايا الإنسان مُنْذُ إِبْتِدَاءِ الْخَلِيقَةِ وَحَتَّى نَهَايَتِهَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ (ابط ٢: ٢٤) تلك - أى الخطايا - التى يَسْتَكْفِى هو نفسه - أى الإنسان - من أن يتذكرها مع أنه هو عينه وبكامل إرادته قد ارتكبها، وأن يصير كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل خطايا العالم كله (١ يو ٢: ٢) حتى إنه من فرط كثرتها وبشاعتها وندسها على نفسه القدوسة الوديعَة صار عرقه كقطرات دم (لو ٢٢: ٤٤) وطفق يطلب أن يُجيز عنه الآب هذه الساعة (لو ٢٢: ٤٢) ^(٧٥).

{لِذَا قَلَمَّا أُحِيلَ يَسُوعَ رَسْمِيًّا إِلَى السَّنْهَرَيْنِ مِنْ قَبْلِ حَنانٍ فَأَصْبَحَ تَحْتَ رِئَاسَةِ قِيَافَا، حَاولَ قِيَافَا مُحَاولَةً حَنانٍ فِي ابْتِزَازِ أَجُوبَةٍ مِنَ الْمَسِيحِ مِنْ أَى نَوْعٍ، فَلَمْ يَكُنْ نَصِيْبِهِ أَوْفَرَ إِذْ لَجَأَ الْمَسِيحُ إِلَى الصَّمْتِ إِزَاءَ كُلِّ الْأَسْئَلَةِ، وَلَيْسَ هَذَا غَرِيبًا بَعْدَمَا وَضَحَ مِنْ صَلَاتِهِ فِي جَسِيمَانِي أَنَّهُ قَبْلَ أَنْ يَشْرَبَ الْكَأْسَ حَسَبَ مَشِئَةِ الْآبِ، وَلَمْ تَكُنْ الْكَأْسُ إِلَّا خَطَايَا الْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ، فَهَا الْابْنُ يُسْأَلُ ظَاهِرِيًّا عَنْ خَطَايَاهُ فَلَمْ يَرُدِّ إِطْلَاقًا لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ خَطِيئَةٌ وَلَا وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ، أَمَّا هُوَ فَاحْتَسِبَ أَمَامَ الْآبِ السَّمَاءِيِّ أَنَّ كُلَّ مَا سُئِلَ عَنْهُ مِنْ أَخْطَاءٍ وَخَطَايَا هُوَ أَقَلُّ كَثِيرًا مِمَّا ارْتَضَى أَنْ يَحْمِلَهُ، فَكَانَ رَدُّهُ الدَّاخِلِيُّ مُنْتَهَى الرِّضَا وَالسَّرُورِ بِهَذِهِ الْاِتِّهَامَاتِ الصَّحِيحَةِ وَالْمُزَوَّرَةِ لَكِي مَا يَصْدُرُ الْحُكْمُ الْأَخِيرُ بِأَنَّهُ نَظِيرُ الْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ خَاطِئٍ وَمُذْنِبٍ أَمَامَ اللَّهِ وَالنَّاسِ} ^(٧٦)

{حَقًّا هُوَ - أَى الْمَسِيحُ - السَّيِّدُ وَنَحْنُ عِبِيدُهُ، هُوَ الرَّاعِي وَنَحْنُ غَنَمٌ تَحْتَ يَدَيْهِ، هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ الْآبِ نَوْرٌ مِنْ نَوْرٍ وَلَكِنْ نَحْنُ خَلِيقَتُهُ، مَاتَ عَنَّا نَحْنُ الْخُطَاةُ وَأَسْلَمَ ذَاتَهُ عَنَّا عَلَى خَشَبَةِ الصَّلِيبِ لِيُنْعِمَ لَنَا بِمَلَكُوتِهِ، مَا كَانَ الْعَبِيدُ مُلْتَزِمِينَ أَنْ يَمُوتُوا عَنْ سَيِّدِهِمْ، أَمَّا هُوَ السَّيِّدُ فَقَدْ اسْتَهَانَ بِالْخَزَى وَمَاتَ عَنْ عِبِيدِهِ كَيْ حَسْبَمَا مَاتَ هُوَ يَمُوتُونَ هُمْ مَعَهُ وَكَمَا هُوَ حَيٌّ فَهُمْ أَيْضًا يَحْيَوْنَ} ^(٧٧).

ما بين تضحية الله وتضحية الآباء

قد يجترئ الآباء على إعلان أنهم على استعداد تام وكامل لبذل أجسادهم وأرواحهم فدى أبنائهم وهم فى ذلك على بينة من الصواب متى اتفق هؤلاء الأبناء معهم فى المشيئة والإرادة والمعتقد، لكنهم - أى الأبناء - متى خالفوهم فى واحد من أوامرهم ونواهيهم قد ينقلبون عليهم - مثلما أعلن الرب فى قوله "جِئْتُ لِأُلْقِيَ نَاراً عَلَى الْأَرْضِ، فَمَاذَا أُرِيدُ لَوْ اضْطَرَمْتُ؟ وَلِي صِبْغَةٌ أَصْطَبِغُهَا، وَكَيْفَ أَنْحَصِرُ حَتَّى تُكْمَلَ؟ أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لِأَعْطِيَ سَلاماً عَلَى الْأَرْضِ؟ كَلَّا، أَقُولُ لَكُمْ: بَلِ انْفِصَاماً. لِأَنَّهُ يَكُونُ مِنَ الْآنَ خَمْسَةٌ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مُنْقَسِمِينَ: ثَلَاثَةٌ عَلَى اثْنَيْنِ، وَاثْنَانِ عَلَى ثَلَاثَةٍ. يَنْقَسِمُ الْأَبُ عَلَى الْإِبْنِ، وَالْإِبْنُ عَلَى الْأَبِ وَالْأُمُّ عَلَى الْبِنْتِ، وَالْبِنْتُ عَلَى الْأُمِّ، وَالْحَمَاءُ عَلَى كَنَنِيهَا، وَالْكَنَنُ عَلَى حَمَاتِهَا" (لو ١٢: ٤٩ - ٥٣)، "وَسَوْفَ تُسَلِّمُونَ مِنَ الْوَالِدِينَ وَالْإِخْوَةِ وَالْأَقْرِبَاءِ وَالْأَصْدِقَاءِ وَيَقْتُلُونَ مِنْكُمْ" (لو ٢١: ١٦) - مُشْتَكِينَ عَلَيْهِمْ بَدَلاً مِنْ فِدَائِهِمْ وَحِمَايَتِهِمْ^(٧٨)، الأمر الذى يذكره الإنجيل المُقَدَّس فى سفر الملوك الثانى عن إحدى الأمهات ضَحَّت بوليدها فطبخته لتأكل وتحيا فى أيام اشتداد المجاعة "وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ بَنَهْدَ مَلِكٍ أَرَامَ جَمَعَ كُلَّ جَيْشِهِ وَصَعِدَ فَحَاصَرَ السَّامِرَةَ. وَكَانَ جُوعٌ شَدِيدٌ فِي السَّامِرَةِ. وَهُمْ حَاصَرُوهَا حَتَّى صَارَ رَأْسُ الْحِمَارِ بَنَمَانِينَ مِنَ الْفِضَّةِ وَرُبْعُ الْقَابِ مِنْ زَبْلِ الْحَمَامِ بِخَمْسٍ مِنَ الْفِضَّةِ. وَبَيْنَمَا كَانَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ جَائِزاً عَلَى السُّورِ صَرَخَتِ امْرَأَةٌ إِلَيْهِ: «خَلِّصْ يَا سَيِّدِي الْمَلِكَ». فَقَالَ: «لَا! يُخَلِّصُكَ الرَّبُّ. مِنْ أَيْنَ أَخَلِّصُكَ؟ أَمِنْ الْبَيْدَرِ أَوْ مِنَ الْمِعْصَرَةِ؟» ثُمَّ قَالَ لَهَا الْمَلِكُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَتْ: «هَذِهِ الْمَرْأَةُ قَالَتْ لِي: هَاتِي ابْنَكَ فَتَأْكُلْهُ الْيَوْمَ ثُمَّ نَأْكُلْ ابْنِي غَداً. فَسَلَقْنَا ابْنِي وَكَلْنَاهُ. ثُمَّ قُلْتُ لَهَا فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ: هَاتِي ابْنَكَ فَتَأْكُلْهُ فَخَبَّاتِ ابْنَهَا» (٢مل ٦: ٢٤ - ٢٩).

أما يسوع المسيح إلهنا الكلى الحنان والمحبة فقد ارتضى بكامل إرادته ومشيبته أن يبذل نفسه عن الخطاة "البار من أجل الأثمة"، فما أعظمها تضحية لأن الإله القدوس يبذل حياته البشرية مائتاً بالجسد من أجل العبيد الخطاة والذين فى أكثر الأحوال يكونون معاندين له ومقاومين لإيمانه ولخلاصه.

* وهب الحياة للإنسان^(٧٩)

دائماً وأبداً ما يتناسب مقدار الشكر وحجم العطية المقدّمة، فكم وكم لو كانت العطية هى الحياة عينها فى شخص الرب يسوع الذى هو مصدر الحياة "فإنّ الحياة أظهرت، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا" (١ يو ١: ٢)، بل ورئيسها "ورئيس الحياة قتلتموه الذي أقامه الله من الأموات ونحن شهود لذلك" (أع ٣: ١٥)، والذى وهب الإنسان تلك العطية مجاناً بنعمته (أف ٢: ٥) لما أعطاه جسده ودمه الكريمين ليحيا بهما إلى الأبد "أنا هو الخبز الحى الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" (يو ٦: ٥١)، "هذا هو الخبز الذي نزل من السماء. ليس كما أكل آباؤكم المنّ وماتوا. من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد" (يو ٦: ٥٨) - ومن ثمّ فمتى تناولهما يُصعده - أى الله - من الهاوية ويُنجيه من الهابطين فى الجُب (مز ٣٠: ٣)، ويُنقذ نفسه من الموت وعينيه من الدموع ورجليه من الزلل (مز ١١٦: ٨)، وهكذا يُقيمه معه ليجلس فى السماويات (أف ٢: ٦).

على أن الرب لا يكتفى بأن يُقدّم هبة الحياة للإنسان مجاناً بل إنه أيضاً لا يستغنى ولا يفتر أن يلح عليه متى كان رافضاً لها فيظل يقرع على الباب عسى أن ذلك الراض يتحنن فيفتح ليناى الحياة الأبدية المقدّمة له من الإله، قال الأب أنتونى كونياريى (بينما

نستطيع أن نرفض فتح الباب، هناك شئ واحد لا نستطيعه، ألا وهو التخلص من يسوع، إنه يبقى هو الرب الذى لا يمكن الهروب منه، تماماً كنبضات قلوبنا التى لا يمكن الهروب منها، وقال ديتريك بونهوفر لـ يسوع واقف على الباب ويقرع ... يطلب منك المساعدة فى صورة شحاذ ... فى صورة إنسان فقير مُحَطَّم بملابس رثة، إنه يُقابلك فى كل إنسان تراه.

* يرفع الإنسان

رعاية الرب يسوع للإنسان من "البداية إلى النهاية" (جا ٣ : ١١)، ومن "أول السنة إلى آخرها" (تث ١١ : ١٢)، ومن يوم ولادته إلى لحظة مفارقة روحه لجسده بدرجة تفوق فى تصوُّرها تلك التى أعلن فيها قائلاً "أليس عُصْفُورَانِ يُباعَانِ بِفَلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لَا يَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَحَتَّى شَعُورُ رُؤُوسِكُمْ جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ. فَلَا تَخَافُوا! أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ" (مت ١٠ : ٢٩ - ٣١) ، "لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لَا تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلَا لِأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتْ الْحَيَاةُ أَفْضَلُ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلُ مِنَ اللِّبَاسِ؟ أَنْظَرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لَا تَزْرَعُ وَلَا تَحْصُدُ وَلَا تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبْوَكُمْ السَّمَاءِيُّ يَقُوْنَهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلُ مِنْهَا؟ وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعاً وَاحِدَةً؟ وَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِاللِّبَاسِ؟ تَأْمَلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لَا تَتْعَبُ وَلَا تَغْزُلُ. وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ وَلَا سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا. فَإِنْ كَانَ عَشْبُ الْحَقْلِ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ وَيَطْرَحُ غِداً فِي التَّنُّورِ، يُلْبَسُهُ اللَّهُ هَكَذَا، أَفَلَيْسَ بِالْحَرِيِّ جِداً يَلْبَسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الْإِيمَانِ؟" (مت ٦ : ٢٥ - ٣٠)، هو من بين ما يجعل الإنسان فى اشتياقٍ وحنينٍ لرؤية ذاك الذى كان يرعاه فلا يُعوْزه شئ (مز ٢٣ : ١)، والذى أعلن إنه "الراعى الصالح" (يو ١٠ : ١١) الذى يبذل نفسه عن

الخراف (يو ١٠ : ١١)، والذي قال "أَنَا أَرْعَى غَنَمِي وَأَرْضُهَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَأَطْلُبُ الضَّالَّ، وَأَسْتَرِدُّ الْمَطْرُودَ، وَأَجْبِرُ الْكَسِيرَ، وَأَعْصِبُ الْجَرِيحَ، وَأُبِيدُ السَّمِينَ وَالْفَقِيَّ، وَأَرْعَاهَا بَعْدَلٍ" (حز ٣٤ : ١٥ - ١٦).

ما بين حماية الله وحماية الإنسان

فلا يوجد من كل الآباء والأجداد والأصدقاء من يقدر أن يرعى ذويهم فلا يعوزهم شيء مثلما يرعاهم الرب يسوع، ولا يوجد من بينهم من يبذل نفسه عن حب كما عمل يسوع ولا أيضاً من يجتهد في طلب الضال والمطروود ولا من يسعى لجبر الكسير وعصب الجريح مثل الرب الذي "يتضايق في كل ضيق المتضايقين (إش ٦٣ : ٩) ويهبهم من فيض تعزياته" كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك بالمسيح تكثر تعزياتنا أيضاً" (٢ كو ١ : ٥)، والذي لا ينسى أي إنسان مريض كان يصرخ من فرط مرارة وحدته "ليس لى إنسان" (يو ٥ : ٧)، "تَكْهَيْتِي مَكْرُوهَةً عِنْدَ امْرَأَتِي وَمُنْتَنَةً عِنْدَ أَبْنَاءِ أَحْسَائِي الْأَوْلَادُ أَيْضاً قَدْ رَذَلُونِي. إِذَا قُمتُ يَتَكَلَّمُونَ عَلَيَّ" (أى ١٩ : ١٧ - ١٨)، أو مظلوماً صار مرفوضاً ومنبوذاً من إخوته ومن أقاربه "أَمَّا إِخْوَانِي فَقَدْ غَدَرُوا مِثْلَ الْغَدِيرِ. مِثْلَ سَاقِيَةِ الْوُدَيَانِ يَعْزُبُونَ" (أى ٦ : ١٥)، "قَدْ أَبْعَدَ عَنِّي إِخْوَتِي. وَمَعَارِفِي زَاغُوا عَنِّي" (أى ١٩ : ١٣)، "أَقَارِبِي قَدْ خَذَلُونِي وَالَّذِينَ عَرَفُونِي نَسُونِي" (أى ١٩ : ١٤)، أو فقيراً صار مُبْغَضاً من الجميع "كُلُّ إِخْوَةِ الْفَقِيرِ يُبْغِضُونَهُ فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَصْدِقَاؤُهُ يَتَّبَعُدُونَ عَنْهُ! مَنْ يَتَّبَعُ أَقْوَالاً فَهِيَ لَهُ" (أم ١٩ : ٧)، أو حتى رضيعاً نسيته أمه "هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها، حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك" (إش ٤٩ : ١٥)، بل وطبخته "أَيَّادِي النِّسَاءِ الْحَنَائِنِ طَبَخَتْ أَوْلَادَهُنَّ. صَارُوا طَعَاماً لَهُنَّ فِي سَحْقٍ بِنْتِ شَعْبِي" (مراثى ٤ : ١٠).

أما يسوع فقد صار "مسحوقاً لأجل آثامنا" (إش ٥٣ : ٥) مُسلماً إرادته للآب الذى سُرَّ أن يسحقه بالحُزن (إش ٥٣ : ١٠) لكى ما يُبطل الخطيَّة بذبيحة نفسه (عب ٩ : ٢٦) ويحملها فى جسده على الخشبة (عب ٩ : ٢٨) لكى ما "يُقَدِّسنا بتقديم جسده مرَّة واحدة (عب ١٠ : ١٠)، ففاق بذلك فى رعايته كل رعاية يُظهِرها الإنسان تجاه ذويه وأحبائه مؤكِّداً الإعلان الإلهى الصادق القائل "إِنْ كُنْتُمْ لَا تَقْدِرُونَ وَلَا عَلَى الْأَصْغَرِ فَلَمَّاذَا تَهْتَمُونَ بِالْبَوَاقِي" (لو ١٢ : ٢٦)، تقول قصة أن أحد المسيحيين الصينيين وكان قائداً لحركة التبشير الصينية قد رُجَّ به فى السجن على إثر كِرارته وتبشيره باسم المسيح، وفى إحدى الليالى رفض زُملاؤه فى السجن أن يستبقوه معهم فى زنزانتهم الدافئة إمعاناً فى إذلاله، فأخرجوه منها شبه عارٍ وهم يستهزئون به قائلين طالما أنك تؤمن باللهك فلماذا لا تُصلى إليه لكى يحفظك دافئاً، كانت الدقائق الأولى للرياح الباردة تمزق جسده كالسكاكين، فصرخ إلى الرب طالباً الرحمة، وإذ به يشعر بدفع إلى الدرجة التى بدأ فيها جسده يتصبب عرقاً، وبدأ الثلج يذوب تحت قدميه بسبب الحرارة المُنبعثَة من جسمه، فنادى على زُملائه فى الزنزانة ليروه وإذ نظروهم لم يُصدِّقوا عيونهم حيثُ كان البُخار يتصاعد من جسده ويذيب الثلوج من حوله}.

* يحمى الإنسان

حماية الإنسان لآخر محدودة إذ هى مُرتبطة بقوة الأول الذى "لا يقدر ولا على الأصغر" (لو ١٢ : ٢٦) والذى هو "كالعشب الذى لَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ عَلَيْهِ بَيَسَ فَسَقَطَ زَهْرُهُ وَفَنَى جَمَالَ مَنْظَرِهِ (يع ١ : ١١)، والذى هو أيضاً كالتبن قُدَّامَ الرِّيحِ وكالعصافَة التى تسوقها الزوبعة (أى ٢١ : ١٨)، وكالقش اليابس (أى ١٣ : ٢٥)، وكالنفخة (أى ٧ : ١٦) وكالبُخار (يع ٤ : ١٤)، ومُرتبطة أيضاً بمدى استجابته للآخر المُحتاج للحماية وقد لا

يُظْهِرُ مِيلًا للاستجابة كصديق نصف الليل الذى كان مُضْطَجِعًا مع أولاده فى الفراش ويرفض ازعاج المُحتاج للأرغفة (لو ١١ : ٧)، وأخيراً فهمى - أى حماية الإنسان لآخر - مُرتبطة بطلب الشخص المُحتاج لِحِماية نفسه وقد لا يطلب إمّا لِشكّه فى قُدرة الأول وإرادته على حمايته^(٨٠)، أو لِتَهاونه فيُشابهه الكسلان الذى لا ينفَع آخرون "كَالْخَلِّ لِلْأَسْتَنانِ وَكَالْذُّخَانِ لِلْعَيْنَيْنِ كَذَلِكَ الْكَسْلَانُ لِلَّذِينَ أَرْسَلُوهُ" (أم ١٠ : ٢٦)، والذى "يُخْفِي يَدَهُ فِي الصَّحْفَةِ وَيَشْتَقُّ عَلَيْهِ أَنْ يَزِدَّهَا إِلَى فَمِهِ" (أم ٢٦ : ١٥)، والذى لا يحِثُّ بِحُجَّةِ إِتْيَانِ الشِّتَاءِ (أم ٢٠ : ٤) فينال الفقر المدقع "الْمُسْتَعْلُ بِأَرْضِهِ يَشْبَعُ خُبْرًا وَتَابِعُ الْبَطَالِينِ يَشْبَعُ فَقْرًا." (أم ٢٨ : ١٩)، "الْعَامِلُ بِيَدٍ رَخْوَةٍ يَفْتَقِرُ" (أم ١٠ : ٤)، "يَدُ الْمُجْتَهِدِينَ تَسُودُ أَمَّا الرِّخْوَةُ فَتَكُونُ تَحْتَ الْجُزْيَةِ" (أم ١٢ : ٢٤).

أما الرب يسوع المسيح فلا يحمى ويحفظ فقط الإنسان الذى دعاه ليطلبه "فِي يَوْمٍ دَعَوْتُكَ أَجَبْتَنِي" (مز ١٣٨ : ٣)، "إِلَى الْآنَ لَمْ تَطْلُبُوا شَيْئًا بِاسْمِي. اَطْلُبُوا تَأْخَذُوا، لِيَكُونَ فَرْحُكُمْ كَامِلًا" (يو ١٦ : ٢٤)، "إِنْ ثَبُتُمْ فِيَّ وَثَبَتَ كَلَامِي فِيكُمْ تَطْلُبُونَ مَا تُرِيدُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ" (يو ١٥ : ٧)، ولا يحمى ويحفظ فقط الذين لا يطلبونه إمّا لِنُومٍ وَلِنُعَاسٍ لَّأنه "لا ينعس ولا ينام" (مز ١٢١ : ٤)، أو لانشغالٍ عن الطلب لَّأنه "يُنَجِّى الْإِنْسَانَ مِنْ فَخِ الصَّيَادِ وَمِنْ الْوَبْأِ الْخَطِرِ وَيُظَلِّلُهُ بِأَجْنَحَتِهِ فَلَا يَخْشَى مِنْ خَوْفِ اللَّيْلِ وَلَا مِنْ سَهْمِ يَطِيرِ فِي النَّهَارِ وَلَا مِنْ أَمْرِ يَسْلُكُ فِي الظُّلْمَةِ وَلَا مِنْ سَقْطَةِ وَشَيْطَانِ الظَّهِيرَةِ" (مز ٩١ : ٣ - ٦)، لَكِنَّهُ يَحْمِي وَيَحْفَظُ حَتَّى الْإِنْسَانَ الَّذِي لَا يَشْعُرُ بِحَاجَتِهِ لِلْحِمَايَةِ وَبِالْتَّالِي لَا يَطْلُبُهَا^(٨١)، كَخَلَاصِهِ لِأَدَمَ وَحَوَاءَ (تك ٣ : ١٥) وَلِكُلِّ ذُرِّيَّتَهُمَا دُونَ أَنْ يَطْلُبَا، وَكَمِثَاقِهِ الَّذِي أَتَمَّهُ مَعَ الْإِنْسَانَ وَكَافَةِ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ بِعَلَامَةِ قَوْسٍ قَزَحٍ فِي السَّمَاءِ لِكِي لَا تَهْلِكَ الْأَرْضُ بِمِيَاهِ الْأَمْطَارِ "أَقِيمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ فَلَا يَنْقَرِضُ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَيْضًا بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ. وَلَا يَكُونُ أَيْضًا طُوفَانٌ لِيُخْرِبَ الْأَرْضَ. وَقَالَ اللَّهُ: هَذِهِ عَلَامَةُ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَنَا وَاصِعُهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ كُلِّ ذَوَاتِ الْأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ إِلَى أَجْيَالِ الدَّهْرِ: وَضَعْتُ قَوْسِي

فِي السَّحَابِ فَتَكُونُ عَلَامَةً مِيثَاقٍ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَرْضِ" (تك ٩: ١١ - ١٣)، وكحمايته ليعقوب من لابان "وَأَتَى اللَّهُ إِلَى لَابَانَ الْأَرَامِيِّ فِي حُلُمِ اللَّيْلِ وَقَالَ لَهُ: «اِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تُكَلِّمَ يَعْقُوبَ بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ»." (تك ٣١: ٢٤)، وكاعتناؤه بفقراء الأرض وغربائها مثلما قال لموسى النبي "وَعِنْدَمَا تَحْصِدُونَ حَصِيدَ أَرْضِكُمْ لَا تُكْمَلْ زَوَايَا حَقْلِكَ فِي الْحَصَادِ. وَلَقَاطَ حَصِيدِكَ لَا تَلْتَقِطْ. وَكَرْمَكَ لَا تُعْلَلْهُ وَنِتَارَ كَرْمِكَ لَا تَلْتَقِطْ. لِلْمَسْكِينِ وَالْغَرِيبِ تَتْرُكُهُ. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ" (لا ١٩: ٩ - ١٠)، "إِذَا حَصَدْتَ حَصِيدَكَ فِي حَقْلِكَ وَنَسِيتَ حُرْمَةً فِي الْحَقْلِ فَلَا تَرْجِعْ لِتَأْخُذَهَا. لِلْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ تَكُونُ لِتُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ فِي كُلِّ عَمَلٍ يَدِيكَ وَإِذَا حَبَطْتَ زَيْتُونَكَ فَلَا تُرَاجِعِ الْأَغْصَانِ وَرَاعَكَ. لِلْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ يَكُونُ. إِذَا قَطَعْتَ كَرْمَكَ فَلَا تُعْلَلْهُ وَرَاعَكَ. لِلْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ يَكُونُ. وَاذْكُرْ أَنَّكَ كُنْتَ عَبْدًا فِي أَرْضِ مِصْرَ. لِذَلِكَ أَنَا أُوصِيكَ أَنْ تَعْمَلَ هَذَا الْأَمْرَ." (تث ٢٤: ١٩ - ٢٢)، وكحمايته حتى لبلعام بن بعور إذ كشف عن عينيه فرأى ملاك الرب يعترض طريقه بسيف مسلول قائلاً له "وَلَوْ لَمْ تَمَلْ مِنْ قُدَامِي لَكُنْتُ الْآنَ قَدْ قَتَلْتُكَ وَاسْتَبَقَيْتُهَا" (عد ٢٢: ٣٣)، وكحمايته لإيليا عند نهر كريث "انْطَلِقْ مِنْ هُنَا وَاتَّجِهْ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَاخْتَبِئْ عِنْدَ نَهْرِ كَرِيثِ الَّذِي هُوَ مُقَابِلُ الْأُرْدُنِّ، فَتَشْرَبَ مِنَ النَّهْرِ. وَقَدْ أَمَرْتُ الْغُرَبَانَ أَنْ تَعُولَكَ هُنَاكَ." (امل ١٧: ٣ - ٤)، وفي البرية "ثُمَّ سَارَ فِي الْبَرِّيَّةِ مَسِيرَةَ يَوْمٍ، حَتَّى أَتَى وَجَلَسَ تَحْتَ رَتَمَةٍ وَطَلَبَ الْمَوْتَ لِنَفْسِهِ، وَقَالَ: «قَدْ كَفَى الْآنَ يَا رَبُّ! خُذْ نَفْسِي لِأَنِّي لَسْتُ خَيْرًا مِنْ آبَائِي!» وَاضْطَجَعَ وَنَامَ تَحْتَ الرَتَمَةِ. وَإِذَا بِمَلَاكِ قَدْ مَسَّهُ وَقَالَ: «قُمْ وَكُلْ». فَتَطَلَّعَ وَإِذَا كَعَكَةٌ رَضْفٍ وَكُوزٌ مَاءٍ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ ثُمَّ رَجَعَ فَاضْطَجَعَ. ثُمَّ عَادَ مَلَاكَ الرَّبِّ ثَانِيَةً فَمَسَّهُ وَقَالَ: «قُمْ وَكُلْ لِأَنَّ الْمَسَافَةَ كَثِيرَةٌ عَلَيْكَ». فَقَامَ وَأَكَلَ وَشَرِبَ، وَسَارَ بِقُوَّةِ تِلْكَ الْأَكْلَةِ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً إِلَى جَبَلِ اللَّهِ حُورِيبَ" (امل ١٩: ٤ - ٨)، وأخيراً كحمايته للرعية من أيدي الرعاة غير الأمناء "هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هُنَذَا عَلَى الرُّعَاةِ

وَأُطْلِبُ غَنَمِي مِنْ يَدِهِمْ، وَأَكْفُهُمْ عَنْ رَعِي الْعَنَمِ، وَلَا يَرَعَى الرُّعَاةُ أَنْفُسَهُمْ بَعْدُ، فَأُخْلَصُ
غَنَمِي مِنْ أَفْوَاهِهِمْ فَلَا تَكُونُ لَهُمْ مَأْكَلًا". (حز ٣٤: ١٠).

سلوك المُشتاق

اشتياق الإنسان للقاء الرب يسوع المسيح الذى أحبه وأسلم ذاته لأجله وخلصه ووهبه الحياة ولا يزال راعياً له وحامياً يجعله يجتهد فى حفظ وصاياه ليثبت محبته له - أى للرب - لأنه قال "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ"، (يو ١٤: ١٥)، "الَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي، وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي، وَأَنَا أُحِبُّهُ، وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي" (يو ١٤: ٢١)، "إِنْ حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ تَتَبُنُّونَ فِي مَحَبَّتِي، كَمَا أَنِّي أَنَا قَدْ حَفِظْتُ وَصَايَا أَبِي وَأُثْبِتُ فِي مَحَبَّتِهِ" (يو ١٥: ١٠)، ومع أن وصاياه كثيرة ومتعددة جاءت تناسباً وتلائم كل فئة ونوع من حيث جنسه - ذكراً كان أم أنثى - ومن حيث مكانته أو درجته الاجتماعية - عبداً كان أم سيداً - ومن حيث ثقافته العلمية - جاهلاً كان أم متعلماً - ^(٨٢)، إلا أن وصيته الوحيدة التى لم يَخْصُ بها فئة مُعَيَّنة بل أوجبها على الجميع بلا استثناء هى ضرورة استعداد الإنسان الدائم "فَكُونُوا أَنْتُمْ إِذَا مُسْتَعِدِّينَ، لِأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لَا تَتَّظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الْإِنْسَانِ" (لو ١٢: ٤٠)، ولزوم سهره المُسْتَمِر ^(٨٣) "إِسْهَرُوا إِذَا لَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ يَأْتِي رَبُّكُمْ". (مت ٢٤: ٤٢)، "امْكُثُوا هَهُنَا وَاسْهَرُوا مَعِي" (مت ٢٦: ٣٨)، "إِسْهَرُوا إِذَا، لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَتَى يَأْتِي رَبُّ الْبَيْتِ، أَمْسَاءً، أَمْ نِصْفَ اللَّيْلِ، أَمْ صِبَاخَ الدِّيكِ، أَمْ صَبَاحًا" (مر ١٣: ٣٥) لكى ما يحذر من إبليس الذى يجول كأسد زائرٍ مُلْتَمِساً من يبتلعه (١بط ٥: ٨) ومن ثم ينال الطوبى التى نالها العبيد الذين جاء سيدهم فوجدتهم ساهرين (لو ١٢: ٣٦-٣٧)، ولا يُعَاتَبُ ممن كان يشتهي أن يلقاه - أى يسوع المسيح - لأنه لم يقدر أن يسهر معه ساعة واحدة (مت ٢٦: ٤٠ - ٤١).

فإن لم يسلك الإنسان بهذا الاستعداد الدائم وذاك السهر المُستمر اشتياقاً لمن أحبه وأسلم ذاته لأجله وخلصه ووهبه الحياة ولا يفتر أن يرقاه ويحفظه - مع أن واحدة من هذه العطايا لو قُدِّر لها أن تُقدِّم من إنسانٍ لآخر لجعلت ذاك الآخر عبداً لمن قدمها له رغم كونها محدودة قد تنتهي سريعاً وتزول - فليس أقل من أن يَتِمَّه - أى هذا الاستعداد وذاك السهر - بدافع البصيرة التى أتى الرب وأعطانا إياها (١٠: ٢٠) والحكمة التى صرنا فيها بالمسيح يسوع (١ كو ١: ٣٠)، والتى هى خير من الذهب والفضة "قِنْيَةُ الْحِكْمَةِ كَمْ هِيَ خَيْرٌ مِنَ الذَّهَبِ وَقِنْيَةُ الْفَهْمِ تُخْتَارُ عَلَى الْفِضَّةِ" (أم ١٦: ١٦) لأنها متى دخلت قلب الإنسان تحفظه وتتصره وتُقَدِّه من طريق الشرير ومن الإنسان المُتَكَلِّم بالأكاذيب (أم ٢: ١٠ - ١١)، وبها يُبنى البيت وتمتلئ المخادع من كل ثروة كريمة (أم ٢٤: ٣ - ٥)، وبواسطتها يَعُدُّ الإنسان العُدَّةَ لعملٍ أساسٍ ثابتٍ لِحَيَاةٍ لا تنتهى فى الأبدية "مُدْخِرِينَ لَأَنْفُسِهِمْ أَسَاساً حَسَناً لِلْمُسْتَقْبَلِ، لِكَيْ يُمَسْكُوا بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ." (١ تي ٦: ١٩)، وبها ينال العقل الراجح الذى به يكتشف أن استعداداته الدائم وسهره المُستمر هو الحل الوحيد لاجتياز الموت كإعلان الرب الذى قال فيه "وَأَمَّا ذَلِكَ الْعَبْدُ الَّذِي يَعْلَمُ إِرَادَةَ سَيِّدِهِ وَلَا يَسْتَعِدُّ وَلَا يَفْعَلُ بِحَسَبِ إِرَادَتِهِ، فَيُضْرَبُ كَثِيراً" (لو ١٢: ٤٧)، فإن أغفل هذا الحل الوحيد الذى ينفعه فى تلك اللحظة المرهبة فلا يُطَوَّب كوكيل الظلم الذى بحكمة استغل الفرصة المُقدَّمة إليه (لو ١٦: ٣) بل قد يسمع عتاب أليفاز التيمانى "هَلْ يَنْفَعُ الْإِنْسَانُ اللَّهُ؟ بَلْ يَنْفَعُ نَفْسَهُ الْفِطْنُ" (أى ٢٢: ٢) إذ يصير كيهودا الذى لم يستغل فرصة اختباره ومُعَايِنَتِهِ لِقَبُولِ الرَّبِّ لِلخُطَاةِ وَالزُّنَاةِ وَالْعَشَارِينَ التَّائِبِينَ^(٨٤)، فلما أخطأ ببيعه لِلْمُخْلَصِ تَشَكَّكَ فى قبوله فمضى وخنق نفسه (مت ٢٧: ٥)، أو أنه يُشابه طالباً يُدْرِك تمام الإدراك أن الحل الوحيد لاجتيازهِ لأحد الامتحانات أن يحفظ مُجَرَّدَ جُمْلَةٍ واحدة واضحة وسهلة ولا يجتهد لحفظها فينطبق عليه قول الجامعة "مَنْ يُخْطِئُ عَنِّي يَضُرُّ

نَفْسُهُ. كُلُّ مُبْغِضِيَّ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ. " (أُم ٨ : ٣٦)، "الزَّارِعُ إِنَّمَا يَحْصُدُ بَلِيَّةً وَعَصَا سَخَطِهِ
تَفَنَّى" (أُم ٢٢ : ٨)، "مَنْ ارْتَدَّى بِالْكَلِمَةِ يُخْرِبُ نَفْسَهُ" (أُم ١٣ : ١٣).

†

الباب الرابع

كيف يكون الاستعداد والسهر

أوصى الرب بضرورة استعداد الإنسان الدائم ولزوم سهره المُستمر لاجتياز تلك اللحظة المُرهبة في ذلك اليوم الرهيب - الذى نقول عنه فى قطع الخدمة الأولى والثانية لصلاة نصف الليل {تفهمي يا نفسى ذلك اليوم الرهيب واستيقظي وأضيئي مصباحك بزيت البهجة}، {إذا ما تظننت فى كثرة أعمالى الرديئة ويأتى على نفسى تلك الدينونة الرهيبة تأخذنى رعدة فأهرب إليك يا الله مُحِب البشر} - تارة بفمه القدوس وأخرى بأفواه أنبيائه ورُسُله القديسين، لكنَّهُ لم يتركها وصايا مُجرّدة بلا روح ولا قوّة بل ملأها من روحه القدوس فصار لها من الروح والقوّة بما يكفى لإقناع البشر، ثُمَّ أَنَّهُ أكملها وأتمّها بأمثلة عمليّة توكّد وصيته وتُعطيها المصادقيّة والفعاليّة للذين لم يزلوا مُقسّين قلوبهم - ولسان حالهم يقول "هُوَذَا يَمُرُّ عَلَيَّ وَلَا أَرَاهُ وَبَجْتَأُ فَلَا أَشْعُرُ بِهِ" (أى ٩: ١١) فيشابهون بذلك الذين أصابتهم ضربات الله الأخيرة لنخس قلوبهم وضمايرهم ف "جَدُّوْا عَلَى إِلَهِ السَّمَاءِ مِنْ أَوْجَاعِهِمْ وَمِنْ قُرُوجِهِمْ، وَلَمْ يَتُوبُوا عَنْ أَعْمَالِهِمْ" (رؤ ١٦: ١١) - فَطَوَّبَ الْعَبْدَ الْأَمِينُ وَالْحَكِيمُ الَّذِي أَقَامَهُ سَيِّدُهُ عَلَى خَدَمِهِ لِيُعْطِيَهُمُ الطَّعَامَ فِي حِينِهِ فَلَمَّا رَجَعَ وَجَدَهُ يَفْعَلُ هَكَذَا (مت ٢٤: ٤٥-٤٦)، ومن الناحية الأخرى أدان الذى لم يتوقّع سرعة مجيئه فلم يستعد لتلك اللحظة الحرجة (مت ٢٤: ٤٨-٤٩)، ثُمَّ وفى مثل العشر عذارى طَوَّبَ الْمُسْتَعِدَّاتُ بِالزَّيْتِ (مت ٢٥: ٤) وَأَدْخَلَهُنَّ عُرْسُهُ (مت ٢٥: ١٠)، وَأَدَانَ اللَّاتِي لَمْ يَتَوَقَّعَنَّ تَأَخَّرَهُ فَلَمْ يَأْخُذَنَّ زَيْتًا إِضَافِيًّا (مت ٢٥: ٩).

وكما سلك الرب عاملاً بما يُعَلِّمُ بِهِ "الْكَلَامُ الْأَوَّلُ أَنْشَأْتُهُ يَا ثَاوْفِيلُسُ عَنْ جَمِيعِ مَا ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَفْعَلُهُ وَيُعَلِّمُ بِهِ" (أع ١: ١)، "مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهَذَا يُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ

السَّمَاوَاتِ" (مت ٥ : ١٩)، سلك تلاميذه أيضاً ورُسُلُهُ، فبولس الرسول الذى أوصى بضرورة الاستعداد فى قوله "مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلَاةٍ وَطَلِبَةٍ كُلِّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ، وَسَاهِرِينَ لِهَذَا بَعَيْنِهِ بِكُلِّ مُوَظَبَةٍ وَطَلِبَةٍ، لِأَجْلِ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ"، (أف ٦ : ١٨) قال لفيلكس الوالى "لِذَلِكَ أَنَا أَيْضاً أُدْرِبُ نَفْسِي لِيَكُونَ لِي دَائِماً ضَمِيرٌ بِلَا عَثْرَةٍ مِنْ تَحْوِ اللَّهِ وَالنَّاسِ" (أع ٢٤ : ١٦)، وقال لتلميذه تيموثاوس "قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الْإِيمَانَ" (٢تى ٤ : ٧)، وطبعاً جهاده كان يُعَبِّرُ عن استعدادٍ دائمٍ سلك به حتى لحظة انطلاقه ليكون مع المسيح (فى ١ : ٢٣)، وبطرس الرسول الذى أوصى قائلاً "اصْحُوا وَاسْهَرُوا لِأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَانِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِساً مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ" (١بط ٥ : ٨) قال "عَالِماً أَنَّ خَلْعَ مَسْكَنِي قَرِيبٌ كَمَا أَعْلَنَ لِي رَبُّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ أَيْضاً. فَأَجْتَهِدُ أَيْضاً أَنْ تَكُونُوا بَعْدَ خُرُوجِي تَتَذَكَّرُونَ كُلَّ حِينٍ بِهَذِهِ" (٢بط ١ : ١٤ - ١٥)، وطبيعى أن جهاده كان مدعاة أن "يصير بلا عيب وبلا دنس" (٢بط ٣ : ١٤) فى ذلك اليوم الرهيب.

ومع أن وصية الرب بها قوة - هى قوة الروح العامل فيها وبها - تقدر أن تحفظ الإنسان "مَنْهَجُ الْمُسْتَقِيمِينَ الْحَيَاةُ عَنِ الشَّرِّ. حَافِظُ نَفْسِهِ حَافِظُ طَرِيقِهِ" (أم ١٦ : ١٧)، ونُضِيَّ له طريقه "لِأَنَّ الْوَصِيَّةَ مِصْبَاحٌ وَالشَّرِيعَةُ نُورٌ وَتَوْبِيخَاتِ الْأَدَبِ طَرِيقُ الْحَيَاةِ." (أم ٦ : ٢٣)، "وَصَايَا الرَّبِّ مُسْتَقِيمَةٌ تُفَرِّحُ الْقُلُوبَ. أَمْرُ الرَّبِّ طَاهِرٌ يُبَيِّرُ الْعَيْنَيْنِ" (مز ١٩ : ٨)، وتُسْفِيه لأنها "دواء لِكُلِّ الْجَسَدِ" (أم ٤ : ٢٢)، وتُحْيِيهِ "احفظ وصاياى فتحيا" (أم ٤ : ٤)، "يَا ابْنِي أَصْنَعْ إِلَى كَلَامِي. أَمَلْ أذْنَكَ إِلَى أَقْوَالِي. لَا تَبْرَحْ عَنْ عَيْنَيْكَ. احْفَظْهَا فِي وَسْطِ قَلْبِكَ. لِأَنَّهَا هِيَ حَيَاةٌ لِلَّذِينَ يَجِدُونَهَا وَدَوَاءٌ لِكُلِّ الْجَسَدِ" (أم ٤ : ٢٠ - ٢٢)، إلا أن الرب أوضح للإنسان طريقاً عملياً ذا خطوات عِدَّة لإتمام ذلك الاستعداد ومن ثمَّ يصير أهلاً لِلِقَائِهِ على سحاب السماء بقوة وبمجد كثير" (مت ٢٤ : ٣٠)، أما هذه الخطوات فهي:

*النبات فى الرب

إن كانت ذبيحة الرب على خشبة الصليب هى ذبيحة الحب حتى أنه احتمل العار والخزى "من أجل السرور الموضوع أمامه" (عب ١٢ : ٢)، وهو أوصى قائلاً "انْبُتُوا فِي مَحَبَّتِي. إِنَّ حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ تَنْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي، كَمَا أَنِّي أَنَا قَدْ حَفِظْتُ وَصَايَا أَبِي وَأَنْبُتُ فِي مَحَبَّتِهِ" (يو ١٥ : ٩ - ١٠) يكون بدء ثبات الإنسان فى يسوع إثباتاً لِمَحَبَّتِهِ هو تناوله من جسده ودمه الأقدسين كإعلانه الواضح "مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَنْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ" (يو ٦ : ٥٦) وذلك لكى لا يصير مُتَعَدِّياً غير ثابتٍ فى تعليم المسيح (٢يو ٩) بل تكون له "ثقة ولا يخجل منه فى مجيئه" (٢يو ٢ : ٢٨).

ولمّا كان من منطقيّة بلوغ الإنسان لواحدٍ من أهدافه أن يَنْبُتَ عند درجة مُعَيَّنة لكى ما إذا أصابه التوفيق فتقدم فى طريقه إلى هدفه يرتفع ويزد عما وصل إليه لئلا يكون كمن يهبط ثم يصعد ثم يرجع ليهبط فلا يتحرك من مكانه، نقول إن ثبات الإنسان فى المسيح لا ينتهى عند حد تناوله من جسده ودمه الكريمين كوصيته (يو ٦ : ٥٦)^(٨٥) بل منه - أى من هذا السر - يبدأ طريق الملكوت، ذلك لأن إتمامه لهذا السر العظيم فى معناه وفحواه وقوته يجتذبه لإدراك كافة تعاليم الرب ووصاياه تلك التى تتألف معاً لتزده نباتاً ورسوخاً فيه.

فحينما يَتَقَدَّم الإنسان لتناول جسد الرب ودمه يتذكّر محبة يسوع العجيبة والفريدة التى أحب بها الخُطاة الذين صاروا بخطيتهم له أعداء "لَأَنَّهُ هُوَ سَلَامٌ، الَّذِي جَعَلَ الْاِثْنَيْنِ وَاحِداً، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاحِ الْمُتَوَسِّطِ أَيْ الْعَدَاوَةِ. مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الْاِثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَاناً وَاحِداً جَدِيداً، صَانِعاً سَلَاماً، وَيُصَالِحَ الْاِثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللَّهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلًا الْعَدَاوَةَ بِهِ" (أف ٢ : ١٤ - ١٦)، فتأسره هذه المحبة لِيُحِبَّ الجميع بلا استثناء الأحباء منهم (مت ٥ : ٤٦) والأعداء (مت ٥ : ٤٤)،

الأقرباء (مت ٥ : ٤٣) والغُرباء (لو ١٠ : ٣٣ - ٣٧)، وإذ يترأى له بذل يسوع وتضحيته من أجل الكنيسة (أف ٥ : ٢٥) يطفِق مُجتهداً أن يُقدِّم ذاته عِوضَ أحبابه مُتماً بذلك ما أعلنه الرب "لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ" (يو ١٥ : ١٣)، وهكذا وإذ يتضح أمامه بأجلى بيان مدى إتضاع الرب الذى "إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللَّهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَانِسان، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ مَوْتِ الصَّلِيبِ" (فى ٢ : ٦ - ٨) يشعُر بضآلته وتفاوته إذ وهو "التراب والرماد" (تك ١٨ : ٢٧)، و "البُخار" (يع ٤ : ١٤)، والثوب "الذى يأكله العث" (أى ١٣ : ٢٨)، والتبن "الموضوع قُدام الريح والعصافة التى تسوقها الزوبعة" (أى ٢١ : ١٨)، والحلم "الذى يطير فلا يوجد" (أى ٢٠ : ٨ - ٩) لا يقدر أن يجحد ذاته، ويُنكر نفسه ويتنازل عن كرامته ودرجته.

هكذا فحال نفس وقفته أمام الذبيحة المقدسة المُزَمَّع تتاولها لِثَعْطِهِ {طهارة لنفسه ولجسده ولروحهِ}^(٨٦) يتذكَّر مغفرة الرب الكاملة وغير المشروطة للخُطاه فيعتريه الخجل لعدم قُدرته على المغفرة لآخرين لم يُخْطِئُوا إِلَيْهِ بِأَكْثَرِ مما أخطأ هو أمام المسيح الذى هو - أى المسيح - مُزَمَّعاً أَنْ يَهَبَهُ الْمَغْفِرَةُ وَالْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ بِمَنْحِهِ جِسْدَهُ وَدَمَهُ الْأَقْدَسِينَ^(٨٧)، ومن ثَمَّ يَقْدَمُ - وَلَوْ تَغَصُّباً - عَلَى إِتِمَامِ وَصِيَةِ الرَّبِّ الْقَائِلَةِ "فَإِنَّهُ إِنْ عَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلَّاتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمْ السَّمَاوِيَّ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلَّاتِهِمْ، لَا يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضاً زَلَّاتِكُمْ" (مت ٦ : ١٤ - ١٥)، بل وَيُسْرِعُ أَيْضاً لِمُصَالَحَةِ الَّذِينَ لَهُمْ عَلَيْهِ شَيْءٌ (مت ٥ : ٢٣)، وَلِمُعَاتَبَةِ الَّذِينَ أَخْطَأُوا إِلَيْهِ (مت ١٨ : ١٥) رَغْبَةً مِنْهُ فِي مُسَالَمَةِ الْجَمِيعِ كَوْصِيَةِ الرَّبِّ بِلِسَانِ رَسُولِهِ "إِنْ كَانَ مُمَكِّناً فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ" (رو ١٢ : ١٨)، ثُمَّ حَيْثُ أَنْ هَذَا الْمُقَدِّمُ عَلَى تَنَاوُلِ جِسْدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ يَتَذَكَّرُ عِظَمَ الْعَطِيَّةِ الَّتِي قَدَّمَهَا الْآبُ لِلْبَشَرِيَّةِ "إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيئَةِ وَلِأَجْلِ الْخَطِيئَةِ دَانَ الْخَطِيئَةَ فِي الْجَسَدِ" (رو

٨: ٣) لا يَفْتَرُ أَنْ يُقَدِّمَ عَطَايَاهُ وَإِحْسَانَاتِهِ لِفُقَرَاءِ الْأَرْضِ لَكِي مَا "يُحْسِنُ إِلَى نَفْسِهِ" (أَم ١١: ١٧) فَيُطَوِّبُهُ الرَّبُّ (أَم ١٤: ٢١)، وَيُنَالُ الْمَجْدَ السَّمَاوِيَّ (أَم ١٤: ٣١ - ٣٢).

أمام الذبيحة الإلهية قد يتذكَّر الإنسان أيضاً مدى اهتمام المسيح بالعذراء مريم وهو فى عَمَقِ الْآلَامِ النَّفْسِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ وَالْجَسَدِيَّةِ^(٨٨) فَيَنْتَبِهَ لِيُتِمَّمَ وَصَايَاهُ الَّتِي كَثِيرًا مَا أَخْفَقَ فِي إِتِمَامِهَا كَالَّتِي قَالَهَا لِمُوسَى عَلَى الْجَبَلِ "أَكْرِمَ أَبَاكَ وَأُمُّكَ كَمَا أَوْصَاكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ لِتَطُولَ أَيَّامُكَ وَلِيَكُونَ لَكَ خَيْرٌ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ" (تث ٥: ١٦)، وَكَالَّتِي قَالَهَا بِالرُّوحِ بِلِسَانِ بُولَسَ الرُّسُولِ "إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَعْنَتِي بِخَاصَّتِهِ، وَلَا سَيِّمًا أَهْلَ بَيْتِهِ، فَقَدْ أَنْكَرَ الْإِيمَانَ، وَهُوَ شَرٌّ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ." (١تى ٥: ٨)، "أَكْرِمِ الْأَرَامِلَ اللَّوَاتِي هُنَّ بِالْحَقِيقَةِ أَرَامِلُ. وَلَكِنْ إِنْ كَانَتْ أَرْمَلَةٌ لَهَا أَوْلَادٌ أَوْ حَفَدَةٌ، فَلْيَتَعَلَّمُوا أَوَّلًا أَنْ يُوقَرُوا أَهْلَ بَيْتِهِمْ وَيُوفُوا وَالِدَيْهِمُ الْمُكَافَأَةَ، لِأَنَّ هَذَا صَالِحٌ وَمَقْبُولٌ أَمَامَ اللَّهِ" (١تى ٥: ٣ - ٤)، وَقَدْ يَتَذَكَّرُ أَيْضًا عَدَمَ إِدَانَةِ الرَّبِّ لَا لِلصِّ الِيمِينِ الَّذِي كَانَ يُعَيِّرُهُ مَعَ الصِّ الْآخَرِ، وَلَا لِلْيَهُودِ فَلَا يَعِدُ يَدِينُ إِنْسَانًا مَهْمَا كَانَ مُتِمِّمًا بِهَذَا الْوَصَايَا الْإِلَهِيَّةِ الْأَمْرَةَ بَعْدَ الْإِدَانَةِ إِمَّا مِنْ فَمِ الرَّبِّ مُبَاشَرَةً "لَا تَدِينُوا فَلَا تُدَانُوا" (مت ٧: ١)، أَوْ مِنْ فَمِ رُسُلِهِ الْقَدِيسِينَ وَتَلَامِيذِهِ الْأَطْهَارِ "لَا يَذُمُّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ. الَّذِي يَذُمُّ أَخَاهُ وَيَدِينُ أَخَاهُ يَذُمُّ النَّامُوسَ وَيَدِينُ النَّامُوسَ. وَإِنْ كُنْتَ تَدِينُ النَّامُوسَ فَلَسْتَ عَامِلًا بِالنَّامُوسِ، بَلْ دِينَائًا لَهُ. وَاحِدٌ هُوَ وَاضِعُ النَّامُوسِ، الْقَادِرُ أَنْ يُخَلِّصَ وَيُهْلِكَ. فَمَنْ أَنْتَ يَا مَنْ تَدِينُ غَيْرَكَ؟" (يع ٤: ١١ - ١٢)، وَأَخِيرًا فَقَدْ يَتَذَكَّرُ تَسْلِيمَ الْابْنِ التَّامِّ لِمَشِيئَةِ الْآبِ تِلْكَ الَّتِي وَضَحْتَ مِنْ قَوْلِهِ "يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيرَ عَلَيَّ هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لِيَكُنْ لَا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ" (لو ٢٢: ٤٢)^(٨٩) فَيُطْفِقُ مُسَلِّمًا إِرَادَتَهُ وَمَشِيئَتَهُ وَكَافَةً تَفَاصِيلَ حَيَاتِهِ لِلرَّبِّ وَلِسَانِ حَالِهِ يَقُولُ مَعَ مَارِ لُوقَا الْبَشِيرِ "سَلَّمْنَا فَصَرْنَا نُحْمَلُ" (أع ٢٧: ١٥).

كُلُّ وَصِيَّةٍ مِنْ هَذِهِ الْوَصَايَا بِهَا قُوَّةٌ تَقْدِرُ أَنْ تُدَافِعَ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي فِيهَا^(٩٠) وَالْإِنْسَانَ مَتَى أُنْمَتْهَا يَغْتَرِفُ مِنْ قُوَّةِ كُلِّ مِنْهَا عَلَى حِدَةٍ فَيَثْبُتَ بِأَكْثَرِ فِي الرَّبِّ الَّذِي بَدَأَ مُحَاوَلَةَ

الثبوت فيه بتناوله من جسده ودمه الأقدسين فانهى إلى ثبات أكثر فيه بإتمامه لكافة وصاياه وتلذذه بكل منها كقول النبی "وَأَتَلَذُّ بِوَصَايَاكَ الَّتِي أَحْبَبْتُ" (مز ١١٩: ٤٧)، "بِفَرَائِضِكَ أَتَلَذُّ. لَا أَنْسَى كَلَامَكَ" (مز ١١٩: ١٦)، "سَمِنَ مِثْلَ الشَّحْمِ قَلْبُهُمْ أَمَّا أَنَا فَبِشْرِيَعَتِكَ أَتَلَذُّ." (مز ١١٩: ٧٠)، "تَلَذُّ بِالرَّبِّ فَيُعْطِيكَ سُؤْلَ قَلْبِكَ" (مز ٣٧: ٤).

* الإجتهد

وصية الرب ليست فقط قوّة بروحه القدّوس الساكن فيها (يو ٦: ٦٣) لَكِنِهَا أَيْضاً واسعة (مز ١١٩: ٩٦)، لذا فالإنسان المُبتدئ فيها مع أنه يختبر قوتها فينكب عليها مُحاولاً إتمامها بكل أمانة إلا أنه حتماً يُصادف في بعض مراحل وسعها صعوبة وضيق يسمح بهما الله لكى ما يجتذبه للاجتهد في إتمامها ومن ثمَّ يُظهر مدى إصراره على ما يسعى إليه^(٩١) واجتهاده في طلبه فيُنبّته بأكثر في الطريق، لأن مُجرّد محاولة الإنسان للثبات في الرب ولسان حاله يقول "ثَابِتْ قَلْبِي يَا الله ثَابِتْ قَلْبِي" (مز ٥٧: ٧) بدون اجتهد لا تكفه لينتبت إلى النهاية بلا لوم في يوم ربنا يسوع المسيح (١كو ١: ٨) الأمر الذى توضّحه حالة ملاك كنيسة أفسس الذى اتكل على ثباته في الرب باحتماله وصبره (رؤ ٢: ٣) ولم يجتهد ليُحافظ على هذا الثبات ومن ثمَّ ترك محبته الأولى وسقط (رؤ ٢: ٤ - ٥)، ولذلك فبولس الرسول الذى ثبت في الرب فثبت الرب فيه (غلا ٢: ٢٠) تكلم عن اجتهداه فقال "قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الْإِيمَانَ، وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبَرِّ، الَّذِي يَهْبُهُ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقْطُ، بَلْ لِكُلِّهِمِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا" (٢تى ٤: ٧ - ٨)، وهكذا ففى موضع آخر أشار خلصةً إلى بعض من جهاداته فقال "فِي الْأَتْعَابِ أَكْثَرُ. فِي الضَّرَبَاتِ أَوْفَرُ. فِي السُّجُونِ أَكْثَرُ. فِي الْمَيَّاتِ مَرَارًا كَثِيرَةً. مِنَ الْيَهُودِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَبِلْتُ أَرْبَعِينَ جُلْدَةً إِلَّا وَاحِدَةً. ثَلَاثَ

مَرَّاتٍ ضَرِبْتُ بِالْعِصِيِّ. مَرَّةً رُجِمْتُ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ انْكَسَرَتْ بِي السَّفِينَةُ. لَيْلًا وَنَهَارًا قَضَيْتُ فِي الْعُمُقِ. بِأَسْفَارٍ مَرَارًا كَثِيرَةً. بِأَخْطَارٍ سُيُولٍ. بِأَخْطَارٍ لُصُوصٍ. بِأَخْطَارٍ مِنْ جِنْسِي. بِأَخْطَارٍ مِنَ الْأُمَمِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْمَدِينَةِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْبَرِّيَّةِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْبَحْرِ. بِأَخْطَارٍ مِنْ إِخْوَةٍ كَذَبَةٍ. فِي نَعَبٍ وَكَدٍّ. فِي أَسْهَارٍ مَرَارًا كَثِيرَةً. فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ. فِي أَصْوَامٍ مَرَارًا كَثِيرَةً. فِي بَرْدٍ وَعَرِيٍّ" (٢ كو ١١: ٢٣ - ٢٧).

وهي كلها - أى هذه الجهادات - تُظهر إنساناً يجتهد في طريق الرب يسوع المسيح ولا يكتفى بثباته المُجَرَّد من القوة التي يهبها الرب للمُجْتَهِد الساعي في طريقه والمُصِر عليه، ولا يغفل هنا شهادة بطرس الرسول عن ضرورة الاجتهاد حينما قال "لِذَلِكَ بِالْأَكْثَرِ اجْتَهِدُوا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ أَنْ تَجْعَلُوا دَعْوَتَكُمْ وَأَخْتِيَارَكُمْ ثَابِتِينَ." (٢ بط ١: ١٠) ثم وبعدها مُباشرةً أوضح سبب الاجتهاد فقال "لَأَنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ لَنْ تَزَلُوا أَبَدًا. لِأَنَّهُ هَكَذَا يُقَدَّمُ لَكُمْ بِسَعَةِ دُخُولٍ إِلَى مَلَكُوتِ رَبِّنَا وَمُخْلَصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الْأَبَدِيِّ" (٢ بط ١: ١٠ - ١١)، وهذا عينه ما توضَّحه قصة داود النبي الذي كان ثابتاً في الرب، لَكِنَّ كسله عن الخروج مع الجيش للحرب (٢ صم ١١: ١) ومن ثَمَّ عدم اجتهاده أمام الشهوة (٢ صم ١١: ٢) جعله يسقط في حين أن اجتهاد يوسف أمام إلحاح زوجة فوطيفار (تك ٣٩: ١٠) آزر ثباته في الرب فلم يسقط.

قال القديس يوحنا الدرجي في كلمة وداعية لِرُهبانه تُشَجِّعُهُمْ على الاجتهاد {إِصْعَدُوا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ إِصْعَدُوا، ضَعُوا فِي قُلُوبِكُمْ مِصَاعِدَ بَاجْتِهَادٍ وَاسْمَعُوا لِلْقَائِلِ "هَلُمْ نَصْعِدْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ وَإِلَى بَيْتِ إِلَهِنَا" (إش ٢: ٣) "الَّذِي يُنْبِئُ أَقْدَامَنَا كَالْأَيَائِلِ وَيُقِيمُنَا عَلَى الْمَشَارِفِ" لَكِي نَغْلِبَ فِي طَرِيقِهِ . فَاِنِّي أَتَوَسَّلُ إِلَيْكُمْ أَنْ تَرْكُضُوا مَعَ مَنْ قَالَ "لَنَجْرِ فِي السَّيْرِ إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعاً إِلَى وَحْدَةِ الْإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللَّهِ إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مَلَأِ الْمَسِيحِ" (أف ٤: ١٣)}.

فالرب وإن كان يقبل الفتيلة المُدخنة لكن هذا لا يجب أن يؤول بالإنسان إلى التفاعس بل إلى مزيدٍ من الاجتهاد، لأن الفتيلة المُدخنة إذا لم تتوهَّج وتشتعل من جديد فهي عُرْضة لأن تنطفئ مع أية هبة للريح^(٩٢).

* انتظار الرب

متى بدأ الإنسان يَبْتُ في وصايا الرب مُخْتَبِراً قوتها مُجْتَهِداً ليستعيد تلك القوة متى فارقهت بسماح من الله لِيَزِدَهُ ثباتاً واجتهاداً، لابد وأن يُكَمِّل ثباته واجتهاده بانتظار الرب ليُكَلِّلَهُما - أى هذا الثبات وذاك الاجتهاد - ومع أن ذلك الانتظار يُعَد من المراحل الصعبة إذ يشعر فيه الإنسان بترك الجميع، الأولاد "الأولاد أيضاً قَدْ رَدَلُونِي. إذا قُمْتُ يَتَكَلَّمُونَ عَلَيَّ" (أى ١٩ : ١٨)، والأقارب "أَقَارِبِي قَدْ خَدَلُونِي وَالَّذِينَ عَرَفُونِي نَسُونِي" (أى ١٩ : ١٤)، والأصحاب "الْمُسْتَهْزِئُونَ بِي هُمْ أَصْحَابِي. لِلَّهِ تَقَطَّرَ عَيْنِي" (أى ١٩ : ٢٠)، والإخوة "أَمَّا إِخْوَانِي فَقَدْ غَدَرُوا مِثْلَ الْغَدِيرِ. مِثْلَ سَاقِيَةِ الْوُدَيَانِ يَغْبُرُونَ" (أى ٦ : ١٥)، بل وبترك الله نفسه ولسان حاله يقول كبنى اسرائيل "الرَّبُّ قَدْ تَرَكَ الْأَرْضَ، وَالرَّبُّ لَا يَرَى" (حز ٩ : ٩)^(٩٣)، إلا أنه صار شيئاً مُلْزِماً وواجباً لمن بدأ طريقه للاستعداد الدائم للأبدية الأمر الذى تُؤَكِّده وصية الرب بلسان الجامعة "انتظر الرب فَيُخَلِّصَكَ" (أم ٢٠ : ٢٢)، والأخرى بلسان إرميا النبی "جيد أن ينتظر الإنسان ويتوقع بسكوت خلاص الرب" (مراثى ٣ : ٢٦).

على أن الرب يسوع المسيح الذى قد يبدو للإنسان فى كثيرٍ من الأحيان أنه تأخَّر - كما بدا لداود فقال "الرَّبُّ يَهْتَمُّ بِي. عَوْنِي وَمُقْذِي أَنْتَ. يَا إِلَهِي لَا تَبْطِئْ" (مز ٤٠ : ١٧) - لا يتأخَّر إلا عن قصدٍ وعمدٍ لِعِدَّة أسباب، منها أنه يَمْتَحِن محبة الإنسان المُنتَظِرَ لِمَنْ يُحِبُّه "إِذَا قَامَ فِي وَسْطِكَ نَبِيٌّ أَوْ حَالِمٌ حُلُمًا وَأَعْطَاكَ آيَةً أَوْ أَعْجُوبَةً وَلَوْ حَدَّثْتَ الْآيَةَ أَوْ

الأعجوبة التي كلمك عنها قائلاً: لِنَذْهَبْ وَرَاءَ إِلَهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا وَنَعْبُدْهَا فَلَا تَسْمَعْ لِكَلَامِ ذَلِكَ النَّبِيِّ أَوْ الْحَالِمِ ذَلِكَ الْحَلَمَ لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُكُمْ يَمْنَحِكُمْ لِيَعْلَمَ هَلْ تُحِبُّونَ الرَّبَّ إِلَهُكُمْ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ" (تث ١٣ : ١-٣)، وَيُمَحِّصُهُ "إِذْهَبْ يَا دَانِيَالُ لِأَنَّ الْكَلِمَاتِ مَخْفِيَّةٌ وَمَخْتُومَةٌ إِلَى وَقْتِ النَّهَايَةِ. كَثِيرُونَ يَتَطَهَّرُونَ وَيُبَيِّضُونَ وَيُمَحِّصُونَ أَمَّا الْأَشْرَارُ فَيَفْعَلُونَ شَرًّا. وَلَا يَفْهَمُ أَحَدُ الْأَشْرَارِ لَكِنَّ الْفَاهِمُونَ يَفْهَمُونَ" (دا ١٢ : ٩ - ١٠)، "إِذَا مَحْصَتِي أَخْرَجَ كَالذَّهَبِ" (أى ٢٣ : ١٠)، وَيُزَكِّي إِيمَانَهُ "تُحَرِّثُونَ يَسِيرًا بِتَجَارِبِ مُتَنَوِّعَةٍ، لِكَيْ تَكُونَ تَرْكِيَّةُ إِيمَانِكُمْ، وَهِيَ أَتَمُّ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي، مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ بِالنَّارِ، تُوجَدُ لِلْمَدْحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (١بط ١ : ٦-٧)، وَيَهْبِهِ بَرَكَاتِ احْتِمَالِ الْأَلَامِ "إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ فَلِكِي نَتَمَجَّدُ أَيْضاً مَعَهُ" (رو ٨ : ١٧)، فِي مُشَارَكَةِ عَمَلِيَّةٍ مَعَهُ - أَيْ مَعَ الرَّبِّ - فِي آلامِهِ "لَأَعْرِفَهُ وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ وَشِرْكَهَ آلامِهِ مُتَشَبِّهًا بِمَوْتِهِ" (فى ٣ : ١٠) فَيَصِيرُ مُسْلِمًا كَامِلًا إِرَادَتَهُ لَهُ - أَيْ لِلرَّبِّ - وَلِسَانِ حَالِهِ يَقُولُ مَعَ مَارِ لَوْقَا الْإِنْجِيلِي "سَلَمْنَا فَصَرْنَا نُحْمَلُ" (أع ٢٧ : ١٥)، وَمِنْ ثَمَّ يَنَالُ الْخَلَاصَ "غَيْرَ مُحَوِّفِينَ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَقَاوِمِينَ، الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ لَهُمْ بَيِّنَةٌ لِلْهَلَاكِ، وَأَمَّا لَكُمْ فَلِلْخَلَاصِ، وَذَلِكَ مِنَ اللَّهِ" (فى ١ : ٢٨)، وَيَكْسِبُ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ "طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَحْتَمِلُ التَّجَرِبَةَ، لِأَنَّهُ إِذَا تَرَكَى يَنَالُ «إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ" (يع ١ : ١٢).

* الاستمرارية

قد لا يطلب الإنسان طريق الرب ولا يُبَالِي بِهِ "لَأَنِّي دَعَوْتُ فَأَبِينْتُ وَمَدَدْتُ يَدِي وَلَيْسَ مَنْ يُبَالِي" (أم ١ : ٢٤)، بَلْ وَيُنْقَلُ قَلْبُهُ "حَتَّى مَتَى يَا بَنَى الْبَشَرِ تُثْقِلُونَ قُلُوبَكُمْ حَتَّى مَتَى يَكُونُ مَجْدِي عَارًا" (مز ٤ : ٢)، وَيُقْسِيهِ "تَحَفَّظُوا بِأَنْفُسِكُمْ وَلَا تَحْمِلُوا حِمْلًا يَوْمَ السَّبْتِ وَلَا تُدْخِلُوهُ فِي أَبْوَابِ أُورُشَلِيمَ وَلَا تُخْرِجُوا حِمْلًا مِنْ بُيُوتِكُمْ يَوْمَ السَّبْتِ وَلَا تَعْمَلُوا شَعْلًا مَا بَلْ

قَدَّسُوا يَوْمَ السَّبْتِ كَمَا أَمَرْتُ آبَاءَكُمْ. فَلَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يَمِيلُوا أَدْنَهُمْ بَلْ قَسُوا أَعْنَاقَهُمْ لِنَالٍ
يَسْمَعُوا وَلِنَالٍ يَقْبَلُوا تَأْذِيبًا" (أر ١٧: ٢١-٢٣)، فلا يَعدُّ يَشْعُرُ بالرب "هُودًا يَمُرُّ عَلَيَّ وَلَا
أَرَاهُ وَيَجْتَازُ فَلَا أَشْعُرُ بِهِ" (أى ٩: ١١) ولا يطلبه مهما صارت احتياجاته وعظمت أعوازه
"أَمَّا فَجَارُ الْقَلْبِ فَيَذْخَرُونَ غَضَبًا. لَا يَسْتَعِينُونَ إِذَا هُوَ قَيَّدَهُمْ." (أى ٣٦: ١٣)، ومع ذلك
قد ينخسه الرب بمناخس روحه القدوس (أع ٩: ٥) وبقوة وبفاعلية كلمته المُقدَّسة التى
هى "حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ
وَالْمَفَاصِلِ وَالْمَخَاحِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ" (عب ٤: ١٢) فيرجع إليه - أى إلى
الرب - بحرارة شديدة نُعوِّضُ ما فاتته، بل وبأكثر منه بضعفين يقبل غفران الرب يسوع
"عَزُّوا عَزُّوا شَعْبِي يَقُولُ إِلَهُكُمْ. طَيَّبُوا قَلْبَ أُورُشَلِيمَ وَنَادَوْهَا بِأَنَّ جِهَادَهَا قَدْ كَمَلَ أَنَّ إِنْتِمَاهَا
قَدْ عُفِيَ عَنْهُ أَنَّهَا قَدْ قَبِلَتْ مِنْ يَدِ الرَّبِّ ضِعْفَيْنِ عَنْ كُلِّ خَطَايَاهَا" (إش ٤٠: ١-٢)،
"عَوَضًا عَنْ خَزْيِكُمْ ضِعْفَانِ وَعَوَضًا عَنِ الْخَجَلِ يَبْتَهِجُونَ بِنَصِيبِهِمْ. لِذَلِكَ يَرْتُونَ فِي
أَرْضِهِمْ ضِعْفَيْنِ. بِهَجَّةٍ أَبَدِيَّةٍ تَكُونُ لَهُمْ" (إش ٦١: ٧).

أما الصعوبة الحقيقية هى أن يبدأ الإنسان ولا يكمل، فقد يبدأ بالثبات فى وصايا
الرب يسوع المسيح مُخْتَبِرًا لقوتها مَرُوبًا بماء الروح الكامن فى كلٍ منها، ثم متى فارقته
لذة البداية وتعزياتها بسماع من الله ليجتذبه إلى بركات وتعزيات المرحلة الثانية - أى
الاجتهاد - لا يكمل ما قد شرع وبدأه فيكون كمن قال عنه الرب "وَالْمَرْزُوعُ عَلَى الْأَمَاكِنِ
الْمُحْجَرَةِ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، وَحَالًا يَقْبَلُهَا بِفَرْحٍ، وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فِي ذَاتِهِ، بَلْ هُوَ
إِلَى حِينٍ. فَإِذَا حَدَثَ ضَيْقٌ أَوْ اضْطِهَادٌ مِنْ أَجْلِ الْكَلِمَةِ فَحَالًا يَعْثُرُ." (مت ١٣: ٢٠-
٢١)، وقد يبدأ مرحلة الاجتهاد فإن طالت تشكك فى إتيان الرب له فلا يعود يَنْتَظِرُهُ
ليصير كمن سمع الكلمة وخنقها هُمَ هَذَا الْعَالَمُ وَغُرُورُ الْغِنَى (مت ١٣: ٢٢) تمامًا
كالغلاطيين الذين وصفهم الرسول بالغباء إذ بدأوا بالروح وأكملوا بالجسد. (غل ٣: ٣).

لعلَّ أن نفس هذا الأمر كان عند العذارى الجاهلات اللاتي بدأت الطريق الروحي فخرجن للقاء العريس وأخذن مصابيحهن المأنة زيتاً، لكن ولأنهن لم يعددن العدة ليسهرن لم يحضرن زيتاً إضافياً يكفيهن إلى نصف الليل، ومن هنا يتضح جلياً مبدأ الاستمرارية فمع أنهن بدأت بنبات في الرب واجتهدن بأخذ الزيت والمصابيح وانتظرن إياه حتى نصف الليل لكنهن ولأنهن لم يحسبن حساب الاستمرارية أغلق الباب في وجوههن (مت ٢٥: ١٠).

إذن فالإنسان الذي يبدأ استعداداً للقاء الرب يسوع بالنبات في وصاياه لابد وأن يستمر في ثباته، ومتى تحوّل إلى الاجتهاد في كل وصية وجب عليه بالمثل أن يستمر في اجتهاده، ثم ومتى شرع في انتظار الرب لابد وأن يستمر أيضاً في انتظاره وإلا فمن ناحية لا ينفعه ثباته ولا اجتهاده ولا انتظاره، ومن ناحية أخرى يفقد الطوبى كمن له روح المثابرة والأناة في خدمة الرب بلا كلل، لأنه معروف أن أصعب شيء في عمل الخير هو الاستمرار فيه، ومن ثمّ يصير شعار هذا الإنسان ولسان حاله يُرددان مع الكنيسة (لا نتعب أبداً ولا نكف عن تسبيحك ... يا رب يسوع المسيح مُخلّص الصالح)^(٩٤) مُتمماً بذلك وصية الرسول "فاجتهد أيضاً أن تكونوا بعد خروجي تتذكرون كل حين بهذه الأمور" (٢بط ١: ١٥).

* مُحاسبة النفس^(٩٥)

لا تُعدّ مُحاسبة الإنسان لنفسه مرحلة مُستقلة بذاتها في طريق الاستعداد للحظة التي نتكلّم عنها بل هي كاستمراريته - أي كمرحلة الاستمرارية - مُتداخلة ومُتلازمة مع ثباته واجتهاده وانتظاره للرب، أي أنه في كل من هذه المراحل السابقة وُضِعَ بل ووُجِبَ عليه أن يُحاسب نفسه مُتَحِناً صِحّة الطريق السائر فيه لئلا يكون قد حاد عنه "جربوا أنفسكم،

هَلْ أَنْتُمْ فِي الْإِيمَانِ؟ امْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ. أَمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ أَنْ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ فِيكُمْ،
إِنْ لَمْ تَكُونُوا مَرْفُوضِينَ؟" (٢كو ١٣ : ٥) فلا تكون عاقبته الموت فى الطريق الذى ظنَّه
مُسْتَقِيماً (أم ١٤ : ١٢) بل يجوز كل أيامه ببر وبطهارة وبتدبير حسن بلا عثرة^(٩٦).

قال الأنبا شنوده رئيس المتوحدين ليا إخوة، إن كُنَّا نريد الآن أن نفلت من يدى
عقاب الله، ونُثَمَّ نجد رحمة أمامه فلنجلس بالعشاء كل يوم مُنفردين وحدنا عند كمال
النهار ونُقَشِّس ذواتنا عما قدمناه للملاك الذى يخدمنا ليصعده إلى الرب، وأيضاً إذا
انقضى الليل وطلع النهار نُقَشِّس ذواتنا وحدنا ونعلم ما الذى قدمناه للملاك الموكل بنا
ليُصعده إلى الله، ولا نشك البتة لأن كل إنسان ذكراً كان أم أنثى صغيراً أو كبيراً قد
اعتمد باسم الآب والابن والروح القدس قد جعل الله له ملاكاً موكلاً به من يوم ولادته
إلى يوم وفاته وليُصعد إليه - أى إلى الله - كل يوم أعمال الإنسان الموكل به الليلية
والنهارية.}

مُحَاسَبَةُ النَفْسِ وَاجِبَةٌ كُلِّ يَوْمٍ

ولا يغيب عن بالٍ واحدٍ أن الله خلق الإنسان على صورته ومثاله (تك ١ : ٢٦)
وحباًه بحرية الإرادة (تث ٣٠ : ١٩) من دون كافة خليقته التى جبلها من العدم بكلمته
(مز ٣٣ : ٦) وبإرادته تمضى فى مسارها الذى رسمه لها فلا تتعداه، أمّا الإنسان فلأنه
كثيراً ما يميل للشر إذ أن "تصوُّر قلبه شرير منذُ حدثته" (تك ٦ : ٥) فهو مدعو ليحاسب
نفسه وبرؤضها للتقوى لئلا يكون قد انحرف عن طريق الملكوت "مُلاحِظِينَ لئلاً يَحْبِيبَ
أَحَدٌ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ. لئلاً يَطْلُعَ أَصْلُ مَرَارَةٍ وَيَصْنَعَ انْزِعَاجاً، فَيَتَنَجَّسَ بِهِ كَثِيرُونَ" (عب
١٢ : ١٥)، ثُمَّ إن من واجبه - أى الإنسان - أن لا يُحاسب نفسه فقط بل وأيضاً أن
يُحاسبها كل يوم لئلا يبتعد كثيراً عن الطريق الصحيح إذ أن اكتشافه المُبَكَّر لِتَوَانِيهِ فى

الطريق ولحيدانه عنه يُعطيه الفرصة ليرجع له بسهولة كبطرس الذى لما التفت الرب ونظر إليه (لو ٢٢: ٦١) تذكر كلامه "كَيْفَ قَالَ لَهُ: إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدَّيْكَ تُنْكِرُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ" (لو ٢٢: ٦١) "فَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ وَبَكَى بُكَاءً مُرًّا." (لو ٢٢: ٦٢) وكالابن الضال الذى لما جَلَسَ إلى نفسه مُحاسِباً إياها (لو ١٥: ١٧) نَدِمَ فقرّر الرجوع لأبيه تائباً مُعْتَرِفاً بخطيته (لو ١٥: ١٨ - ١٩) فى حين أن يهوذا لما نَدِمَ لم يُسارع بتقديم توبة قبلما يحيد بأكثر عنها بل عنى برد الفضة إلى رؤساء الكهنة (مت ٢٧: ٣) الأمر الذى أضاع وقتاً فى حوار لا يفيد ولا ينفع (مت ٢٧: ٤) حتى تمكّن منه اليأس فمضى وخنق نفسه (مت ٢٧: ٥) إذ كان قد ابتعد كثيراً عن طريق الرجوع والتوبة.

قال الأب موسى للقديس يوحنا كاسيان {يُحاول الشيطان أن يخدعنا بالتزييف، كأن يحدثنا على الانشغال ببعض أعمال الرحمة (بطريقة غير سليمة) وهو بهذا يظهر كأنه يتكلّم بفكر الآباء الحقيقى، فيفقدنا إلى الرذيلة فى شكل الفضيلة، فيخدعنا بالأصوام المفرطة أو المُستَحِيلَة أو الأسهار الطويلة أو الصلوات الزائدة عن الحد، وبهذا يجذبنا إلى نهاية سيئة، وقد يغوينا بأن نُسلم أنفسنا إلى الاعتناء بالآخرين والافتقاد الروحى، وهو بهذا يخلعنا عن وجودنا الحقيقى فى الدير^(٩٧) ولينزع عنا سر الهدوء المُلازم لنا}.

الله يَهَب الإنسان الحكمة فى الأمور العالمِيَّة

أوصى الله الإنسان بضرورة اقتناء الحكمة "إِسْمَعِ أَنْتَ يَا ابْنِي وَكُنْ حَكِيماً وَأَرْشِدْ قَلْبَكَ فِي الطَّرِيقِ" (أم ٢٣: ١٩)، (أم ١٥: ٣١)، بل وأن يتعلّم من حكمة النملة التى "لَيْسَ لَهَا قَائِدٌ أَوْ عَرِيفٌ أَوْ مُتَسَلِّطٌ وَتَعْدُّ فِي الصَّيْفِ طَعَامَهَا وَتَجْمَعُ فِي الْحَصَادِ أَكْلَهَا" (أم ٦: ٧ - ٨)، هذا وقد أعطاه الحكمة لِتَقْصَى الأحوال المناخية الطبيعية (لو ١٢: ٥٤ - ٥٥)، (مت ٢٤: ٣٢)، ولتدبير الأمور الأرضية كمن عزم على بناء بيته على

الصخر ولسبيله إلى هذا حفر وعمق ووضع الأساس لى ما عندما تأتي الأمطار تجد بيته قوياً راسخاً (لو ٦ : ٤٨)، وكوكيل الظلم الذى جلس إلى نفسه (لو ١٦ : ٣) وبحكمة فعل إذ حبَّب مديونىَّ سيده فيه وقربَهُم منه (لو ١٦ : ٥ - ٧) لى ما إذا طُرِدَ يقبلونه فى بيوتِهِم (لو ١٦ : ٤)، وهكذا كبانى البرج الذى جلس إلى نفسه وحسب النفقة هل عنده ما يلزم لكماله لئلا يضع الأساس ولا يكمل فيهلزون به، وأخيراً كالملك الذى جلس أولاً مُشاوراً هل يستطيع أن يُلَاقى بعشرة آلاف الذى يأتى عليه بعشرين ألفاً (لو ١٤ : ٣١).

الله يَهَب الإنسان الحكمة لمُحاسبة نفسه

فإن كان الله قد أوصى الإنسان باقتناء الحكمة لتدبير وفحص وتقصى الأمور التى يُدبرها هو - أى الله - له بواسع علمه وجزيل حكمته وعظم سلطانه، فهو بالأولى أعطاه الحكمة لتمييز الأمور الروحية "قَدْ جَعَلْتُ قُدَامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَاتِ وَاللَعْنَةِ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِتَحْيَا أَنْتَ وَتَسْلُكَ" (تث ٣٠ : ١٩)، "حَتَّى تُمَيِّزُوا الْأُمُورَ الْمُتَخَالِفَةَ، لِكَيْ تَكُونُوا مُخْلِصِينَ وَبِلَا عَثْرَةٍ إِلَى يَوْمِ الْمَسِيحِ، مَمْلُؤِينَ مِنْ ثَمَرِ الْبِرِّ الَّذِي بِيَسُوعِ الْمَسِيحِ لِمَجْدِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ." (فى ١ : ١٠ - ١١) لى ما يؤدَّب نفسه ويُقَوِّمها بمُحاسبتها كل يوم، فليس إذن لإنسان عُذر فى عدم مُحاسبتها^(٩٨) إذ هو وحده المسؤول عنها، فإن تركها لِخطيتها وشرورها فهو يُضِرُّها "وَمَنْ يُخْطِئْ عَنِّي يَضُرُّ نَفْسَهُ" (أم ٨ : ٣٦)، وإن لم يقمع شهواتها تسببت فى هلاكه "كَمَا أَنَّ الْبِرَّ يُوْوَلُّ إِلَى الْحَيَاةِ كَذَلِكَ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّرَّ فَالِى مَوْتِهِ" (أم ١١ : ١٩)، وإن لم يردّها عن ضلالها سببت له الضلال "وَهَبْنِي ضَلَالْتُ حَقًّا. عَلَيَّ تَسْتَقِرُّ ضَلَالَتِي" (أى ١٩ : ٤)، وإن لم ينتبه لفسادها أفسدت حياته "بِرُّ الْمُسْتَقِيمِينَ يُجِيبُهُمْ أَمَّا الْغَادِرُونَ فَيُؤْخَذُونَ بِفَسَادِهِمْ." (أم ١١ : ٦)، وإن تهاون فى تقويمها سببت له الموت الأبدى "حَافِظُ الْوَصِيَّةِ حَافِظٌ نَفْسَهُ وَالْمُتَهَاوِنُ بِطَرُقِهِ يَمُوتُ" (أم ١٩ : ١٦).

فالإنسان إذن فى كل يوم من أيامه على الأرض يخطُ مصيره ويكتبُ مستقبله
بمحاسبته لنفسه أمام الله نجاحاً أم فشلاً ومن ثمَّ فعليه تقع المسؤولية فى يوم الدينونة
لأنه عينه من يكتب قضاءه فإن كان مُحاسباً لنفسه مُروّضاً لها اغتصب الملكوت وإن
كان مُتوانياً فى مُحاسبتها نال الخزي الأبدى.

†

الباب الخامس

ثلاثة خصائص لِلْحَظَنَةِ الْفَرِيدَةِ

يسوع المسيح إلهنا الذى يضبط بِحِكْمَتِهِ الْعَالِيَةِ وَالْبَعِيدَةِ عَنْ الْفَحْصِ (رو ١١ : ٣٣) حياتنا بِكافة تفاصيلها فَيُبْعِدُنَا عَنْ مَشَاعِرِ الْحُزَنِ الرَّدِيءِ^(٩٩) وَالَّذِى نَشْتَاقُ إِلَيْهِ^(١٠٠) وَنُحِبُّهُ فَتَنْمَمُ وَصَايَاهُ "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ"، (يو ١٤ : ١٥)، "الَّذِى عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِى يُحِبُّنِي"، (يو ١٤ : ٢١) الَّتِى أَمَرْنَا فِيهَا بِضَرُورَةِ الْإِسْتِعْدَادِ الدَائِمِ وَالسَّهْرِ الْمُسْتَمِرِّ^(١٠١) جَعَلَ لَتِلْكَ اللَّحْظَةِ الْحَاسِمَةِ مِنْ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ ثَلَاثَةَ خِصَائِلَ تُعَبِّرُ عَنْ حِكْمَةٍ شَدِيدَةٍ لِأَبٍ حَنُونٍ عَنَى بِتَدْبِيرِ كَافَّةِ خَلِيقَتِهِ وَبِخَاصَّةِ الْإِنْسَانِ الَّذِى "أَحْبَبَهُ إِلَى الْمُنْتَهَى" (يو ١٣ : ١) فَأَسْلَمَ ذَاتَهُ مِنْ أَجْلِهِ (تى ٢ : ١٤) لِكى لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونَ لَهُ الْحَيَاةُ الْآبَدِيَّةُ (يو ٣ : ١٦).

تلك الخصائص ليست فقط من واقع تعاليم الرب فى ملء الزمان (غل ٤ : ٤) بل لها أيضاً إشارات ودلائل من العهد القديم وكأنه - أى الله - إنما أراد تَهْيِئَةَ فِكْرِ الْإِنْسَانِ وَعَقْلَهُ لَتِلْكَ اللَّحْظَةِ الْفَرِيدَةِ الَّتِى تَوْدَى بِهِ - أى بِالْإِنْسَانِ - إِلَى مَا دَعَاهُ الرَّسُولُ بِ "يَوْمِ الرَّبِّ يَسُوع"^(١٠٢) الَّذِى هُوَ :

* قَرِيب^(١٠٣)

قال الأنبا شنوده رئيس المتوحدين {فلنصنع إرادة الله يا إخوتى مادام لنا وقت أن نعمل فيه أعمال الرب، تذكروا أن الموت لا يتأخر ومصيرنا أن نترك العالم}.
هكذا وكمثل الطالب الذى يُدْرِكُ اقْتِرَابَ مَوْعِدِ الْإِمْتِحَانِ وَلَا يَسْتَعِدُّ، أَوْ كَالْعَبْدِ الرَّدِيءِ الَّذِى لَمْ يَتَوَقَّعْ قُرْبَ مَجِئِ سَيِّدِهِ (مت ٢٤ : ٤٨) فَبَدَأَ يَضْرِبُ الْعَبِيدَ رَفَقَاءَهُ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ

مع السكارى (مت ٢٤ : ٤٩) ولسان حاله يقول مع بنى اسرائيل "قَدْ طَالَتْ الْأَيَّامُ وَخَابَتْ كُلُّ رُؤْيَا" (حز ١٢ : ٢١) "أَيَّنْ هُوَ مَوْعِدُ مَجِيئِهِ؟ لِأَنَّهُ مِنْ حِينِ رَقَدَ الْأَبَاءُ كُلُّ شَيْءٍ بَاقٍ هَكَذَا مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ" (٢بط ٣ : ٤) يكون من لا يَعُدُّ الْعُدَّةَ تَرْقُباً لَتلك اللحظة التى تأتاه إِمَّا يَوْمَ أَنْ تَظْهَرُ علامة ابن الإنسان فى السماء وَيُبْصِرْهُ آتِياً عَلَى سحاب السماء بقوة وبمجد كثير (مت ٢٤ : ٣٠)، أو يَوْمَ أَنْ تَنْتَهَى سَنَى حَيَاتِهِ "الْقَلِيلَةُ وَالرَّيْثَةُ" التى قال عنها أيوب "أُذَكِّرُ أَنَّ حَيَاتِي إِنَّمَا هِيَ رِيحٌ وَعَيْنِي لَا تَعُودُ تَرَى خَيْرًا" (أى ٧ : ٧)، "لَأَنَّنَا نَحْنُ مِنْ أَمْسٍ وَلَا نَعْلَمُ لَأَنَّ أَيَّامَنَا عَلَى الْأَرْضِ ظِلٌّ" (أى ٨ : ٩)، "أَيَّامِي أَسْرَعُ مِنْ عَدَاءٍ تَفِرُّ وَلَا تَرَى خَيْرًا" (أى ٩ : ٢٥).

اليوم قريب فى نبوات العهد القديم

فحزقيال النبى قال مسوقاً بالروح (٢بط ١ : ٢١) "هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: وَلَوْلُوا: يَا لَلْيَوْمِ! لَأَنَّ الْيَوْمَ قَرِيبٌ. وَيَوْمَ لِلرَّبِّ قَرِيبٌ يَوْمٌ غَيْمٌ. يَكُونُ وَقْتًا لِلْأَمَمِ" (حز ٣٠ : ٢-٣)، ويوثيل النبى قال "اجْمَعُوا الشُّبُوحَ جَمِيعَ سُكَّانِ الْأَرْضِ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ وَاصْرُخُوا إِلَى الرَّبِّ. آه عَلَى الْيَوْمِ لَأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قَرِيبٌ. يَأْتِي كَخَرَابٍ مِنَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" (يو ١ : ١٤ - ١٥) "إِصْرِبُوا بِالْبُوقِ فِي صِهْيُونَ. صَوِّتُوا فِي جَبَلِ قُدْسِي. لِيَرْتَعِدَ جَمِيعُ سُكَّانِ الْأَرْضِ لَأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قَادِمٌ لِأَنَّهُ قَرِيبٌ" (يو ٢ : ١)، "ارْسَلُوا الْمُنْجَلَ لَأَنَّ الْحَصِيدَ قَدْ نَضَجَ. هَلُمُّوا دُوسُوا لِأَنَّهُ قَدْ امْتَلَأَتِ الْمِعْصَرَةُ. فَاضَتِ الْحِيَاضُ لَأَنَّ شَرَّهُمْ كَثِيرٌ. جَمَاهِيرُ جَمَاهِيرُ فِي وَادِي الْقَضَاءِ لَأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قَرِيبٌ فِي وَادِي الْقَضَاءِ" (يو ٣ : ١٣ - ١٤)، وهكذا فإشعيا النبى أشار إلى نفس الأمر فقال "وَلَوْلُوا لَأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قَرِيبٌ قَادِمٌ كَخَرَابٍ مِنَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. لِذَلِكَ تَزْتَخِي كُلُّ الْأَيَادِي وَيَذُوبُ كُلُّ قَلْبٍ إِنْسَانٍ" (إش ١٣ : ٦ - ٧).

اليوم قريب فى العهد الجديد

ثم أن الرب يسوع فى ملء الزمان (غلا ٤ : ٤) أكد نفس النقطة التى كان قد سبق وأنبا بها رجاله الأَطهار وأبراره القديسين فى العهد القديم، منها ما قاله لتلاميذه "إِذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ. وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ اكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ" (مت ١٠ : ٦ - ٧)، وما قاله للسبعين رسولا "وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ دَخَلْتُمُوهَا وَقَبِلُوكُمْ، فَكُلُوا مِمَّا يُقَدَّمُ لَكُمْ، وَاشْفُوا الْمَرْضَى الَّذِينَ فِيهَا، وَقُولُوا لَهُمْ: قَدْ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللَّهِ وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ دَخَلْتُمُوهَا وَلَمْ يَقْبَلُوكُمْ، فَاخْرُجُوا إِلَى شَوَارِعِهَا وَقُولُوا: حَتَّى الْعُبَارِ الَّذِي لَصِقَ بِنَا مِنْ مَدِينَتِكُمْ نَنْفُضُهُ لَكُمْ. وَلَكِنْ اعْلَمُوا هَذَا إِنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللَّهِ" (لو ١٠ : ٨ - ١١)، وهكذا فنفس الأمر أعلنه يعقوب الرسول مسوقاً بالروح فقال "فَتَأْتُوا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ إِلَى مَجِيءِ الرَّبِّ. هُوَذَا الْفَلَّاحُ يَنْتَظِرُ ثَمَرَ الْأَرْضِ الثَّمِينِ مُتَأَنِّياً عَلَيْهِ حَتَّى يَبَالِ الْمَطَرُ الْمُبَكَّرَ وَالْمَتَأَخَّرَ. فَتَأْتُوا أَنْتُمْ وَتَبْتَثُوا قُلُوبَكُمْ، لِأَنَّ مَجِيءَ الرَّبِّ قَدْ اقْتَرَبَ" (يع ٥ : ٧ - ٨) وأشار إليه مار بطرس فى قوله "وَلَكِنْ لَا يَخَفْ عَلَيْكُمْ هَذَا الشَّيْءُ الْوَاحِدُ أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، أَنَّ يَوْماً وَاحِداً عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ. لَا يَتَبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمُ النَّبَاطُوتِ، لَكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لَا يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أَنْاسٌ، بَلْ أَنْ يَقْبَلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ." (٢بط ٣ : ٨ - ٩)، وهكذا علّم به بولس الرسول قائلاً "غَيْرَ تَارِكِينَ اجْتِمَاعَنَا كَمَا لِقَوْمٍ عَادَةٍ، بَلْ وَاعِظِينَ بَعْضُنَا بَعْضاً، وَبِالْأَكْثَرِ عَلَى قَدْرِ مَا تَرَوْنَ الْيَوْمَ يَقْرُبُ" (عب ١٠ : ٢٥)، "لَأَنْتُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى الصَّبْرِ، حَتَّى إِذَا صَنَعْتُمْ مَشِيئَةَ اللَّهِ تَتَأَلَوْنَ الْمُوعِدَ. لِأَنَّهُ بَعْدَ قَلِيلٍ جِداً «سَيَأْتِي الْآتِي وَلَا يُبْطِئُ»" (عب ١٠ : ٣٦ - ٣٧)، "هَذَا وَإِنْكُمْ عَارِفُونَ الْوَقْتَ أَنَّهَا الْآنَ سَاعَةٌ لِنَسْتَنْقِظَ مِنَ النَّوْمِ فَإِنَّ خَلَاصَنَا الْآنَ أَقْرَبُ مِمَّا كَانَ

حِينَ آمَنَّا. قَدْ تَنَاهَى اللَّيْلُ وَتَقَارَبَ النَّهَارُ فَلَنَخْلَعْ أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ وَنَلْبَسَ أَسْلِحَةَ النُّورِ" (رو ١٣: ١١-١٢).

ثمَّ إنه من بين ما يجيئ في العهد الجديد مؤكِّداً هذه الحقيقة الإلهية قول الرب لمار يوحنا الإنجيلي "هَآ أَنَا آتِي سَرِيعاً. طُوبَى لِمَنْ يَحْفَظُ أَقْوَالَ نُبُوءَةِ هَذَا الْكِتَابِ" (رو ٢٢: ٧)، "هَآ أَنَا آتِي سَرِيعاً وَأُجْزِي مَعِيَ لِأُجْزِي كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ" (رو ٢٢: ١٢)، "نَعَمْ! أَنَا آتِي سَرِيعاً" (رو ٢٢: ٢٠)، وقول الملاك له "لَا تَخْتِمَ عَلَى أَقْوَالَ نُبُوءَةِ هَذَا الْكِتَابِ، لِأَنَّ الْوَقْتَ قَرِيبٌ" (رو ٢٢: ١٠)، وأخيراً قول يوحنا الرسول "آمِينَ. تَعَالَى أَبُيْهَا الرَّبُّ يَسُوعُ" (رو ٢٢: ٢٠).

ما بين اقتراب اليوم في العهد القديم والعهد الجديد

على أن وعد الرب في العهد القديم باقتراب يومه كان يُبيِّث على الحزن "ولولوا يا لليوم" (حز ٣٠: ٢)، "ولولوا لأن يوم الرب قريب" (إش ١٣: ٦)، والارتعاد "اضربوا بالبوق في صهيون. صَوِّتُوا فِي جَبَلٍ قُدْسِي. لِيَرْتَعِدَ جَمِيعُ سُكَّانِ الْأَرْضِ لِأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قَادِمٌ لِأَنَّهُ قَرِيبٌ" (يو ٢: ١)، ومن ثَمَّ انقطاع الفرح والابتهاج "إِهْ عَلَى الْيَوْمِ لِأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ قَرِيبٌ. يَأْتِي كَحَرَابٍ مِنَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. أَمَّا انْقَطَعَ الطَّعَامُ نَجَاهَ عُيُونِنَا؟ الْفَرْحُ وَالِابْتِهَاجُ عَنْ بَيْتِ إِلَهِنَا" (يو ١: ١٥ - ١٦) إذ يأتى الرب لِيُعَاقِبَ الْإِنْسَانَ عَلَى آثَامِهِ فتعشى الأرض ظلماً "الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَظْلَمَانِ وَالنُّجُومُ تَحْجَرُ لَمَعَانَهَا" (يو ٣: ١٥)، وغيم وضباب "يَوْمٌ ظَلَامٌ وَقَتَامٌ. يَوْمٌ غَيْمٍ وَضَبَابٍ مِثْلَ الْفَجْرِ مُتَدِّداً عَلَى الْجِبَالِ" (يو ٢: ٢)، "وَيَوْمٌ لِلرَّبِّ قَرِيبٌ يَوْمٌ غَيْمٍ" (حز ٣٠: ٣)، أمّا فى ملء الزمان وقد حمل المسيح فى جسده على الخشبة (١بط ٢: ٢٤) كافة الخطايا لسائر البشرية (١يو ٢: ٢) تلك التى سببت الظلمة^(١٠٤)، والغيم^(١٠٥)، والضباب^(١٠٦) صار الوعد باقتراب اليوم^(١٠٧) مَبْعَثاً عَلَى

الفرح والمسرّة اشتهاً لتلك اللحظة التي يعبر الإنسان بواسطتها للموضع الذي منه هرب الحزن والكآبة والتنهّد^(١٠٨) والذي لا حزن فيه ولا صراخ ولا وجع (رؤ ٢١: ٤).

* يأتي فجأة

فجائية اليوم في العهد الجديد

الصفة الثانية التي اختص بها الرب تلك اللحظة الحاسمة من تاريخ وحياة الإنسان على الأرض هو فجائيتها "فَاحْتَرِزُوا لَأَنْفُسِكُمْ لِئَلَّا تَتَقَلَّ قُلُوبُكُمْ فِي خُمَارٍ وَسُكْرِ وَهُمُومِ الْحَيَاةِ، فَيُصَادِفَكُمْ ذَلِكَ الْيَوْمُ بَغْتَةً. لِأَنَّهُ كَالْفَجْحِ يَأْتِي عَلَى جَمِيعِ الْجَالِسِينَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ" (لو ٢١: ٣٤ - ٣٥)، "هَذَا يَقُولُهُ الَّذِي لَهُ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللَّهِ وَالسَّبْعَةُ الْكُوكِبُ. أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالِكَ، أَنَّ لَكَ اسْمًا أَنَّكَ حَيٌّ وَأَنْتَ مَيِّتٌ. كُنْ سَاهِرًا وَشَدِّدْ مَا بَقِيَ، الَّذِي هُوَ عَتِيدٌ أَنْ يَمُوتَ، لِأَنِّي لَمْ أَجِدْ أَعْمَالَكَ كَامِلَةً أَمَامَ اللَّهِ. فَادْكُرْ كَيْفَ أَخَذْتَ وَسَمِعْتَ وَاحْفَظْ وَتُبْ، فَإِنِّي إِن لَمْ تَسْهَرْ أُقَدِّمُ عَلَيْكَ كَلِصًّا، وَلَا تَعْلَمُ آيَةً سَاعَةِ أُقَدِّمُ عَلَيْكَ" (رؤ ٣: ١ - ٣)، الأمر الذي أوضحه بولس الرسول في قوله "وَأَمَّا الْأَزْمِنَةُ وَالْأَوْقَاتُ فَلَا حَاجَةَ لَكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنْهَا، لِأَنَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِالتَّحْقِيقِ أَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ كَلِصٌّ فِي اللَّيْلِ هَكَذَا يَجِيءُ" (١ تس ٥: ١ - ٢)، "لِأَنَّهُ حِينَمَا يَقُولُونَ: «سَلَامٌ وَأَمَانٌ» حِينَنَذَا يُفَاجِئُهُمْ هَلَاكٌ بَغْتَةً، كَالْمَخَاضِ لِلْحَبْلَى، فَلَا يَنْجُونَ. وَأَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فَلَسْتُمْ فِي ظُلْمَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكُمْ ذَلِكَ الْيَوْمُ كَلِصًّا" (١ تس ٥: ٣ - ٤) وأشار إليه مار بطرس الرسول لما قال "وَلَكِنْ سَيَأْتِي كَلِصٌّ فِي اللَّيْلِ، يَوْمَ الرَّبِّ، الَّذِي فِيهِ تَرْوُلُ السَّمَاوَاتُ بِضَجِيجٍ، وَتَتَحَلَّى الْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً، وَتَحْتَرِقُ الْأَرْضُ وَالْمَصْنُوعَاتُ الَّتِي فِيهَا" (٢ بط ٣: ١٠) وأعلنه الملاك ليوحنا في رؤياه فقال "وَسَيَبْكِي وَيَبْئُوحُ عَلَيْهَا مُلُوكُ الْأَرْضِ، الَّذِينَ زَنَوْا وَتَتَعَمَّوْا مَعَهَا، حِينَمَا يَنْظُرُونَ دُخَانَ حَرِيقِهَا، وَاقِفِينَ مِنْ بَعِيدٍ لِأَجْلِ خَوْفِ عَذَابِهَا قَاتِلِينَ: وَيَلُّ وَيَلُّ!"

الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ بَابِلُ! الْمَدِينَةُ الْقَوِيَّةُ! لِأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ جَاءَتْ دَيْثُونُكَ" (رؤ ١٨ : ٩ - ١٠).

فُجَائِيَّةُ الْيَوْمِ مِنْذُ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ

نُحْمُ أَنْ تَكُنْ الْإِشَارَاتُ لِفُجَائِيَّةِ ذَاكَ الْيَوْمِ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ جَاءَتْ تَبَعاً بَلْ بِالْحَرَى تَأْكِيداً لِإِعْلَانَاتِ اللَّهِ لِأَنْبِيَائِهِ الْقَدِيسِينَ مِنْذُ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، فَصَفِنَا النَّبَى قَالَ "لَا فَضْتُهُمْ وَلَا ذَهَبُهُمْ يَسْتَطِيعُ إِنْقَادَهُمْ فِي يَوْمِ غَضَبِ الرَّبِّ، بَلْ بِنَارِ غَيْرَتِهِ تُؤْكَلُ الْأَرْضُ كُلُّهَا، لِأَنَّهُ يَصْنَعُ فَنَاءً بَاغِتاً لِكُلِّ سُكَّانِ الْأَرْضِ". (صف ١ : ١٨)، وَإِرْمِيَا النَّبَى قَالَ "الَّذِينَ كَانُوا يَأْكُلُونَ الْمَأْكَلَ الْفَاحِشَةَ قَدْ هَلَكُوا فِي الشُّوَارِعِ. الَّذِينَ كَانُوا يَتَرَبَّوْنَ عَلَى الْقِرْمِزِ احْتَضَنُوا الْمَرَابِلَ. وَقَدْ صَارَ عِقَابُ بِنْتِ شَعْبِي أَعْظَمَ مِنْ قِصَاصِ خَطِيئَةِ سُدُومَ الَّتِي انْقَلَبَتْ كَأَنَّهُ فِي لَحْظَةٍ وَلَمْ تُلَقَ عَلَيْهَا أَيَادٍ" (مر ٤ : ٥ - ٦)، وَأَيُّوبُ الْبَارِ قَالَ "الَّذِي لَا يُحَاطِي بِوُجُوهِ الرُّؤَسَاءِ وَلَا يَعْتَبِرُ غَنِيّاً دُونَ فَقِيرٍ. لِأَنَّهُمْ جَمِيعُهُمْ عَمَلٌ يَدِيهِ. بَعْتَهُ يَمُوتُونَ وَفِي نِصْفِ اللَّيْلِ^(١٠٩). يَرْتَجُ الشَّعْبُ وَيَزُولُونَ وَيُنْزَعُ الْأَعْزَاءُ لَا بَيِّدٍ" (أى ٣٤ : ١٩ - ٢٠)، وَهَكَذَا فَسَلِيمَانُ النَّبَى قَالَ "لِأَجْلِ ذَلِكَ بَعْتَهُ تَفَاجُئُهُ بَلِيَّتُهُ. فِي لَحْظَةٍ يَنْكَسِرُ وَلَا شِفَاءَ" (أم ٦ : ١٥).

إِنْتِظَارُ الرَّبِّ يُلْغِي مُفَاجِئَةً وَمُبَاغِتَةً تِلْكَ اللَّحْظَةَ

تِلْكَ الْإِشَارَاتُ الْإِلَهِيَّةُ الْمُتَكَرِّرَةُ الَّتِي تُوَكِّدُ عَلَى فُجَائِيَّةِ تِلْكَ اللَّحْظَةِ هِيَ عَيْنُهَا مَا يُرَدُّ بِهِ عَلَى مَنْ يَعْتَبِرُونَ أَنَّ فُجَائِيَّتَهَا تَدْبِيرٌ إِلَهِيٌّ وَضَعَهُ اللَّهُ بِقِسَاوَةٍ وَيَعْنَفُ عَلَى الْبَشَرِ لِعِدَّةِ أَسْبَابٍ، مِنْهَا أَنَّ الرَّبَّ أَعْلَنَ مِرَاراً عَنْ فُجَائِيَّتِهَا وَمَنْ تَمَّ أَوْصَى بِضُرُورَةٍ أَنْتَظَرَهَا وَتَوَقَّعَهَا^(١١٠) مِنْ خِلَالِ وَصَايَاهُ الْأَمْرَةِ بِأَنْتَظَرِهِ هُوَ شَخْصِيّاً "أَنْتَظِرِ الرَّبَّ فَيَخْلُصَكَ" (أم ٢٠ : ٢٢)، "فَإِذَا قُلْتَ إِنَّكَ لَسْتَ تَرَاهُ فَالِدَعْوَى قُدَّامَهُ فَاصْبِرْ لَهُ" (أى ٣٥ : ١٤)، "لِأَنَّ

عَامِلِي الشَّرَّ يُقْطَعُونَ وَالَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الرَّبَّ هُمْ يَرِثُونَ الْأَرْضَ" (مز ٣٧: ٩)، "وَيُقَالُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: «هُوَذَا هَذَا إِلَهَنَا. انْتَظَرْنَاهُ فَخَلَّصَنَا. هَذَا هُوَ الرَّبُّ انْتَظَرْنَاهُ. نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ بِخَلَّاصِهِ" (إش ٢٥: ٩)، "فَفِي طَرِيقِ أَحْكَامِكَ يَا رَبُّ انْتَظَرْنَاكَ. إِلَى اسْمِكَ وَإِلَى ذِكْرِكَ شَهْوَةُ النَّفْسِ." (إش ٢٦: ٨)، "وَيَكُونُ الْمُلُوكُ حَاضِنِيكَ وَسَيِّدَاتُهُمْ مُرْضِعَاتِكَ. بِالْوُجُوهِ إِلَى الْأَرْضِ يَسْجُدُونَ لَكَ وَيَلْحَسُونَ غُبَارَ رِجْلَيْكَ فَتَعْلَمِينَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي لَا يَخْزَى مُنْتَظِرُوهُ" (إش ٤٩: ٢٣)، الأمر الذي يجعل من حدوثها تحقيقاً لما سبق وأُعلن عنه وليس مفاجئاً، وهكذا فإن الإعلانات الإلهية التي أشارت إلى أهمية انتظار الإنسان لتلك اللحظة كانت تُعد الإنسان لتقبل حقيقة مفاجئتها ومباغتتها فمتى حدثت لا تُعد مفاجئة ومباغته له.

* لا يعرفه أحد

في العهد الجديد

أما الصفة الثالثة التي اختص بها الله تلك اللحظة المُرعبة هو سرّيتها أو بالأحرى عدم معرفة أحدٍ لها، الأمر الذي أوضحه في قوله "اسْهَرُوا إِذَا لَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فِي آيَةٍ سَاعَةٍ يَأْتِي رِبُّكُمْ." (مت ٢٤: ٤٢)، "وَأَعْلَمُوا هَذَا: أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ الْبَيْتِ فِي أَيِّ هَرِيعٍ يَأْتِي السَّارِقُ، لَسَهَرَ وَلَمْ يَدْعُ بَيْتَهُ يُنْقَبْ. لِذَلِكَ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً مُسْتَعِدِّينَ، لِأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لَا تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الْإِنْسَانِ" (مت ٢٤: ٤٣-٤٤) على أن الفعل اليوناني δΟΚΕΙΤΕ الآتي في هذه الآية مُضَارِعاً مُصَرِّفاً مع ضمير المُخاطب الجمع من الفعل δΟΚΕΩ بمعنى (يظن | يفكر | يفترض | يعتقد) يُعطى معنى أكثر وسعاً وشمولاً مما يُعطيه قوله (لا تعرفون) وكأن الله ينهى عن أية محاولة من الإنسان لتوقع اليوم واللحظة الأمر الذي أعلنه في قوله "وَلَكِنْ إِنْ قَالَ ذَلِكَ الْعَبْدُ الرَّدِّيُّ فِي قَلْبِهِ: سَيِّدِي يُبْطِئُ قُدُومَهُ. فَيَبْتَدِئُ

يَضْرِبُ الْعَبِيدَ رُقَقَاءَهُ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مَعَ السُّكَارَى. يَأْتِي سَيِّدُ ذَلِكَ الْعَبْدِ فِي يَوْمٍ لَا يَنْتَظِرُهُ
وَفِي سَاعَةٍ لَا يَعْرِفُهَا" (مت ٢٤: ٤٨ - ٥٠)، وقوله "لَا تَتَعَجَّبُوا مِنْ هَذَا، فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ
فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيُخْرِجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ،
وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيُّوْنَةِ" (يو ٥: ٢٨ - ٢٩).

فى العهد القديم

وكما كان لِقُرْبِ ذاك اليوم وفُجائِيَّتُهُ إشارات فى العهد القديم فَلِنَلْتَكِ أَيْضاً، منها ما جاء
فى قول الجامعة "لَأَنَّ الْإِنْسَانَ أَيْضاً لَا يَعْرِفُ وَقْتَهُ. كَالْأَسْمَاكِ الَّتِي تُؤْخَذُ بِشَبَكَةٍ مُهْلَكَةٍ
وَكَالْعَصَافِيرِ الَّتِي تُؤْخَذُ بِالشَّرِكِ كَذَلِكَ تُفْتَنُّ بَنُو الْبَشَرِ فِي وَقْتٍ شَرٍّ إِذْ يَقَعُ عَلَيْهِمْ
بَغْتَةً." (جا ٩: ١٢) وقول أيوب البار "وَالْإِنْسَانُ يَضْطَجِعُ وَلَا يَقُومُ. لَا يَسْتَنِقِظُونَ حَتَّى لَا
تَبْقَى السَّمَاوَاتُ وَلَا يَنْتَبَهُونَ مِنْ نَوْمِهِمْ" (أى ١٤: ١٢)، "هَذَا نَصِيبُ الْإِنْسَانِ الشَّرِيرِ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ وَمِيزَاتُ الْعَنَاءِ الَّذِي يَنَالُونَهُ مِنَ الْقَدِيرِ. إِنْ كَثُرَ بَنُوهُ فَلِلْسَيْفِ وَدُرِيَّتِهِ لَا تَسْبَعُ
خُبْرًا. بَقِيَّتُهُ تُدْفَنُ بِالْوَبَاءِ وَأَرَامِلُهُ لَا تَبْكِي. إِنْ كَثُرَ فَضَّةُ كَالْتُّرَابِ وَأَعَدَّ مَلَأِسَ كَالطِّينِ فَهُوَ
يُعَدُّ وَالْبَارُّ يَلْبِسُهُ وَالْبَرُّ يُقْسِمُ الْفِضَّةَ. يَبْنِي بَيْتَهُ كَالْعُتِّ أَوْ كَمِظْلَةٍ صَنَعَهَا الْحَارِسُ.
يَضْطَجِعُ عَنِيًّا وَلَكِنَّهُ لَا يُضْمُّ. يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ وَلَا يَكُونُ. الْأَهْوَالُ تُدْرِكُهُ كَالْمِيَاهِ. لَيْلًا تَخْتَطِفُهُ
الرَّوْبَعَةُ تَحْمِلُهُ الشَّرْقِيَّةُ فَيَذْهَبُ وَتَجْرُفُهُ مِنْ مَكَانِهِ" (أى ٢٧: ١٣ - ٢١) وقول يشوع بن
سيراخ "وهو لا يعلم كم يمضي من الزمان حتى يترك ذلك لغيره ويموت" (بن سيراخ ١١:
٢٠).

لا يعلم إنسان بتلك اللحظة

من هذه الخصائص وخاصة الأخيرة منها نوقن أن تلك اللحظة لا يعلم بها أحد "الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا يَمُضِي هَذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هَذَا كُلُّهُ. السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولَانِ، وَلَكِنَّ كَلَامِي لَا يَزُولُ. وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الْإِنْسُ، إِلَّا الْآبُ" (مر ١٣: ٣٠-٣٢)، فكيف يجسر البعض أن يزعموا بفطرتهم على تحديدها؟^(١١١)، أو حتى حصرها في فترة زمنية مُعَيَّنَة^(١١٢) إلا لو كانوا ممن قال عنهم بولس الرسول "لَأَنِّي أَعْلَمُ هَذَا: أَنَّهُ بَعْدَ ذِهَابِي سَيَدْخُلُ بَيْنَكُمْ ذَبَابٌ خَاطِفَةٌ لَا تُشْفِقُ عَلَى الرَّعِيَّةِ. وَمِنْكُمْ أَنْتُمْ سَيَقُومُ رَجَالٌ يَتَكَلَّمُونَ بِأُمُورٍ مُلْتَوِيَةٍ لِيَجْتَذِبُوا التَّلَامِيذَ وَرَاءَهُمْ." (أع ٢٠: ٢٩-٣٠)، أو ممن حذر منهم لما قال "وَأُطْلَبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ أَنَّ تُلَاحِظُوا الَّذِينَ يَصْنَعُونَ الشَّقَاقَاتِ وَالْعَنَرَاتِ خِلَافًا لِلتَّعْلِيمِ الَّذِي تَعَلَّمْتُمُوهُ وَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ. لَأَنَّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ لَا يَخْدُمُونَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ بَلْ بُطُونُهُمْ وَبِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ وَالْأَقْوَالِ الْحَسَنَةِ يَخْدَعُونَ قُلُوبَ السُّلَمَاءِ" (رو ١٦: ١٧-١٨)، ولما قال أيضاً "ثُمَّ نَسْأَلُكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ مَجِيءِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاجْتِمَاعِنَا إِلَيْهِ، أَنْ لَا تَتَرَعَّزُوا سَرِيعاً عَنْ ذِهْنِكُمْ، وَلَا تَرْتَاعُوا، لَا بِرُوحٍ وَلَا بِكَلِمَةٍ وَلَا بِرِسَالَةٍ كَأَنَّهَا مِنَّا: أَيُّ أَنْ يَوْمَ الْمَسِيحِ قَدْ حَضَرَ. لَا يَخْدَعَنَّكُمْ أَحَدٌ عَلَى طَرِيقَةٍ مَا، لَأَنَّهُ لَا يَأْتِي إِنْ لَمْ يَأْتِ الْإِزْدَادُ أَوَّلًا، وَيُسْتَعْلَنَ إِنْسَانُ الْخَطِيئَةِ، ابْنُ الْهَلَاكِ،" (٢ تس ٢: ١-٣).

الوصية بطلب المعرفة لا يعنى معرفة تلك اللحظة

مع أن الرب أوصى في العهد القديم بضرورة السعى والجد في طلب المعرفة "كَوْنُ النَّفْسِ بِلَا مَعْرِفَةٍ لَيْسَ حَسَنًا وَالْمُسْتَعْجِلُ بِرِجْلَيْهِ يَخْطِئُ" (أم ١٩: ٢)، ثُمَّ وفي العهد الجديد أشار إلى جدوى البحث والتفتيش للساعي في طريق الملكوت فقال "تَضِلُّونَ إِذْ لَا

تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلَا قُوَّةَ لِلَّهِ" (مت ٢٢: ٢٩)، إلا أنه أبقى حق معرفة هذه اللحظة للآب وحده^(١١٣) مثلما يتضح من قوله "وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الْإِبْنُ، إِلَّا الْآبُ." (مر ١٣: ٣٢)، ولو أنه أراد إعلانها للبشر لأعلنها بالأولى لتلاميذه الذين اختارهم وائتمنهم على الكرازة ببشارة الإنجيل في العالم كله، وكان بذلك قد عمل على انقضاء مُختاريه من "الانقياد بضلال الأرياء" (٢ بط ٣: ١٧) الذين قال عنهم مار بطرس الرسول "لَهُمْ عُيُونٌ مَمْلُوءَةٌ فِسْقًا لَا تَكْفُ عَنْ الْخَطِيئَةِ، خَادِعُونَ النُّفُوسَ غَيْرَ الثَّابِتَةِ. لَهُمْ قُلُوبٌ مُتَدَرِّبَةٌ فِي الطَّمَعِ. أَوْلَادُ اللَّعْنَةِ. قَدْ تَرَكُوا الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، فَضَلُّوا تَابِعِينَ طَرِيقَ بَلْعَامَ بْنِ بَصُورَ الَّذِي أَحَبَّ أُجْرَةَ الْإِثْمِ" (٢ بط ٢: ١٤-١٥)، "هَؤُلَاءِ هُمْ آبَارٌ بِلَا مَاءٍ، عُيُومٌ يَسُوفُهَا النَّوْءُ. الَّذِينَ قَدْ حَفِظَ لَهُمْ قَتَامُ الظَّلَامِ إِلَى الْأَبَدِ. لِأَنَّهُمْ إِذْ يَنْطَفُونَ بِعِظَائِمِ الْبُطْلِ، يَخْدَعُونَ بِشَهَوَاتِ الْجَسَدِ فِي الدَّعَاةِ مَنْ هَرَبَ قَلِيلًا مِنَ الَّذِينَ يَسِيرُونَ فِي الضَّلَالِ"، (٢ بط ٢: ١٧-١٨)، وكان بذلك أيضاً- أى بإعلانه عن تلك اللحظة - قد أغلق الطريق على المُعَلِّمِينَ الكَذِبَةِ الذين قال عنهم الرسول "وَلَكِنْ كَانَ أَيْضًا فِي الشَّعْبِ أَنْبِيَاءُ كَذِبَةٌ، كَمَا سَيَكُونُ فِيكُمْ أَيْضًا مُعَلِّمُونَ كَذِبَةٌ، الَّذِينَ يَدُسُّونَ بَدَعَ هَلَاكِ. وَإِذْ هُمْ يُنْكِرُونَ الرَّبَّ الَّذِي اشْتَرَاهُمْ، يَجْلِبُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ هَلَاكًا سَرِيعًا. وَسَيَنْبُعُ كَثِيرُونَ تَهْلُكَاتِهِمْ. الَّذِينَ بِسَبَبِهِمْ يُجَدَّفُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ" (٢ بط ٢: ١-٢)، وعلى الأنبياء الكذبة "وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلَامًا لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ أَوْ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ إِلَهَةٍ أُخْرَى فَيَمُوتُ ذَلِكَ النَّبِيُّ" (١٨: ٢٠)، "احْتَرِزُوا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْكَذِبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الْحُمَلَانِ، وَلَكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِلٍ ذُنَابٌ خَاطِفَةٌ" (مت ٧: ١٥)، بل وعلى الإنسان المتطفّل الساعى لبحث وتقصى ما لم يُسمح له به وما لم يُجعل في سلطانه الأمر الذى ينجلي من إجابة الرب على التلاميذ السائلين لِنَفْسِ السُّؤال "لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الْأَزْمَنَةَ وَالْأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الْآبُ فِي سُلْطَانِهِ" (أع ١: ٧) مما وأنهى عن

التلاميذ خاصة وعن الإنسان عامة أية محاولات اجتهدية لمُحاولة معرفة تلك اللحظة أو ذلك اليوم.

حكمة الله من عدم الإعلان عن تلك اللحظة أو ذلك اليوم^(١١٤)

الإنسان بطبيعته التي ورثها عن آدم يميل للخطية "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتْما بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتْ الْخَطِيئَةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِالْخَطِيئَةِ الْمَوْتُ وَهَكَذَا اجْتَنَزَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ" (رو ٥: ١٢)، ويسعى للشر لأن تصور قلبه شرير منذ حادثته (تك ٦: ٥)، ويزوغ وراءه أينما كان حيثما وُجد، ولذلك قَصَرَ الله عمر الإنسان على الأرض "فَقَالَ الرَّبُّ: «لَا يَدِينُ رُوحِي فِي الْإِنْسَانِ إِلَى الْأَبَدِ. لِرِيعَانِهِ هُوَ بَشَرٌ وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً» (تك ٦: ٣)^(١١٥) من أجل أن يُبعده عن الاستزادة في إتيان الشر الأمر الذي يؤكده قول الرب "وَصَلُّوا لِكَيْ لَا يَكُونَ هَرَبُكُمْ فِي شِتَاءٍ وَلَا فِي سَبْتٍ، لِأَنَّهُ يَكُونُ حِينًا ضِيقٌ عَظِيمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْعَالَمِ إِلَى الْآنَ وَلَنْ يَكُونَ. وَلَوْ لَمْ تُقْصَرْ تِلْكَ الْأَيَّامُ لَمْ يَخْلُصْ جَسَدٌ. وَلَكِنْ لِأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ تُقْصَرُ تِلْكَ الْأَيَّامُ" (مت ٢٤: ٢٠ - ٢٢)، فلو أن الله أعلن عن تلك اللحظة لظل الإنسان في سعيه الحثيث نحو الشر حتى هذه اللحظة عيناها على رجاء وأمل التوبة عندها تماما الأمر الذي يستحيل إتمامه إذ تكون الخطية قد تملكته منه وصيرته عبداً لها فألماته معنوياً وروحياً عن أية محاولة للحيدان عنها وجحدها.

قال القديس يوحنا الدرجي ليرتاب بعض المؤمنين الأتقياء مُتسائلين لماذا كتم الله عنا معرفة ساعة الموت مُسبقاً مادام أن ذكره ينفعنا بهذا المقدار؟ { غير عالمين أن الله العجيب في أحكامه صنع خلاصنا بهذا الكتمان، فإنه لو علم أى مَنَّا بوقته لما بادر إلى المعمودية، أو إلى التوبة بل لأمضى كل حياته في الإثم مُنتظراً يوم انصرافه ليقبل

إليهما، ولكن من جرّاء عاداته الطويلة يكون حينذاك قد رسخ في الرذيلة وقد يبقى غير قابل للإصلاح بالكليّة}.

ثمّ وإن كانت حكمة الله من عدم الإعلان عن تلك اللحظة هي من أجل استئثار الإنسان لتوبة دائمة لا يُقرنها ولا يربطها بتلك اللحظة - أى الموت - التى فيها يكون غير قادرٍ عليها - أى على التوبة - فهذا الموضوع أيضاً أسبابٌ عدّة، منها:

+ الاستعداد الدائم

قصد الله بحكمته من عدم الإعلان عن تلك الساعة أن يجعل الإنسان على استعداد دائم لبلوغ الحياة الأبدية، وهذا الاستعداد يحدو به لتوبة مُستمرّة توازره فى طريق جهاده صوب الأبدية الأمر الذى يُكسبه الطوبى "مَنْ يَجْمَعُ فِي الصَّيْفِ - أى من يجتهد - فَهُوَ ابْنٌ عَاقِلٌ وَمَنْ يَتَأَمَّرُ فِي الْحَصَادِ فَهُوَ ابْنٌ مُخْزٍ" (أم ١٠ : ٥) ومن ثمّ يغتنى من ثمار الروح القدس (أم ١٠ : ٤)، ويسود على مُحاربات الشرير (أم ١٠ : ٢٤)، فلا عجب إذن أن الرب نفسه من أجل أن يستحث روح الاستعداد الدائم لدى الإنسان أشار إلى ضرورة الاجتهاد فقال "اجْتَهِدُوا أَنْ تَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ"، (لو ١٣ : ٢٤)، الأمر الذى أشار إليه مار بولس الرسول بالروح فى قوله "الَّذِي تُنَادِي بِهِ مُنْذِرِينَ كُلَّ إِنْسَانٍ، وَمُعَلِّمِينَ كُلَّ إِنْسَانٍ، بِكُلِّ حِكْمَةٍ، لِكَيْ تُحْضِرَ كُلَّ إِنْسَانٍ كَامِلًا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. الْأَمْرُ الَّذِي لِأَجْلِهِ أَتَعَبْتُ أَيْضًا مُجَاهِدًا، بِحَسَبِ عَمَلِهِ الَّذِي يَعْمَلُ فِيَّ بِقُوَّةٍ" (كو ١ : ٢٨ - ٢٩)، ولذلك كان يسعى ليُدرِك الذى لأجله أدركه المسيح (فى ٣ : ١٢) وكان يجتهد ساعياً نحو الغرض لأجل جعله دعوة الله العليا فى المسيح يسوع (فى ٣ : ١٤) وأخيراً وفى نهاية حياته قال "قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الْإِيمَانَ"، (٢تى ٤ : ٧).

+ البُعد عن الفتور

عدم معرفة الإنسان لتلك اللحظة فضلاً عن أنه يحدو به إلى الإجهاد الدائم والسعى الحثيث ليكون بلا لوم في يوم الرب يسوع "لَذَلِكَ أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، إِذْ أَنْتُمْ مُنْتَظِرُونَ هَذِهِ، اجْتَهِدُوا لِتُوجَدُوا عِنْدَهُ بِلاَ دَنَسٍ وَلَا عَيْبٍ، فِي سَلَامٍ" (٢بط ٣: ١٤)، فهو يُبْعِدُهُ عن الفتور الذى قد يعتريه من جزاء انتظار الرب على المدى البعيد الأمر الذى أصاب العبد الردى الذى لما شعر بإبطاء سيده ابتدأ يضرب العبيد والإماء ويأكل ويشرب مع السكارى (لو ١٢: ٤٥) فأتى سيده وقطعه وجعل نصيبه مع الخانئين (لو ١٢: ٤٦)، ونفس الأمر اعترى ملاك كنيسة ساردس فصار فاتراً موجباً على نفسه عتاب الرب "أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ، أَنَّكَ لَسْتَ بَارِداً وَلَا حَارّاً. لَيْتَكَ كُنْتَ بَارِداً أَوْ حَارّاً. هَكَذَا لَأَتُكَ فَاتِرٌ، وَلَسْتَ بَارِداً وَلَا حَارّاً، أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أَتَقَيِّكَ مِنْ فَمِي" (رؤ ٣: ١٥ - ١٦).

هذه الحالة من الفتور شبهها الكتاب بالثمار اليابسة "وَخَرَجَ مَلَاكٌ آخَرُ مِنَ الْهَيْكَلِ، يَصْرُخُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ إِلَى الْجَالِسِ عَلَى السَّحَابَةِ: أَرْسِلْ مِنْجَلَكَ وَاحْصُدْ، لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَتِ السَّاعَةُ لِلْحَصَادِ، إِذْ قَدْ بَيَسَ حَصِيدُ الْأَرْضِ" (رؤ ١٤: ١٥)، "خَلِّ الْفَلَاحُونَ. وَلَوْلَ الْكِرَامُونَ عَلَى الْحِنِطَةِ وَعَلَى الشَّعِيرِ لِأَنَّهُ قَدْ تَلَفَ حَصِيدُ الْحَقْلِ. الْجَفْنَةُ يَبْسُتُ وَالنَّيْنَةُ دَبَلَتْ. الرُّمَانَةُ وَالنَّخْلَةُ وَالتَّقَّاحَةُ كُلُّ أَشْجَارِ الْحَقْلِ يَبْسُتُ. إِنَّهُ قَدْ يَبْسُتِ الْبَهْجَةُ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ" (يو ١: ١١ - ١٢)، "هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَلْ تَنْجَحُ؟ أَفَلَا يَقْلَعُ أُصُولُهَا وَيَقْطَعُ ثَمَرُهَا فَتَبْيَسَ؟ كُلُّ مَنْ أَوْزَقَ أَغْصَانَهَا تَبْيَسَ، وَلَيْسَ بِذِرَاعٍ عَظِيمَةٍ أَوْ بِشَعْبٍ كَثِيرٍ لِيَقْلَعُوهَا مِنْ أُصُولِهَا" (حز ١٧: ٩)، "وَيْلٌ لِلْقَائِلِ لِلْعُودِ: اسْتَيْقِظْ! وَلِلْحَجَرِ الْأَصَمِّ: انْتَبِهْ! أَهْوَ يُعْلَمُ؟ هَا هُوَ مَطْلِي بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَا رُوحَ النِّبَّةِ فِي دَاخِلِهِ" (حب ٢: ١٩).

فالإنسان إذن بعدم معرفته لتلك اللحظة يشعر بحاجة الدائمة لتجديد علاقته مع الله ومع الآخرين الأمر الذى أوضحه بولس الرسول فى قوله "وَلْنُلاَحِظْ بَعْضُنَا بَعْضاً

لِلتَّحْرِيزِ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ، غَيْرَ تَارِكِينَ اجْتِمَاعَنَا كَمَا لِقَوْمٍ عَادَةً، بَلْ
وَأَعْظِينَ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَبِالْأَكْثَرِ عَلَى قَدْرِ مَا تَرَوْنَ الْيَوْمَ يَقْرُبُ،" (عب ١٠ : ٢٤ -
٢٥)، وهذا ما يدفعه لإدوام العمل بالكلمة الإلهية واستمرار الاجتهاد فيها وبها (يع ١ :
٢٢-٢٥)، فيسمو في عمل الخير مؤسساً نفسه على الإيمان الأقدس (يه ٢٠) ليصير
إنساناً لله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح (٢تى ٣ : ١٧) سائراً في فرائض الله حافظاً
لوصاياها (١مل ٨ : ٦١).

+استمرارية الحياة

عدم معرفة الإنسان لتلك اللحظة يُعطى إستمرارية للحياة التى أوجدها الله على
الأرض فهو قد خلق الشمس لضياء النهار^(١١٦) حيث يكد الإنسان ويتعب (تك ٣ : ١٧)
فى أعماله "لتكون له امرأته" (١كو ٧ : ٢) ومن ثمَّ يُثمراً معاً ويكثرُ ويملأ الأرض (تك
١ : ٢٨)، وخلق الليل الذى فيه ينال الإنسان قسطاً من الراحة^(١١٧) استعداداً لبدء نهارٍ
جديدٍ يكد فيه ويتعب، فلو عرف الإنسان تلك اللحظة لتوقفت كافة مظاهر الحياة من
أعمال وأشغال الأمر الذى حدث مع أهل تسالونيكي الذين لمّا أوصاهم الرسول فى
رسالته الأولى لهم بضرورة الاستعداد الدائم للقاء الرب (١تى ٥ : ١ - ٣) ظنوا خطأً
بتحريضٍ من بعض المُشكِّكين أنه - أى الرسول - يحصر مجئ الرب فى فترة زمنية
قصيرة جداً فتركوا أشغالهم وأعمالهم وخرجوا للبرارى والحدائق ينتظرون الرب الآتى على
السحاب الأمر الذى حدا ببولس الرسول ليصحح فكرهم الخاطئ فى رسالته الثانية لهم
فقال "ثم نسألکم أيها الإخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه، أن لا
تنزعزعا سريعاً عن ذهنكم، ولا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا أي أن يوم
المسيح قد حضر" (٢تى ٢ : ١ - ٢).

+ استمرارية الخدمة

عدم معرفة الإنسان لتلك اللحظة فضلاً عن أنه يُعطى إستمرارية للحياة فهو أيضاً يُعطى إستمرارية للخدمة والكراسة باسم الرب كوصيته "نَادِ بِصَوْتٍ عَالٍ. لَا تُمْسِكْ. ارْفَعْ صَوْتَكَ كَبُوقٍ وَأَخْبِرْ شَعْبِي بِتَعَدِّيهِمْ وَبَيْتَ يَعْقُوبَ بِخَطَايَاهُمْ" (إش ٥٨ : ١)، "أَعْطَانِي السَّيِّدُ الرَّبُّ لِسَانَ الْمُتَعَلِّمِينَ لِأَعْرِفَ أَنْ أُغِيثَ الْمُعْيِي بِكَلِمَةٍ. يُوقِظُ كُلَّ صَبَاحٍ يُوقِظُ لِي أَدْنَاً لِأَسْمَعَ كَالْمُتَعَلِّمِينَ" (إش ٥٠ : ٤)، "أُخْرِجُوا مِنْ بَابِلَ اهْرُبُوا مِنْ أَرْضِ الْكِلْدَانِيِّينَ. بِصَوْتِ التَّرَنُّمِ أَخْبِرُوا. نَادُوا بِهِذَا. شَبِّعُوهُ إِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ. قُولُوا: قَدْ قَدَى الرَّبُّ عَبْدَهُ يَعْقُوبَ" (إش ٤٨ : ٢٠)، "اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرُرُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا" (مر ١٦ : ١٥)، "فَازْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أُوصِيْتُكُمْ بِهِ" (مت ٢٨ : ١٩ - ٢٠)، ثُمَّ وَإِنْ كَانَ الرَّسُولُ قَدْ أَعْلَنَ أَنَّ الدِّينَانَةَ الطَّاهِرَةَ عِنْدَ اللَّهِ هِيَ إِنْتِقَادُ الْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ فِي ضَيْقَتِهِمْ (يع ١ : ٢٧) فَهَلْ يَسْتَمِرُّ الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الْخِدْمَةِ لِيَحْيَا الدِّينَانَةَ الطَّاهِرَةَ مَتَى عَرَفَ بِلَحْظَتِهِ الْأَخِيرَةِ عَلَى الْأَرْضِ أَمْ أَنَّهُ سَيَنْسَى هَؤُلَاءِ الْيَتَامَى وَأُولَئِكَ الْأَرَامِلَ لَكِي مَا يَتَفَرَّغَ لَخَلَاصِ نَفْسِهِ؟! (١١٨)، حَتْمًا لَوْ عَرَفَ الْإِنْسَانُ لَحْظَتَهُ الْأَخِيرَةَ لَانْصَرَفَ عَنِ الْكُلِّ مُنْشَغَلًا بِخَلَاصِ نَفْسِهِ وَحدها.

من هذه وما قبلها يتضح جلياً أنه لم يُعطَ لأى إنسان أن يعرف تلك اللحظة أو أن يحصرها فى فترة زمنية مُعَيَّنة طالَت أم قصرت لأن الإعلان عنها مخفى ومختوم إلى وقت النهاية (دا ١٢ : ٩)، والرب بحكمته لم يُعطِ حق معرفتها أو التنبؤ عنها للإنسان من أجل خيره وفائدته الروحية.

جاء فى طرح الساعة الحادية عشر من ليلة الثلاثاء من البسخة المقدسة {أنت وحدك أيها المُدبّر العالم بسائر الأشياء قبل كون جميعها، والأزمنة والسنين وكل الأوقات والأجيال الماضية أنت العالم بها، اسمعوا مخلصنا يقول علانية بفمه الإلهى هكذا قائلاً "من أجل ذلك اليوم وتلك الساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان أنه ليس أحد من سائر البشر ولا الملائكة يعلمها والابن أيضاً لا يعلمها إلا الآب فقط العالم بكل شئ، فاسهروا كل حين وصلّوا فإنكم لستم تعرفون متى يكون الوقت لئلا يأتى بغته فيجدكم نياماً".}

†

الباب السادس

بدء الحكمة مخافة الرب

حقاً أحب الرب يسوع المسيح الإنسان إلى المُنتهى (يو ١٣ : ١) فبذل نفسه لكى ما يفديه من كل إثم ويُطَهَّرَ لنفسه شعباً خاصاً غيوراً فى أعمال حسنة (تيطس ٢ : ١٤)، ولأجله قَبِلَ وهو القدوس الذى بلا عيب ولا دنس (١بط ١ : ١٩) أن ينزل إلى أقسام الأرض السفلى (أف ٤ : ٩) لِيُخَلِّصَ الْمُمَسْكِينَ فى سجن الهاوية بسلاسل الشيطان (١بط ٣ : ١٩)، ثُمَّ أعطاهُ الوعد بالحياة الأبدية التى لم ترها عين ولم تسمع بها أذن ولم تخطر على بال إنسان (١كو ٢ : ٩) إن هو سلك فى فرائضه وأحب وصاياه، ومع ذلك لم يزل الإنسان بعدما فسدت طبيعته من جزاء سقطة آدم وحواء يميل للشر والخطية لأن تصوُّر أفكار قلبه هو شرير كل يوم (تك ٦ : ٥) الأمر الذى لأجله وُصِفَ فى الكتاب المقدَّس بالفساد (أم ١١ : ٦)، وبالإعوجاج (أم ١٠ : ٩)، وبالهوان (أم ٣ : ٣٥)، وبالجَهْل (أم ١ : ٢٢).

ولعلم الله الكامل بميلان الإنسان إلى الشر لأن تصوُّر أفكار قلبه هو شرير منذ حدوثه (تك ٦ : ٥) ولأنه بالإثم حُبِلَ به وبالخطايا ولدته أمه (مز ٥١) جعل من مخافة الإنسان له الدرجة الأولى التى حينما يخطوها يصل إلى درجة المحبة الكاملة التى تطرح الخوف إلى خارج (١يو ٤ : ١٨)، تماماً كشاول الطرسوسى الذى تدرَّج فى علاقته بالله من العيش حسب مذهب العبادة الأضيق (أع ٢٦ : ٥) والخضوع الخائف لوصاياه فى الناموس "فَمَاذَا نَقُولُ؟ هَلِ النَّامُوسُ خَطِيئَةٌ؟ حَاشَا! بَلْ لَمْ أَعْرِفِ الْخَطِيئَةَ إِلَّا بِالنَّامُوسِ. فَإِنِّي لَمْ أَعْرِفِ الشَّهْوَةَ لَوْ لَمْ يَقُلِ النَّامُوسُ «لَا تَشْتَهَ». وَلَكِنَّ الْخَطِيئَةَ وَهِيَ مُنْخَذَةُ فُرْصَةً بِالْوَصِيَّةِ أَنْشَأَتْ فِي كُلِّ شَهْوَةٍ. لِأَنِّ بَدُونِ النَّامُوسِ الْخَطِيئَةُ مَيِّتَةٌ. أَمَّا أَنَا فَكُنْتُ بَدُونِ

النَّامُوسِ عَائِشاً قَبْلًا. وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَتِ الْوَصِيَّةُ عَاشَتْ الْخَطِيئَةُ فَمَتُّ أَنَا فَوُجِدَتِ الْوَصِيَّةُ
الَّتِي لِلْحَيَاةِ هِيَ نَفْسُهَا لِي لِلْمَوْتِ. (رو ٧: ٧ - ١٠)، "وَلَكِنِّي أَرَى نَامُوساً آخَرَ فِي
أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذَهْنِي وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيئَةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي. وَيُجِي
أَنَا الْإِنْسَانَ الشَّقِيَّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا الْمَوْتِ؟" (رو ٧: ٢٣ - ٢٤) إلى المحبة
الكاملة التي جعلته يقول "مَا كَانَ لِي رِيحاً فَهَذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ
إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ
أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نَفَايَةَ لِكَي أَرْجَحَ الْمَسِيحَ وَأُوجِدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بَرِّي
الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ، الْبَرُّ الَّذِي مِنَ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ" (فى ٣: ٧ -
٩) بل ويستهوى لا أن يُربط فقط من قِبَل اليهود بل أن يموت أيضاً لأجل اسم الرب يسوع
المسيح (أع ٢١: ١٣).

مُعَامَلَةُ الْمَسِيحِ مَعَ الْمُقْسِيَّينَ لِقُلُوبِهِمْ

أَمَّا عَنِ الْأَكْثَرِينَ الَّذِينَ لَمَّا رَأَوْا مَحَبَّةَ يَسُوعَ الْبَاذِلَةَ عَلَى الصَّلِيبِ فِي مَجِيئِهِ الْأَوَّلِ
مُخْلَصاً وَفَادِيّاً تَهَاوَنُوا مُقْسِيَّينَ قُلُوبَهُمْ الْحَجَرِيَّةَ غَيْرَ مُظْهِرِينَ مَيْلاً وَرَغْبَةً لَتَقْدِيمِ الْخَوْفِ
الْوَاجِبِ لَهُ - أَى لِلَّهِ - كَخُطْوَةٍ أُولَى تَوَصَّلُهُمْ لِمَحَبَّتِهِ الْكَامِلَةِ الَّتِي تَطْرَحُ الْخَوْفَ خَارِجاً
(أيو ٤: ١٨)^(١١٩) مُتَكَلِّينَ عَلَى مَحَبَّتِهِ الْبَاذِلَةَ الْجَاذِبَةَ لِلْخُطَاةِ وَالَّتِي أَعْلَنَهَا فِي تَبْكِيَتِهِ
لِلْيَهُودِ لَمَّا قَالَ "لَمْ آتِ لِأَدْعُو أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ" (لو ٥: ٣٢)، لَمْ يَتْرَكْهُمْ الرَّبُّ
الْكُلَّى الْأَمَانَةَ رَغْمَ عَدَمِ أَمَانَتِهِمْ لِأَنَّهُ يَبْقَى أَمِيناً إِلَى الْمُنْتَهَى (٢تى ٢: ١٣)، بَلْ أَوْضَحَ
لَهُمْ وَسِيلَةَ وَكَأَنَّهُ بِهَا يَدْفَعُهُمْ دَفْعاً لِلْبَدءِ فِي مَخَافَتِهِ الْوَاجِبَةِ مِنْهُمْ لَهُ كَوْصِيَّةِ الرُّسُولِ
"فَأَعْطُوا الْجَمِيعَ حُقُوقَهُمْ: الْجَزِيَّةَ لِمَنْ لَهُ الْجَزِيَّةُ. الْجِبَايَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِبَايَةُ. وَالْخَوْفَ لِمَنْ لَهُ

الْخَوْفُ. وَالْإِكْرَامَ لِمَنْ لَهُ الْإِكْرَامُ" (رو ١٣ : ٧)، الأمر الذى يؤدى بهم لبلوغ محبته الكاملة التى تطرح الخوف إلى خارج فأشار إلى:

◀ حتمية الموت الذى يأتى فجأة

قال القس منسى يوحنا {لقد أتى المخلص أولاً وديعاً متواضعاً فاتخذ العالم من اتضاعه سبباً لاحتقاره وإذلاله، أتى ليسكب على الناس فيض رحمته فاتخذ العالم من رحمته سبباً ليُسئى إلى هذا الإله الجليل الصبر والجود، فمن الواجب إذاً فى مجيئه الثانى أن يأتى ليُصلح هذين الجرمين الذين أجرم بهما البشر، فيأتى أولاً بعظمته وثانياً بعدله، فهذا الخوف الوديع الذى بصبر عجيب فى هذه الحياة احتمل من الخطاة إهانات وافتراءات عديده يصير أسداً مُفترساً، مُجَرَّد النظر إليه يولى الخطاة رعباً ويُلْبِسُهُمْ ثياباً من الخوف والرجز دون أن يكون لهم أقل أمل فى الرحمة، إن الخطاة لا يعرفونه الآن بل يظهر لهم أنه إله لا يُبصر الإثم أو لا يبغضه أو كأنه لا يشعر بما يُهان به اسمه القدوس، إلا أنهم سيعلمون وقتئذ أن الله يبغض الخطية بُغْضاً عظيماً}، وقال أيضاً {حينئذ يصح القول على لسان الخاطئ [أين مراحمك القديمة؟ كُنت أراك فى مجيئك الأول وديعاً متواضعاً كالحمل، واليوم^(١٢٠) أراك قوياً مُزْمِجراً كالأسد، كُنت أراك تفتح ذراعيك ليُقبل إليك الخاطئ واليوم أراك تطرده إلى النار المؤبدة، كيف استحالت تلك المحبة إلى بُغْضة؟ إنها الخطية يا إلهى التى جعلتك تغضب ويحق لك أن تغضب على مُرتكبيها لأنك سبقت ومُتُّ لأجلهم}.

قد لا يعرف الإنسان كيف يخاف يسوع الذى رآه "وديعاً متواضعاً راكباً على أتان وحجش بن أتان" (مت ٢١ : ٥)، والذى عرفه مُخلصاً وراعياً "يَبْدُل ذاته لأجل الخراف" (يو ١٠ : ١١)، ولذلك ولكى ما يجتذبه الله ليبدأ مخافته ومن ثَمَّ يصل لمحبهته الكاملة

التي تطرح الخوف خارجاً (أيو ٤ : ١٨) غرس داخله الخوف الطبيعي من عدو قوى غاشم (١كو ١٥ : ٢٦) هو الموت^(١٢١) مُشِيرًا إِلَى فُجَائِيَّتِهِ "بَعَثَ يَمُوتُونَ وَفِي نِصْفِ اللَّيْلِ. يَرْتَجُّ الشَّعْبُ وَيَزُولُونَ وَيُنْزَعُ الْأَعْرَاءُ لَا بَيِّدٍ" (أى ٣٤ : ٢٠)، مُعْلِنًا لَهُ عَنْ قِصَرِ عُمُرِهِ "لَأَنَّا نَحْنُ مِنْ أَمْسٍ وَلَا نَعْلَمُ لَأَنَّ أَيَّامَنَا عَلَى الْأَرْضِ ظِلٌّ" (أى ٨ : ٩)^(١٢٢)، ذاك الذى لا يتعدى كونه بُخَارًا يأتى قليلاً ثُمَّ يَضْمَلُ (يع ٤ : ١٤) أو ثوباً أكله العثّ "وَأَنَا كَمُتْسَوِّسٍ يَبْلَى كَنُوبٍ أَكَلَهُ الْعُثُّ". (أى ١٣ : ٢٨)، أو قشاً يابساً "أَتُرْعَبُ وَرَقَةً مُنْدَفَعَةً وَتُطَارِدُ قَشًا يَابِسًا" (أى ١٣ : ٢٥)، أو تَبْنًا قُدَّامَ الرِّيحِ "أَوْ يَكُونُونَ كَالْتَّبَنِ قُدَّامَ الرِّيحِ وَكَالْعُصَافَةِ الَّتِي تَسْرِفُهَا الرُّوبَعَةُ" (أى ٢١ : ١٨).

ثُمَّ ولكى ما يَحِيدُ بِالْإِنْسَانِ عَنِ الْإِنْشِغَالِ أَوْ الْإِرْتِبَاطِ بِالْحَيَاةِ الْأَرْضِيَّةِ الزَّائِلَةِ بَلْ بِالْأَكْثَرِ بِالْمَوْتِ كَطَرِيقٍ مُؤَدًى لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ أَوْضَحَ لَهُ أَيْضاً سُرْعَةَ زَوَالِ الْحَيَاةِ وَأَمْجَادِ الْعَالَمِ تَارَةً بِالْأَمْثَلَةِ الْإِنْجِيلِيَّةِ كَالْغَنَى الْغَبِي الَّذِي زَالَتْ خَيْرَاتُهُ فِي لَحْظَةٍ (لو ١٢ : ٢٠) وَكَالْغَنَى الْآخِرِ الَّذِي لَمْ يَنْفَعُهُ لِبَسُ الْأَرْجَوَانِ وَالْبِزِّ (لو ١٦ : ١٩)، وَهَكَذَا كَالْإِبْنِ الضَّالِّ الَّذِي لَمْ تَنْفَعِهِ مَعِيشَتُهُ الَّتِي قَسَمَهَا لَهُ وَالِدُهُ (لو ١٥ : ١٢) إِذْ انْتَهَتْ وَزَالَتْ سَرِيعاً بَعِيشُهُ الْمُسْرِفِ (لو ١٥ : ١٣)، وَتَارَةً أُخْرَى بِأَقْوَالِ أَبْرَارِهِ وَقَدِيسِيهِ مِثْلَمَا قَالَ أَحَدُهُمْ لِكُمُوجِ الْبَحْرِ الَّذِي يَصْعَدُ وَيَهْبِطُ وَلَمْ يَعُدْ يُنْظَرُ، هَكَذَا تَارِيخُ هَذَا الْعَالَمِ كِتَارِيخُ الْمَوْجَةِ صَعُودٍ وَهَبُوطٍ ثُمَّ انْحِلَالٍ إِلَى الْأَبَدِ، فَهَلْ تَرَوْنَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ أَنْ تَجْعَلَ نَصِييَكَ فِي الْحَيَاةِ مَوْجَةً؟ كَزَهْرَةٍ نَضْرَةٍ تَسُرُّ مَنْ يَرَاهَا فَيَقْتَطِفُهَا وَيَشْمُ رَائِحَتَهَا الزَكِيَّةَ وَلَكِنْ بَعْدَ بَرِّهِ قَصِيرِهِ يَزُولُ جَمَالُ مَنْظَرِهَا، هَكَذَا الْعَالَمُ يَذْبُلُ أَمَامَ عَيُونِنَا، فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَنْظُرُ إِلَيْهِ بِسُرُورٍ إِذْ بِهِ يَمْضَى وَلَا يَبْقَى مِنْهُ سِوَى قَلِيلٍ مِنَ الْغُبَارِ، فَهَلْ تَحِبُّ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ أَنْ تَجْعَلَ نَصِييَكَ مَا لَا تَزِيدُ مُدَّتَهُ عَنْ سَاعَةٍ مِنَ الزَّمَنِ؟، وَقَالَ {كَقُوسِ سَحَابٍ أُرْسِلَتْ الشَّمْسُ أَشْعَتَهَا عَلَى غَيُومٍ مُمَطَّرَةٍ فَتَكْسَرَتْ تِلْكَ الْأَشْعَةُ إِلَى أَلْوَانِهَا السَّبْعَةِ فَبَدَتْ لِلنَّازِلِ قَوْساً غَايَةً فِي الْجَمَالِ، وَلَكِنْ تِلْكَ الْغَيُومُ مَرَّتْ بِسُرْعَةٍ فَزَالَ لِلْوَقْتِ جَمَالُ الْقُوسِ، هَكَذَا أَيْضاً الَّذِي يَتَأَلَّفُ مَعَ

فانيات هذه الحياة فإنها تدهمه غيوم الأخطار فينحل ويتم الافتراق بينه وبين الإنسان فلا يعود يراه إلى الأبد، كصورة جميلة رُسِمَت فيها مُدُن وقلاع وممالك وأنهار وبحار وجبال، ولكن متى لحقها قليل من الماء مُحيت الصورة بسرعة وتشوهت، هكذا الدنيا تظهر لك بصورة مُزخرفة، ولكنها تنمِرَق وتتلشى بأقل الأشياء، وقلب الإنسان المملوء بالمطامع مع الآمال فى وقت وجيز ينسحق ويفقد الحياة "لِذَلِكَ يَكُونُونَ كَسَحَابِ الصُّبْحِ وَكَالنَّدَى الْمَاضِي بَآكِراً. كَعَصَافَةٍ تُخَطَفُ مِنَ الْبَيْدَرِ وَكَدُخَانٍ مِنَ الْكُوَّةِ" (هو ١٣ : ٣)، وأخيراً قال {لا تَعْرُكْ خُضْرَةُ أَمْجَادِ هَذَا الْعَالَمِ وَلَا رَوْقُهَا الْحَاضِرِ فَإِنَّهَا تَزِيلُ حَالاً وَتَزُولُ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ، لَا تَحِبُّ الْعَالَمَ الَّذِي تَرَاهُ مُسْرِعاً فِي مَرُورِهِ جِداً، قَالَ الْحَكِيمُ "كَعَبُورِ الزُّوبَعَةِ فَلَا يَكُونُ الشَّرِيرُ أَمَّا الصَّدِيقُ فَأَسَاسٌ مُؤَبَّدٌ" (أم ١٠ : ٢٥)}.

وهكذا فكل هذه الإشارات الإلهية إمّا بالامثلة الإنجيلية أو بأقوال واختبارات الأبرار والقديسين إنما كانت لكى ما تستحث الإنسان من حيث غريزة الموت التى غرسها الله داخله ليشرع فى مخافته، قبل أن يبعثه الموت، ومن ثمَّ يصل إلى محبته الكاملة.

◀ حتمية العذاب الذى يأتى بعد الموت^(١٢٣)

تأديبات الله

جعل الله للإنسان التأديب لكى ما يُقَوِّمُهُ فى طريقه فلا يمل يمناً ولا يسرة (أم ٤ : ٢٧)، ولا يمضى فى طُرُق تبدو مُستقيمة وعاقبتها الموت (أم ٢٤ : ١٢)، ولذلك أوصى الإنسان بلسان الجامعة بضرورة قبوله - أى الإنسان - لتأديباته - أى الله - "يَا ابْنِي لَا تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ وَلَا تَكْرَهُ تَوْبِيخَهُ لِأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ وَكَأَبٍ بِابْنٍ يُسَرُّ بِهِ." (أم ٣ : ١١ - ١٢)، "إِسْمَعِ الْمَشُورَةَ وَأَقْبَلِ التَّأْدِيبَ لِكَيْ تَكُونَ حَكِيماً فِي آخِرَتِكَ" (أم ١٩ : ٢٠)، وأعلن أن رافض التأديب هو ضال "حَافِظُ التَّعْلِيمِ هُوَ فِي طَرِيقِ الْحَيَاةِ وَرَافِضُ

التَّأْدِيبِ ضَالٌّ" (أم ١٠ : ١٧)، وبلید "مَنْ يُحِبُّ التَّأْدِيبَ يُحِبُّ الْمَعْرِفَةَ وَمَنْ يُبْغِضُ النَّوْبِيخَ فَهُوَ بَلِيدٌ" (أم ١٢ : ١)، وفقیق "فَقَرٌّ وَهَوَانٌ لِمَنْ يَرْفُضُ التَّأْدِيبَ وَمَنْ يُلَاحِظُ النَّوْبِيخَ يُكْرَمُ" (أم ١٣ : ١٨)، ومرذول "مَنْ يَرْفُضُ التَّأْدِيبَ يَرُدُّ نَفْسَهُ وَمَنْ يَسْمَعُ لِلتَّوْبِيخِ يَقْتَتِي فَهْمًا" (أم ١٥ : ٣٢)، وهكذا ولنفس الغرض أوصى الآباء بضرورة تأديب أبنائهم "أَدِّبِ ابْنَكَ لِأَنَّ فِيهِ رَجَاءٌ وَلَكِنْ عَلَى إِمَاتَتِهِ لَا تَحْمِلْ نَفْسَكَ" (أم ١٩ : ٨)، "أَدِّبِ ابْنَكَ فَيُرِيحَكَ وَيُعْطِيَ نَفْسَكَ لَذَاتٍ". (أم ٢٩ : ١٧)، وأوصى الأبناء بلزوم قبول تأديبات آبائهم "اسْمَعْ يَا ابْنِي تَأْدِيبَ أَبِيكَ وَلَا تَرْفُضْ شَرِيعَةَ أُمِّكَ لِأَنَّهُمَا إِكْلِيلُ نِعْمَةٍ لِرَأْسِكَ وَقَلَانِدُ لِعُنُقِكَ" (أم ١ : ٨ - ٩)، "الْإِبْنُ الْحَكِيمُ يَقْبَلُ تَأْدِيبَ أَبِيهِ وَالْمُسْتَهْزِئُ لَا يَسْمَعُ انْتِهَارًا" (أم ١٣ : ١).

عقوبات الله^(١٢٤)

وكما أن الله جعل للإنسان التأديب ليُفَوِّمَ طريقه وسلوكه جعل له أيضاً العقاب لكي ما يدرك بشاعة خطيئته ومن ثم يصير العقاب له كلجاء يُقَيِّدُهُ عن إتيان الشر الذي اكتشف أنه لا يحتمل عقوبته الأرضية مع أنها عينها قد وُضِعَتْ لفائدته ولخيرته، فكم وكم يحتمل العقوبات الأبدية التي لا تنتهي أبداً، قال القس منسى يوحنا {قُلْ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الجاهل يا من تخشى من حرارة الشمس، هل تستطيع أن تحتل اللهب الأبدى؟، أيُّها المرأة المُتَنَعِّمة يا من لا تحتلمين أن تُوحَزَ يدك بآبرة، هل تستطيعين الصبر في تلك النار الأبدية؟، أيُّها الساعى وراء اللذات يا من لا تقوى على احتمال نفس جارك، هل تقدر أن تبقى إلى الأبد بين جُثث الهالكين الكريهة في جهنم؟}، وقال القديس يوحنا ذهبى الفم {إِنَّ تَأْمُلَ الْعَذَابِ الْأَبْدِيِّ كَعُقُوبَةٍ هُوَ بِمِثَابَةِ الدَّوَاءِ الْمُرِّ الَّذِي يُنْقَى النَّفْسُ مِنْ كُلِّ الشَّرِّ وَالْخَبَائِثِ، فَإِذَا كُنْتَ مُتَغَافِلاً فَادْكُرِ الْخَمْسَ عَذَارَى الْجَاهِلَاتِ اللَّاتِي لَمْ يَأْتِيَنَّ بَزَيْتٍ لِمَصَابِيحِهِنَّ فَسَقَطْنَ، وَإِنْ كُنْتَ مُخْتَلِساً فَاسْمَعْ سَيِّدَنَا قَائِلاً "خَذُوهُ مِنْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ

واطرحوه في الظلمة الخارجية"، وإن كُنت سكيراً فاسمع ما يقوله الغنى لإبراهيم "يا أبى ارحمنى وأرسل لعازر ليبل إصبعه بماء بارد ويبرد طرف لسانى لأنى مُعَذَّب فى هذا اللهب"، وإن صارعتك الشهوة فافتكر فى إضرار نار جهنم حتى يَحْمَد اشتعالها فيك}، وقال آخر {ذكر نار غضب القدير يُلَبِّن قساوة القلب ويُهْدِي المُتَمَرِّدين}.

لذلك ولِعِظَم الفوائد الروحية والأبدية التى للعقوبات جعل الله لِخَطِيئَةِ داود الأولى العقوبة بموت ابنه الذى ولدته له بتشبع (٢صم ١٢ : ١٨)، وجعل لِخَطَايَا بنى اسرائيل بعد موت يشوع عقوبات لكى ما يجتذبهم للصراخ إليه وطلبه فينفذهم "فَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَي الرَّبِّ، وَنَسُوا الرَّبَّ إِلَهُهُمْ وَعَبَدُوا الْبُعْلِيمَ وَالسَّوَارِيَ. فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَبَاعَهُمْ بِيَدِ كُوشَانَ رِشْعَتَايِمَ مَلِكِ أَرَامَ النَّهْرَيْنِ. فَعَبَدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ كُوشَانَ رِشْعَتَايِمَ ثَمَانِي سِنِينَ. وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ، فَأَقَامَ الرَّبُّ مُخْلَصاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَخَلَّصَهُمْ. عُنْثِيئِيلَ بَنَ قَنَارَ أَخَا كَالِبَ الْأَصْغَرَ" (قض ٣ : ٧ - ٩)، وهكذا جعل لخطايا بنى اسرائيل فى زمن عاموس النبى العقوبات ليجتذبهم للرجوع إليه كقوله "وَأَنَا أَيْضاً مَنَعْتُ عَنْكُمْ الْمَطَرَ إِذْ بَقِيَ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ لِلْحَصَادِ وَأَمْطَرْتُ عَلَى مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ وَعَلَى مَدِينَةٍ أُخْرَى لَمْ أَمْطَرَ. أَمْطَرَ عَلَى ضَيْعَةٍ وَاحِدَةٍ وَالضَّيْعَةُ الَّتِي لَمْ يُمْطَرْ عَلَيْهَا جَفَّتْ. فَجَالَتْ مَدِينَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ إِلَى مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ لِشُرْبِ مَاءٍ وَلَمْ تَشْبَعْ فَلَمْ تَرْجِعُوا إِلَيَّ يَقُولُ الرَّبُّ. ضَرَبْتُكُمْ بِاللَّفْحِ وَالْيَرْقَانِ. كَثِيراً مَا أَكَلَ الْقَمَصُ جَنَائِكُمْ وَكُرُومَكُمْ وَتِينَكُمْ وَزَيْتُونَكُمْ فَلَمْ تَرْجِعُوا إِلَيَّ يَقُولُ الرَّبُّ. أَرْسَلْتُ بَيْنَكُمْ وَبَاءً عَلَى طَرِيقَةِ مِصْرَ. قَتَلْتُ بِالسَّيْفِ فِتْيَانَكُمْ مَعَ سَبِي خَيْلِكُمْ وَأَصْعَدْتُ نَارَ مَحَالِكُمْ حَتَّى إِلَى أَنْوْفِكُمْ فَلَمْ تَرْجِعُوا إِلَيَّ يَقُولُ الرَّبُّ. قَلْبْتُ بَعْضَكُمْ كَمَا قَلَبَ اللَّهُ سَدُومَ وَعَمُورَةَ فَصَرَّيْتُمْ كَشُعْلَةٍ مُنْتَشِلَةٍ مِنَ الْحَرِيقِ فَلَمْ تَرْجِعُوا إِلَيَّ يَقُولُ الرَّبُّ" (عا ٤ : ٧ - ١١).

عذابات حقيقية

لَكِنَّ الْإِنْسَانَ رَغْمَ هَذِهِ التَّأْدِيبَاتِ وَتِلْكَ الْعُقُوبَاتِ قَدْ يُقَسِّ قَلْبُهُ فَلَا يَعُودُ يَشْعُرُ بِهَدَفِ اللَّهِ مِنْهَا^(١٢٥) صَائِرًا كَالْجَاهِلِ الَّذِي لَا تَوَثَّرُ فِيهِ مَائَةٌ جِلْدَةً لِيَفِيْقَ مَعَ أَنْ مُجَرَّدَ الْإِنْتِهَارِ يُؤَثِّرُ فِي الْحَكِيمِ (أَم ١٧ : ١٠)، لِذَلِكَ أَرَادَ اللَّهُ الْكُلِّيَ الْمَحَبَّةَ الَّذِي يَجْرَحُ وَيَعْصِبُ وَيَدَاهُ تَشْفِيَانِ (أَي ٥ : ١٨) أَنْ يُظْهِرَ لِلْإِنْسَانِ حَقِيقَةَ الْعَذَابِ الْأَبَدِيِّ الَّذِي يَنْتَظِرُ الْمُتَوَانِينَ لَكِي مَا يَجْتَذِبُهُ لِلْإِسْتِعْدَادِ لِأَهَمِّ لَحْظَةٍ قَدْ يُوَاجِهُهَا فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا، ذَلِكَ لِأَنَّ الْبَعْضَ مِنْ قَسْوَا قُلُوبِهِمْ فَلَمْ يَسْتَعِدُّوا طِفْقُوا يُشَكِّكُونَ الْآخَرِينَ - مِنْ ذَوِي الْفَتِيلَةِ الْمُدَخَّنَةِ فِي رَغْبَتِهِمْ لِلْإِسْتِعْدَادِ - بِأَنَّ اللَّهَ الَّذِي هُوَ كُلِّيُّ الْمَحَبَّةِ وَالرَّحْمَةِ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَسْمَحَ لِلْإِنْسَانِ بِعَذَابَاتٍ يَشْتَهِي مَعَهَا الْمَوْتَ نَاسِينَ بِذَلِكَ مَا أَعْلَنَهُ الْوَحْيُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ "وَأُعْطِيَ أَنْ لَا يَقْتُلَهُمْ بَلْ أَنْ يَتَعَذَّبُوا خَمْسَةَ أَشْهُرٍ. وَعَذَابُهُ كَعَذَابِ عَقْرَبٍ إِذَا لَدَغَ إِنْسَانًا. وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ سَيَطْلُبُ النَّاسُ الْمَوْتَ وَلَا يَجِدُونَهُ، وَيَرْغَبُونَ أَنْ يَمُوتُوا فَيَهْرَبُ الْمَوْتُ مِنْهُمْ" (رؤ ٩ : ٥ - ٦)، "وَنَظَرْتُ لَمَّا فَتَحَ الْخَتَمَ السَّادِسَ، وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، وَالشَّمْسُ صَارَتْ سَوْدَاءَ كَمِسْحٍ مِنْ شَعَرٍ، وَالْقَمَرُ صَارَ كَالْدَمِ، وَنُجُومُ السَّمَاءِ سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ كَمَا تَطْرُحُ شَجَرَةُ التِّينِ سُقَاطَهَا إِذَا هَزَّتْهَا رِيحٌ عَظِيمَةٌ. وَالسَّمَاءُ انْفَلَقَتْ كَنَزَجٍ مُلْتَفٍّ، وَكُلُّ جَبَلٍ وَجَزِيرَةٍ تَرَحَّرَا مِنْ مَوْضِعِهِمَا. وَمُلُوكُ الْأَرْضِ وَالْعُظَمَاءُ وَالْأَغْنِيَاءُ وَالْأَمْرَاءُ وَالْأَقْوِيَاءُ وَكُلُّ عَبْدٍ وَكُلُّ حُرٍّ، أَخْفَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَغَايِرِ وَفِي صُخُورِ الْجِبَالِ، وَهُمْ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ وَالصُّخُورِ: أَسْقُطِي عَلَيْنَا وَأَخْفِينَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَعَنْ غَضَبِ الْخُرُوفِ، لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ يَوْمٌ غَضَبِهِ الْعَظِيمُ. وَمَنْ يَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ؟" (رؤ ٦ : ١٢ - ١٧)، قَالَ الْقَسُ مَنْسَى يُوْحَنَّا {حِينَئِذٍ يَصْرُخُ الْخُطَاةُ فِي الْجَحِيمِ قَائِلِينَ [أَيْنَ الْمَوْتُ؟ أَيْنَ الْهَلَاكُ؟ لِمَاذَا يَهْرَبَانِ مِنَّا؟ النَّارُ تَحْرِقُنَا وَلَا نَمُوتُ، وَالِدُودُ يَلْدَغُنَا وَلَا يُبِيدُنَا، يَا لَيْتَ أَجْسَادُنَا كَانَتْ وَقُودًا فَتَأْكُلُهَا النَّارُ وَتَنْتَهِي، يَا لَيْتَ أَرْوَاحُنَا كَانَتْ مَوَادِّ قَابِلَةً لِلتَّلْهَابِ فَتَشْتَعِلُ بِاللَّهِيبِ، وَيَلَاهُ مِنْ يَشْفُقُ

علينا؟! من يُنجينا من هذا العذاب ومن يرحمنا فيهبنا الإعدام؟، يا للشقاوة المؤبّدة! يا للعذاب الحار! أين رحمتك يا رب؟!»،

لمثل هؤلاء نقول إنها حقاً عذابات حقيقية، فحتى لو لم يُدرك الإنسان طبيعة النار في إعلان الرب القائل "ثُمَّ يَقُولُ أَيْضاً لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلَاعِينُ إِلَى النَّارِ الْأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لِإِبْلِيسَ وَمَلَائِكَتِهِ" (مت ٢٥: ٤١)، ولو لم يختبر طبيعة الدود الذي لا يموت في إعلانه "وَيَخْرُجُونَ وَيَرَوْنَ جُنُثَ النَّاسِ الَّذِينَ عَصَوْا عَلَيَّ لَأَنَّ دُودَهُمْ لَا يَمُوتُ وَنَارُهُمْ لَا تَطْفَأُ وَيَكُونُونَ رَذَالَةً لِكُلِّ ذِي جَسَدٍ" (إش ٦٦: ٢٤)، "وَأَنْ أَعْتَرْتُكَ بِذِكِّكَ فَاقْطَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ يَدَايَ وَتَمْضِيَ إِلَى جَهَنَّمَ إِلَى النَّارِ الَّتِي لَا تَطْفَأُ. حَيْثُ دُودُهُمْ لَا يَمُوتُ وَالنَّارُ لَا تَطْفَأُ. وَأَنْ أَعْتَرْتُكَ رَجُلًا فَاقْطَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْرَجَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ رِجْلَانِ وَتُطْرَحَ فِي جَهَنَّمَ فِي النَّارِ الَّتِي لَا تَطْفَأُ. حَيْثُ دُودُهُمْ لَا يَمُوتُ وَالنَّارُ لَا تَطْفَأُ. وَأَنْ أَعْتَرْتُكَ عَيْنًا فَاقْلَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ أَعْوَرَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ عَيْنَانِ وَتُطْرَحَ فِي جَهَنَّمَ النَّارِ حَيْثُ دُودُهُمْ لَا يَمُوتُ وَالنَّارُ لَا تَطْفَأُ" (مر ٩: ٤٣ - ٤٨)، ولو أنه أيضاً لم يُقدّر ماهية الظلام الذي صار إليه العبد البطل كأمر سيده "وَالْعَبْدُ الْبَطَالُ اطْرَحُوهُ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ، هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الْأَسْنَانِ" (مت ٢٥: ٣٠)، إلا أنها أشياء حقيقية يزددها رهبة وخشية قول الرب "إِنْ كَانَ النُّورُ الَّذِي فِيكُمْ ظَلَامٌ فَالظُّلَامُ كَمَا يَكُونُ" (مت ٦: ٢٣) أى أنه إن كانت تعاليم الرب في الإنجيل بعدما كان يُفترض منها أن تُثير طريق الإنسان وتُملح حياته قد صارت له ظلّمة بسبب حيادانه عنها وعدم استماعه وتنفيذه لها رغم إحصائية توبته، فكم تكون الظلمة الحقيقية للإنسان الذي يصير في انفصال كامل وتام عن يسوع الذي هو (النور الحقيقي الذي يُنير لكل إنسان آتٍ إلى العالم)^(١٢٦) حينما يكون في الظلمة الخارجية (مت ٢٥: ٣٠) مُنادياً "يا سيد يا سيد افتح" (مت ٢٥: ١١) سامعاً الصوت المُرهَب "إِنِّي لَا أَعْرِفُكَ" (مت ٢٥: ١٢)! قال القس منسى يوحنا {لقد جاءت أيام

عديدة على العالم اشتد هولها وعَظُمَ خطرُها، كيوم الطوفان، ويوم إحراق سدوم وعمورة، ويوم قتل أطفال بيت لحم، وكم من أيام حدثت فيها زلازل وبراكين أهلكت ما لا يُحصى من النفوس، وهدمت البيوت الشامخة وأزلت مدناً عامرةً، ولكن هذه الأيام ظلّ وخيال ليوم الرب العظيم الذى يأتى فيه ثانيةً فى مجده (مت ٢٥ : ٣١).

عذابات كاملة

وحتى لو لم تكن هذه الإعلانات الخاصة بعذابات المتوانين وغير المُستعدين فى النار الأبدية (مت ٢٥ : ٤١) حقيقة بل مجازية تشبيهية، فكمال الله كإعلانه الذى أوصى فيه الإنسان بطلب الكمال تمثلاً به "كُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ" (مت ٥ : ٤٨) ينطبق أو بالحرى يسرى على كافة صفاته، فكما هو كامل فى محبته للإنسان من قبل خلقته (غل ١ : ١٥) ومن قبل تأسيس العالم (أف ١ : ٤) وإلى المنتهى (يو ١٣ : ١)، وكما هو كامل أيضاً فى رحمته^(١٢٧)، وفى عدله إذ جعل للأبرار مكافآت تتناسب ودرجة كل منهم لأن "نجماً يمتاز عن نجم فى المجد"، وجعل أيضاً للأشرار عقوبات تتناسب ودرجة شرهم فترك البعض يستوفون خيراتهم على الأرض (لو ١٦ : ٢٥) ولم يسمح لآخرين "بأتعاب الناس ولا بإصابات بنى البشر" (مز ٧٣ : ٥)، بل أبقى لهم "سلامه فى حياتهم وراحة فى موتهم" (مز ٧٣ : ٤)، وهكذا جعل لآخرين "نسل قائم أمامهم وذرية قوية فى أعينهم وأمن فى بيتهم وثور يُلقح ولا يُخطئ وبقرة تنتج ولا تسقط" (أى ٢١ : ٨ - ١٠)، فهو أيضاً كامل فى عذاباته التى أعدها للذين جحدوا إيمانهم وتهاونوا فى إتمام وصاياهم، وكما وصف الكتاب خيرات الأبرار الآتية فى النعيم الأبدى بأن "لم ترها عين ولم تسمع بها إذن ولم تخطر على بال إنسان" (١ كو ٢ : ٩)

هكذا فعذاباته للأشرار ستكون بنفس درجة مكافأته للأبرار من حيث كونها لم تخطر أبداً على بال أو قلب إنسان.

قال أحدهم {ويل للأشرار ثم الويل لهم لأن دودهم لا يموت ونارهم لا تطفأ وهم أحياء وأموات إلى الأبد، ضمائرهم جلاّدهم، أفعالهم تُعذبهم، يضيق الكون بوجودهم وأرض الأحياء لا يقدر أن يعودوا إليها، فينحدرون في الجحيم ليُخفيهم من وجه العلي وعن هيبة الذي رفضوه ورفضوا تعاليمه المقدسة، فيُغلق حينئذ باب الجحيم ويُختم بابه بختمه الأزلي فلا يصعدون منه إلى الأبد، فويل وويل لهم، لم تقدّم نعم هذه الحياة الفانية كالظل، ولا حكمتهم الإنسانية الباطلة التي جرّتهم وراءها إلى هاوية العمق، طغوا وتكبّروا فقطفوا ثمر عجرتهم العذاب الأليم، حسبوا أنفسهم حُكماء وهم غارقون في بحار الجهل، ظنوه عاراً أن يُصدّقوا أن يسوع المسيح هو ابن الله حقاً لأن حكمتهم القاصرة لم تقدر على معرفة الحق}، وقال آخر {بعد أن يُطرح الأشرار في جوف هذا اللهب يُحاولون الخروج من باب الجحيم فيجدونه قد أُغلق وكُتب عليه بأحرف من نار [لا يخرج ولا يدخل أحد]، فيرجعون بالخيبة وأجسادهم تتقلّب في أمواج اللهب المشتعلة ولا راحة لهم، إن علت بهم تيارات النيران إلى فوق فالاضطرام يلهب كما هو، وإن غاصت بهم في لُجج الأعماق يحرق أيضاً كما هو، وإن دفعتهم الأمواج المشتعلة إلى هنا أو هناك فحرارة النيران كما هي، وعندما يرون أنه لا سبيل إلى نجاتهم فيصرخون بمرارة ويكون بدموع حارة ويقعون في أشد الندامة}.

أنواع العذابات

قال القس منسى يوحنا {عندما أتكلّم عن هذه العذابات أكاد أن أعيا وأسفط تحت ثقل هذا الموضوع، وإنى حين أرى نفسى وأصدقائى وأقربائى وشعبى وكل هذا الجمع وأفكر

فى أننا كُنَّا مُهددون بهذا العذاب العظيم وأرى أننا مُستخفون بالمقاصد الروحية، أشعر بأنَّ سُمًّا قاتلاً قد تورَّع فى أزمنة حياتى فجعل ألفة أصدقائى نفوراً ولذّة الطعام ألماً وأفراح الحياة أحزاناً، والحياة نفسها مُرّة، ولا أتعجّب لمّا أسمع أن الخوف من جهنّم قد جعل البعض عابسين ومجانين، وهذا الخوف قد حمل البعض على أن يهربوا من مُخالطة كل بشر وجعل غيرهم يحتملون أشد العذابات الجسدية}.

مسكين من يتوهّم خطأ أن عذابات الأشرار فى الجحيم ستقتصر على العذابات الجسدية، ولو أنها حقّاً لم تزد عنها - أى عن العذابات والآلام الجسدية - لوجب على الإنسان أن يبذل كل الجهد للخلاص منها، ذلك لأنّ نعمة يسوع التى آزرت الشّهداء فواجهوا أشد أنواع العذابات الأرضية التى لا تُحتمل لن تكون هناك فى مواضع العذابات لتذهب الواقعين تحت الحكم المؤازرة ومن ثمّ قوة الاحتمال.

◀ عذابات جسدية

قال القديس يوحنا ذهبي الفم {أريد أن أذكركم أيها الإخوة بما قلّته لكم مرّات عديدة وقت تناولنا من أسرار المسيح المقدسة، إذ رأيتمكم فى تراخٍ عظيم وعدم مخافة تستوجب النوح فإنى أبكى لى نفسى وأقول فى فكرى [ألعلّ هؤلاء عارفون لمن هم قيام أو قوة هذا السر؟]، وهكذا أغضب بغير إرادتى، وإنى كنت أريد أن أخرج من وسطكم من ضيق نفسى، وإذا وبّختُ أحداً منكم لا يكثر لى لى بل يتذمّر علىّ كأنى ظلمته، يا للعجب العظيم إن الذين يظلمونكم ويسلبون أمتعتكم لا تغضبون عليهم كغضبكم علىّ أنا الذى أريد خلاصكم، أنا خائف ومرتعّد حين علمت بعقاب الله الذى سيحل بكم بسبب تهاونكم بهذا السر العظيم، ألعلمكم تعلمون من هو هذا الذى تُريدون أن تتناولوا منه؟ هو الجسد المقدس الذى لله الكلمة، ودمه الذى بذله لأجل خلاصنا}.

لكى ما يُدرك الإنسان مدى ضراوة العذابات الجسدية فى موضع النار الأبدية يلزمه أن يَعِدِّ مُقارنة بينها وبين عذابات الأرضيين ليجد أنها تفوق أكثرها قسوة بما لا يُقاس، فلا عذابات الأباطرة الرومان للمسيحيين، ولا أقصى ما استُخدِمَ فى عصر الشهداء من أدوات للتعذيب يفوق أقل ما سيكون هناك فى موضع الحُكم ولذلك قال أحدهم إلو فِرِضَ أنه سَيُحَكَمَ على إنسان واحد فقط من بنى البشر كافهً بالعذاب فى النار الأبدية، لكان يلزم لِكُلِّ مِنَّا أن يخاف من أن يكون هو ذلك الشقى المذكور الحظ، ولا يستطيع العقل البشرى أن يَتَصَوَّرَ مقدار شناعة حالة الهالكين، فإنَّ دوى صُراخهم يشق الصخور الصلَّدة، وأوجاعهم كاوية مُرة حتى إن ساعة واحدة فى هذا العذاب لأشدَّ هولاً من وقوع الإنسان بين مخالب المرض القاسى سنين طويلة فى الحياة^(١٢٨)، وقال آخر {لَمَّا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُظْهِرَ مُحِبَّتَهُ لِلْبَشَرِ أَظْهَرَهَا بِطَرِيقَةٍ أَذْهَلَتْ النَّاسَ حَتَّى أَنْ كَثِيرِينَ لَمْ يُصَدِّقُوهَا، هَكَذَا إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُظْهِرَ عَدْلَهُ فَسَيُظْهِرُهُ بِطَرِيقَةٍ تُخْفِى عَلَى عُقُولِ الْبَشَرِ، فَلَا تَتَصَوَّرُوا أَنَّ عَذَابَ جُهَنَّمَ سَيَنْحَصِرُ فِي الْخُسَارَةِ وَالْعَارِ وَالسَّجْنِ وَالْأَسْرِ وَالْجُلْدِ وَالْمَوْتِ، تِلْكَ الْأُمُورُ الَّتِي لَا نَحْتَمِلُهَا فِي الْعَالَمِ وَلَا نَطِيقُهَا، لِأَنَّ كُلَّ عَذَابٍ اخْتَرَعَهُ الْبَشَرُ فِي الْعَالَمِ لَا يُقَاسُ بِالْعَذَابِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللهُ لِلْأَشْرَارِ الْهَالِكِينَ، إِنَّ الْثِيْرَانَ النُّحَاسِيَّةَ اخْتَرَعَهَا بَارْتَسُ وَالْكَرَاسِي الْحَدِيدِيَّةَ اسْتَنْبَطَهَا ثَكْلَيْسُ، وَأَوْجَدَ الْمَصْرِيُّونَ نَوْعَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُرِّ وَهُوَ نَقَبُ الْأُظْفَارِ بِقَصَبٍ مُحَرَفٍ، وَاخْتَرَعَ نِيرُونَ تَلْبِيسِ الْبَشَرِ جُلُودَ الْوَحُوشِ وَالْقَائِمُ إِلَى الْكَلَابِ الْكَاسِرَةِ، وَاخْتَرَعَ مَكْنَتُوشَ رِبَطِ الْأَحْيَاءِ بِجَثِّ الْمَوْتَى لِأَيَّامِهِمُ الدُّودَ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، هَذِهِ كُلُّهَا كَانَتْ آلَاتٍ لِلتَّعْذِيبِ مِنْ اخْتِرَاعِ الْبَشَرِ، وَإِذَا كُنَّا نَعْتَبِرُ أَنَّ مَا يَخْتَرَعُهُ الْإِنْسَانُ لِلتَّعْذِيبِ قَاسِيًا، فَكَمْ تَكُونُ قَسَاوَةُ تِلْكَ الْعَذَابَاتِ الَّتِي يُعِدُّهَا اللهُ لِلْأَشْرَارِ، إِنَّ أَنْوَاعَ الْعَذَابَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْعَالَمِ لَوْ اجْتَمَعَتْ كُلُّهَا فَوْقَ رَأْسِ إِنْسَانٍ تَكُونُ كَنْقَطَةً صَغِيرَةً مِنْ بَحْرِ إِذَا مَا قُورِنَتْ بِعَذَابِ الْآخِرَةِ}.

+ الدود والنار

{أخبرنا الرب يسوع المسيح أنه "تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمَلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ" (يو ٥: ٢٨ - ٢٩)، وهذا ما يتفق مع "وَأِبْلِيسُ الَّذِي كَانَ يُضِلُّهُمْ طُرَحَ فِي بُحِيرَةِ النَّارِ وَالْكَبْرِيتِ، حَيْثُ الْوَحْشُ وَالنَّبِيُّ الْكَذَّابُ. وَسَيُعَذَّبُونَ نَهَارًا وَلَيْلًا إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ" (رؤ ٢٠: ١٠) إذ يُلقى إبليس حيثُ الوحش والنبي الكذاب في بحيرة النار والكبريت، وسُمِّيت هكذا دلالة على ما فيها من عذاب شديد يفوق حد الوصف، ونعلم أن النار الأرضية تحرق وتُلاشى أما نار تلك البحيرة فتُعذَّبُ الأجساد والأرواح ولا تُلاشى، وهناك تعبيرات كتابية كثيرة عن آلام العذاب الأبدي مثل الدود الذي لا يموت والنار التي لا تُطفأ، وهذا العذاب هو عذاب جسدى وعقلى ونفسى وروحى من كل درجة، وعلى قدر قياس بُغض الله للخطية تكون شِدَّة العذاب الأبدي}{^(١٢٩).

الإنسان لا يحتمل وخز إبرة ولا يحتمل أيضاً الوجود بمكان يشغل منه الدود حيزاً صغيراً لا يتعدى أمتاراً قليلة ولا حتَّى أشباراً، فكيف سيُمكنه احتمال الدود الذى لا ينتهى ولا يموت والذى لا يشغل حيزاً صغيراً بل الجحيم كله حتى أنه يُغطَّى أجساد الهالكين، وليس دليلاً على قساوة هذا الحال من كونه عُدَّ حُكماً مؤبداً لساكنى الجحيم كإعلان الرب القائل فيه "وَيَخْرُجُونَ وَيَرَوْنَ جُبْنَ النَّاسِ الَّذِينَ عَصَوْا عَلَيَّ لِأَنَّ دُودَهُمْ لَا يَمُوتُ وَنَارُهُمْ لَا تُطْفَأُ وَيَكُونُونَ رَذَالَةً لِكُلِّ ذِي جَسَدٍ". (إش ٦٦: ٢٤).

والإنسان أيضاً لا يحتمل الاقتراب من نارٍ لا يتعدى حيز اشتعالها نصف ذراع وإلا لالتَهَبَ اشتعالاً واحتراقاً مثلما جاء عن الرجال الحاملين للثلاثة فتية بقصد إلقاءهم فى الأتون النارى كأمر الملك "ثُمَّ أُوتِقَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ فِي سَرَائِلِهِمْ وَأَقْمِصَتِهِمْ وَأَرْدِيَتِهِمْ وَلَبَّاسِهِمْ وَأُلْفُوا فِي وَسَطِ أَتُونِ النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ. وَمِنْ حَيْثُ إِنَّ كَلِمَةَ الْمَلِكِ شَدِيدَةٌ وَالْآتُونُ قَدْ

حَمِي جِدًّا قَتَلَ لَهَيْبُ النَّارِ الرَّجَالَ الَّذِينَ رَفَعُوا شَدْرَ مِيشَخَ وَعَبَدَنَعُو" (دا ٣: ٢١ - ٢٢)، فكيف سيحتمل النار الأبدية التي قال عنه الرب "هَنَنْدَا أُضْرِمُ فِيكَ نَارًا فَتَأْكُلُ كُلَّ شَجَرَةٍ خَضِرَاءَ فِيكَ وَكُلَّ شَجَرَةٍ يَابِسَةٍ. لَا يُطْفَأُ لَهَيْبُهَا الْمُتَنَبِّهُ، وَتَحْرَقُ بِهَا كُلُّ الْوُجُوهِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ. فَيَرَى كُلُّ بَشَرٍ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ أَضْرَمْتُهَا. لَا تُطْفَأُ" (حز ٢٠: ٤٧ - ٤٨) والتي تفوق في قسوة إضرارها وضراوة اشتعالها تلك التي أسقطها الله على سدوم وعمورة (تك ١٩: ٢٤) فأبادتهما مع أنه أعلن في موضع آخر عن كونها لا تُقاس بحال من الأحوال بلهيب النار الأبدية المُعَدَّة لِلْأَشْرَارِ الْهَالِكِينَ "وَمَنْ لَا يَقْبَلُكُمْ وَلَا يَسْمَعُ كَلَامَكُمْ فَاخْرُجُوا خَارِجًا مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ أَوْ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ، وَانْفُضُوا غُبَارَ أَرْجُلِكُمْ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: سَتَكُونُ لَأَرْضِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ يَوْمَ الدِّينِ حَالَةً أَكْثَرَ احْتِمَالًا مِمَّا لَتِلْكَ الْمَدِينَةِ" (مت ١٠: ١٤ - ١٥)، قال القديس يوحنا الدرجي {ليُرْقِدْ مَعَكَ ذِكْرَ النَّارِ الْأَبَدِيَّةِ كُلِّ مَسَاءٍ وَلِيَنْهَضَ مَعَكَ كُلِّ صَبَاحٍ فَلَنْ يَسْتَوِيَ عَلَيْكَ التَّوَانِي أَبَدًا}.

فلا يستهن أحدٌ إذاً بتلك النار الأبدية مُتَكِلًا على أُنْتُونِ الثَّلاثَةِ فَتِيَّةِ الَّذِي صَارَ كَنْدَى بَارِدٍ مِنْ حَيْثُ أَنَّ السَّنَةَ نِيرَانَهُ لَمْ تَكُنْ لَهَا قُوَّةٌ عَلَى أَجْسَامِهِمْ "هُؤْلَاءِ الرَّجَالِ الَّذِينَ لَمْ تَكُنْ لِلنَّارِ قُوَّةٌ عَلَى أَجْسَامِهِمْ، وَشَعْرَةٌ مِنْ رُؤُوسِهِمْ لَمْ تَحْتَرِقْ، وَسَرَاوِيلُهُمْ لَمْ تَتَغَيَّرْ، وَرَائِحَةُ النَّارِ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِمْ" (دا ٣: ٢٧) إذ كان فيه الرب صاحب السلطان المطلق على النار ولهيبها فلم تَمَسَّهُمْ، أمَّا النار الأبدية فلن يكون الرب حالاً فيها ليجعلها باردة إذ هو نفسه أَعَدَّهَا لِمَنْ صَارُوا أَهْلًا لِسُكْنَاهَا مِثْلَمَا أَعَدَّهَا لِلْغَنَى الْغَبِي فَصَارَ فِي آلَامٍ وَعَذَابَاتٍ يَتِمَّتْ مَعَهَا لَوْ أَتَى لِعَازَرٍ لِيَبْلُ طَرْفَ إِبْصَعِهِ بِمَاءٍ وَيُبْرِدَ لِسَانَهُ إِذْ هُوَ مُعَذَّبٌ فِي هَذَا اللَّهَيْبِ (لو ١٦: ٢٤)، قال القس منسى يوحنا {عَذَابُ الْخَاطِئِ هُنَاكَ - أَيْ فِي الْجَحِيمِ - إِنَّهُ لَنْ يُجَابَ إِلَى طَلْبِ مَا، فَإِذَا أَرَادَ الْخُرُوجَ فَمَنْعَ عَلَيْهِ وَإِذَا طَلَبَ الرَّاحَةَ فَلَنْ يَدْرِكَهَا، وَعَلَيْهِ أَنْ يَقْضَى هَكَذَا فِي الْعَذَابِ إِلَى أَبَدِ الْآبِدِينَ، النَّارُ تَحْرِقُهُ وَالْدُودُ يَلْدَغُهُ، هُنَاكَ يَنْوَحُ وَيَتَوَجَّعُ وَلَيْسَ مَنْ يَرْحَمُ، هُنَاكَ الْآلَامُ الْمُبْرِحَةُ وَلَيْسَ مَنْ يَشْفُقُ، هُنَاكَ الْحَرِيقُ الْمُعَذَّبُ وَلَيْسَ مَنْ

دواء يُخَفِّفُهُ، العطش الشديد وليس مَنْ يُرويه، الجوع الكالب وليس من قوت يسده، الحزن العميق وليس من رُقَاد يُسْكِنُهُ، العار الفاضح وليس من نِقَاب يَسْثُرُهُ}.

+ البُكَاءُ والظُّلْمَةُ (١٣٠)

لا بُكَاءَ داود على إِبْشالوم بِحُرْقَةٍ الأبِ المُشْفِقِ على ابنه الهالك بدمه "فَأَنْزَعَجَ الْمَلِكُ وَصَعِدَ إِلَى عَلِيَّةِ الْبَابِ وَكَانَ يَبْكِي وَيَقُولُ وَهُوَ يَتَمَشَّى: «يَا ابْنِي أَبْشَالُومُ، يَا ابْنِي يَا ابْنِي! أَبْشَالُومُ، يَا لَيْتَنِي مِتُّ عَوْضاً عَنْكَ! يَا أَبْشَالُومُ ابْنِي يَا ابْنِي»." (٢صم ١٨ : ٣٣)، ولا بُكَاءَهُ على أَمْنون "وَلَمَّا فَرَعَ مِنَ الْكَلَامِ إِذَا بِبَنِي الْمَلِكِ قَدْ جَاءُوا، وَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَبَكُوا وَكَذَلِكَ بَكَى الْمَلِكُ وَعَبِيدُهُ بُكَاءً عَظِيماً جِداً" (٢صم ١٣ : ٣٦)، ولا بُكَاءَهُ على أَبْنير "وَدَفَنُوا أَبْنِيرَ فِي حَبْرُونَ. وَرَفَعَ الْمَلِكُ صَوْتَهُ وَبَكَى عَلَى قَبْرِ أَبْنِيرَ، وَبَكَى جَمِيعُ الشَّعْبِ" (٢صم ٣ : ٣٢)، وهكذا لا بُكَاءَ بطرس بِمرارة على إنكاره للمسيح "فَخَرَجَ بَطْرُسُ إِلَى خَارِجٍ وَبَكَى بُكَاءً مُرّاً." (لو ٢٢ : ٦٢) يُقَاسُ بِأَيَّةِ مَقَابِيِسَ بالبُكَاءِ الذى سيكون نِتَاجاً لِحَسْرَةِ الجاهل فى جَهَنَّمَ الأمر الذى أعلنه الرب فى قوله "وَالْعَبْدُ الْبَطَالُ اطْرَحُوهُ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ، هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الْأَسْنَانِ" (مت ٢٥ : ٣٠)، "وَلَكِنْ إِنْ قَالَ ذَلِكَ الْعَبْدُ الرَّدِيُّ فِي قَلْبِهِ: سَيِّدِي يُبْطِئُ قُدُومَهُ. فَيَبْتَذِرُ الْعَبِيدَ رُفْقَاءَهُ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مَعَ السُّكَارَى. يَأْتِي سَيِّدُ ذَلِكَ الْعَبْدِ فِي يَوْمٍ لَا يَنْتَظِرُهُ وَفِي سَاعَةٍ لَا يَعْرِفُهَا، فَيَقُطِّعُهُ وَيَجْعَلُ نَصِيبَهُ مَعَ الْمُرَائِينَ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الْأَسْنَانِ" (مت ٢٤ : ٤٨ - ٥١).

قال القس منسى يوحنا لنور المسيح فى ذلك اليوم سيكون للأبرار سروراً وبهجةً، وللأشرار حُزناً عميقاً وكدرًا جسيمًا فيكون بُكَاءٌ مُرّاً وينتحبون انتحاباً شديداً لأنهم لم يعملوا لينتفعوا من موته العظيم ليتطهروا بدمه الثمين، وعند مُشاهدتهم لِجَلالِ مجده

السماءى وسمو بهاء عزته الإلهية يُطأطئون رؤوسهم ويحنون هاماتهم عند موطن قدميه، فليقس كل واحد من اليوم مقدار ما بقى فى حياته وليعلم يقيناً أن مرّات بُكائه كلها مُجتمعة طوال حياته لا تُقاس بملء قياس بدموع دقيقة واحدة فى الجحيم الأبدى}.

أمّا عن الظلمة فلن نُصاهاها تلك التى كانت على وجه الغمر فى ابتداء الخليقة ذلك لأن روح الله كان يرف فيها على وجه المياه (تك ١ : ٢)، ولن تُشابهها أيضاً تلك التى عمّت مصر بسبب ضربة الجراد لفرعون (خر ١٠ : ١٥) إذ سرعان ما ردّ الربّ ريحاً غربيةً شديدةً جدّاً فحملت الجرادَ وطرحته إلى بحرِ سوف. فلم تبقَ جرادةٌ واحدةٌ فى كلّ نُحومِ مصرَ (خر ١٠ : ١٩)، ولن تُقاربها بحال من الأحوال تلك الظلمة الدامسة التى صارت على الأرض لثلاثة أيام بيد موسى النبى (خر ١٠ : ٢١ - ٢٣)، وهكذا فلن تُماثلها الظلمة التى كانت وقت صلب المسيح لأنها استمرت لِمُدّة ثلاثة ساعات فقط (لو ٢٣ : ٤٤)، بل ستكون ظلمة أشدّ قتاماً من السواد "صارت صورُهم أشدّ ظلاماً من السّواد. لم يُعرفوا فى الشّوارع. لصقَ جلْدُهم بِعَظْمِهِمْ. صارَ يابِساً كالخشبِ" (مر ٤ : ٨)، الأمر الذى أشار إليه القديس يوحنا ذهبى الفم فى قوله {لأنه من شدّة الظلام الحالك المُستحوذ هناك لا يقدر المُقيمين فيه أن يَتبيّنوا من فى جانبهم، بل كل واحد يُعاقب على حدة، ولو قيل إن هناك ناراً فإنه لا إشراق لها بالفعل بل الكائنون فيها يحترقون فى ظلام وهم لا يستتيرون ولا يخمد عنهم اللهيب} وفى قوله أيضاً {إن الذين يُحكّم عليهم بالإلقاء فى مكان مُظلم ولو لسنة واحدة، يُفضّلون الموت على الحياة فكم بالحرى الذين يُحكم عليهم بالبقاء فى تلك الظلمة الأبدية؟}.

قال القديس يوحنا الدرجى {لا تكف عن أن تتصوّر وتتصفّح الهوّة المُظلمة التى لا قرار لها واللهيب السفلى والدهاليز الضيقة المُحدرة إلى الهاوية والأسافل الرهيبة، وأمثال هذه كلّها لكيما يُضيق الرُعب الشديد على الفجور الذى فىنا وتحل محله طهارة غير فاسدة يشرق فيها النور الأكثر بهاءً من الشمس}.

◀ عذابات معنوية

من العذابات أيضاً ما هو معنوياً مثل:

+ عذاب الخوف وقت الموت

قد يَتَمَلَّكُ الإنسان الخوف في حياته الأرضية إمّا لِتَعَبٍ أو لِأَلَمٍ أو لِمَرَضٍ، وفي كل هذه تعمل يد الله القويّة لِتَهْبِهُ الاطمئنان والهدوء والسلام إذ تُريحه من أتعابه "اليوم يُريحك الرب من تعبك ومن انزعاجك" (إش ١٤: ٣) ومن ضيقاته إذ هو - أى الله - يتضايق في كل ضيق المُتضايقين (إش ٦٣: ٩)، ومن آلامه فيهبه مجداً عِوضَ الألم الذى احتمله بصبر وبشكر "إِنْ كُنَّا نَتَأَلَمُ مَعَهُ فَلِكِ نَتَمَجَّدُ أَيْضاً مَعَهُ" (رو ٨: ١٧)، أمّا الخوف وقت الموت فعذابه ناشئ عن ثِقَةٍ شديدة من المُقَدِّمِ عليه^(١٣١) بانفتاح أبواب الجحيم^(١٣٢) لابتلاع روحه التى انسأقت وراء شهوات الجسد (رو ٨: ١٣) فَحُكِمَ على كليهما بالهلاك الأبدي، قال الملك شارل التاسع حال احتضاره {ما هذه الدماء، ما هذا القتل، هوة عميقة تُريد أن تبتلعنى، يا للهول لقد اتبعت مشورة الأشرار لأنى لا أعرف أين أنا، إنى مُرتعش وخائف ورُكبتاى غير ثابتتين، ماذا أعمل؟ إنى هالك إلى الأبد، أنا أعرف ذلك ومُتأكّد منه}، وهكذا قال (فولتير) المُلحد وقت موته {ها أنا متروك من الله والناس، سأذهب إلى الجحيم! أيّها المسيح يا يسوع المسيح}، وقال (لورد بيرون) - الذى أمضى حياته فى الشر والمجون - بينما كان على فراش الموت {انتهى الربيع وجاء الشتاء وأيامى فى الصفحات والأوراق الصفراء الأخيرة، الدود والفساد والعذاب نصيبى}، وقال (هوبس) - الفيلسوف الايطالى المُلحد - وهو يحتضر {إننى أقف الآن على منحدر رهيب يؤدى إلى الظلمة}، وقال (جاروسلاوسكى) - رئيس الحركة الدولية للإلحاد - وهو

يموت فزعاً {أرجوكم، إحرقوا كل كتبى، أنظروا القدوس، لقد كان ينتظرنى منذ أمد بعيد، إنه ههنا الآن}، وقال المُلحد (فرنسيس بينيورت) وهو يموت {إنى هالك وملعون، إلى الأبد، فإنى طعنت المسيح بالحربة فى جنبه، آه جهنم تحتى والهلاك مُحيط بى فمن يُنجينى}، وأخيراً قال (جورج الرابع) ملك إنجلترا بينما كان على فراش الموت {ما هذا؟ إنه الموت، لقد خدعونى}.

كل مشاعر الخوف التى لاقاها الإنسان فى حياته الحافلة فأصابته جزعاً وهلعاً رغم ثقته الشديدة بسلطان الرب يسوع الكلى عليها من حيث قُدرته على إحلالها بسلامه العجيب الذى يفوق كل عقل لا تُقاس بدقيقة حُزن واحدة للمُقدم على الموت الذى من فرط جحوده تُفارقة الثقة فى الرب القادر أن يُخلص إلى التمام حتى ولو فى آخر لحظات الحياة، ومن ثَمَّ يعتريه الخوف الذى لا يقدر لا حبيب ولا صديق ولا قريب أن يؤازره فيه لاحتماله، فتأخذه محاولة للهروب فلا يقدر إذ يتملّك عليه الخوف الذى كان قبلاً واجباً منه للإله صاحب السلطان الكلى على هذه اللحظة المخوفة والمُرهِبة، قال القس منسى يوحنا {ماذا يعمل الخاطى وقت موته؟ وماذا يرى إلا كل ما يملأه جزعاً وارتياحاً؟ وبمن يستغيث ويستجير؟ أبالمجد الذى أحبه وهو الآن يُفارقة؟ أم بأهله وهم عاجزون عن إنقاذه؟ أم بالإله الذى يعتقد إنه عدو له؟}، وقال أيضاً {يتقلب الخاطى على فراش مرضه ضحية الاضطرابات والمخاوف، يُحاول أن يهرب ولا يستطيع، يخرج من أعماق نفسه آخر التآوهات التى لا ندرى إن كانت عن ندامة أم عن يأس من رحمة الله، وإذا لاحت أمامه صورة يسوع الذى صُلبَ لأجله زاد انزعاجه واشتد هلعه فتشخص عيناه ويرتجف بدنه وتُغادر تلك النفس التعيسة جسده الترابى لتتال عِقاب ما جنت}.

+عذاب الحزن

مشاعر حُزن كثيرة ذكرها الكتاب المقدس منها حُزن يعقوب على ابنه يوسف "فَمَرَّقَ يَعْقُوبُ نِيَابَهُ وَوَضَعَ مِسْحاً عَلَى حَقْوَيْهِ وَنَاحَ عَلَى ابْنِهِ أَيَّاماً كَثِيرَةً" (تك ٣٧: ٣٤) ذلك الذى جعله يقول "إِنِّي أَنْزَلْتُ إِلَى ابْنِي نَائِحاً إِلَى الْهَوَايَةِ" (تك ٣٧: ٣٥)، وحُزنه على بنيامين وشمعون "فَقَالَ لَهُمْ يَعْقُوبُ: أَعَدَمْتُمُونِي الْأَوْلَادَ! يُوسُفُ مَفْقُودٌ وَشَمْعُونُ مَفْقُودٌ وَبَنِيَامِينُ تَأْخُذُونَهُ! صَارَ كُلُّ هَذَا عَلَيَّ" (تك ٤٢: ٣٦)، وحزن صموئيل من جرّاء طلب الشعب بتتصيب ملك يحكم لهم ويخرج أمامهم فى الحرب "وَقَالُوا لَهُ: «هُودَا أَنْتَ قَدْ شِخْتَ، وَابْنَاكَ لَمْ يَسِيرَا فِي طَرِيقِكَ. فَالآنَ اجْعَلْ لَنَا مَلِكاً يَقْضِي لَنَا كَسَائِرِ الشُّعُوبِ». فَسَاءَ الْأَمْرُ فِي عَيْنِي صَمُوئِيلَ إِذْ قَالُوا: «أَعْطِنَا مَلِكاً يَقْضِي لَنَا». وَصَلَّى صَمُوئِيلُ إِلَى الرَّبِّ" (١ صم ٨: ٥-٦)، وحُزنه على شاول الملك "فَقَالَ الرَّبُّ لِمِصْمُوئِيلَ: حَتَّى مَتَى تَتَوَحُّ عَلَى شَاوُلَ، وَأَنَا قَدْ رَفَضْتُهُ عَنْ أَنْ يَمْلِكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ؟ اَمْلَأْ قَرْنَكَ دُهْنًا وَتَعَالَ أَرْسِلْكَ إِلَى يَسَى الْبَيْتَلَحْمِيِّ، لِأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ لِي فِي بَنِيهِ مَلِكًا" (١ صم ١٦: ١)، وحزن أيوب لِتَحْلَى الجميع عنه (أى ١٩: ١٣-٢١)، وحُزن مردخاى وسائر اليهود عند سماعهم الأمر الملكى بإهلاك الجنس اليهودى (أس ٤: ١-٣)، وحزن بحسب مشيئة الله يُنْشَى توبة لِخَلاص بلا ندامة (٢كو ٧: ١٠)، وحُزن بحسب مشيئة العالم يُنْشَى موتاً (٢كو ٧: ١٠)، وحُزن على فُقدان حبيب أو قريب أو على أَلَم تجربة وضيقة (لو ١٥: ١٧)، وحُزن آخر على إحتياج (لو ١١: ٥-٦).

ومع ذلك فكل هذه الأحزان مُجتمعة معاً بل ومُضاعفة لا تُقاس بِحُزن لحظة واحدة من أحزان ذلك اليوم المُرهَب المُخوف الذى فيه يتراءى الإنسان أمام العرش الإلهى (رؤ ١٩: ٤) مُفْصِحاً ليس فقط عن الشر الذى ارتكبه بل وأيضاً عن الخير الذى لم يعملهُ مُنتظراً الحكم بالعذاب الأبدي حيثُ الظُلْمة الخارجيّة وصرير الأسنان، الأمر الذى قال

عنه القس منسى يوحنا {نور المسيح فى ذلك اليوم سيكون للأبرار سروراً وبهجة، وللأشرار حُزناً عميقاً وكدرًا جسيمًا فيكون بُكاءٌ مُراً وينتحبون انتحاباً شديداً لأنهم لم يعملوا لينتفعوا من موته العظيم ليتطهروا بدمه الثمين، وعند مُشاهدتهم لِجلال مجده السماوى وسمو بهاء عزته الإلهية يُطأطئون رؤوسهم ويحنون هاماتهم عند موطن قدميه}.

+ عذاب الاضطراب

قال أحدهم {أى هدوء يجده أولئك الراحلون من هذا العالم وهم مُثقلون بالذنوب والخطايا وأى سلام يجد مكاناً فى قلوبهم المملوءة من كل رجس ودنس، وكيف يستريحون من قلق الضمير وهم يتأكدون أن أمامهم عقاباً شديداً وعذاباً مُريعاً وأنهم سيُحاسَبون حساباً عسيراً أمام يسوع المسيح القاضى العادل ذلك الإله الذى عاندوه لآخر نسمة من حياتهم والذى احتقروه حتى دنت نهايتهم}.

اضطراب روح الإنسان المتوانى حينما تُغادر ذلك الجسد الذى طالما استجابت لنداءاته الغريزية وشهواته الباطلة مُنصاعة له بكامل إرادتها سيفوق بما لا يوصف اضطراب ملاحو ونوتيّة سفينة يونان التى أهاج عليها الرب ريحاً شديدة ونوءاً عظيماً حتى كادت أن تتكسر (يون ١ : ٤)، واضطراب بطرس الرسول حينما مشى على الماء آتياً للرب لکنه حالاً بدأ فى الغرق "فَقَالَ: «تَعَالَ». فَنَزَلَ بِطَرُسُ مِنَ السَّفِينَةِ وَمَشَى عَلَى الْمَاءِ لِيَأْتِيَ إِلَى يَسُوعَ. وَلَكِنْ لَمَّا رَأَى الرِّيحَ شَدِيدَةً خَافَ. وَإِذْ ابْتَدَأَ يَغْرَقُ،" (مت ١٤ : ٢٩ - ٣٠)، ذلك لأن الأولين كان لهم رجاءٌ ولو يسيّر فى النجاة الأمر الذى يتضح من صُراخ كُلِّ مِنْهُمْ لِإِلهِهِ (يون ١ : ٥) وطلب أكبرهم من يونان أن يصرخ أيضاً لِإِلهِهِ عسى أن يفكر فيهم فلا يهلكوا (يون ١ : ٦)، والآخر - أى بطرس - كان له أيضاً رجاءٌ وإيمانٌ أنه حال صُراخه ليسوع سينال النجاة ولذلك "صَرَخَ قَائِلاً: «يَا رَبُّ، نَجِّنِي!»". ففي

الْحَالِ مَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ وَقَالَ لَهُ: «يَا قَلِيلَ الْإِيمَانِ لِمَاذَا شَكَكْتَ؟» (مت ١٤: ٣٠ - ٣١)، أما تلك الروح الشقيّة فسبب اضطرابها أنها تصير وحيدة بلا حبيب ولا قريب ولا شفيع يشفع لها لدى الرب لئلا تُدان على ما اقترفته، ثُمَّ أَنَّ هَذَا الاضطراب يزداد عندها حينما توقن أنها لن تُجاب إلى طلب فإن سألت لن تأخذ وإن طلبت لن تجد وإن حاولت القرع لن يُفتح لها، وإن صلّت ولو بإيمان يَنْقُلُ الجبال فلن تُستجاب وإن حاولت الهرب لن تجد قوة على الحركة وحتى لو وجدتْها يزداد اضطرابها لأنها من ناحية تكتشف استحالة وجود احتماليّة للهرب ومن أخرى تُدرك يقيناً عدم وجود أي مكان يخلو ممن تُحاول الهرب منه إذ هو إله أرواح كل البشر (عدد ١٦: ٢٢) الذي قيل عن ملئه لِكُلِّ مكان "أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَوَايَةِ فَهَا أَنْتَ. إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحِي الصُّبْحِ وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ فَهُنَاكَ أَيْضاً تَهْدِينِي يَدُكَ وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ" (مز ١٣٧: ٧-١٠).

+ عذاب تبكيت الضمير

تقول قِصَّة {افتري فلاح} ذات مرّة على صديق له ليدّعي أن ما قاله هذا الصديق ليس صحيحاً ولكن آلمه ضميره بعد ذلك فذهب إلى راهبٍ مُلتمساً مشورته، فقال له الراهب [إن أردت أن تتصالح مع ضميرك فإذهب وإملأ حقيبة بالريش وامض إلى باب كل منزل في القرية وضع أمامه ريشة واحدة]، فمضى الفلاح كما قال الراهب وعاد وهو يظن أنه أكمل توبته، لكن الراهب قال له [ليس بعد، خذ حقيبتك وامض ثانيةً واجمع كل ريشة أسقطتها]، قال له الفلاح [ستكون الرياح قد طيرتها بمرور الوقت]، أجاب الراهب [هذا ما يحدث تماماً نتيجة الافتراء والنميمة فالكلمات تُقال بسهولة ولكن مهما حاولت وبصعوبة فلن تستطيع استعادتها ثانيةً]]، قال الأب أنتوني كونيارييس {تَمَعَّنْ لحظة في

المدى الذى يبلغه تأثير كلمات الوالدين على أولادهم، فالمرأة التى تقول لابنتها التى تبكى يوم وفاة والدها [إن أباك مات لأنك لم تكونى بنتاً طيبة]، إن مثل هذه الكلمات التى تُطمر وتستقر فى نفس الفتاة سوف تجعلها طيلة حياتها تعيسة بالإحساس بهذه الجريمة المريعة أنها السبب فى موت أبيها وإحساسها بالجريمة يجعلها تتغرب كل يوم فى حياتها بل وقد يقودها إلى مرض عقلى}.

لا تبكيت ضمير فلاح القصة الأولى على خطئه فى حق أخيه وصاحبه، ولا تبكيت ضمير فتاة القصة الثانية على التسبب فى موت أبيها سيقاس بأى قياس بعذاب تبكيت الضمير لمُتوانٍ لم يستعد لتلك اللحظة الحاسمة ولسان حاله يقول لنفسه التعيسة {أيتها النفس المتمرّدة العاصية التى أحببت الإثم واشتهت الخطيئة، ألا تعلمين أية مجازاة يُجازيك بها الله؟ إنها نار حامية ولهيب مُستمر فهل تطيقينها؟ إذا كنتِ لا تحتملين المثل لحظةً أمام يدى الله على الأرض لتندبى إثمك وشرّك، فكيف تستطيعين احتمال ذلك العذاب المريع الذى يأتيك من جرّاء تأنيب ضميرك لك؟}.

تبكيت الضمير عقابٌ قاسٍ

فكما أن لتبكيت ضمير الإنسان من السطوة والقوة بحيث أن الله جعل منه - أى من الضمير - الناموس الطبيعى الذى يُرشِد الإنسان ويُهديه متى كان بلا ناموس "لأنَّ كُلَّ مَنْ أخطأ بِدُونِ النَّامُوسِ فَيُدُونِ النَّامُوسِ يَهْلِكُ وَكُلُّ مَنْ أخطأَ فِي النَّامُوسِ فَيَالنَّامُوسِ يُدَانُ. لَأَنَّ لَيْسَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ النَّامُوسَ هُمْ أَبْرَارٌ عِنْدَ اللَّهِ بَلِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِالنَّامُوسِ هُمْ يُبَرَّرُونَ. لِأَنَّهُ الْأُمَمُ الَّذِينَ لَيْسَ عِنْدَهُمُ النَّامُوسُ مَتَى فَعَلُوا بِالطَّبِيعَةِ مَا هُوَ فِي النَّامُوسِ فَهَؤُلَاءِ إِذْ لَيْسَ لَهُمُ النَّامُوسُ هُمْ نَامُوسٌ لَأَنفُسِهِمْ" (رو ٢: ١٢ - ١٤) (١٣٣)، هكذا سيكون

تأثير وفعالية تبكيت الضمير لإنسان مائِلٍ أمام العرش الإلهي يوم الدينونة من القوة بحيث أنها تَزِدُهُ حُزناً وِعَمّاً ورُعباً.

ثُمَّ وكما كان تبكيت ضمير يعقوب له عَمّاً اقترفه - أى سرقة بكورية وبركة أخيه وخِدَاع أبيه^(١٣٤) - مُسْتَمِراً معه طوال حياته الأمر الذى اتضح من قوله لأولاده "أَعْدَمْتُوْنِي الْوَلَدَ! يُوسُفُ مَفْقُودٌ وَشَمْعُونُ مَفْقُودٌ وَبَنِيَامِينَ تَأْخُذُونَهُ! صَارَ كُلُّ هَذَا عَلَيَّ" (تك ٤٢: ٣٦)، هكذا سيكون تبكيت ضمير المُتَهَاوِن يوم انطلاق روحه من جسدها لِنَمَثُلُ أمام الديان العادل مُسْتَمِراً إلى ما لا نهاية، قال أحدهم {رافضو الحق سيتذوّقون الموت فى أصعب معانيه ألا وهو تبكيت ضمائرهم ونفوسهم الأمر الذى هو أشد هولاً من الموت الجسدى نفسه}.

فلو أن الإنسان متى أخطأ قد يتعبه ضميره على خطيته التى قد اقترفها رغم ثقته التامة أن الصديق يسقط فى اليوم سبع مرّات ويقوم (أم ٢٤: ١٦)، وأنه ليس إنسان بلا خطية ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض (مز ١٤: ٣)، بل وحتى متى ندم مُقَدِّماً توبة قد يستمر تبكيت ضميره له على ما أخطأ فيه مع أن هذا التبكيت قد ينتهى فى أية لحظة متى أدرك أن استمرار تبكيت ضميره له بما وقد يُعْطَلُ تَقَدُّمُهُ فى الطريق الروحي هو من الشيطان الذى يجئ عليه بما يُسبب له اليأس ومن ثَمَّ التراخى والتشكك فى مراحم الله، فكم وكم سيكون تبكيت ضمير الإنسان عن خطاياها التى لم يُقَدِّم عنها توبة ولم يندم على اقترافها مع ثقته التامة بعدم وجود أية فُرصة أخرى يسمح بها له الديان ليتوب؟! فمن ناحية يتعذب من جرّاء تبكيت ضميره له ومن ناحية أخرى يزداد عذابه بسبب لانهائية هذا التبكيت.

+ عذاب الخوف من الديان^(١٣٥)

{الخروف الوديع الهادئ اللطيف حان موعد غضبه وانتقامه المهول، ومن يستطيع أن يثبت، سيشعر الأشرار بالرعب والخوف أمام النهاية المُرعبة التى تنتظرهم ولكن يقول المزمور "أَيَّنْ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيَّنْ أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ وَإِنْ فَرَسْتُ فِي الْهَوَايَةِ فَهَا أَنْتَ. إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحِي الصُّبْحِ وَسَكَنْتُ فِي أَقْصَايِ الْبَحْرِ" (مز ١٣٩: ٧-٩)، الآن انتهى زمان التوبة وعلى كل نفس أن تواجه مصيرها المحتوم^(١٣٦).

قال القس منسى يوحنا {ماذا يكون فى ذلك اليوم حال الإنسان غير التائب الذى كان مُتغافلاً عن الأمور الروحية؟ ألا ينزعج قلبه وترتعد فرائضه حينما يرى علامات قرب مجئ المسيح للدينونة^(١٣٧)؟ وماذا يعمل حينئذ إذ يرى الأعمال العالمية قد بطلت وإن أثنى وأعز خيرات الدنيا قد أصبحت عديمة القيمة والفائدة؟ كيف يكون حاله حينما يرى الرب يسوع الذى ازدرى بإنجيله واستهزأ بوصاياه آتياً على السحاب ليضع أعداءه عند موطئ قدميه؟ ألا يقول للجالس على العرش ومن غضب الخروف لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم ومن يستطيع الوقوف (رؤ ٦: ١٦-١٧)، وقال أيضاً {إن الإسرائيليين لما شاهدوا البروق والرعود فى جبل سيناء داخلهم الخوف جداً وقالوا لموسى "تَكَلَّمْ أَنْتَ مَعَنَا فَتَسْمَعْ. وَلَا يَتَكَلَّمْ مَعَنَا اللَّهُ لِئَلَّا نَمُوتَ" (خر ٢٠: ١٩) فكيف يعمل الخاطئ عندما يرى علامات ذلك اليوم ولا سبيل أمامه للهروب؟ إن آدم حينما سمع صوت الله بعد المخالفة إختبأ بين الأشجار، أما الشرير فلن يجد له ملجأ بين الشجر لأنها حينئذ تحترق بأغصانها من هيبه الرب}.

حقاً فى ذلك اليوم ستتتاب الإنسان المتوانى عن الاستعداد لتلك اللحظة مشاعر من الخوف تفوق فى سطوتها تلك التى كانت عند أبيمالك ورجاله تجاه إبراهيم (تك ٢٠: ٨)،

والتي كانت عند يعقوب تجاه عيسو (تك ٣٢: ٦-٧)، والتي كانت أيضاً عند شاول حال إعلان صموئيل له بانشقاق المملكة من يديه وانتقالها لداود (١صم ٢٨: ١٩-٢٠)، والتي كانت عند هامان تجاه الملك وأستير (أس ٧: ٥-٦)، ذلك لأن كل هذه المخاوف كانت تجاه أرضيين لا سلطان لهم إلا على الجسد أما الروح فلا يقدر أن يهلكونها (مت ١٠: ٢٨)، أما تلك - أى مشاعر الخوف - فهي تجاه ملك الملوك ورب الأرباب الذى أعلن أنه صاحب سلطان ليهلك الجسد والنفس كليهما فى جهنم (مت ١٠: ٢٨) وأنه ذو خشية ومهابة قال عنها النبى "وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ الرَّبَّ يُطَالِبُ جُنْدَ الْعَلَاءِ فِي الْعَلَاءِ وَمُلُوكَ الْأَرْضِ عَلَى الْأَرْضِ. وَيُجْمَعُونَ جَمْعاً كَأَسَارَى فِي سِجْنٍ وَيُعْلَقُ عَلَيْهِمْ فِي حَبْسٍ. ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ يَتَعَهَّدُونَ. وَيَخْجَلُ الْقَمَرُ وَتُخْزَى الشَّمْسُ لِأَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ قَدْ مَلَكَ فِي جَبَلِ صِهْيُونَ وَفِي أُورُشَلِيمَ. وَقَدْآمَ شَيْوُخُهُ مَجْدٌ" (إش ٢٤: ٢١-٢٣)، وقال عنها مار بولس الرسول "قَائِنُهُ إِنَّ أَخْطَانَا بِاخْتِيَارِنَا بَعْدَمَا أَخَذْنَا مَعْرِفَةَ الْحَقِّ، لَا تَبْقَى بَعْدُ دَبِيحَةً عَنِ الْخَطَايَا، بَلْ قُبُولُ دَيْتُونَةٍ مُخِيفٍ، وَغَيْرَةُ نَارٍ عَتِيدَةٍ أَنْ تَأْكَلَ الْمُضَادِّينَ" (عب ١٠: ٢٦-٢٧)، "مَنْ خَالَفَ نَامُوسَ مُوسَى فَعَلَى شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ شُهُودٍ يَمُوتُ بِدُونِ رَافَةٍ. فَكَمْ عِقَاباً أَشَرَّ تَنْظُنُونَ أَنَّهُ يُحْسَبُ مُسْتَحِقّاً مَنْ دَاسَ ابْنُ اللَّهِ، وَحَسِبَ دَمَ الْعَهْدِ الَّذِي قُدِّسَ بِهِ دَنِساً، وَازْدَرَى بِرُوحِ النِّعْمَةِ؟" (عب ١٠: ٢٨-٢٩).

قال أحد الآباء: {أى خوف يشعر به إنسان يقف أمام ملك أهانه أو قاضٍ تعدى عليه، وأية رعدة تعتري العبد حينما يرى سيده ناقماً عليه بغضب شديد، وكم من الرعب والاضطراب يُداخل تلك النفس التى تكون قد احتقرت يسوع وازدرت به عندما تراه آتياً ليدينها؟! قال زكريا النبى "فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ الَّذِي طَعَنُوهُ وَيَتَوَحَّوْنَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى وَجِيدٍ لَهُ وَيَكُونُونَ فِي مَرَارَةٍ عَلَيْهِ كَمَنْ هُوَ فِي مَرَارَةٍ عَلَى بَكْرِهِ" (زك ١٢: ١٠)، ذَكَرَ أَنَّ الْبَاشِقَ يُخِيفُ أَنْوَاعاً مِنَ الْعَصَافِيرِ خَوْفاً شَدِيداً حَتَّى أَنَّهَا عِنْدَمَا تَرَاهُ تُحَاوِلُ التَّحَلُّصَ مِنْهُ وَلَوْ بِأَنْ تَرْجُ نَفْسَهَا فِي بئرٍ عَمِيقٍ أَوْ أَتُونِ مُنْقَدَ، هَكَذَا يَتَمَنَّى أَنْ يَفْعَلَ الْهَالِكُونَ فِي يَوْمِ الدِّينُونَةِ

وَيُفَضِّلُونَ أَنْ يُطْرَحُوا فِي أَعْمَاقِ اللَّحْجِ لَوْ كَانَ ذَلِكَ يُنَجِّيهِمْ مِنَ الْمَثُولِ أَمَامَ رَبِّ الْقَوَاتِ،
 وقال آخر: {كأس غضب الله المذكور في قول الملاك ليوحنا الحبيب "إِنْ كَانَ أَحَدٌ
 يَسْجُدُ لِلْوَحْشِ وَلِصُورَتِهِ، وَيَقْبَلُ سِمَتَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ أَوْ عَلَى يَدِهِ، فَهُوَ أَيْضاً سَيَشْرَبُ مِنْ
 خَمْرِ غَضَبِ اللَّهِ الْمَصْبُوبِ صِرَافاً فِي كَأْسِ غَضَبِهِ" (رؤ ١٤: ٩ - ١٠) لهو أشد هولاً
 مما ذكره المزمور "وَلَكِنَّ اللَّهَ هُوَ الْقَاضِي. هَذَا يَضَعُهُ وَهَذَا يَرْفَعُهُ. لِأَنَّ فِي يَدِ الرَّبِّ كَأْساً
 وَخَمْرُهَا مُخْتَمَرَةٌ. مَلَأَتْهُ شَرَاباً مَمْزُوجاً. وَهُوَ يَسْكُبُ مِنْهَا. لَكِنْ عَكَرَهَا يَمَصُّهُ يَشْرِبُهُ كُلُّ
 أَشْرَارِ الْأَرْضِ" (مز ٧٥: ٧ - ٨) لأنه ليس ممزوجاً بل مصبوباً صرفاً، وليس له عكر
 بل غضباً مُرَكَّزاً.

الإنسان لا يحتمل غضب الملوك والرؤساء

فإن كان الإنسان في شقاوته لا يحتمل المَثُولَ أمام الحُكَّام والملوك الأرضيين لينال
 جزاء ما اقترف من أخطاء! فكيف سيحتمل في ذلك اليوم سخط وغضب^(١٣٨) الله ذلك
 الذي أعلنه بولس الرسول في قوله "وَلَكِنَّكَ مِنْ أَجْلِ قَسَاوَتِكَ وَقَلْبِكَ غَيْرِ التَّائِبِ تَذْخُرُ
 لِنَفْسِكَ غَضَباً فِي يَوْمِ الْغَضَبِ وَاسْتِعْلَانِ دَيْنُونَةِ اللَّهِ الْعَادِلَةِ الَّتِي سَيَجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ
 حَسَبَ أَعْمَالِهِ. أَمَّا الَّذِينَ بِصَبْرِ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَطْلُبُونَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْبَقَاءَ فِي الْحَيَاةِ
 الْأَبَدِيَّةِ. وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ التَّحَرُّبِ وَلَا يُطَاوِعُونَ لِلْحَقِّ بَلْ يُطَاوِعُونَ لِلْإِثْمِ فَسَخَطٌ
 وَغَضَبٌ شَدِيدٌ وَضِيقٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ إِنْسَانٍ يَفْعَلُ الشَّرَّ الْيَهُودِيِّ أَوَّلًا ثُمَّ الْيُونَانِيِّ" (رو ٢:
 ٥ - ٩) وأشار إليه إشعياء النبي لما قال "لَأَنَّهُ هُوَذَا الرَّبُّ بِالنَّارِ يَأْتِي وَمَرَكَبَاتُهُ كَرُوبَعَةٍ
 لِيُرِدَّ بِخَمْرٍ غَضَبَهُ وَزَجَرَهُ بِلَهيبِ نَارٍ. لِأَنَّ الرَّبَّ بِالنَّارِ يُعَاقِبُ وَيَسِيفُهُ عَلَى كُلِّ بَشَرٍ وَيَكْثُرُ
 قَتْلَى الرَّبِّ" (إش ٦٦: ١٥ - ١٦)، وصرَّح به الملاك ليوحنا الحبيب قائلاً "إِنْ كَانَ أَحَدٌ
 يَسْجُدُ لِلْوَحْشِ وَلِصُورَتِهِ، وَيَقْبَلُ سِمَتَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ أَوْ عَلَى يَدِهِ، فَهُوَ أَيْضاً سَيَشْرَبُ مِنْ

خَمِرَ غَضَبِ اللَّهِ الْمَصْبُوبِ صِرْفًا فِي كَأْسِ غَضَبِهِ، وَيُعَذَّبُ بِنَارٍ وَكَبِيرَتِ أَمَامَ الْمَلَائِكَةِ الْقِدِّيسِينَ وَأَمَامَ الْحُرُوفِ" (رؤ ١٤ : ٩ - ١٠)، وأوضحه صفنيا النبي فى قوله "قَرِيبٌ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمِ. قَرِيبٌ وَسَرِيعٌ جِدًّا. صَوْتُ يَوْمِ الرَّبِّ. يَصْرُخُ حِينئِذٍ الْجَبَّارُ مُرًّا. ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمٌ سَخَطٍ. يَوْمٌ ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ. يَوْمٌ خَرَابٍ وَدَمَارٍ. يَوْمٌ ظَلَامٍ وَقَتَامٍ. يَوْمٌ سَحَابٍ وَضَبَابٍ" (صف ١ : ١٤ - ١٥)، وتكلَّم عنه القس منسى يوحنا فقال لما أمر التوبيخ الذى يوبِّخنا به فى ذلك اليوم مُخَلِّصَنَا الإلهى إِذ يُرِينَا صليبه المُقدس الذى قد أهدرنا نحن كل ثمنه، ويُظهر لنا جراحاته ويُذكِّرنا بدمه الذى سَفِكَ من أجلنا، ما أشد الغيظ والغضب اللذان ينظرُ بهما إلى الخُطاة الذين من أجلهم قد تحمَّل أشد صنوف الآلام مُدَّة حياته على الأرض ليُعِد لهم الميراث السمائى المُخلَّد، إنه - تَقَدَّس اسمه - سيُدينهم لأنهم كفروا به ويُهينهم كما أهانوه وينسأهم كما نسوه، فمن يقف أمام غضبه؟.

الخوف والرعدة تسرى على الملائكة

ثُمَّ وَإِنْ كَانَتْ رَعْدَةُ الرَّبِّ وَخَشِيَّتُهُ تَسْرَى أَيْضًا عَلَى الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ حَال ظُهُورٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَدَانِيَالِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ لَمْ تَبْقَ فِيهِ قُوَّةٌ أَوْ نَضَارَةٌ مِنْ فِرطِ مَهَابَتِهِ وَبِهَائِهِ الْأَمْرِ الَّذِى أَعْلَنَهُ فِي قَوْلِهِ "فَرَأَيْتُ أَنَا دَانِيَالُ الرُّؤْيَا وَحْدِي وَالرَّجَالُ الَّذِينَ كَانُوا مَعِيَ لَمْ يَرَوْا الرُّؤْيَا لَكِنْ وَقَعَ عَلَيْهِمْ ارْتِعَادٌ عَظِيمٌ فَهَرَبُوا لِيَخْتَبِئُوا. فَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي وَرَأَيْتُ هَذِهِ الرُّؤْيَا الْعَظِيمَةَ. وَلَمْ تَبْقَ فِيَّ قُوَّةٌ وَنَضَارَتِي تَحَوَّلَتْ فِيَّ إِلَى فَسَادٍ وَلَمْ أَضْبِطْ قُوَّةً. وَسَمِعْتُ صَوْتَ كَلَامِهِ. وَلَمَّا سَمِعْتُ صَوْتَ كَلَامِهِ كُنْتُ مُسَبَّحًا عَلَى وَجْهِى وَوَجْهِى إِلَى الْأَرْضِ إِذَا بِيَدٍ لَمَسْتَنِي وَأَقَامْتَنِي مُرْتَجِفًا عَلَى رُكْبَتَيْي وَعَلَى كَفْيِي يَدَيَّ" (دا ١٠ : ٧ - ١٠)، والذين حال نزول آخرٍ منهم على الأرض استضاءت بضيائه ونوره "ثُمَّ بَعْدَ هَذَا رَأَيْتُ مَلَكَآ آخَرَ نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ، لَهُ سُلْطَانٌ عَظِيمٌ. وَاسْتَنَارَتِ الْأَرْضُ مِنَ بَهَائِهِ" (رؤ ١٨ : ١)، فكيف سيحتمل

الإنسان الذى لم يزد عن كونه بُخاراً يظهر قليلاً ثمَّ يضمحل (يع ٤ : ١٤) وتنبأ قُدام
الريح وكالعصافاة التى تسوقها الزوبعة (أى ٢١ : ٨) وحلماً يطير فلا يوجد ويُطرد كطيف
الليل (أى ٢٠ : ٨) وقشاً يابساً (أى ١٣ : ٢٥) خوف ورعدة تلك الوقفة المهوبة تحت
قدمى الديان العادل؟!

+ عذاب الندم^(١٣٩)

قال القس منسى يوحنا {فماذا تقول إذا أيُّها الخاطئ؟ ها أنت تُنادى ديّانك قائلاً لماذا
تحكم علىّ هذا الحُكم القاسى؟ هل لأنى تركت العبادة ولم أهتم بالصلاة؟ اتركنى لأعود
إلى العالم لأقضى ليلتي وأيامي جاثياً راجعاً أمامك، هل لأنى غضبت على غيرى؟ اسمح
لى فأعود لأركع أمام كل من أسأت إليه غنياً كان أم فقيراً، هل لأنى ظلمتُ الغير؟ دعنى
أذهب وأعوّض كل من سلبته شيئاً أربعة أضعاف، هل لأنى لذّنتُ جسدى ونعمّته؟
أرجعنى فأذلّه وأقمعه وأعذّبه عذاباً شديداً}.

فوائد الندم الروحية

ندم الإنسان لا يُعد له شيئاً ضاراً بل نافعاً مُهدباً مُقوماً فبه يرجع عن طُرّقه الضارة
الخاطئة تماماً كندم الابن الأصغر من حيث أنه فتح له باباً عظيماً وفعّالاً لمُحاسبة نفسه
والإقرار بخطئها وبجرمها ومن ثمَّ السعى لتغييرها ولتجديدها "فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمْ
مِنْ أَجِيرٍ لِأَبِي يُفْضَلُ عَنْهُ الْخُبْرُ وَأَنَا أَهْلِكُ جَوْعاً! أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا
أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقّاً بَعْدُ أَنْ أَدْعَى لَكَ ابْنًا. اجْعَلْنِي كَأَحَدِ
أَجْرِكَ. فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيداً رَأَاهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى
عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ. فَقَالَ لَهُ الْإِبْنُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقّاً بَعْدُ أَنْ

أُدْعَى لَكَ ابْنًا" (لو ١٥: ١٧-٢١)، وكندم مار بطرس الرسول ذلك الذى حدا به ليطلق باكياً تائباً راغباً فى غفران المسيح حال إنكاره له "وَلَمَّا أَضْرَمُوا نَاراً فِي وَسْطِ الدَّارِ وَجَلَسُوا مَعاً، جَلَسَ بُطْرُسُ بَيْنَهُمْ. فَرَأَاهُ جَارِيَةً جَالِساً عِنْدَ النَّارِ فَتَقَرَّسَتْ فِيهِ وَقَالَتْ: «وَهَذَا كَانَ مَعَهُ!». فَأَنْكَرَهُ قَائِلاً: «لَسْتُ أَعْرِفُهُ يَا امْرَأَةُ!» وَبَعْدَ قَلِيلٍ رَأَاهُ آخَرُ وَقَالَ: وَأَنْتَ مِنْهُمْ! فَقَالَ بُطْرُسُ: يَا إِنْسَانُ، لَسْتُ أَنَا! وَلَمَّا مَضَى نَحْنُ سَاعَةً وَاحِدَةً أَكَّدَ آخَرُ قَائِلاً: «بِالْحَقِّ إِنَّ هَذَا أَيْضاً كَانَ مَعَهُ، لِأَنَّهُ جَلِيلِيٌّ أَيْضاً». فَقَالَ بُطْرُسُ: «يَا إِنْسَانُ، لَسْتُ أَعْرِفُ مَا تَقُولُ!». وَفِي الْحَالِ بَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ صَاحَ الدِّيكُ. فَالْتَقَتِ الرَّبُّ وَنَظَرَ إِلَى بُطْرُسَ، فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ كَلَامَ الرَّبِّ، كَيْفَ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ تُنْكِرُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». فَخَرَجَ بُطْرُسُ إِلَى خَارِجٍ وَبَكَى بُكَاءً مُرّاً" (لو ٢٢: ٥٥-٦٢)، وهكذا كندم داود على خطيته (٢صم ١٢: ١٣) ذلك - أى الندم - الذى أهله ليرجع تائباً قائلاً "تَعَبْتُ فِي تَنَاهُدِي. أُعَوِّمُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ سَرِيرِي بِدُمُوعِي. أَدُوبُ فِرَاشِي. سَاخَتُ مِنَ الْعَمِّ عَيْنِي. سَاخَتُ مِنْ كُلِّ مُضَايِقِي" (مز ٦: ٦-٧)، "اسْتَمِعْ صَلَاتِي يَا رَبُّ وَاصْنَعْ إِلَيَّ صِرَاحِي. لَا تَسْكُتْ عَنْ دُمُوعِي. لَأَنِّي أَنَا غَرِيبٌ عِنْدَكَ. نَزِيلٌ مِثْلُ جَمِيعِ آبَائِي" (مز ٣٩: ١٢)، "صَارَتْ لِي دُمُوعِي خُبْزاً نَهَاراً وَلَيْلاً إِذْ قِيلَ لِي كُلَّ يَوْمٍ أَيْنَ إِلَهَكَ هَذِهِ أَذْكُرُهَا فَأَسْكُبُ نَفْسِي عَلَيَّ. لَأَنِّي كُنْتُ أُمُرٌ مَعَ الْجُمَاعِ أُنْتَرِجُ مَعَهُمْ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ بِصَوْتِ تَرْنِيمٍ وَحَمْدٍ جُمْهُورٍ مُعِيدٍ" (مز ٤٢: ٣-٤)، "تَيَّهَانِي رَاقِبْتَ. اجْعَلْ أَنْتَ دُمُوعِي فِي زِقَّكَ. أَمَا هِيَ فِي سِفْرِكَ؟" (مز ٥٦: ٨)، "إِنِّي قَدْ أَكَلْتُ الرَّمَادَ مِثْلَ الْخُبْزِ وَمَزَجْتُ شَرَابِي بِدُمُوعٍ بِسَبَبِ غَضَبِكَ وَسَخَطِكَ لِأَنَّكَ حَمَلْتَنِي وَطَرَحْتَنِي" (مز ١٠٢: ٩-١٠)، "صَرَخْتُ إِلَيْكَ يَا رَبُّ. قُلْتُ: «أَنْتَ مَلَجَائِي نَصِيْبِي فِي أَرْضِ الْأَحْيَاءِ. أَصْنَعْ إِلَيَّ صِرَاحِي لِأَنِّي قَدْ تَذَلَّلْتُ جِدًّا. نَجِّنِي مِنْ مُضْطَهِّدِي لِأَنَّهُمْ أَشَدُّ مِنِّي" (مز ١٤٢: ٥-٦)، "قَبْلَ أَنْ أَذْلَلَ أَنَا ضَلَلْتُ أَمَّا الْآنَ فَحَفِظْتُ قَوْلَكَ" (مز ١١٩: ٦٧).

السبب فى عذاب ندم ذلك اليوم

أما ندم ذلك اليوم فعذابه يرجع لِعَدَمِ قُدْرَةِ النادم على التوبة وتجديد طريقه وسلوكه إذ يكون قد فاتته وقت الندم وضاعت منه فُرْصَةُ اغتصاب الملكوت - تلك التى كانت ساحة على الأرض لسنوات عديدة جداً هى سنى حياته طالت أم قصرت - من أجل أشياء كان يعدّها باقية ذات قيمة فاكتشف أنها تزول فى لحظة الأمر الذى قال عنه الكتاب المُقَدَّس "أَنَّ هُتَافَ الْأَشْرَارِ مِنْ قَرِيبٍ وَفَرَحَ الْفَاجِرِ إِلَى لَحْظَةٍ" (أى ٢٠: ٥)، "لَأَنَّ الْغِنَى لَيْسَ بِدَائِمٍ وَلَا النَّاجُ لِدَوْرٍ قَدَوْرٍ. فَنِي الْحَشِيْشِ وَظَهَرَ الْعُشْبُ وَاجْتَمَعَ نَبَاتُ الْجِبَالِ" (أم ٢٧: ٢٤ - ٢٥)، "جَمْعُ الْكُنُوْزِ بِلِسَانٍ كَاذِبٍ هُوَ بَخَارٌ مَطْرُوْدٌ لِطَالِبِي الْمَوْتِ" (أم ٢١: ٦).

ثُمَّ ويكتشف أن الأرضيات العالميات التى كان يطفق ساعياً لها لم تكن زائلةً فقط وغير باقية بل قد أفقدته أيضاً كرامته كإنسان خلقه الله على صورته، وقيمه كابن فداء أبوه وخلّصه من سلطان الشيطان وأعوانه فأضرّته "يُوجَدُ شَرٌّ خَبِيْثٌ رَأَيْتُهُ تَحْتَ الشَّمْسِ: ثَرَوَةٌ مَّصْنُوْنَةٌ لِصَاحِبِهَا لِضَرَرِهِ. فَهَلَكْتَ تِلْكَ الثَّرَوَةُ بِأَمْرِ سَيِّئٍ ثُمَّ وَلَدَ ابْنًا وَمَا بِيَدِهِ شَيْءٌ. كَمَا خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ عَزِيَانًا يَرْجِعُ ذَاهِبًا كَمَا جَاءَ وَلَا يَأْخُذُ شَيْئًا مِنْ تَعَبِهِ فَيَذْهَبُ بِهِ فِي يَدِهِ" (جا ٥: ١٣ - ١٥)، "قَرَأَيْتُ أَنَّهُ لَا شَيْءَ خَيْرٍ مِنْ أَنْ يَفْرَحَ الْإِنْسَانُ بِأَعْمَالِهِ لِأَنَّ ذَلِكَ نَصِيْبُهُ. لِأَنَّهُ مَنْ يَأْتِي بِهِ لِيَرَى مَا سَيَكُونُ بَعْدَهُ؟" (جا ٣: ٢٢)، وحجبت رحمة الله عنه، قال أحد الآباء: {أين عند ذلك الأنسباء والأهل، أين حينئذ الأب الشفوق والأم المُتَحَنِّنة؟ أين الإخوة والأحباء؟ أين سطوة ملوك الأرض؟ أين الذين كانوا ينكرون العقاب؟ كم من ندامة تستحوذ عليهم، كم يندبون وينوحون ولا يرحمهم أحد، كم يتنهّدون ولا من يُشْفِقُ عليهم، فيا له من حزن مُفْرَطٍ، هل لأجل لَذَّةٍ وَقْتِيَّةٍ ومجد حقير زائل نحرم أنفسنا من ذلك المجد الحقيقى ونورثها العذاب الذى لا يُطَاق؟}، وقال أيضاً: {قد كان الشيطان قبلاً

يجتهد أن يُنسي الإنسان ما يرتكب من الذنوب والخطايا ويُطمئن حاله من جهة العقاب الإلهي وبعده بالرحمة الإلهية، أما الآن فإنه بالعكس يُذكره بخطياه ويقول له [كيف ترجو رحمة الله أنت يا من قضيت حياتك مُعانداً إياه؟ كيف يغفر لك خطاياك وهو الذي أوصاك أن لا ترتكبها؟]، بل ويرى الخاطئ أن الخطايا نفسها تنتصب أمامه وتقول [أحببتنا في العالم الأرضي فراقفناك إلى العالم السماوي]، وقال الملك (فيليب الثالث) ملك فرنسا واصفاً ندمه وحسرتة عند موته {ماذا سأقول لله؟ أتمنى لو كنت قد عشت حياة أخرى تختلف عما حييته في سني عُمرى}.

• ندم فقدان النعيم الأبدي

ثمَّ أن ذلك العذاب - أى عذاب الندم - لا ينحصر فقط في ندم الخاطئ من حيث إضاعته لفرصة التوبة ومن ثمَّ اجتتاب العذاب الأبدي لكَثْرَتِهِ يمتد أيضاً ليشمل عذابات أخرى منها الندم على فقدان النعيم الأبدي ذلك الذى اغتصبه أناسٌ مثله - وربما أقل منه في المركز والغنى والعلم - جاهدوا الجهاد الحسن وحفظوا الإيمان (٢تى ٤: ٨) فوُضِعَ لهم إكليل البر (٢تى ٤: ٩) الذى يهبه الله لمُحِبِّى اسمه القدوس والذى كان - أى الله - قد أعلن عن لمحٍ وطيفٍ بسيطٍ من أمجاده وأفراحه فقال بلسان رسوله "مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أذنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إنسان: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ" (١كو ٢: ٩)، "وَأَعْرِفْ هَذَا الإنسان. أَفِي الجَسَدِ أَمْ خَارِجَ الجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. اللهُ يَعْلَمُ. أَنَّهُ اخْتُطِفَ إِلَى الْفَرْدَوْسِ، وَسَمِعَ كَلِمَاتٍ لَا يُنْطَقُ بِهَا، وَلَا يَسَوْعُ لإنسان أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا" (٢كو ١٢: ٣-٤)، قال واحدٌ عن هذا الندم الذى يعتري الأشرار حال رؤيتهم لمجد الصديقين {حينما يرى الأشرار في ذلك اليوم الأخير مجد الصديقين وعظمتهم ويُشاهدون تصرف الملائكة معهم ويرون الاحتفاء الذى يوجه إليهم والضياء الذى يُسرلهم ثم يذكرون أن هؤلاء

الصديقين كانوا أناساً مثلهم، وكانوا لابسين أجساداً وساكنين فى العالم معهم، منهم من عاش ببؤسٍ عظيم، ولكنهم بالتوبة والإيمان خلصوا واستحقّوا هذه الغبطة الدائمة، فأى حدٍّ مُحرقٍ يُمزّق قلوبهم ويُعذّب أحشاءهم؟}، وقال أيضاً {ما أشد الغيظ الذى تضطرم به قلوب الأشرار حينما يرون أنفسهم فى عذاب ويرون الأبرار فى نعيم، أجل سيغطون عيونهم حتى لا يرون الأتقياء فى السماء، وسيكون ألمهم مُراً وغيظهم شديداً عندما يذكرون أنهم كانوا بشراً مثلهم وكان فى إمكانهم أن يسعوا لينالوا السعادة نظيرهم، ولكنهم انهمكوا فى لذة وقتية وخسروا المجد السرمدى}.

• ندم الانفصال عن القديسين

عذاب الندم لدى الخاطئ سيشمل أيضاً ندمه على قُرّاق القديسين الذين كثيراً ما سمع عنهم واشتاق^(١٤٠) أن يراهم، فلما حان الوقت المُعيّن للقائهم أصبح بأعماله بعيداً منهم تفصله عنهم هوة عميقة أثبتت حتى أن الذين يُريدون بل بالحرى يُحاولون العبور من خلالها لا يقدرّون فيزدادون ألماً وندماً، الأمر الذى أشار إليه القس منسى يوحنا فى قوله {إذا كان الإنسان الذى يُطرد من جمعيّة أو من هيئة يعترّيه غم شديد، فأى عذاب يحل بمن يُشاهد نفسه مرفوضاً من بين القديسين ومُساقاً للوقوف فى صف الشمال مع الهالكين؟ فعلى أى شئ عزمت أيُّها الإنسان وفى أى مكان من الاثنين تُريد أن تقف؟ أفى جهة اليمين أم فى جهة اليسار؟ وأى الصوتين تحب أن تسمع؟ أنحب أن تكون حبيباً أو عدواً؟ ما أُرهب الحالة التى ينتهى إليها الأشرار عندما يبحثون عن القديسين وهم يقولون إيا لشقاوتنا المؤبدة! ويا للندامة التى لا تنتهى، طوباكم أيُّها الأبرار، يا لسعادتكم، يا لغبطتكم، ثم تُتادى الأم ولدها والأب ابنته والأخ أخيه والصديق صديقه قائلين [لم يَعدُ يُمكننا أن نراكم إلى الأبد]].

الإنسان على الأرض يستطيع اختيار أصدقائه وأحبابه، فإن أحب الحكمة يساير الحكماء "الْمُسَايِرُ الْحُكَمَاءَ يَصِيرُ حَكِيمًا" (أم ١٣ : ٢٠)، وإن كان غضوباً يُصادق الغضوب "لَا تَسْتَصْحِبْ غَضُوبًا وَمَعَ رَجُلٍ سَاخِطٍ لَا تَجِئْ لِئَلَّا تَأْلَفَ طَرِيقَهُ وَتَأْخُذَ شَرَكًا إِلَى نَفْسِكَ" (أم ٢٢ : ٢٤ - ٢٥)، وإن كان حليماً يُفَضِّلُ الودعاء، وإن كان حسن السلوك هادئ الطباع تقى الأخلاق فإنه يُلَازِمُ من يتحلَّون بمثل صفاته، أمَّا في ذلك اليوم فلن يقدر الإنسان على إختيار أصدقائه وأحبابه، ولو فُرضَ أنه قدر سيكونون من الأشرار الذين صارت نهايتهم مثله فلن يلتفت إليه واحدٌ لتعزيتته في آلامه وأحزانه وبليته فكلُّ مُنْشَغِلٍ بعذاباته، فيا لأسف تلك اللحظة التي تُفارق فيها روح الإنسان الشرير جسده الذي طالما صادق الأشرار لتتطلق فتُلازم أيضاً أرواح الخُطاة الهالكين من ناحية والأرواح الشيطانية من ناحية أخرى، قال أحدهم {وآسفاه عليك أيُّها الخاطيء، فإنَّ آخر نظرة تودَّع بها الدنيا الباطلة تعقبها أول نظرة في جهنم، تبطل آخر حركة لك على الأرض لتبدأ أول حركة في الجحيم، تصم أذنك عن سماع آخر كلمة في العالم لِتُفْتَحَ لِسْمَاعِ زئير المُعذِّبين في النار الأبدية}.

+ عذاب الانفصال عن النعمة

النعمة هي التي تُثَبِّت الإيمان بيسوع في قلب الإنسان "لِيَجِلَّ الْمَسِيحُ بِالْإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ" (أف ٣ : ١٧)، فيقدر بالروح أن يعترف به رباً ومسيحاً "لا يقدر أحد أن يقول أن المسيح رب إلا بالروح القدس" (١ كو ١٢ : ٣)، ومن ثمَّ ينال التبرير (رو ٣ : ٢٤) كعطيَّة من الله "وَلَكِنْ لَيْسَ كَالْخَطِيئَةِ هَكَذَا أَيْضاً الْهَبَةُ. لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيئَةٍ وَاحِدٍ مَاتَ الْكَثِيرُونَ فَبِالْأَوْلَى كَثِيراً نِعْمَةُ اللَّهِ وَالْعَطِيَّةُ بِالنَّعْمَةِ الَّتِي بِالْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ قَدْ زِدَادَتْ لِلْكَثِيرِينَ! وَلَيْسَ كَمَا بِوَاحِدٍ قَدْ أَخْطَأَ هَكَذَا الْعَطِيَّةُ. لِأَنَّ الْحُكْمَ مِنْ وَاحِدٍ لِلدَّيْنُونَةِ وَأَمَّا الْهَبَةُ

فَمِنْ جَرَى خَطَايَا كَثِيرَةٍ لِلتَّبَرِيرِ. لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيئَةِ الْوَاحِدِ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِالْوَاحِدِ
فَبِالْأُولَى كَثِيرًا الَّذِينَ يَنَالُونَ فَيُنْصَحُ النِّعْمَةُ وَعَطِيَّةُ الْبِرِّ سَيَمْلِكُونَ فِي الْحَيَاةِ بِالْوَاحِدِ يَسُوعُ
الْمَسِيحِ" (رو ٥: ١٥ - ١٧)، وهكذا يصير أهلاً للخلاص (أف ١: ٥ - ٧) الذي أتمه
الرب على الصليب من حيث أنه - أى الرب - قبل أن يحمل خطايا البشرية جمعاء فى
جسده على الخشبة (ابط ٢: ٢٤) وأن يتجسد فى شبه جسد الخطية (رو ٨: ٣) وأن
ينزل إلى أقسام الأرض السفلى (أف ٤: ٩) لكى ما يُرجع الإنسان إلى موضع راحته
مُحْسِنًا إِلَيْهِ (مر ١١٦: ٧) مُنْقِذًا نَفْسَهُ مِنَ الْمَوْتِ وَعَيْنِيهِ مِنَ الدَّمْعِ وَرِجْلِيهِ مِنَ الذَّلِيلِ
(مز ١١٦: ٨) مُحْتَضِنًا إِيَّاهُ لئلا يشمت به أعداؤه (مز ٣٠: ١) شَافِيًا لِنَفْسِهِ (مز ٣٠: ٢)
(٢) مُصْعِدًا إِيَّاهُ مِنَ الْهَوَايَةِ وَمِنْ بَيْنِ الْهَابِطِينَ فِي الْجُبِّ (مز ٣٠: ٣).

النعمة توثق علاقة قوية مع الرب

نعمة الله المُقَدَّمة منه للإنسان كعطيّة مجانية (رو ٣: ٢٤) عندما يقبلها الإنسان
يصير فى علاقته قوية مع يسوع فيتكلّم بكلامه "هَا قَدْ جَعَلْتُ كَلَامِي فِي فَمِكَ" (أر ١:
٩)، "وَتَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ بِكَلَامِي إِنْ سَمِعُوا وَإِنْ اِمْتَنَعُوا، لِأَنَّهُمْ مُتَمَرِّدُونَ. وَأَنْتَ يَا ابْنِ آدَمَ فَاسْمَعْ
مَا أَنَا مُكَلِّمُكَ بِهِ" (حز ٢: ٧ - ٨)، وينال فيضاً من قوته بالقدر الذى به يستسلم تماماً
لعمل النعمة داخله فلا يفتر أن يتكلّم باسم الرب "الَّذِي صِرْتُ أَنَا خَادِمًا لَهُ حَسَبَ مَوْهَبَةِ
نِعْمَةِ اللَّهِ الْمُعْطَاةِ لِي حَسَبَ فِعْلِ قُوَّتِهِ. لِي أَنَا أَصْغَرَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ أُعْطِيتُ هَذِهِ
النِّعْمَةَ، أَنْ أُبَشِّرَ بَيْنَ الْأُمَمِ بِغَنَى الْمَسِيحِ الَّذِي لَا يُسْتَقْصَى، وَأُنِيرَ الْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ
شَرِكَةُ السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللَّهِ خَالِقِ الْجَمِيعِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ" (أف ٣: ٧ - ٩)،
مُشَارِكًا إِيَّاهُ فِي الْعَمَلِ "لَا أَنَا بَلْ نِعْمَةُ اللَّهِ الَّتِي مَعِيَ" (١كو ١٥: ١٠)^(١٤١)، مُتَلَفِّيًا
الإرشاد المباشر منه كقول مار لوقا الإنجيلي "وَبَعْدَ مَا اجْتَازُوا فِي فَرِيجِيَّةٍ وَكُورَةٍ غَلَاظِيَّةٍ

مَنْعَهُمُ الرُّوحَ الْقُدُسُ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِالْكَلِمَةِ فِي أَسَيَّا. فَلَمَّا أَتَوْا إِلَى مِيسِيَّا حَاوَلُوا أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى بَيْثَنِيَّةَ فَلَمْ يَدْعَهُمُ الرُّوحُ" (أع ١٦ : ٦ - ٧) وكقوله "وَبَيْنَمَا هُمْ يَخْدُمُونَ الرَّبَّ وَيَصُومُونَ قَالَ الرُّوحُ الْقُدُسُ: أَفْرَزُوا لِي بَرَنَابَا وَشَاوُلَ لِلْعَمَلِ الَّذِي دَعَوْتُهُمَا إِلَيْهِ" (أع ١٣ : ٢).

النعمة تهب الصبر والاحتمال

نعمة الرب يسوع المسيح التي يُقدِّمها مجاناً للإنسان هي التي تمنحه الاحتمال والصبر على التجارب والضيقات إلى أن يظهر المنفذ الذي جعله الله لكلِّ منها "لَمْ تُصِيبْكُمْ تَجْرِبَةٌ إِلَّا بَشَرِيَّةً. وَلَكِنَّ اللَّهَ أَمِينٌ الَّذِي لَا يَدْعُكُمْ تَجْرِبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضاً الْمُنْقَذَ لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا" (١كو ١٠ : ١٣)، وهي التي تهبه الأذن الصاغية لمناخس الروح الدافعة للتوبة فلا يطفق مُقْسِيّاً لِقَلْبِهِ (مز ٩٥ : ٨) (عب ٣ : ٨) تماماً كما عملت مع شاول الطرسوسي (أع ٨) وكما عملت أيضاً مع بطرس الرسول بنظرة واحدة من الرب إليه حال إنكاره (لو ٢٢ : ٦٢) فاجتذبتة سريعاً للتوبة.

فإن كانت نعمة الرب هي التي تُثَبِّت الإيمان وتمنح التبرير وتوهِّل للخلاص وتُدْخِل الإنسان في علاقة مع الله - فيحظى بقوته ويشترك في عمله - وتهبه الاحتمال والصبر إن أُنْتَه الضيقات والتجارب والدافع للتوبة إن صار في زَلَّةٍ أو سَقْطَةٍ، فكم وكم يكون عذاب الانفصال الأبدى عن نعمة الرب يسوع؟! قال أحدهم {ستكون ندامة الأشرار بالأخص على نعمة الله التي وَهَبَتْ لَهُمْ واقتربت منهم ولكنهم رفضوها واحتقروها، سيصرخون بمرارة [لقد كان الخلاص بين أيدينا وكان نواله سهلاً علينا لكننا استهزأنا به، كانت التوبة مُتَاحَةً لَنَا فاستخففنا بها، لم نكثر بالآخرة ولم نُبَالِ بالعقاب، ولكن ماذا تفيدنا الندامة الآن]}.{

+ عذاب الانفصال عن الله

قال القديس يوحنا ذهبي الفم {حقاً إن جهنم شر لا يُطاق وعذابها مُخيف ومُرعب جداً غير أنه لو أراني أحد ألف جهنم فلا أخاف منها ولا أرتعب كما أجزع وأرهب من فقد المجد الأبدي واستماع صوت السيد المسيح القائل لى بوجه غضوب "لا أعرفك" وتوبيخه إياي لأنى لم أطعمه فى حين احتياجه وجوعه ولم أسقه حين عطشه}، وقال آخر {كم كان الله يعتبر أن من أحسن حالات السعادة والطمأنينة للمؤمنين أن يُصرّح لهم أنه هو معهم فكان يقول لهم "لا تخافوا لأنى معكم"، وبهذا القول شدّد إسحق "لا تَخَفْ لأنى مَعَكَ وَأُبَارِكُكَ وَأَكْثَرُ نَسْلَكَ مِنْ أَجْلِ إِبْرَاهِيمَ عَبْدِي" (تك ٢٦ : ٢٤) ويعقوب (تك ٣١ : ٣)، وموسى (خر ٣ : ١٣)، ويشوع (يش ١ : ٩)، وإرميا (أر ١ : ٨)^(١٤٢) وباقى القديسين فى كل العصور، وبالعكس إذا انفصل الله عن الإنسان حَلَّتْ به الويلات كما انفصل عن منسى الملك فعَدِمَ مُلكُهُ (٢ أخ ٣٣ : ١١)، وعن شاول فعَدِمَ حياته (١ صم ٣١ : ٦)، وعن على الكاهن ففقد أولاده (١ صم ٤ : ١٨)، فقل لى أيها الخاطى، كم من مزايا تُفقد إذا عندما ينفصل عنك الله انفصلاً أبدياً}.

ما بين انفصال وانفصال

عندما يُخطئ الإنسان يشعر وكأنه قد سقط من مرتبة رفيعة ومُستوى عالٍ كان فيه قريباً من الرب يسوع - حتى ولو لم يشعر قبل سقوطه بهذا القرب الحقيقى - ليصير فى وحدة قاتلة وظلمة قاتمة^(١٤٣) وعداوة شديدة "لأنّهُ إِن كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءُ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللَّهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ فَبِالْأَوْلَى كَثِيراً وَنَحْنُ مُصَالِحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ" (رو ٥ : ١٠)، "لأنّ كَثِيرِينَ يَسِيرُونَ مِمَّنْ كُنْتُ أَذْكُرُهُمْ لَكُمْ مَزَاراً، وَالْآنَ أَذْكُرُهُمْ أَيْضاً بَاكِياً، وَهُمْ أَعْدَاءُ صَلِيبِ الْمَسِيحِ"، (فى ٣ : ١٨) لله الذى أحبه، مع أن له رجاء (جا ٩ : ٤) لا يخيب (أم ٢٤ :

١٤) فى أن يرجع تائباً نادماً ليسوع الذى هو النور الحقيقى الذى يُنير لكل إنسان آتياً إلى العالم فلا يطفق ماشياً فى الظلمة بل يكون له نور الحياة (يو ٨ : ١٢) تماماً كما للشجرة التى قُطعت من الأرض وقدم أصلها فيها ومات جذعها فى التراب من رجاء فى أن ترجع نامية زاهرة وارقة "لأنَّ لِلشَّجَرَةِ رَجَاءٌ. إِنْ قُطِعَتْ تُخْلِفُ أَيْضاً وَلَا تُعْدَمُ أَغْصَانُهَا. وَلَوْ قَدَّمَ فِي الْأَرْضِ أَصْلُهَا وَمَاتَ فِي التُّرَابِ جِذْعُهَا فَمِنْ رَائِحَةِ الْمَاءِ تُفْرِخُ وَتُثْبِتُ فُرُوعاً كَالْغُرْسِ" (أى ١٤ : ٧ - ٩).

فأى عذاب يكون فيه الإنسان عندما يفصل انفصلاً أبدياً^(١٤٤) عن الله رئيس الحياة (أع ٣ : ١٥) وواهبها (أع ١٧ : ٢٥ - ٢٦) مع ثقته الشديدة بعدم وجود أى رجاء لا للعودة إليه مرة أخرى ولا للاقترب من ذلك النور العجيب البهّى؟! ثم وإن كان نور الرب الحال فى تعاليمه الإلهية ووصاياه الإنجيلية ينحجب عن الإنسان متى حاد عن أحدها فيصير فى ظلمة شديدة وتيه مستمر قد يدفعه دفعا لولوج باب التوبة ليستعد تمتعه بذلك النور الإلهى، فأية ظلمة سيصير إليها الإنسان فى ذلك اليوم عندما يُصبح فى انفصال تام وكامل عن يسوع مصدر النور وجابله، لا شك أن ظلّمته فى تلك اللحظة ستفوق فى سطوتها تلك التى كانت وقت أن صُلب المخلص وجعلت الجميع فى ارتعاد وفى خوف، قال القس منسى يوحنا {تأمل فيما جرى وقت صلب المخلص، كيف أن الله حينما سخط على الخليقة لتعديها عليه حجبت الشمس نورها وصنعت الأرض سكونها فسادت الظلمة واضطربت الأرض وماجت، هذا عينه سيتم عليك يوم الدينونة إن كنت خاطئاً حينما يتم الانفصال بينك وبين خالقك وتُنزع النور من قلبك والسلام من نفسك والراحة من ضميرك فتحس بعذاب لا يوصف، ولا يبقى عندك أى أثر من الفرح والسرور}.

+ عذاب الخزى والعار

ذَكَرَ عن ببيوس أحد أعيان روميه أنه لما جئ به إلى محفل الشيوخ المُشِيرين لِمُحاكمته وعاین الخلق الكثير الذين أتوا لِمُشاهدته أخذ منه الخجل مأخذاً عظيماً عندما شرع القاضى يستجوبه ولم يقوَ على احتمال هذا الموقف فاستل مديه كان قد أخفاها تحت ثيابه وطعن بها نفسه فخر صريعاً.

ما بين خزى وخزى

حقاً لا خزى آدم وحواء ذلك الذى جعلهما يُحاولان الاختباء من الله السائر فى الجنة (تك ٣: ٨) ولا خزى إخوة يوسف منه حال أن عَرَفَهُمْ بنفسه (تك ٤٥: ٣) ولا خزى الرجال الذين أرسلهم داود لحانون بن ناحاش فظنهم أتوا لتجسس أرضه فأخذهم وحلق أنصاف لُحاهم وقص ثيابهم من الوسط الأمر الذى جعل داود يستبقيهم فى أريحا حتى تنبّت لحاهم إذ كانوا خجلين جداً (٢صم ١٠: ١ - ٥) سَيُقَارَن بأية مقاييس بتلك اللحظة التى لن ينفع فيها اختباء ولا خوف يرجو المغفرة ولا إِمَاتة للنفس لأجل التخلُّص من العار الذى لا يوصف والذى أعلنه الملاك لدانيال فى قوله "وَكثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي تَرَابِ الْأَرْضِ يَسْتَنقِطُونَ هَوَلاءَ إِلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ وَهَوَلاءَ إِلَى الْعَارِ لِلْإِزْدِرَاءِ الْأَبَدِيِّ" (دا ١٢: ٢)، قال أحدهم {لا تُروِّعنى الرعود العظيمة ولا أمطار النار المتكاثرة ولا الصواعق المُهْلَكة ولا السواد المُدْهِم الذى تتسريل به الشمس^(١٤٥)} بقدر ما يُروِّعنى وقوفى بخجل عظيم أمام الله والناس وأنا أحمل خطايائى.

ثمَّ إن كان الإنسان يخجل أشد الخجل متى طُرِدَ من هيئة أو من جمعية^(١٤٦) أو من عمل أو من سكن حتى أنه يُفَضِّل لو ظَلَّ مُخْتَفِياً ومُحتجباً عن أعين الجميع، فكم وكم يكون خجله فى تلك اللحظة المرهبة التى يقف فيها عُرياناً أمام البشريّة جمعاء حاملاً

خطاياها الثقيلة التى كان من الأولى ومن المفترض لها أن يحملها يسوع عنه لو قدّم عنها توبة، بل أن مدعاة خجله سيكون أيضاً بسبب جراحات الرب التى ستشهد عليه لحظتها لأن آخرين بواسطتها نالوا الشفاء "لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَاباً مَضْرُوباً مِنَ اللَّهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبٌ سَلَامِنَا عَلَيْهِ وَيَحْبُرُهُ شَفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلٌّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا" (إش ٥٣: ٤-٦) واغتصبوا الملكوت، قال أحدهم {قال الرب عن كيفية مجيئه "وَحِينَئِذٍ يُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِياً فِي سَحَابَةٍ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ" (لو ٢١: ٢٧)، فيا له من مشهد قاسٍ على الخطاة حينما يرون أن الديان هو نفسه الذى مات على الصليب لأجل خلاصهم، وأنه هو نفسه الذى طرحوا كلامه خلفهم، ما أعظم الخزي الذى يستولى على الخاطيء، وما أشد نخسات ضميره، فمُخْلِصُنَا سَيَأْتِي لِلدِّينُونَةِ بِالْجَسَدِ الَّذِي مَاتَ بِهِ وَبِالْجَرَاحَاتِ الَّتِي أَرَاهَا لِتَلَامِيذِهِ عَقِبَ قِيَامَتِهِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهِ الْأَبْرَارُ بِفَرَحٍ لِأَنَّهُمْ نَالُوا الْخَلَاصَ بِهَذِهِ الْجَرَاحَاتِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ الْأَشْرَارُ بِخَوْفٍ عَظِيمٍ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَنْتَفِعُوا مِنْ هَذِهِ الْجَرَاحَاتِ شَيْئاً}.

الخزي من المؤمنين

خجل الإنسان وخزيه فى تلك اللحظة المخوفة سيكون بسبب انفضاحه وانكشاف سلوكه ليس فقط أمام الله الذى "يحصى خطوات الإنسان (أى ١٤: ١٦) ويمتحن قلبه (أم ١٧: ٣) ويعرف خفيّاته (مز ٩٤: ١١) ويزن روحه (أم ٢١: ٢) ويعرف أعماله ويُقَلِّبُهَا (أى ٣٤: ٢٥)، لكن أيضاً أمام المؤمنين الذين خدعهم بحلاوة لسانه وحُسن مركزه وغازاة علمه وتقوى سلوكه وأعماله فظنّوه باراً صالحاً^(٤٧) ولم يفتنوا أنه ممن قال عنهم الرسول "يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ اللَّهَ، وَلَكِنَّهُمْ بِالْأَعْمَالِ يُنْكِرُونَهُ، إِذْ هُمْ رَجِسُونَ غَيْرُ

طَائِعِينَ، وَمِنْ جِهَةٍ كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ مَرْفُوضُونَ" (تى ١ : ١٦)، ومن بين من أعطاهم الرب الولايات فى قوله "وَبَلَّ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ! لِأَنَّكُمْ تَأْكُلُونَ بُيُوتَ الْأَرَامِلِ، وَلِعَلَّةٍ تُطِيلُونَ صَلَوَاتِكُمْ. لِذَلِكَ تَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ. وَبَلَّ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ! لِأَنَّكُمْ تَطْوِفُونَ الْبَحَرَ وَالْبَرَّ لِتَكْسِبُوا دَخِيلًا وَاحِدًا، وَمَتَى حَصَلَ تَصْنَعُونَهُ ابْنًا لِجَهَنَّمَ أَكْثَرَ مِنْكُمْ مُضَاعَفًا" (مت ٢٣ : ١٤ - ١٥).

الخزى من غير المؤمنين

سيكون خجله أيضاً من غير المؤمنين الذين لم يأخذوا نفس الفرصة التى أخذها ومع ذلك لَمَّا دعاَهُم الرب بنعمته (غلا ١ : ١٥) أطاعوا غير مُقَسِّين قلوبهم (مز ٩٥ : ٨) آتين من حظائر أخرى بعيدة سامعين لِصَوْتِ الرَّاعِي الْوَاحِدِ (يو ١٠ : ١٦) صائرين أولين بعدما كانوا آخرين، قال القس منسى يوحنا {سيكون خزى الخُطَاة من المسيحيين عظيماً حينما يواجههم الله بكثير من غير المؤمنين الذين كانوا لا يعرفونه مُدَّة طويَلة من حياتهم، ولكنهم عندما سمعوا صوته أطاعوا وتابوا عن خطاياهم، أَلَمْ يَقُلِ الْمُخَلَّص "ملكة التيمن ستقوم فى الدين مع رجال هذا الجيل وتدينه لأنها أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان وهودا أعظم من سليمان ههنا"، أَلَا يَقُولِ الْمَسِيحِي الْخَاطِئُ فى ذلك اليوم "تَجْعَلُنَا مَثَلًا بَيْنَ الشُّعُوبِ. لِإِنْعَاضِ الرَّأْسِ بَيْنَ الْأُمَمِ. الْيَوْمَ كُلُّهُ خَجَلِي أَمَامِي وَخَزِي وَجْهِي قَدْ غَطَّانِي" (مز ٤٤ : ١٤ - ١٥) }.

+ عذاب مُزَامَلَةِ الشَّيَاطِينِ

على الأرض يتقرَّب الشيطان للإنسان وكأنه صديقُ يكثرُث لِحالِهِ ويهتم لأمره، فأتى للمسيح على الجبل فى التجربة الأولى وكأنه يكثرُث لأمر جوعه (مت ٤ : ٣) وفى

التجربة الثانية جاءه وكأنه يهتم بمنحه المجد والكرامة اللاتقة به كابن لله تحمله الملائكة بحفاوة الملوك عندما يلقي بنفسه من على جناح الهيكل (مت ٤ : ٦)، وفي التجربة الثالثة ظهر له مُتَوَدِّداً ليهبه من خيرات العالم وأمجادها (مت ٤ : ٨)، هكذا تراءى لحواء كصديق ينصحها بأهمية أن تكون أعينها مفتوحة كالله عارفين الخير والشر (تك ٣ : ٥)، ولقايين كصاحب يشفق عليه من انهزامه أمام أخيه القريب الصلة بالله (تك ٤ : ٨)، وللإهود كخليل يُشير عليهم بضرورة أن يكون لهم إله عوض إله موسى الذى صعد إلى الجبل ولم ينزل (خر ٣٢ : ١)، ولمريم مُظهراً عِظَم شأنها مع هرون إذ كلمها الله كموسى (عدد ١٢ : ٢)، ولقورح وداثان وأبيرام مؤكداً عدم جدوى تبعيتهم وخضوعهم لموسى لأن كل الجماعة مُقدسة والرب يسكن فى وسطها (عدد ١٦ : ٣)، هكذا وبنفس الحال فى كل عصر بل بالحرى فى كل لحظة من لحظات اليوم يتودد للإنسان كصديق يبتغى المُصالحة والمودة وحُسن العشرة لكنّه فى كل هذا يخفى بين طيّات مشاعره حقداً وبُغضةً لا يُقاسا بملء قياس تجاه الإنسان الذى خلقه الله على صورته ومِثاله (تك ١ : ٢٦) ووهبه السلطان على كافة خليقته (تك ١ : ٢٧) وأحبه إلى المُنتهى (يو ١٣ : ١) حتى أنه لما أخطأ لم يتركه للهلاك الأبدى بل أعطاه الوعد بالخلاص (تك ٣ : ١٥) من عَنق الشيطان ونَسِيدُهُ وسُطُوتُهُ.

بُغْضَةُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ

أما هُناك حيثُ النار الأبدية المُعدّة له ولملائكته (مت ٢٥ : ٤١) فستظهر قساوته الحقيقية تلك التى لمح بصيصاً منها من بُغْضته لِمَجْنُون كورة الجديين الذى كان - بقوته العقلية المُستمدّة من طبيعته الملائكية التى لم يفقدها بسقوطه من مرتبته العالية السامية - يدفعه للصياح ولِجرح نفسه بالحجارة (مر ٥ : ٥)، ومن كُرْهُهُ لابن الرجل الذى

تسلَّط عليه مُنْذُ صِغَرِهِ فَكَانَ يُمَزَّقُهُ فَيَزِيدُ وَيَصِرُ بِأَسْنَانِهِ فَيَبْيُسُّ (مر ٩ : ١٨) مُلْقِيًا إِيَّاهُ فِي النارِ والماءِ بقصدِ إهلاكه (مر ٩ : ٢٢)، ومن كراهيته لموسى الأسود التائب تلك الكراهية التي وضحت من ضربه ضرباً مُبرحاً حتى احتاج سنة كاملة لِيُشْفَى، ومن حسده لأنبيا أنطونيوس ذلك الحسد الذي ظهر من جرّه بقساوة من أعلى الجبل على الصخور حتى تكسَّرت عظامه، وكل هذه القساوة هي لمحة يسيرة جداً أظهرها الرب في الكتاب المقدس وفي سير القديسين لكي لا يندفع أحد بتودداته وبحيله - أى الشيطان - التي يتراءى خلالها للإنسان بالصادق الوفي والخليل الأمين الأمر الذي قال عنه مار بولس الرسول "وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنَّهُ كَمَا خَدَعَتِ الْحَيَّةُ حَوَاءَ بِمَكْرِهَا، هَكَذَا تُفْسِدُ أَذْهَانُكُمْ عَنِ الْبَسَاطَةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ" (٢كو ١١ : ٣)، "لَلَّا يَطْمَعَ فِيْنَا الشَّيْطَانُ، لِأَنَّنَا لَا نَجْهَلُ أَفْكَارَهُ" (٢كو ٢ : ١١)، قال أحدهم {الشياطين الذين كانوا يمتلكون الخطاة ويتوددون إليهم لِيُجرونها إلى الإثم يكونون في جهنم قساة عليهم فَيُزِيدُونَهُمْ عَذَاباً بِأَشْكَالِهِمُ الْمُرْعَبَةِ وَأَصْوَاتُهُمُ الْمُفْزَعَةُ، حقاً لقد خاب أملك أيها الخاطيء من كل ما رجوته، فالعالم الذي أحببته قد فارقك، والجسد الذي لَدَدْتَهُ تَتْعَذَّبُ فِيهِ نَفْسُكَ، والخطية التي اشتبهتها سلَّطها الله عليك لِتُعَذِّبَ ضَمِيرَكَ، والشيطان الذي أطعته يقوم ضدك، ولا يكون بغضة الأشرار للغير فقط إنما يكرهون أيضاً أنفسهم}.

ما بين احتمال الإنسان للأشرار واحتماله للشيطان

فإن كان الإنسان لا يحتمل السُّكنى مع امرأة مُخَاصِمَةٍ بل يُفَضِّلُ عليها السكن في زاوية السطح "السُّكْنَى فِي زَاوِيَةِ السَّطْحِ خَيْرٌ مِنْ امْرَأَةٍ مُخَاصِمَةٍ وَبَيْتٍ مُشْتَرِكٍ" (أم ٢١ : ٩)، أو في أرض بريّة "السُّكْنَى فِي أَرْضٍ بَرِّيَّةٍ خَيْرٌ مِنْ امْرَأَةٍ مُخَاصِمَةٍ حَرِدَةٍ" (أم ٢١ : ١٩) مع أن هذه الزوجة المُخَاصِمَةُ الحَرِدَةُ قد تتحول لأخرى فاضلة (أم ١٢ : ٤) حكيمة

تبنى بيتها (أم ١٤ : ١) وتصير له ميراثاً (أم ١٩ : ١٤)، وبالمثل فلا يحتمل قريباً له أو أماً أخطأ إليه مع احتمالية تغيّر أحوالهما آخذاً فى الاعتبار الوصية الآمرة بالترفق بالخطاة (٢تى ٢ : ٢٤) وبتشجيع صغار النفوس (١تى ٥ : ١٤) وبمصالحة الجميع (رو ١٢ : ١٨)، وهكذا فلا يحتمل عدواً له يحقد عليه ويحسده مع وجود فرصة لذلك الحاسد الحاقداً أن يستجيب لمناخس الروح نادماً تائباً على ما حسد فيه وما حقد عليه، فكيف حاله يحتمل القساوة اللامتناهية للشيطان الذى لا يحتمل معه أية فرصة لتغيير الطريق والمسلك كما للزوجة أو للقريب أو حتى للعدو؟!

سلوك الخاطئ على الأرض لا يخفف عنه قساوة الشياطين فى الجحيم

فلا يظن الخاطئ إذن أن صداقته للشيطان على الأرض ستقيه هناك - حيث النار الأبدية - تلك القساوة التى عبّر عنها سفر الجليان بقوله "مِنْ أَجْلِ هَذَا أَفْرَحِي أَيُّهَا السَّمَاوَاتُ وَالسَّكَاوُنُونَ فِيهَا. وَبِئْسَ لِسَاكِنِي الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ، لِأَنَّ إِبْلِيسَ نَزَلَ إِلَيْكُمْ وَبِهِ غَضَبٌ عَظِيمٌ، عَالِماً أَنَّ لَهُ زَمَانًا قَلِيلاً" (رؤ ١٢ : ١٢)، ولو ذاك لكان - أى الشيطان - قد أنقذ صديقه الغنى من عذابه فى اللهب (لو ١٦ : ٢٤) فلم يعد فى حاجة ليلب إعازر طرف إصبعه بماء ليبرد به لسانه (لو ١٦ : ٢٤)، وكان قد أنقذ تابعيه ممن صار نصيبهم فى الهلاك الأبدى، فإن كان الشيطان وهو على الأرض مُقَيِّداً يتسلط على الأخيار - كالأنبا موسى والأنبا أنطونيوس - ممن قاوموه وعاندوه بقساوة فى حدودٍ يسمح بها الله لخيرهم وفائدتهم، وهكذا فهو يتسلط حتى على الأشرار الذين تبعوه راضخين رازحين تحت نيره الثقيل فكم وكم ستكون تلك القساوة هناك فى النار الأبدية حيث مسكنه الأبدى الذى يصير فيه المتسلط على كل مَنْ وما به؟! قال أحدهم عن حال الخاطئ المُقَدِّم على الموت {ها هو بين مخالب الموت أسير ينوح ويسكب دموعاً حارة، يبكى إذا ما استعرض

اهماله وقساوة قلبه وعدم إيمانه، يتألم ويتعذب عندما يتصور العذاب الذى سيحصله، وظلام النار التى سيستقر فيها، وهیئة الشياطين المٌخيفة التى سيجاورها، فماذا يعمل فى تلك الساعة الرهيبة وكيف يتخلص من تلك الحالة المزعجة؟ فماذا أشقاك وأتعسك يا من تهاونت فى أمر خلاصك، إنك الآن تتحقق أنك كنت مخدوعاً ومغروراً وأنك سعبت باطلاً.

+ العذاب الأصعب

حقاً إن كل هذه العذابات مُجتمعة لا تُعدُّ شيئاً ذا قيمة إذا ما قورنت بهذا العذاب الأخير الذى هو ديمومة كل عذاب على حده لفترة لا يتخيلها إنسان ولا يقدر أن يسبر بعقله المحدود أغوار لانهايتها ولا محدوديتها الأمر الذى أوضحه الكتاب فى قوله "السَّحَابُ يَضْمَحِلُّ وَيَرْوُلُ. هَكَذَا الَّذِي يَنْزِلُ إِلَى الْهَآوِيَةِ لَا يَصْعَدُ" (أى ٧ : ٩)، "وَكَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي ثَرَابِ الْأَرْضِ يَسْتَنقِظُونَ هَؤُلَاءِ إِلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ وَهَؤُلَاءِ إِلَى الْعَارِ لِلْإِذْرَاءِ الْأَبَدِيِّ" (دا ١٢ : ٢)، "فَيَمُضِي هَؤُلَاءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالْآخَرُونَ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ" (مت ٢٥ : ٤٦)، قال أحدهم فى تَخِيلٍ محدود لتلك الديمومة {ما معنى قول الكتاب "إلى أبد الآبدين"؟ هل معناه أن الخُطاة يتعذبون مدة تُساوى المدة التى فيها يستطيع عصفور واحد أن يُجفَّف جميع مياه البحار والمحيطات إذا أتى كل سنة وشرب منها نقطة واحدة لا غير؟! هل معناه أنهم يتعذبون زمناً يُقدَّر بالزمن الذى تتمكن فيه دودة صغيرة من أن تفنى كل أشجار الأرض إذا قرضت كل سنة قرصة واحدة فقط؟! هل معناه أنهم يتعذبون دهوراً تُقدَّر بالدهور التى تتمكن فيها نملة من الطواف بالأرض بأسرها إذا مشيت كل سنة شبراً واحداً فقط؟! لا بل هُم يتعذبون إلى أمد أطول من ذلك بكثير جداً، حتى لو فُرِضَ

أن العالم كله مملوء بالرمل ونُقِلَتْ منه كل مائة سنة ذرّة واحدة لانتهى ما فى العالم من رمل وما انتهت الأبدية!}.

ثمَّ إن كان الإنسان يتألم حال احتماله لِمَرَضٍ مؤقتٍ قد يُشفى منه بعد بُرْهة من الزمن وإن كان يتضايق متى اعترته ضيقة قد تنتهى فى أية لحظة قريبة كانت أم بعيدة، فكيف حاله يحتمل ديمومة العذابات السالفة إن كان رجأؤه على الارض فى انتهاء ضيقاته وآلامه وأحزانه لا يمنع عنه هذا الضيق وذلك الألم؟!

†

ثمَّ وبعد أن تكلمنا عن وسيلتين قد يستخدمهما الله الكُلّى الحنان والمحبة مع المُقْسِيين قلوبهم غير المُستجيبين لِمناخِس الروح لولوج باب التوبة وكأنه بهما يدفعهم دفعاً للبدء فى مخافته الواجبة منهم له، الأمر الذى يؤدّى بهم لبلوغ محبته الكاملة التى تطرح الخوف إلى خارج فأشرنا إلى (١) حتمية الموت الذى يأتى فجأة، (٢) حتمية العذاب الذى يأتى بعد الموت، نتكلّم عن الأمر الثالث الذى يستخدمه الله كدافع يدفع الإنسان دفعاً ليشرع فى الاستعداد لتلك اللحظة المهيبة هو:

◀ احتمالية التأثير على الأحباء^(١٤٨)

التأثير على الأحباء من حيث الانفصال المؤقت أو الدائم عنهم

إن لم يخف الخاطئ من الموت ولم تُرهبه أهوال العذابات الأبدية التى لا تُحتمل فحتماً سيُرهبه أمر الانفصال عن أحبابه وأقربائه وقت الموت، ثمَّ وسيُرهبه أيضاً أمر

الانفصال الدائم عنهم لاختلاف نهايتهم عنه، قال القس منسى يوحنا {فى يوم الدينونة يبتدئ الخاطئ بوداع المؤمنين، فيقول الهالك لأخيه الصالح [يا أخى إنى ما عدت أراك]، والأم الشريرة تقول لابنتها البارة [هذه هى المرة الأخيرة التى أراك فيها يا ابنتى فما أمر هذا الوداع إذ لم يعد لى أمل أن أراك فيما بعد]، والابنة الشقية تقول لأُمها النقية [وداعاً يا أُمى هنيئاً لك فقد حصلت على الراحة وأما ابنتك ففى عذاب دائم، فما لى أراك لا تذرئين دمة واحدة على ابنتك؟ متى تعلم قلبك هذه المساواة، قد كنت فيما مضى تتألمين لأقل ما يصيبنى؟]، وقال أيضاً {ماذا يعمل الشرير حينما يرى أهله وأقاربه فى صف اليمين وهو فى صف الشمال؟ ماذا يكون حاله حينما يرى ابنه الذى كان يحبهُ فى هيئة الأبرار وهو مضطرب بالشوق إليه ليسلم عليه ويُقبل وجنتيه ولكن ليس من يسمح له؟ وكيف يكون حزنهُ إذ يُحمل إلى جهنم وابنه إلى السماء وهو يلتفت إلى الورا شاكساً إليه إلى أن تفصل بينهما هوة عظيمة ويفارقه إلى الأبد؟ واحسرتاه أيها الذين تبكون بحُرقة على موتاكم!!! إن البكاء الحقيقى لا يصح عليهم إلا إذا تم الفراق بينكم لا فى هذا العالم بل فى العالم الأبدى}.

التأثير على الأحباء من حيث خلاصهم الأبدى

أما لو اتكل الإنسان على الاكتفاء بمحاولاته لضمان خلاص أبنائه وأحبابه وأهله فليعلم أن حزنهم الشديد على هلاكه متى كان متوانياً غير مُستعدٍ قد يؤدى بهم لفقدان العزيمة على المضى فى طريق الملكوت الذى رأوا حبيبهم وقريبهم يفقده للتو ماضياً للعذاب الأبدى، وبعدها كان موضوعاً عليه (١كو ٩: ١٦) أن يُطمئنهم ويُبَيِّنَ عزائمهم للسعى فى طريق الملكوت^(١٤٩) صار هو نفسه السبب فى فقدانهم لإخلاصهم، قال أحد الآباء {كم من كثيرين فارقوا الحياة عقب موت مُحبيبهم لِشِدَّةِ تَحَسُّرُهُمْ وحُزنُهُمْ، فماذا

نتصوّر إذاً حُزن الهالكين حينما يُرغمون على مُفارقة من يحبونهم إلى الأبد، حينما تتقطع العلاقات وتبطل المحبة بين الأب وأولاده، والأم وأبنائها والأخ وإخوته، لقد بكى يعقوب على يوسف مع أنه يعتقد أنه سيُلاقيه، فماذا نتصوّر عويل الخُطاة فى يوم الفُراق الذى ليس بعده لقاء؟.

سيرة الأحباء تؤثر إيجاباً وسلباً على مُحبيهم

حقاً كم من كثيرين تغيّرت حياتهم كُلّيّةً عندما شاهدوا ذويهم على فراش الموت فرحين مُبتهجين فى سلام كامل واطمئنان بالغ بعدما صاروا فى عِداد المحسوبين أعزّاء محبوبين مُكرّمين عند الرب (إش ٤٣ : ١)، قال أحدهم {رؤيتى لوالدى وقد استجاب لنداءات يسوع التى لم تبطل طوال حياته أعطتنى الدافع والحافز للمضى فى طريق الملكوت ثِقَةً واطمئناناً على مصيره الأبدى ونجاته من العذاب من ناحية وإيماناً بقوة الرب على تجديد الإنسان وتغييره من ناحية أُخرى}، وقال آخر {لم يُحزننى موت والدى الذى انتقل إلى يسوع الذى أحبه وهو فى طريقه إلى الكنيسة}، وأخير قال {تعرّيتُ كثيراً وتَشَجَّعتُ لَمَّا علمت خبر انتقال والدى إلى الأخدار السماوية أثناء خدمته للمسيح الذى أحبه}، وبالعكس فكم من كثيرين فقدوا الخلاص بسبب حُزنهم البالغ على أحبائهم وذويهم الذين هلكوا بسبب عدم استعدادهم وتوانيتهم فصاروا أهلاً للعذاب الأبدى، قال أحدهم {أسلك مُبتعداً بكامل إرادتى عن الرب لأنال نفس العذابات الأبدية التى أعلم أن والدى الذى أُحبه قد صار إليها لابتعاده عن الرب، فلا أقدر أن أتبع الرب فأنال المجد والفرح الذى خسره هو وأتركه فى عذاباته التى لا تُحتمل ولا تنتهى!}.

تَغَصُّبُ الْإِنْسَانِ فِي طَرِيقِ الْمَلَكُوتِ يُكْرِزُ بِاسْمِ الرَّبِّ

فإن لم يرهب الإنسان الموت ولا العذاب فليَتَغَصَّبْ سائراً في طريق الرب علَّه يكسب ذويه وأحبابه لنفس الطريق فلا يتسبب في هلاكهم وفقدانهم للخلاص الأبدي عالماً أن الطريق الذي يبدأ بتغصُّب من أجل ذويه سينتهي به حتماً لولوجه وللنهج فيه بكامل إرادته وشوقه بعدما يكون المسيح الكلِّي العدل والرحمة والحنان قد نظر إلى تضحيته بأهوائه وشهواته من أجل خلاص آخرين مُطَبِّقاً دون أن يعلم ما قد سبق وأعلن عنه قائلاً "ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" (يو ١٥ : ١٣).

†

الباب السابع

العبادة الإيجابية

المسيحية ليست هي ديانة الخضوع الذى ينتظر الموت والهلاك، ولا هي ديانة الاستسلام الذى يتوقع العذاب الذى لا مفر منه، ولا هي ديانة التراخى والتهاون والكسل الذى حذر منه الجامعة في قوله "لَا تُحِبَّ النَّوْمَ لِئَلَّا تَفْتَقَرَ. افْتَحْ عَيْنَيْكَ تَسْبَعُ خُبْرًا" (أم ٢٠: ١٣)، "الرَّخَاوَةُ لَا تَمْسِكُ صَيِّدًا أَمَّا تَرَوْهُ الْإِنْسَانُ الْكَرِيمَةُ فَهِيَ الْإِجْتِهَادُ" (أم ١٢: ٢٧)، والذى - أى الكسل - يظهر سلبية شديدة كالتى كانت عند العبد البطال الذى خشى سيده فمضى وأخفى وزناته فى الأرض (مت ٢٥: ٢٥) بدلاً من أن يضعها عند الصيارفة لكى ما إذا أتى سيده يستردها مع ما أغتتمته من ربا (مت ٢٥: ٢٧) (١٥٠)، لَكِنَّهَا هِيَ دِيَانَةُ الْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ الَّذِينَ يُظْهِرُوا إِجْبَابِيَّةَ مَدْحِهَا الرَّبِّ فِي صَاحِبِ الْخَمْسِ وَزَنَاتِ الَّذِي تَاجَرَ بِهَا فَرِيحَ خَمْسِ وَزَنَاتٍ أُخْرٍ (مت ٢٥: ١٦) وَطَوَّبَ لِأَجْلِهَا صَاحِبِ الْوَزْنَتَيْنِ الَّذِي رَاحَ وَزْنَتَيْنِ أُخْرَتَيْنِ (مت ٢٥: ٢٢).

وصية الرب بالكرازة تؤكد مبدأ الإيجابية

وتأكيداً لهذه الإيجابية لم يأمر الرب تلاميذه بانتظار مجئ الشعوب ليكرزوا لهم باسمه القدوس بل أوصاهم بالمبادرة إليهم "فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ" (مت ٢٨: ١٩ - ٢٠)، "اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَكُرِّزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا" (مر ١٦: ١٥)، "لَكِنَّكُمْ سَتَسْأَلُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ

وَتَكُونُونَ لِي شُهَدَاءَ فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَفْصَى الْأَرْضِ" (أع ١ : ٨).

ومن واقع تلك الإيجابية لم ينتظر فيليب سؤال الخصى الحبشى له عن الإيمان بل بادر إليه كقول مار لوقا البشير "فَقَالَ الرُّوحُ لِفِيلِبُّسَ: «تَقَدَّمْ وَرَافِقْ هَذِهِ الْمَرْكَبَةَ». فَبَادَرَ إِلَيْهِ فِيلِبُّسُ وَسَمِعَهُ يَقْرَأُ النَّبِيَّ إِشْعْيَاءَ فَقَالَ: أَلَعَلَّكَ تَفْهَمُ مَا أَنْتَ تَقْرَأُ؟" (أع ٨ : ٢٩ - ٣٠)، ولم ينتظر بطرس سؤال الجموع الحائرة يوم الخمسين بل "وَقَفَ مَعَ الْأَحَدَ عَشَرَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الْيَهُودُ وَالسَّاكِنُونَ فِي أُورُشَلِيمَ أَجْمَعُونَ لَيْكُنْ هَذَا مَعْلُومًا عِنْدَكُمْ وَأَصْعُوا إِلَى كَلَامِي لِأَنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسُوا سَكَارَى كَمَا أَنْتُمْ تَظُنُّونَ لِأَنَّهَا السَّاعَةُ الثَّالِثَةُ مِنَ النَّهَارِ. بَلْ هَذَا مَا قِيلَ بِبِئْرِيلِ النَّبِيِّ. يَقُولُ اللَّهُ: وَيَكُونُ فِي الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ أَنِّي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤْيًى وَيَحْلُمُ شُبُوحُكُمْ أَحْلَامًا. وَعَلَى عِبِيدِي أَيْضًا وَإِمَائِي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ فَيَتَنَبَّأُونَ. وَأُعْطِي عَجَائِبَ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَآيَاتٍ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ: دَمًا وَنَارًا وَبُخَارَ دُخَانٍ. تَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إِلَى ظُلْمَةٍ وَالْقَمَرُ إِلَى دَمٍ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمِ الشَّهِيرِ. وَيَكُونُ كُلُّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ»" (أع ٢ : ١٤ - ٢١)، ولم ينتظر أيضاً الأعرج على باب الهيكل ليأتى إليه بل بادر له مع يوحنا (أع ٣ : ٣ - ٩)، وهكذا بنفس الحال كان بولس الرسول وهو فى أثينا يُبَادِرُ بِكَلَامِ الْيَهُودِ فِي الْمَجْمَعِ وَبِكِرَازَةِ كُلِّ مَنْ يُصَادِفُونَهُ فِي السُّوقِ كُلِّ يَوْمٍ (أع ١٧ : ١٧).

وصايا الرب عامة تؤكد مبدأ الإيجابية

ثمَّ إنَّ الرُّوحَ الَّذِي قَالَ بِلِسَانِ الرَّسُولِ "مُسْتَعِدِّينَ دَائِمًا لِمُجَابَوَةِ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ" (١بط ٣ : ١٥) أَمَرَ بِضَرُورَةِ الْمُبَادَرَةِ فِي إِظْهَارِ سَبَبِ ذَلِكَ الرَّجَاءِ فَقَالَ

"أَسْأَلُكُمْ بِحِكْمَةٍ مِنْ جِهَةِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ، مُفْتَدِينَ الْوَقْتَ" (كو ٤ : ٥) ومن ثَمَّ لَمَّا يُلاحظ من هو من خارج الإيمان تلك السيرة الحسنة فيتجاسر سائلاً عن سبب الرجاء الذى لأجله يسلك المؤمن بتلك الحكمة يكون المؤمن مُستعداً لمُجابهة ذلك السؤال، وفى موضع آخر لما أعلن عن أهميّة الاستعداد والتهيئة لمُجابهة كل إنسان سبق هذا الإعلان بما ويُظهر مبدأ الإيجابية بأن يكون الكلام كل حين مُصلحاً بملح لكى ما إذا وُضِع المرء موضع المُسائلة يُجيب حسناً "لِيَكُنْ كَلَامُكُمْ كُلَّ حِينٍ بِنِعْمَةٍ، مُصْلِحاً بِمِلْحٍ، لَتَعْلَمُوا كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تُجَابُوا كُلَّ وَاحِدٍ" (كو ٤ : ٦)^(١٥١)، وحتى لما أشار الرب إلى اضطهاد أبنائه (مر ١٣ : ٩) أوضح أن هذا الضعف الذى يُظهر سلبية يسمح هو به لكى ما يتحوّل لِقوّة شهادة لاسمه أمام الملوك والولاة والحُكّام (مر ١٣ : ٩) بِقوّة الروح الذى سيؤازر المُتكلّم فى تلك اللحظة (مر ١٣ : ١١)، وهكذا فلما قال "إن أبواب الجحيم لن تقوى عليها" (مت ١٦ : ١٨) لم يقصد أنها - أى الكنيسة - فى استسلامها وخنوعها وسلبيتها ستتنتصر على أبواب الموت التى تُحاول الاقتتاص منها، بل قصد أنها فى قوة الحياة التى لها من واهب الحياة ومُعطيها ستغزو أبواب الجحيم كاسرة قيود المُمسكين فيه كى ما تجمعهم ليعبدوا الله الحى الحقيقى (اتس ١ : ٩) وينتظروا ابنه من السماء الذى أقامه من الأموات يسوع المسيح (اتس ١ : ١٠) بعدما كانوا بدون مسيح أجنيبين عن رعوّة إسرائيل وغُرباء عن عهود الموعد لا رجاء لهم وبلا إله فى العالم (أف ٢ : ١٢).

السبب الحقيقى للاستعداد

إن كان الرب الذى يعرف طبيعة الإنسان المائلة للشر لأن تصوّر أفكار قلبه شَرير منذُ حدثته (تك ٦ : ٥) يبدأ علاقته مع الإنسان غير الطالب لوجهه بأن يُظهر له رهبة الموت ورُعبة العذابات الأبديّة وينخس ضميره ووجدانه - بدافع الالتزام الاجتماعى الذى

غرسه فى الطبيعة البشرية من خلال العلاقات المتبادلة بين الرجل وزوجته وأولادهما - باحتمالية تأثير توانيه ومن ثمَّ هلاكه على أحبائه فيهلكون مثله، فهو لا يتوقف عند هذا الحد الذى يدفع الإنسان دفعاً لطلب وجهه، لكنه يتدرَّج معه تدرُّجاً بديعاً ليُظهر له إيجابية العبادة الحقَّة التى لربما لم يكن يحتملها^(١٥٢) من قبل حال عبادته السلبية^(١٥٣) التى كان فيها والتى كانت لازمة له كدرجة أولى تليها أخرى توضح الهدف الحقيقى الإيجابى الذى لأجله يجتهد الإنسان فى إتمام وصايا يسوع اشتهاً لنوال الأبدية السعيدة فى حضرته المجيدة، أمَّا ذلك الهدف الإيجابى فهو:

◀ تَذَوُّقُ حلاوة يسوع

لِلوَصِيَّةِ مُكَافآت أَرْضِيَّة (حاضرة) وأُخْرَى أَبَدِيَّة (مُستقبلة)

كثيرون فترت حرارتهم الروحية فصاروا بلا روح^(١٥٤) (حب ٢: ١٩)، وبلا ثمر (حز ١٧: ٩-١٠) لينطبق عليهم عتاب الرسول "أَبْعَدَمَا ابْتَدَأْتُمْ بِالرُّوحِ تُكَمِّلُونَ الْآنَ بِالْجَسَدِ؟" (غل ٣: ٣)، والسبب فى ذلك أنهم ظنوا خطأً أن مُكَافآت وتعزيات الرب يسوع لهم تقتصر على الأبدية فضغفت عزيמתهم على المضى فى الطريق الضيق الكرب وخارت قواهم عن الاستمرار فى إتمام الوصايا الإنجيلية التى لَمَّا وازنوا بين احتمال صعوبتها وانتظار مُكَافآتها رجحت الكفة الأولى فتركوها تحت ثِقَلِ صعوبتها^(١٥٥) لعدم قُدرتهم على انتظار مُكَافآتها على الأمد الطويل فى الأبدية المرجوة!

لكن الحقيقة أن الله الكُلِّيَّ الحنان والرحمة ولكى ما يجتذب الإنسان للاستمرار فى جهاده وسعيه خلال الطريق الضيق الصعب جعل لكل وصية قوة وتعزية^(١٥٦) أبقاها له فيها - أى فى الوصية - ليتلذذ بها على الأرض فتثبت عزيمة على المضى فى إتمامها

"بوصاياك ألهج وألاحظ سُبُلك. بفرائضك أتلدذ. لا أنسى كلامك" (مز ١١٩: ١٥-١٦)،
 "وأتلدذ بوصاياك التي أحببت" (مز ١١٩: ٤٧)، "سمن مثل الشحم قلبهم أما أنا
 فبشريعتك أتلدذ" (مز ١١٩: ٧٠)، "أما الودعاء فيرثون الأرض ويتلدذون في كثرة
 السلامة" (مز ٣٧: ١١)، ولذلك عندما أمره بضرورة الانشغال بطلب الملكوت لم يغفل
 منحه الاحتياجات الأرضية الضرورية التي كان يطلبها فقال "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره
 وهذه كلها تزداد لكم" (مت ٦: ٣٣)، وعندما أوصاه بضرورة أن ينكر نفسه ويضعها من
 أجل نوال الخلاص أوضح له أنه سوف يجدها "إن أراد أحد أن يأتي ورائي فليترك نفسه
 ويحمل صليبه ويتبعني، فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي
 يجدها" (مت ١٦: ٢٤-٢٥)، وهكذا فعندما دعاه لتبعيته ليرث الأبدية متى ترك بيوتاً أو
 إخوة أو أخوات أو أباً أو أمّاً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمه لم يغفل أن يهبه
 مائة ضعف على الأرض (مت ١٩: ٢٩)، قال القديس مكاريوس الكبير {حسناً يا
 إخوتي، فحينما توضع مثل هذه الخيرات أماناً وقد وعدنا بمثل هذه المواعيد العظيمة
 فلنطرح عنا كل العوائق ونهجر كل محبة للعالم، ونؤمن أنفسنا بذلك الذي هو وحده
 صالح لكي نصل إلى الحب الذي لا ينطق به}.

المكافآت الأرضية والأبدية تشجع على التوبة

لولا تعزيات الرب الأرضية للإنسان ما احتمل طريقه الضيق الكرب وما استجاب
 لمناخس الروح ليرجع نادماً تائباً عن طريقه الرديئة كقول النبي "تذكرت أيام القدام. لهجت
 بكل أعمالك. بصنائع يدك أتأمل" (مز ١٤٣: ٥)، ولذلك لما أخطأ داود تذكر أيامه
 الأولى^(١٥٧) في حضرة الله - حينما كان يطلب حمايته (مز ٣: ١-٢)، واستجابته (مز
 ٤: ١)، ورحمته ويظهر اشتياقه (مز ٤٢: ١-٢) - فرجع نادماً تائباً باكياً يقول

"إِرْحَمْنِي يَا اللَّهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ. حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ امْحُ مَعَاصِيَّ. اغْسِلْنِي كَثِيراً مِنْ إِثْمِي وَمِنْ خَطِيئَتِي طَهِّرْنِي. لِأَنِّي عَارِفٌ بِمَعَاصِيٍّ وَخَطِيئَتِي أَمَامِي دَائِماً. إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ وَالشَّرُّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي أَقْوَالِكَ وَتَرْكُوزَ فِي قَضَائِكَ. هَنَنْدَا بِالْإِثْمِ صُوِّرْتُ وَبِالْخَطِيئَةِ حَبِلْتُ بِي أُمِّي" (مز ٥١: ١ - ٥)، وسليمان النبي لما أخطأ تذكر أيامه الأولى في حضرة الرب (١ مل ٨: ٢٣ - ٥٣) حينما أكمل بناء بيته وأدخل أقداس داود أبيه الفضة والذهب والآنية إلى خزانته (١ مل ٧: ٥١) فرجع نادماً تائباً يقول "ثُمَّ التَقْتُ أَنَا إِلَى كُلِّ أَعْمَالِي الَّتِي عَمَلْتُهَا يَدَايَ وَإِلَى التَّعَبِ الَّذِي تَعَبْتُهُ فِي عَمَلِهِ فَإِذَا الْكُلُّ بَاطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ وَلَا مَنَفَعَةَ تَحْتَ الشَّمْسِ" (جا ٢: ١١)، وهكذا بطرس الرسول لما تذكر أيام تعزياته الأولى مع الرب حين دعاه رسولاً (مت ١٠: ٣) وأعطاه سلطاناً (مت ١٠: ٨ - ٩) ونجّاه من موتٍ (مت ١٤: ٣١) ومن يأسٍ (لو ٢٢: ٦١) رجع نادماً تائباً باكياً بكاءً مُرّاً (لو ٢٢: ٦٢).

+ حلاوته على الأرض

تعزيات ومكافات يسوع الأرضية ليست بكل حال مادية لكنها تظهر في صورة مشاعر محبة كاملة - وصفها الجامعة في قوتها بالنار التي لا تقدر مياه سيول كثيرة أن تطفئها - وضحت من:

* أبوته

أبوة المسيح للإنسان أبدية "لَأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَنَفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً مُشِيراً إِلَهاً قَدِيراً أَباً أَبَدِيّاً رَئِيسَ السَّلَامِ." (إش ٩: ٦) لأنها لا تبدأ بولادة الإنسان الطبيعية ولا تنتهي بانتقاله إلى العالم الآخر كحال الآباء الجسدانيين لكنها

تسبق ولادته وتمتد إلى ما بعد انتهاء حياته الأرضية، ثم أن تلك المشاعر الأبوية التي من الله للإنسان ثابتة لا تتغير حتى لو جردها الإنسان لأنها تنبع من كمال صفات الله الذي يبقى أميناً وإن بطلت أمانة الإنسان (٢: ١٣)، هو أبٌ للخائفين قال عنه النبي مُبَكِّتاً الشعب "وَفِي الْبَرِّيَّةِ حَيْثُ رَأَيْتَ كَيْفَ حَمَلَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ كَمَا يَحْمِلُ الْإِنْسَانُ ابْنَهُ فِي كُلِّ الطَّرِيقِ الَّتِي سَلَكَتُمُوهَا حَتَّى جِئْتُمْ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ" (تث ١: ٣١)، وللمحتاجين المعوزين يعرف طلباتهم قبل أن يطلبونها "فَلَا تَطْلُبُوا أَنْتُمْ مَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَشْرَبُونَ وَلَا تَقْلُقُوا، فَإِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا أُمَمُ الْعَالَمِ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَبُوكُمْ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ" (لو ١٢: ٢٩ - ٣٠)، وللفقراء الجائعين فَيُعْطِيهِمْ خُبْزاً للأكل (مز ١٤٦: ٧) ويكثر لِحَالَهُمْ "وَسِتَّ سِنِينَ تَزْرَعُ أَرْضُكَ وَتَجْمَعُ غَلَّتْهَا وَأَمَّا فِي السَّابِعَةِ فَتَرْخِيهَا وَتَتْرُكُهَا لِيَأْكُلَ فَقَرَاءُ شَعْبِكَ. وَفَضَّلْتُهُمْ تَأْكُلُهَا وَحُوشُ الْبَرِّيَّةِ. كَذَلِكَ تَفْعَلُ بِكَرَمِكَ وَزَيْتُونِكَ" (خر ٢٣: ١٠ - ١١)، "وَعِنْدَمَا تَحْصِدُونَ حَصِيدَ أَرْضِكُمْ لَا تُكَمِّلُ زَوَايَا حَقْلِكَ فِي الْحَصَادِ. وَلِقَاطَ حَصِيدِكَ لَا تَلْتَقِطُ. وَكَرَمِكَ لَا تَعْلَلُهُ وَنَبَارَ كَرَمِكَ لَا تَلْتَقِطُ. لِلْمَسْكِينِ وَالْغَرِيبِ تَتْرُكُهُ. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ" (لا ١٩: ٩ - ١٠)، وللمتضايقين بأمراض فيقول لهم كنازفة الدم "يَا ابْنَةُ، إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ، اذْهَبِي بِسَلَامٍ" (لو ٨: ٤٨)، وللخاطاة يُعْرِيهُمْ وَيُرِيحُ ضَمَانَهُمْ كقوله للمفلوج "يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ" (مر ٢: ٥)، ولجميع مَنْ تبعوه يعدُّهم بالحياة الأبدية قائلاً "لَا تَخَفْ، أَيُّهَا الْقَطِيعُ الصَّغِيرُ، لِأَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ سَرَّ أَنْ يُعْطِيَكُمْ الْمَلَكُوتَ" (لو ١٢: ٣٢)، فأى أب كيسوع المسيح يحمل ابنه فرحاً (تث ١: ٣١) حتى وإن جد أبوته (لو ١٥: ١٢)، ويعرف احتياجاته قبل حتى أن يطلبها (لو ١٢: ٣٠)، (لو ١١: ١٣)، ويقبل شفاعة الروح من أجله متى لم يعرف ما يُصَلِّي لأجله كما ينبغي (رو ٨: ٢٦).

هذه المشاعر الأبوية التي يختبرها طالبو الرب مُتَدَوِّقِينَ طيبه ولذته "ذُوقُوا وَانْظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبُّ" (مز ٣٤: ٨) وتعزياته الإلهية العجيبة تُعْطِيهِمْ احتمالاً للمضى فُدْمًا فى الطريق الكرب الضيق انكالا على أبوة الله الكاملة والدائمة لَهُمْ، قال أحدهم {هل هناك

فرح أعظم من أن يكون الإنسان ابناً لله؟ فمع كونه - أى الله - يُحرِّك العالم كُلَّهُ إلا أنه يعرف كل واحد باسمه، إن اتخذ الإنسان نحوه خطوة واحدة، لا يخطو هو لمُعانقته بل يركض.}

* حنانه

حلاوة يسوع نابغة أيضاً من حنانه المُطلق الذى لا يُشابهه ولا يُضاهيه فيه مشاعر حنان عند أبٍ أو أمٍّ، قريبٍ أو صديقٍ، بل إن مشاعر الحنان مُجتمععة عند كل هؤلاء لا تُقاس بملء قياس بحنان الرب ذلك الذى يُظهره القديس مرقس الإنجيلى فى قصة لقاء المسيح بأحد البرص فيقول "فَأَتَى إِلَيْهِ أَبْرَصٌ يَطْلُبُ إِلَيْهِ جَائِعاً وَقَائِلاً لَهُ: «إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي»" "فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ وَقَالَ لَهُ: «أُرِيدُ، فَاطْهَرْ!»" (مر ١ : ٤٠-٤١)، كان من المُعتاد عند الرب أن يسأل طالب الشفاء عن إيمانه بِسُلْطانه وبِقُدْرته - أى سلطان وقُدرة الرب - على الشفاء كقوله للأعميان "أَتُؤْمِنَانِ أَنِّي أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ هَذَا؟" قَالَ لَهُ: «نَعَمْ، يَا سَيِّدُ!»" (مت ٩ : ٢٨)، أو أن يُظهر إيمان ذلك الشخص الذى آل به لنوال الشفاء كقوله لِنازفة الدم "إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ إِذْهَبِي بِسَلَامٍ" (لو ٨ : ٤٨)، وكقوله عن قائد المائة عَظِيمِ الإِيْمَانِ "الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ أَجِدْ وَلَا فِي إِسْرَائِيلَ إِيْمَاناً بِمِثْلِ هَذَا" (مت ٨ : ١٠) نفس الأمر الذى أوضحه مرقس البشير فى قصة المفلوج وأصدقائه الأربعة "فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيْمَانَهُمْ، قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ" (مر ٢ : ٥)، أمّا مع الأبرص (مر ١ : ٤١) فقد غُلِبَ الرب من تحنُّنه فلم يسأله عن إيمانه^(١٥٨) بل مد إليه يديه الحانيتين وشفاه، وهكذا مع أرملة نايين التى أثارت بِبكائها مشاعر الحنان الفياضة عنده "فتحنن عليها وقال لها لا تبكي" (لو ٧ : ١٣) ثم أقام ابنها، وكما استثارت أرملة نايين مشاعر الحنان عنده أثارها أيضاً يائرس وزوجته بِبكائهما على ابنتهما فلم يكثر

لأمر استدعاء روحها التي كانت قد فراقته جسدها فقط بل وأيضاً عني بتقديم الطعام لها (مر ٥: ٤٣)، وكما تحنن على هؤلاء تحنن أيضاً على الخطاة والعشارين الذين رأوا فيه من يتحنن على ضعفاتهم ويرثي لحالهم فلازموه، وهكذا تحنن الرب أيضاً على الجموع التي تتبعته إلى البرية فقال للتلاميذ "إِنِّي أَشْفَقُ عَلَى الْجَمْعِ، لِأَنَّ الْآنَ لَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَمْكُثُونَ مَعِيَ وَلَيْسَ لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ" (مر ٨: ٢)، وتحنن أيضاً على المرأة التي كان بها روح ضعف (لو ١٣: ١١) فدعاها دون أن تطلبه علناً وقال لها "يَا امْرَأَةُ، إِنَّكِ مَحْلُولَةٌ مِنْ ضَعْفِكَ!" (لو ١٣: ١٢) ثُمَّ وَضَعَ عَلَيْهَا يَدَيْهِ، فَفِي الْحَالِ اسْتَقَامَتْ وَمَجَّدَتِ اللَّهَ (لو ١٣: ١٣).

ما بين حنان البشر وحنان المسيح

مهما بلغت درجة الحنان عند أي إنسان فهي مُجَرَّدَ لمحة بسيطة جداً من مشاعر الحنان الكاملة لدى يسوع المسيح، بل إن مشاعر الحنان الأبوية التي يُضرب بها المثل في قوتها وكمالها قد تَضَعُ وتَبْطُلُ مثلما بَطُلَتْ عند المرأة التي سَلَقَتْ ابنها وأكلته مع جارتها في أيام المجاعة (٢ مل ٦: ٢٩) ومثلما هي تَبْطُلُ أيضاً عند الآباء والأمهات حال انقاسمهم ضد أبنائهم وبناتهم (لو ١٢: ٤٩ - ٥١)، أمّا عند الرب يسوع فهي مشاعر كاملة تتبع من كمال صفاته، ودائمة من حيث أنه سرمدِيٌّ لا يتغير، وهي عيناها - أي تلك المشاعر - من بين ما يُقَدِّمُهُ عربوناً للبشر على الأرض كي ما يطفقوا ساعين ناهجين خلال الطريق الضيق الكرب صوب الأبدية التي فيها يغترفون من كمال هذا الحنان.

حلاوة الرب يسوع تَتَّبَع أيضاً من قُرْبِهِ الدائم للإنسان، لذلك نقول عنه فى الترنيمة (لَكَ رَبِّ السَّمَاء ... أَوْفَى مِنْ كُلِّ الْأَصْدِقَاء)، ونقول عنه فى أُخْرَى (من سواك يترأى فى الْأَتُون ... أَوْ يُنَجِّى النَّفْسَ مِنْ جُبِّ الْأَسْوَد)، هو قَرِيبٌ لِمَنْ يَدْعُوهُ (مز ١٤٥ : ١٨) كان قَرِيباً لِدَانِيَالٍ فى الْجُبِّ فَأَرْسَلَ مَلَائِكَةً وَسَدَ أَفْوَاهِ الْأَسْوَد (دا ٦ : ٢١)، وكان قَرِيباً لِلثَّلَاثَةِ فَنِيَّةٍ فى آتُونِ النَّارِ فَرَأَاهُ الْمَلِكُ شَبِيهَ بَابِنِ الْإِلَهِةِ (دا ٣ : ٢٥)، وكان قَرِيباً لِمَشْمُشُونَ الذِّى دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ الْغَلْبَةَ عَلَى الْفَلَسْطِينِيِّينَ قَائِلاً "يَا سَيِّدِي الرَّبِّ، أَذْكَرْنِي وَشَدِّدْنِي يَا اللَّهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ فَقَطْ، فَأَنْتَقِمَ نَفْثَةً وَاحِدَةً عَنْ عَيْنَيَّ مِنَ الْفَلَسْطِينِيِّينَ" (قض ١٦ : ٢٨)، وكان قَرِيباً لِبطرس الذى دَعَاهُ صَارِخاً "يا ربِّ نَجِّنِي" (مت ١٤ : ٣٠) فَمَدَّ إِلَيْهِ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ (مت ١٤ : ٣١)، وكان قَرِيباً لِداود الذى لم يشعر أَنَّهُ أَخْطَأَ (٢ صم ١٢ : ٥ - ٦) فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ نَاثَانَ النَّبِىَّ مُظْهِراً لَهُ خَطِيئَتَهُ (٢ صم ١٢ : ١) وكان قَرِيباً لِبطرس لَمَّا أَنْكَرَهُ فَالْتَقَتَ وَنَظَرَ إِلَيْهِ (لو ٢٢ : ٦١) لَكِى مَا يَجْتَذِبُهُ لِلنَّدَمِ النَّافِعِ الْمُؤَدِّى بِهِ لِنُكَاةٍ مُرٍّ يَجْتَذِبُهُ لِلتَّوْبَةِ.

هو قَرِيبٌ بِنَفْسِهِ دَرَجَةَ الْقَرَابَةِ لِمَنْ يَسْلُكُ مُتَبَعاً عَنْهُ بِكَامِلِ إِرَادَتِهِ وَعِزْمِهِ وَتَصَمِيمِهِ، فَكَانَ قَرِيباً لِرَّكَ الْعَشَارِ الْخَاطِئِ الْوَاشِى الْمُحْتَقِرِ مِنْ سَائِرِ الْيَهُودِ (لو ١٩ : ٧) فَافْتَقَدَهُ إِذْ هُوَ أَيْضاً ابْنُ إِبْرَاهِيمَ (لو ١٩ : ٩)، وكان قَرِيباً لِلْسَامِرِيَّةِ الَّتِى نَبَذَهَا الْجَمِيعُ فَأَتَتْ خِلْسَةً لَتَسْتَقِي الْمَاءَ وَقَتِ الظَّهِيرَةِ خَلَوْاً مِنْ أَنْاسٍ يَسْخَرُونَ مِنْهَا وَيُحَقِّقُونَ مِنْ شَأْنِهَا بِنِظَرَاتِهِمُ الْقَاسِيَةِ لِمَنْ فى مِثْلِ حَالَتِهَا وَخَطِيئَتِهَا (يو ٤)، وكان قَرِيباً مِنْ مَرِيضِ الْبَرَكَةِ الذِّى تَرَكَهُ الْجَمِيعُ فَصَارَ "بَلَا إِنْسَانٍ" (يو ٥) يُلْقِيهِ فى الْمَاءِ مَتَى نَزَلَ الْمَلَائِكَةُ وَحَرَّكَهُ، وكان أَيْضاً قَرِيباً لِلْمَظْلُومِينَ يُجْرِي حُكْماً لَهُمْ وَلِلْجِيَاعِ يُعْطِيهِمْ خُبْزاً وَزَاداً وَلِلْأَسْرَى إِنَّمَا لِيَحْلُثَهُمْ مِنْ أَسْرِهِمُ "الْمُجْرِي حُكْماً لِلْمَظْلُومِينَ الْمُعْطِي خُبْزاً لِلْجِيَاعِ. الرَّبُّ يُطْلِقُ الْأَسْرَى" (مز ١٤٦ : ٧)، قَالَ بَابِيْنِي فى نِهَآيَةِ صَلَاتِهِ الْخَتَامِيَّةِ الَّتِى دَوَّلَ بِهَا كِتَابَهُ (حَيَاةُ الْمَسِيحِ) {أَنْتَ لَا

تزال فى وسطنا كل يوم وستبقى معنا دوماً، أنت تحيا بيننا قريب منا على الأرض التى هى لك ولنا، أنت تحيا حياة بشرية على أرض البشر، حياة ربما كانت غير منظورة للذين يبحثون عنك بالعيان، وربما منظورة فى شكل مسكين للذين يرونك بالإيمان، أنت وحدك تُحبنا وتشعر بالألم الذى يحس به كل منا}.

ما بين قُرب الناس وقُرب المسيح

حقاً لا يوجد من هو أقرب من يسوع المسيح للإنسان حتى من بين أصحابه وأحبابه وذويه من الذين يُظهرون محبةً شديدةً له وقُرباً حثيثاً منه، لذلك فقُربه للإنسان يُعزّيه على الأرض ويُفرحه إذ يثق أنه ليس وحيداً بدون مسيح أجنبياً عن رعية إسرائيل غريباً عن عهود الموعد لا رجاء له وبلا إله فى العالم (أف ٢: ١٢)، ومن ثمّ يمضى قدماً فى طريق الملكوت الضيق مُستديداً على الرب الذى يُقوّى عزيمته ويُبَيِّن هدفه، قال أبونا متى المسكين {أفيقوا أيها السامعون، نحن أمام أب البشرية كُلها ورأسها الجديد، آدم الثانى الذى لا بداية أيام له ولا نهاية، الذى تحت أبوته ينطوى آدم الأول وينحني مع كل ذُرِيَّتِهِ، لقد حان الوقت أن نتعرّف على مسيح العالم كله، كُلنا عرفناه مسيح الأسرة المُلتئمة حول أب تقي وأم تقيّة، كُلنا عرفناه مسيح الجمعية ومسيح الكنيسة المُلتئمة حول كاهن صالح. وقد حان الوقت لِنعرف مسيح الشارع، مسيح الناس، كل الناس، الذين عرفوه والذين لم يعرفوه، مسيح الأشرار والأبرار، الصالحين والطالحين فى كل مدينة وقرية، فى كل أنحاء العالم، مسيح العالم كُلّه. المسيح أكبر من رُكن الصلاة فى البيت، المسيح أكبر من صالة الجمعية وصحن الكنيسة والكنائس كُلّها، المسيح لا يرضى بأقل من العالم كُلّه}.

حلاوة الرب يسوع تَظْهَرُ أيضاً من حمايته الكاملة للإنسان، فهو يحميه متى طلب تلك الحماية كقول الكتاب "فِي يَوْمٍ دَعَوْتُكَ أَجَبْتَنِي. شَجَعْتَنِي قُوَّةً فِي نَفْسِي" (مز ١٣٨: ٣)، "عِنْدَ دُعَائِي اسْتَجِبْ لِي يَا إِلَهَ بَرِّي. فِي الضِّيقِ رَحَّبْتَ لِي. تَرَأَفَ عَلَيَّ وَاسْمَعَ صَلَاتِي" (مز ٤: ١)، ويحميه أيضاً حتى ولو لم يشعر بحاجة للحماية^(١٦١) "لَأَنَّهُ يُنَجِّيكَ مِنْ فَخِّ الصَّيَّادِ وَمِنْ الْوَبَاِ الْخَطِرِ. بِخَوَافِيهِ يُظَلِّلُكَ وَتَحْتَ أَجْنَحَتِهِ تَحْتَمِي. تُرْسٌ وَمِجَنٌّ حَقُّهُ. لَا تَخْشَى مِنْ خَوْفِ اللَّيْلِ وَلَا مِنْ سَهْمٍ يَطِيرُ فِي النَّهَارِ وَلَا مِنْ وَبَأٍ يَسْلُكُ فِي الدُّجَى وَلَا مِنْ هَلَاكِ يُفْسِدُ فِي الظُّهَيْرَةِ. يَسْقُطُ عَنْ جَانِبِكَ أَلْفٌ وَرَبَوَاتٌ عَنْ يَمِينِكَ. إِلَيْكَ لَا يَقْرُبُ" (مز ٩١: ٣-٧)، كحمايته لأهل السامرة الذين لم يقبلوه وإذ التمس لهم يعقوب ويوحنا نارا من السماء تنزل لِتَحْرِقَهُمْ (لو ٩: ٥٤) أجابهم قائلاً "لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَتْتُمَا" (لو ٩: ٥٥)، وكحمايته لموسى من مريم وهرون لَمَّا تَكَلَّمَا عَلَيْهِ (عد ١٢: ١-٢) فقال لهما "اسْمَعَا كَلَامِي. إِنْ كَانَ مِنْكُمْ نَبِيٌّ لِلرَّبِّ فَبِالرُّؤْيَا أَسْتَعْلِنُ لَهُ. فِي الْحُلُمِ أَكَلِّمُهُ. وَأَمَّا عَبْدِي مُوسَى فَلَيْسَ هَكَذَا بَلْ هُوَ أَمِينٌ فِي كُلِّ بَيْتِي. فَمَا إِلَى فَمٍ وَعَيْنَانَا أَتَكَلَّمُ مَعَهُ لَا بِالْأَلْغَازِ. وَشِبْهَ الرَّبِّ يُعَايِنُ. فَلِمَاذَا لَا تَخْشَيَانِ أَنْ تَتَكَلَّمَا عَلَى عَبْدِي مُوسَى؟" (عد ١٢: ٦-٨)، وكحمايته لشعبه من بلعام بن بعور الذي استأجره بالاق ملك مواب للعتنه إذ أتاه في حِلْمٍ يَأْمُرُهُ بِعَدَمِ لَعْنِ الشَّعْبِ بَلْ بِالْحَرَى مُبَارَكْتَهُ "فَأَتَى اللَّهُ إِلَى بَلْعَامَ وَقَالَ: «مَنْ هُمْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ الَّذِينَ عِنْدَكَ؟»" فَقَالَ بَلْعَامُ لِلَّهِ: «بِالْأَقْبَانِ بَنُ صِغُورٍ مَلِكُ مَوَابَ قَدْ أَرْسَلَ إِلَيَّ يَقُولُ: هُوَذَا الشَّعْبُ الْخَارِجُ مِنْ مِصْرَ قَدْ غَشَى وَجْهَ الْأَرْضِ. تَعَالِ الْآنَ إِلَيَّ إِيَّاهُ لَعَلِّي أَفْدِرُ أَنْ أُحَارِبَهُ وَأَطْرُدَهُ». فَقَالَ اللَّهُ لِبَلْعَامَ: «لَا تَذْهَبْ مَعَهُمْ وَلَا تَلْعَنَ الشَّعْبَ لِأَنَّهُ مُبَارَكٌ»" (عد ٢٢: ٩-١٢)، وهكذا كحمايته للشعب اليهودي ممن تجندوا عليه "وَهَذِهِ تَكُونُ الضَّرْبَةُ الَّتِي يَضْرِبُ بِهَا الرَّبُّ كُلَّ الشُّعُوبِ الَّذِينَ تَجَنَّدُوا عَلَى أُورُشَلِيمَ. لَحْمُهُمْ

يَذُوبُ وَهُمْ وَاقِفُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ وَعُيُونُهُمْ تَذُوبُ فِي أَوْقَابِهَا وَلِسَانُهُمْ يَذُوبُ فِي فَمِهِمْ" (زك ١٤ : ١٢)، وأخيراً كحمايته لأَيُوب الذى لَمَّا اشتكى عليه الشيطان أجابه قائلاً "هُودًا كُلُّ مَا لَهُ فِي يَدِكَ وَإِنَّمَا إِلَهِهِ لَا تَمُدُّ يَدَكَ" (أى ١ : ١٢)، "هَآ هُوَ فِي يَدِكَ وَلَكِنْ احْفَظْ نَفْسَهُ" (أى ٢ : ٦).

* مَغْفِرَتُهُ^(١٦٢)

فرح الإنسان بمغفرة يسوع لإخطايه - الأمر الذى أنبأ به العهد القديم وتحقق فى ملء الزمان "الله الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا، وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ، بِالنَّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ، وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجَلَسْنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ"، (أف ٢ : ٤ - ٦)، - لا يبتدئ فى الأبدية بل من على الأرض وقد أدرك تمام الإدراك أن الرب احتضنه وأعطاه الغلبة على أعدائه (مز ٣٠ : ١) وأصعده من الهاوية وأحياه من بين الهابطين فى الجُب (مز ٣٠ : ٣) وأرجعه إلى موضع راحته مُحْسِنًا إِلَيْهِ مُنْقِذًا نَفْسَهُ مِنَ الْمَوْتِ وَعَيْنِيهِ مِنَ الدَّمْعَةِ وَرَجْلِيهِ مِنَ الذَّلَلِ (مز ١١٦ : ٧ - ٨)، ومن ثَمَّ يَمْتَلئُ سَلَامًا يُوَازِرُهُ لِلْمُضَى قَدَمًا فِي خَطَى الْمَلَكُوتِ تَرْقُبًا لَمَّا "لَمْ تَرَهُ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ بِهِ أَذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ" (١كو ٢ : ٩).

* سُلْطَانُهُ

من حلاوة الرب يسوع المسيح أن له سُلْطَانًا - إِذْ دُفِعَ إِلَيْهِ كُلُّ سُلْطَانٍ مَا فِى السَّمَاءِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ وَمَا تَحْتَ الْأَرْضِ - ليس فقط لإقامة الموتى (مر ٥ : ٤١ - ٤٢)، ولِشِفَاءِ الْأَمْرَاضِ (لو ٤ : ٤٠)، (لو ٦ : ١٨ - ١٩)، ولِإِخْرَاجِ الشَّيَاطِينِ (لو ٨ : ٢٨)، (لو ٤ : ٣٤ - ٣٥)، لكن أيضاً لِتَحْوِيلِ كُلِّ الْأَحْدَاثِ وَالظُّرُوفِ لِتَصِيرَ فِى صَالِحِ الْإِنْسَانِ،

فإن أحاط به شرُّ حَوْلِهِ لخيره لأن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يُحبون الله (رو ٨: ٢٨) وإن اعتراه ألمٌ صَيَّرَهُ له مجداً واثقاً أنه إن تألم معه فسيتجدد أيضاً معه (رو ٨: ١٧)، وإن تسلّطت عليه الطبيعة أخضعها له "وهذه الآياتُ تَتَّبِعُ الْمُؤْمِنِينَ: يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِي وَيَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَانِ جَدِيدَةٍ. يَحْمِلُونَ حَيَّاتٍ، وَإِنْ شَرِبُوا شَيْئاً مُمِيتاً لَا يَضُرُّهُمْ، وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَبْرِأُونَ" (مر ١٦: ١٧-١٨)، "إذا اجْتَرَزْتَ فِي الْمِيَاهِ فَأَنَا مَعَكَ وَفِي الْأَنْهَارِ فَلَا تَغْمُرُكَ. إِذَا مَشَيْتَ فِي النَّارِ فَلَا تُلْدَغُ وَاللَّهَبُ لَا يُحْرِقُكَ. لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ مُخَلِّصُكَ. جَعَلْتُ مِصْرَ فِدْيَتَكَ كُوشَ وَسَبَا عِوَضَكَ" (إش ٤٣: ٢-٣)، وإن أَرَهَبَهُ أَمْرٌ غَرِيزِي كَالْمَوْتِ أَعْطَاهُ الشَّجَاعَةَ لِمُوَاجَهَتِهِ، قال القس منسى يوحنا {من يستطيع أن يصف مقدار فرح الإنسان الصالح وقت الموت عندما يعلم أنَّ ساعة جهاده وتجاربه قد انتهت، إن السلام الذى يملأ قلب المؤمنين حال موتهم يجعل أسرتهم وثيرة ليثة كريش النعام فلا يُمكن أن تُشاهد فى الأعراس ولا فى ولائم الأعياد ولا بين الذين أدركوا ساعة النجاح أناساً مُبتهجين مثل المرضى المؤمنين، إن سلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ أذهانهم وأفكارهم} (١٦٣).

لِذَا وَمِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ (١٦٤) يَتَشَجَّعُ الْإِنْسَانُ لِلْمُضَى فِي الطَّرِيقِ الضَّيِّقِ الْكَرْبِ اسْتِنَاداً عَلَى إِيْمَانِهِ الْمُنْطَلَقِ بِأَنَّ إِلَهَهُ هُوَ الْمُصِيرُ وَالْمُسَيِّرُ لِكُلِّ دَقَائِقِ وَتَفَاصِيلِ الْحَيَاةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا.

* مُبَادَرَتُهُ

قال أحدهم (١٦٥) {لو سألتُ أحدٌ عن جوهر المسيحية بالإجمال، لكانت الإجابة هي جُمْلَةٌ وَاحِدَةٌ [المسيحية معناها الله يُحِبُّنِي، الله يُرِيدُنِي، الله يَبْحِثُ عَنِّي، الله يُفَقِّسُ عَنِّي حتى يجدنِي]}، وقال {السؤال ليس "كيف أحب الله؟"، بل "كيف أدع نفسي ليجدها الله؟"،

السؤال ليس "كيف أعرف الله؟" بل "كيف أدع نفسي لتكون معروفة من الله؟"، وأخيراً ليس السؤال "كيف أحب الله؟" بل "كيف أدع نفسي لتكون محبوبة من الله؟"، وأيضاً قال لكل الديانات الأخرى تُصَوِّر الإنسان الباحث عن الله، أمّا المسيحية فتنادى بإله ينزل من السماء باحثاً عن الإنسان}.

حلاوة الرب تُستَمَد أيضاً من مُبادرته الدائمة والعذبة^(١٦٦) لبدء علاقة مع إنسان لا يعرفه، تلك المُبادرة التي أشار إليها القديس أمبروسيوس في قوله {يتمشى الله في الأسفار المقدسة باحثاً عن الإنسان كما كان يَتمشى في الفردوس}، {لو كان يسوع لا يرغب أن يدخل إليك، لَمَّا جاء وقرع الباب، وإن لم يدخل فاللوم يقع علينا نحن}، وأعلنها القديس يوحنا ذهبي الفم لَمَّا قال {{يقول الرب} ليس بهذه الوسيلة الوحيدة قد أظهرت لك حُبِّي، بل أيضاً بما عانيته من أجلك، بُصِقَ على وجهي، وجُلِدْتُ، أُخِلِيتُ ذاتي من المجد، خرجتُ من عند أبي وأُتِيتُ إليك، يا من تكرهني وتحيد عني وتستنكر اسمي، لاحقنك وتعقبنك حتى أدركنك}.

مُبادرة المسيح من الآيات والقصص الإنجيلية

فالمسيح دائماً وأبداً ما يبتدئ بدعوة الإنسان "هَلُمَّ نَتَحَاجَّ يَقُولُ الرَّبُّ. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقَرَمِزِ تَبْيِضُ كَالثَّلْجِ. إِنْ كَانَتْ حَمَرَاءَ كَالدُّودِيِّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ" (إش ١: ١٨)، "أَنَا أَوْصَيْتُ مُقَدَّسِيَّ وَدَعَوْتُ أَبْطَالِي لِأَجْلِ غَضَبِي مُفْتَخِرِي عَظَمَتِي" (إش ١٣: ٣)، "إِسْمَعُوا أَيُّهَا الْبَعِيدُونَ مَا صَنَعْتُ وَاعْرِفُوا أَيُّهَا الْقَرِيبُونَ بَطْشِي" (إش ٣٣: ١٣)، "لِمَاذَا جِئْتُ وَلَيْسَ إِنْسَانٌ نَادَيْتُ وَلَيْسَ مُجِيبٌ؟ هَلْ قَصَرْتُ يَدَيَّ عَنِ الْفِدَاءِ وَهَلْ لَيْسَ فِيَّ قُدْرَةٌ لِلانْفَاقِ؟ هُوَذَا بِرِجْزَتِي أَنْشَفُ الْبَحْرَ. أَجْعَلُ الْأَنْهَارَ قَفَرًا. يُنْتِنُ سَمَكُهَا مِنْ عَدَمِ الْمَاءِ وَيَمُوتُ بِالْعَطَشِ" (إش ٥٠: ٢)، فهو الذي بادر لآدم وحواء لَمَّا اخْتَبَأَا مِنْهُ (تك ٣: ١٠)

لِيَعِدَهُمَا وَكُل نَسْلَهُمَا بِالْخُلَاص (تك ٣ : ١٥) ولولا تلك المُبادرة لَظَلَّ مُخْتَبِئِينَ هَارِبِينَ تَائِهِينَ فِي الْأَرْض (تك ٤ : ١٤) خَجَلِينَ مِنْ عُرْيِهِمَا (تك ٣ : ١١)، وهو الذى بادر لِقَائَيْن مُظْهِراً لَهُ خَطِيئَتَهُ الرَّابِضَةَ عِنْد بَاب قَلْبِهِ مُعَلِّناً لَهُ قُدْرَتَهُ عَلَى السِّيَادَةِ عَلَيْهَا وَغَلَبَتَهَا (تك ٤ : ٦-٧)، ثُمَّ وَبَادِرَ إِلَيْهِ أَيْضاً بَعْدَمَا أَخْطَأَ (تك ٤ : ٨) لَكِي مَا يَهْبِهِ عَوْضُ يَأْسِهِ الشَّدِيدِ (تك ٤ : ١٣ - ١٤) الرَّجَاءَ قَائِلاً "لِذَلِكَ كُلُّ مَنْ قَتَلَ قَائِئِينَ فَسَبْعَةَ أَضْعَافٍ يُنْتَقَمُ مِنْهُ" (تك ٤ : ١٥) جَاعِلاً لَهُ عِلَامَةً لَكِي لَا يَقْتُلُهُ كُلُّ مَنْ وَجَدَهُ (تك ٤ : ١٥)، وهو الذى بادر لنوح لَكِي مَا يَبْدَأُ عَهْداً مَعَهُ (تك ٩ : ٩ - ١١) بَعْدَمَا فَسَدَ الْإِنْسَانُ وَكَثُرَ شَرُّهُ عَلَى الْأَرْضِ (تك ٦ : ٥)، وهو الذى بادر لِأَبْرَامَ لِجَعْلِهِ أُمَّةً عَظِيمَةً وَيُبَارِكِهِ وَيُعْظِمَ اسْمَهُ وَيُصَيِّرُهُ بَرَكَةً (تك ١٢ : ٢)، وهو الذى بادر لِمُوسَى فِي الْبَرِّيَّةِ (خر ٣ : ٢) لَكِي مَا يُرْسِلُهُ لِانْقِاذِ شَعْبِهِ مِنَ الْعِبَادَةِ الْمَرَّةِ (خر ٢ : ٢٣)، وهو الذى بادر لَصُمُوئِيلَ الْفَتْلَ مُعَلِّناً لَهُ عَنْ قَضَاءِ عَالِي الْكَاهِنِ (اصم ٣ : ١٢ - ١٣) مُؤْتِمِناً إِيَّاهُ نَبِيّاً وَقَاضِياً لِلشَّعْبِ (اصم ٣ : ٢٠)، وهو الذى بادر لِلصَّبِيِّ دَاوُدَ وَهُوَ يَرْعَى غَنِيمَاتِهِ الْقَلِيلَةَ فِي الْبَرِّيَّةِ (اصم ١٦ : ١١) مُنْصَبّاً إِيَّاهُ بِيَدِ صُمُوئِيلَ النَّبِيِّ مَلِكاً عَوْضَ شَاوُلِ (اصم ١٦ : ١٣).

هو الذى فى ملء الزمان (غل ٤ : ٤) بادر للتلاميذ لِيَخْتَارَهُمْ أَخْصَاءَ لَهُ (مت ٤ : ١٨-٢٢) (مر ١ : ١٦-٢٠)، وهو الذى بادر لِخُطَاةَ كَثِيرِينَ كَزَكَا الْعَشَّارِ (لو ١٩ : ٥) فَصَيَّرَهُ نَادِماً تَائِباً يَقُولُ "هَآ أَنَا يَا رَبُّ أُعْطِيَ نِصْفَ أَمْوَالِي لِلْمَسَاكِينِ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَشَيْتُ بِأَحَدٍ أَرَدْتُ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ" (لو ١٩ : ٨)، وَكَالسَامِرِيَّةِ (يو ٤ : ٧) فَصَيَّرَهَا كَارِزَةً لَا تَخْجَلُ مِنَ الشَّهَادَةِ لِاسْمِهِ (٢ تى ١ : ٨) مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ قَبْلاً تَخْجَلُ لِمُجَرَّدِ أَنْ تَأْتِيَ لِتَسْتَقِي بَيْنَ النَّاسِ، وَكَمَرِيضِ الْبَرَكَةِ (يو ٥) فَصَيَّرَهُ صَاحِباً مِنْ دَائِهِ (يو ٥ : ٨)، وَكَمَتَى الْعَشَّارِ (مت ٩ : ٩) فَصَيَّرَهُ رَسُولاً مِنْ أَقْرَبِ الْأَخْصَاءِ، وَكَالْقَدِيسِ أَغُسْطِينُوسِ الَّذِي حَالُ تَوْبَتِهِ قَالَ لِرَّبِّهِ الَّذِي كُنْتُ مُنْعَمِساً فِيهِ ! أَنْتَ يَا رَبُّ كُنْتُ دَائِماً تَبْحَثُ عَنِّي، وَأَنَا أَهْرَبُ مِنْكَ بَعِيداً، يَا لَهَا مِنْ طُرُقٍ مُلْتَوِيَةٍ، وَيَا لِلْحِمَاةِ الْمُنْدَفِعَةِ الَّتِي تَرْجُو أَنْ تَتْرَكَ حَتَّى تَجِدَ

ما هو أفضل، أنت وحدك هو الراحة}، هو الذى يُبادر للمُنشغلين اللاهين عن إتمام وصاياه والاستعداد للقاءه فيؤدبهم بقضيب الناس وبضربات بنى آدم تارة بأمراض وأخرى بتجارب ليجتذبهم للانتباه إليه ومن ثمَّ يهبهم من تعزياته، قال الأب أنتونى كونياريس {أحياناً نكون فى قمة الكبرياء والرضا والكفاية بأنفسنا لدرجة أننا لا نجد مكاناً ليسوع، وربما نخبو صحتنا، أو نفقد ممتلكاتنا أو وظيفتنا، أو يضل أحد أبنائنا أو يتحطم بيتنا أو يموت أحد أحبائنا، فلا نعود مُكتفين بذواتنا فيما بعد، وحينذاك يُمكننا إدراك أن يسوع المسيح يُحاول جذب انتباهنا}.

* مُثابرتُهُ

قال ديتريك بونهوفر {يسوع واقف على الباب يقرع، ويقرع، ويقرع يطلب منك المساعدة فى صورة شحاذ، فى صورة إنسان مُحطَّم بملابس رثّة، يُقابلك فى كل إنسان تراه}.

عذوبة الرب يسوع المسيح ليست فقط فى مُبادرتِهِ للإنسان بل وفى كونه أيضاً لا يملّ أبداً من الطَّرْق ومن القَرَع على باب قلبه مهما كانت حالته لكى ما يجتذبه إليه، فلم يملّ أبداً من إرسال مناخس الروح لِشاوُل الطرسوسى (أع ٩: ٥)، ولم يملّ من القَرع على باب قلب اللص اليمين حتى آخر لحظات حياته (لو ٢٣: ٤٢)، ولم يملّ من الطرق على باب قلب أغسطينوس تارة بكلماته المُقدسة فى الإنجيل وأخرى بعظات القديس أمبروسىوس وثالثة بسيرة القديس أنطونيوس، وهكذا لم يملّ أبداً من الطَّرْق على باب قلب موسى الأسود حتى أرشده للقديس إيسيدورس، ولا من مريم المصريّة حتى بعد خبرة شر لِسنوات عديدة سلكتها فى الخطية.

ما بين مُثابرة الإنسان ومُثابرة المسيح

قد يفقد الإنسان أمله ورجاءه فى خلاص آخرين^(١٦٧) بل وحتى فى خلاص نفسه، أمّا الرب يسوع فلا يفقد الرجاء أبداً بل يظل يقرع ويقرع باب قلب الإنسان عساه يفتح فيدخل إليه ليتعشى معه (رؤ ٣: ٢٠)، قال الأب أنتونى كونياريى {بينما نستطيع أن نرفض فتح الباب، هناك شئ واحد لا نستطيعه، ألا وهو التخلص من يسوع، إنه يبقى هو الرب الذى لا يمكن الهروب منه، تماماً كنبضات قلوبنا التى لا يمكن الهروب منها}، ولكى ما لا يشعر الإنسان بصِغر نفس من قول الرب "من يقرع يُفتح له" (مت ٧: ٨) قال بالمقابل "هانذا واقف على الباب وأقرع"^(١٦٨) إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل" (رؤ ٣: ٢٠)، فالقرع على الباب يصف أشد حالات السؤال بمُثابرة وطول أناة^(١٦٩).

حلاوة يسوع تجعل الإنسان يتخلّى عن أثمن الأشياء الأرضيّة

حلاوة الرب يسوع أنه الوحيد الذى يجعل الإنسان يقبل أن يُضحّي بأثمن وأعز الأشياء، فإبراهيم لأجله قبل أن يترك أرضه وعشيرته ليصير غريباً فى أرضٍ ليست له (تك ١٢: ١ - ٢)، وقبّل أيضاً أن يذبح ابنه الوحيد ارضاءً لأوامره وتفتيحاً لطلبه، وموسى لأجله رفض أن يدعى ابن ابنة فرعون مُفضلاً بالأحرى أن يُذلّ مع شعب الله على أن يكون له تمنعٌ وقتى بالخطية (عب ١١: ٢٤ - ٢٦)، ودانيال لأجله قبل أن يُلقى للأسود الجائعة كأمر الملك (دا ٦: ٧) عن أن يُبطل تضرّعه وصلاته إليه، والثلاثة فتية قبلوا بالمثل أن يُلقوا فى الآتون المحمّى سبعة أضعاف عن أن ينكروه جاثين لِنِتمال الذهب، والتلاميذ قبلوا أن يتركوا كل شئ (مت ١٩: ٢٧) ليتبعوه، وشاول الطرسوسى لأجله قبل أن يُضحّي بيهوديّته وبغناه وبفريسيّته وبتملذّته لِعِمالائيل، وارتضى أن يخسر كل الأشياء حاسباً إياها نِفاية لى ما يريح المسيح ويكون فيه (فى ٣: ٨ - ٩)، وآخرون

لأجله "تَجَرَّبُوا فِي هَرُءٍ وَجَلْدٍ، ثُمَّ فِي فُيُودٍ أَيْضاً وَحَبْسٍ. رُجِمُوا، نُشِرُوا، جُرُّوا، مَاتُوا قَتْلًا بِالسَّيْفِ، طَافُوا فِي جُلُودٍ غَنَمٍ وَجُلُودٍ مِعْزَى، مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ" (عب ١١: ٣٦-٣٧)، وغيرهم لأجله جحدوا علاقاتهم الأسرية لما رأوها تدفعهم دفعا لإنكاره فانقسموا على ذويهم الأمر الذي أعلنه الرب قبلاً في قوله "جِئْتُ لِأُلْقِيَ نَارًا عَلَى الْأَرْضِ، فَمَاذَا أُرِيدُ لَوْ اضْطَرَمْتُ؟ وَلِي صِبْغَةٌ أَصْطَبِغُهَا، وَكَيْفَ أَنْحَصِرُ حَتَّى تُكْمَلَ؟ أَنْظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لِأُعْطِيَ سَلَامًا عَلَى الْأَرْضِ؟ كَلَّا، أَقُولُ لَكُمْ: بَلِ انْقِسَامًا. لِأَنَّهُ يَكُونُ مِنَ الْآنَ خَمْسَةٌ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مُنْقَسِمِينَ: ثَلَاثَةٌ عَلَى اثْنَيْنِ، وَاثْنَانِ عَلَى ثَلَاثَةٍ. يَنْقَسِمُ الْأَبُ عَلَى الْإِبْنِ، وَالْإِبْنُ عَلَى الْأَبِ وَالْأُمُّ عَلَى الْبِنْتِ، وَالْبِنْتُ عَلَى الْأُمِّ، وَالْحَمَاءُ عَلَى كَنَنَتِهَا، وَالْكَنَنَةُ عَلَى حَمَاتِهَا" (لو ١٢: ٤٩-٥٣).

فلولا أنه بالحق "مُشتهى كل الامم" ذو الفم المלא حلاوة ومُشتهيات، ولولا أنه يُعد لذة الإنسان وتعزيتته^(١٧٠) التي يَتَمَتَّعُ بها وهو لا يزال على الأرض ما خاطر الإنسان بتبعيته خلال الطريق الضيق الكرب (مت ٧: ١٤) مُضَحِّيًا بأثمن وبأعز ما لديه لينال من فيض هذه التعزيات الأرضية التي مع أنها تبدأ على الأرض إلا أنها تَسْتَمِرُّ معه حتى بلوغه للأبدية السعيدة، ثُمَّ وحال بلوغها ينتقل من التمتع بحلاوة الرب ولذته في الأمور الأرضية مُختبراً حلاوته وتعزياته في الأبدية.

+ حلاوته في الأبدية

إن كان كُلُّ ما ذكرناه يُظْهِرُ مُجَرَّدَ لمحة يسيرة جداً من حلاوة الرب يسوع المسيح التي تَظْهَرُ لنا من خلال صفاته ومُعاملاته مع البشر، فكم وكم تكون حلاوته في الأبدية حيثُ جلال عظمته وبهاء مجده ذاك الذى نشاق إليه فنقول فى قِطْع صلاة الساعة التاسعة {يا مَنْ أَسْلَمَ الروح فى يدي الآب عندما عُلِّقْتَ على الصليب فى وقت الساعة

التاسعة، وقتلت الخطيئة بالخشب وأحييت الميت بموتك وأظهرت القيامة بقيامتك، لا تغفل عني أيها الصالح ولا تزدلني أنا الضال بل قدس نفسي وأضئ فهمي واجعلني شريكاً لنعمة أسرارك المحيية لكي ما إذا دُقت من إحساناتك أقدم لك تسبحة بغير فتور مُشتاقاً إلى بهائك أفضل من كل شئ أيها المسيح إلهنا ونجنا}.

لمحة عن جلال الرب في الملكوت (سلطان الهيبة | سمو | نقاوة) المسيح

هناك في الأبدية يُعابن الإنسان جلال سلطانه وحقيقة هيئته تلك التي أخفاها في ملء الزمان لما أخلى نفسه صائراً في شبه الناس "السُّلْطَانُ وَالْهَيْئَةُ عِنْدَهُ. هُوَ صَانِعُ السَّلَامِ فِي أَعَالِيهِ. هَلْ مِنْ عَدَدٍ لِحُنُودِهِ وَعَلَى مَنْ لَا يُشْرِقُ نُورُهُ؟" (أى ٢٥ : ٢ - ٣)، وهناك يُعابن الإنسان سموه ونقاوته تلك التي قال عنهما بلدد الشوحى مع آخرين "هُوَذَا نَفْسُ الْقَمَرِ لَا يُضِيءُ وَالْكَوَاكِبُ غَيْرُ نَقِيَّةٍ فِي عَيْنَيْهِ" (أى ٢٥ : ٥)، "أَلْإِنْسَانُ أَبْرٌ مِنْ اللَّهِ أَمْ الرَّجُلُ أَطْهَرُ مِنْ خَالِقِهِ؟ هُوَذَا عَبِيدُهُ لَا يَأْتُمْنُهُمْ وَإِلَى مَلَائِكَتِهِ يَنْسَبُ حَمَاقَةً. فَكَمْ بِالْحَرِيِّ سَكَّانَ بُيُوتٍ مِنْ طِينِ الَّذِينَ أَسَاسُهُمْ فِي التُّرَابِ وَيُسْحَفُونَ مِثْلَ الْعُثِّ؟" (أى ٤ : ١٧ - ١٨)، "كُلُّ كَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ نَقِيَّةٌ. تُرْسٌ هُوَ لِلْمُحْتَمِينَ بِهِ" (أم ٣٠ : ٥)، "إِلَى عُمُقِ اللَّهِ تَنْصِلُ أَمْ إِلَى نِهَآيَةِ الْقَدِيرِ تَنْتَهِي؟ هُوَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ فَمَاذَا عَسَاكَ أَنْ تَفْعَلَ؟ أَعُمُقُ مِنَ الْهَآوِيَةِ فَمَاذَا تَدْرِي؟" (أى ١١ : ٧ - ٨).

عظمة المسيح

هناك ينظر الإنسان عظمته اللانهائية التي قال عنها النبی "أَيُّهَا الرَّبُّ سَيِّدُنَا مَا أَمَجَدَ اسْمُكَ فِي كُلِّ الْأَرْضِ حَيْثُ جَعَلْتَ جَلَالَكَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ" (مز ٨ : ١)، "لَا مِثْلَ لَكَ بَيْنَ

الْإِلَهَةِ يَا رَبُّ وَلَا مِثْلَ أَعْمَالِكَ. كُلُّ الْأُمَمِ الَّذِينَ صَنَعْتَهُمْ يَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَكَ يَا رَبُّ وَيُمَجِّدُونَ اسْمَكَ. لِأَنَّكَ عَظِيمٌ أَنْتَ وَصَانِعُ عَجَائِبَ. أَنْتَ اللَّهُ وَحْدَكَ" (مز ٨٦: ٨-١٠)، "مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ وَأَعَمَّقَ جِدًّا أَفْكَارَكَ" (مز ٩٢: ٥)، "حَدِّثُوا بَيْنَ الْأُمَمِ بِمَجْدِهِ بَيْنَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ بِعَجَائِبِهِ. لِأَنَّ الرَّبَّ عَظِيمٌ وَحَمِيدٌ جِدًّا مَهُوبٌ هُوَ عَلَى كُلِّ الْإِلَهَةِ" (مز ٩٦: ٣-٤).

جمال المسيح

هناك في الأبدية يُعَايِن الإنسان جماله الذى قال عنه النبی فى المزمور "وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ الرَّبِّ وَإِيَّاهَا أَلْتَمِسُ: أَنْ أَسْكُنَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى جَمَالِ الرَّبِّ وَأَتَقَرَّسَ فِي هَيْكَلِهِ" (مز ٢٧: ٤)، "أَنْتَ أَبْرَعُ جَمَالًا مِنْ بَنِي الْبَشَرِ. انْسَكَبَتِ النُّعْمَةُ عَلَى شَفَتَيْكَ لِذَلِكَ بَارَكَكَ اللَّهُ إِلَى الْأَبَدِ" (مز ٤٥: ٢)، وقالت عنه عذراء النشيد "حَبِيبِي أَبْيَضُ وَأَحْمَرُ. مُعَلِّمٌ بَيْنَ رِبَوَةٍ. رَأْسُهُ ذَهَبٌ إِبْرِيْزُ. فَصْصُهُ مُسْتَرْسِلَةٌ حَالِكَةٌ كَالْغُرَابِ. عَيْنَاهُ كَالْحَمَامِ عَلَى مَجَارِي الْمِيَاهِ مَغْسُولَتَانِ بِاللَّبَنِ جَالِسَتَانِ فِي وَقْبَيْهِمَا. خَدَاهُ كَحَمِيلَةِ الطَّيِّبِ وَأَتْلَامُ رِيَّاحِينَ ذَكِيَّةٍ. شَفَتَاهُ سَوْسَنٌ تَقْطُرَانِ مَرًّا مَائِعًا. يَدَاهُ حَلَقَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ مُرْصَعَتَانِ بِالزَّرْبَجِدِ. بَطْنُهُ عَاجٌ أَبْيَضٌ مُغْلَفٌ بِالنَّيْفُوتِ الْأَزْرَقِ. سَاقَاهُ عَمُودَا رُحَامٍ مُؤَسَّسَتَانِ عَلَى قَاعِدَتَيْنِ مِنْ إِبْرِيْزٍ. طَلَعَتْهُ كُلُّبَانًا. فَتَى كَالْأَرْزِ. حَلْفُهُ حَلَاوَةٌ وَكُلُّهُ مُشْتَهِيَّاتٌ. هَذَا حَبِيبِي وَهَذَا خَلِيلِي يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ" (نش ٥: ١٠-١٦)، وقال عنه ريلولينو متولِّى اليهودية فى وصف^(١٧) كان قد أرسله لمحفل قيصر روميه {أيها الملك بما أننى فهمت أنك ترغب فى معرفة ما أخبرك به الآن، فى وقتنا هذا وَجِدَ رَجُلٌ عَائِشٌ عِيشَةً فَاضِلَةً يَدْعُونَهُ رَسُولَ الْفَضِيلَةِ وَتِلَامِيْذُهُ يَقُولُونَ إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ خَالِقُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَكُلِّ مَا يَوْجَدُ فِيهَا بِالْحَقِيقَةِ، إِنَّ كُلَّ يَوْمٍ نَسْمَعُ أُمُورًا عَجِيبَةً عَنْ يَسُوعَ هَذَا فَيَقِيمُ الْمَوْتَى وَيُشْفِي الْأَمْرَاضَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ،

وهو مُعتدل القامة وجميل المنظر جداً ووجهه ذو هيبة هكذا حتى إن الذين ينظرون إليه يشعرون باجتذابهم إليه ويحبوه ويخافوه، شعر رأسه نازلٌ إلى أذنيه ومن أذنيه مُستدل على كتفيه، وهو بلون التراب إنما عليه ضياء، وفي وسط جبينه غُرّة كعادة الناصريين، أما جبينه فمبسوط كثير الصفاوة ووجهه ليس فيه تجاعيد ولا علامات، وفخذه بغاية الاعتدال وأنفه وفمه لا يُعبرّان بِحُسن في أحد، منظره يفيض خشوعاً وورعاً وعيناه كأشعة الشمس ولا أحد يقدر أن يُحدّق بنظره إليه من كثرة الضياء. إذا وَبَّخْ أَرهَب وإذا أنصح أبكى. يجعل الجميع يحترمونه لأنه ذو سماحة وهيبة ويقولون إنه لم يُنظر ضاحكاً بل باكياً. نراعه ويداه زائدة الجمال، أما في الاجتماعات فيُرضى كثيرين ولكن ينظر لهم نادراً، وعند وجوده بينهم يجلس بغاية التهذيب. بالإجمال في رؤيته وشكله هو أجمل إنسان يُمكن تخيلُهُ وهو مُشابه بمقدار عظيم لأمه التي هي أجمل فتاة يُمكن مُشاهدتها بهذه الجهات}.

جبروت المسيح

في الأبدية يُعاين الإنسان جبروته ذلك الذي قال عنه أيوب "الْأَرْوَاحُ تَرْتَعِدُ مِنْ تَحْتِ الْمِيَاهِ وَسَكَّانُهَا. الْهَالِبَةُ عُرْيَانَةٌ قُدَّامَهُ وَالْهَلَاكُ لَيْسَ لَهُ غِطَاءٌ. يَمُدُّ الشَّمَالَ عَلَى الْخَلَائِ وَيُعَلِّقُ الْأَرْضَ عَلَى لَا شَيْءٍ. يَصُرُّ الْمِيَاهُ فِي سَحْبِهِ فَلَا يَتَمَرَّقُ الْغَيْمُ تَحْتَهَا. يَحْجِبُ وَجْهَ كُرْسِيِّهِ بَاسِطاً عَلَيْهِ سَحَابَهُ. رَسَمَ حَدّاً عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ عِنْدَ انْتِصَالِ النُّورِ بِالظُّلْمَةِ. أَعْمَدَةُ السَّمَاوَاتِ تَرْتَعِدُ وَتَرْتَاغُ مِنْ زَجْرِهِ. بِقُوَّتِهِ يُزْعِجُ الْبَحْرَ وَبِفَهْمِهِ يَسْحَقُ رَهَبَ. يَنْفُخْتِهِ السَّمَاوَاتُ مُشْرِقَةً وَيَدَاهُ أَبْدَانُ الْحَيَّةِ الْهَارِيَّةِ. هَا هَذِهِ أَطْرَافُ طَرِيقِهِ وَمَا أَخْفَضَ الْكَلَامَ الَّذِي نَسْمَعُهُ مِنْهُ! وَأَمَّا رَعْدُ جَبْرُوتِهِ فَمَنْ يَفْهَمُ؟" (أى ٢٦: ٥ - ١٤)، وأوضح مار يوحنا الإنجيلي لَمحةً يسيرةً عنه فقال حال القبض على يسوع "فَأَخَذَ يَهُوذَا الْجُنْدَ وَخُدَّاماً مِنْ عِنْدِ

رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ، وَجَاءَ إِلَى هُنَاكَ بِمَشَاعِلَ وَمَصَابِيحَ وَسِلَاحٍ. فَخَرَجَ يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ تَطْلُبُونَ؟» أَجَابُوهُ: «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ». قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ». وَكَانَ يَهُودًا مُسَلِّمُهُ أَيْضاً وَاقِفاً مَعَهُمْ. فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ: «إِنِّي أَنَا هُوَ»، رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الْأَرْضِ" (يو ١٨: ٣-٦).

قداسة المسيح

هُنَاكَ سَيُعَايِنُ الْإِنْسَانُ قِدَاسَةَ اللَّهِ الْمُطْلَقَةَ تِلْكَ الَّتِي قَالَ عَنْهَا مَار بُولُسُ الرَّسُولُ "لَأَنَّهُ كَانَ يَلِيْقُ بِنَا رَيْنُسُ كَهَنَةٍ مِثْلُ هَذَا، قُدُوسٌ بِلَا شَرٍّ وَلَا دَنَسٍ، قَدْ انْفَصَلَ عَنِ الْخَطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاءَاتِ" (عب ٧: ٢٦) والتي جاءت في تسبحة الغالبيين على صورة الوحش حال قولهم "عَظِيمَةٌ وَعَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ أَيُّهَا الرَّبُّ الْإِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. عَادِلَةٌ وَحَقٌّ هِيَ طَرَفُكَ يَا مَلِكَ الْقَدِّيسِينَ. مَنْ لَا يَخَافُكَ يَا رَبُّ وَيُمَجِّدُ اسْمَكَ، لَأَنَّكَ وَحْدَكَ قُدُوسٌ، لِأَنَّ جَمِيعَ الْأُمَمِ سَيَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَكَ، لِأَنَّ أَحْكَامَكَ قَدْ أَظْهَرْتَ" (رو ١٥: ٣-٤).

مجد المسيح

هُنَاكَ أَيْضاً يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ مَجْدَ يَسُوعَ^(١٧٢) الَّذِي رَأَى بَطْرُسُ وَيَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا لِمَا يَسِيرُ جَدًّا مِنْهُ عَلَى جَبَلِ التَّجَلَّى فَخَافُوا وَارْتَعَبُوا سَاقِطِينَ عَلَى وُجُوهِهِمْ (مت ١٧: ٦)، وَالَّذِي أَعْلَنَهُ يُوحَنَّا الْحَبِيبُ فِي قَوْلِهِ "وَنَظَرْتُ وَسَمِعْتُ صَوْتَ مَلَائِكَةٍ كَثِيرِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالشُّيُوخِ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ رِبَوَاتٍ رِبَوَاتٍ وَأُلُوفَ أُلُوفٍ، قَائِلِينَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «مُسْتَحَقٌّ هُوَ الْخُرُوفُ الْمَدْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ». وَكُلُّ خَلِيقَةٍ مِمَّا فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ وَتَحْتَ الْأَرْضِ، وَمَا عَلَى الْبَحْرِ، كُلُّ

مَا فِيهَا، سَمِعْتُهَا قَائِلَةً: «الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَالْخُرُوفِ الْبَرَكَةُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ». وَكَانَتْ الْحَيَوَانَاتُ الْأَرْبَعَةُ تَقُولُ: «آمِينَ». وَالشُّيُوخُ الْأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ خَرُّوا وَسَجَدُوا لِلْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ". (رؤ ٥: ١١ - ١٤)^(١٧٣)، "بَعْدَ هَذَا نَظَرْتُ وَإِذَا جَمْعٌ كَثِيرٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّهُ، مِنْ كُلِّ الْأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ وَالْأَلْسِنَةِ، وَاقِفُونَ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الْخُرُوفِ، مُتَسَرِّلِينَ بِثِيَابٍ بَيْضٍ وَفِي أَيْدِيهِمْ سَعَفُ النَّخْلِ وَهُمْ يَصْرُخُونَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلِينَ: «الْخَلَّاصُ لِإِلَهِنَا الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَالْخُرُوفِ». وَجَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ كَانُوا وَاقِفِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ وَالشُّيُوخِ وَالْحَيَوَانَاتِ الْأَرْبَعَةِ، وَخَرُّوا أَمَامَ الْعَرْشِ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَسَجَدُوا لِلَّهِ قَائِلِينَ: «آمِينَ! الْبَرَكَةُ وَالْمَجْدُ وَالْحِكْمَةُ وَالشُّكْرُ وَالْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالْقُوَّةُ لِإِلَهِنَا إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ. آمِينَ»" (رؤ ٧: ٩ - ١٢)، "ثُمَّ نَظَرْتُ وَإِذَا خُرُوفٌ وَاقِفٌ عَلَى جَبَلٍ صِهْيُونَ، وَمَعَهُ مِئَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا، لَهُمْ اسْمُ أَبِيهِ مَكْتُوبًا عَلَى جِبَاهِهِمْ. وَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ كَصَوْتِ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ وَكَصَوْتِ رَعْدٍ عَظِيمٍ. وَسَمِعْتُ صَوْتًا كَصَوْتِ ضَارِبِينَ بِالْقَبْطَارَةِ يَصْرُخُونَ بِقِيَارَاتِهِمْ، وَهُمْ يَتَرْتَمُونَ كَتَرْتِيمَةٍ جَدِيدَةٍ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الْأَرْبَعَةِ الْحَيَوَانَاتِ وَالشُّيُوخِ. وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَتَعَلَّمَ التَّرْتِيمَةَ إِلَّا الْمِئَةُ وَالْأَرْبَعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ أَلْفًا الَّذِينَ اسْتُرُوا مِنَ الْأَرْضِ" (رؤ ١٤: ١ - ٣).

لَعَلَّنَا هُنَا نَتَذَكَّرُ التَّرْتِيمَةَ الْقَائِلَةَ: {من كل الأمم... من كل القبائل... من كل الشعوب، من كل الامم... من كل القبائل... من كل لسان، أمام العرش وقوف... ربوات ألوف... جايين من كل مكان} لنتَخَيَّلَ عَظْمَةَ وَجَلَالِ وَبَهَاءِ ذَلِكَ الْمَشْهَدِ الْمَهِيبِ الَّذِي تَجْتَمِعُ فِيهِ رِبَوَاتُ وَأُلُوفُ سَاجِدِينَ أَمَامَ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِي مَجْدِهِ الْإِلَهِيِّ، وَكَمَا أَنَّ اتِّحَادَ وَائْتِلَافَ أَصْوَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَثَلِهِمْ صَفُوفًا صَفُوفًا فِي أَسْبُوعِ الْآلَامِ أَمَامَ أَيْقُونَةَ الْمَسِيحِ الْمَصْلُوبِ صَارِخِينَ بِصَوْتٍ جَهْوَرِيٍّ {لَكَ الْقُوَّةُ وَالْمَجْدُ وَالْبَرَكَةُ وَالْعِزَّةُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ} يَسْبِي الْعُقُولَ وَيُلْهَبُ الْأَفئِدَةَ الْمُشْتَاقَةَ لِمُعَايَنَةِ ذَلِكَ الْمَجْدِ الْإِلَهِيِّ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ فِي مُلْكُوتهِ، فَكَمْ وَكَمْ سَيَكُونُ ذَلِكَ الْمَشْهَدُ الْمَرْهُوبُ حَيْثُ الْعَرْشُ الْإِلَهِيُّ يَحْمِلُهُ الْكَارُوبِيمُ

وعليه يسوع المسيح جالساً وأمامه يطرح الشيوخ أكاليهم ومن حولهم رؤساء الملائكة وكل جندهم يسجدون من فرط مهابة الجالس على العرش، ومن خلفهم صفوف الشهداء والقديسين وكافة المؤمنين في كل الأحقاب والأزمنة يُرتلون سجوداً وقياماً بلا تعب ولا كل نشيد الغلبة والظفر!

لذات إلهية أخرى

مع أن هذه الصفات الإلهية قادرة في حد ذاتها أن تلهب قلب الإنسان بل وتُلدِّد كل كيانه بيسوع^(١٧٤) إلا أنه - أى الرب - جعل للإنسان لذات أخرى تَمس صفاته وحالته الروحية الجديدة التي سَيَتَغَيَّر إليها في الملكوت حسبما عَلَّمَ مار يوحنا الإنجيلي في قوله "أَيُّهَا الْأَحْيَاءُ، الْآنَ نَحْنُ أَوْلَادُ اللَّهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لِأَنَّا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ" (١ يو ٣: ٢) منها:

* المجد

قال القديس مكاريوس الكبير لـ يسوع المسيح يُضيئ الآن سِرّاً داخل النفس، ويملك في نفوس القديسين وَلَكِنَّهُ مَخْفَى عَنْ عِيُونِ النَّاسِ، عِيُونِ النَّفْسِ فَقَطْ هِيَ الَّتِي تَرَى الْمَسِيحَ حَقّاً حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الَّذِي فِيهِ سَيَنْغَمِرُ الْجَسَدُ أَيْضاً بِنُورِ الرَّبِّ وَيَتِمَجَّدُ بِهِ، ذَلِكَ النُّورُ الْمُخْتَفَى الْآنَ فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ لِيَمْلُكَ الْجَسَدَ أَيْضاً مَعَ النَّفْسِ الَّتِي تَتَالُ مُنْذُ الْآنَ^(١٧٥) ملكوت المسيح وتستريح مُسْتَتِيرَةً بِالنُّورِ الْأَبَدِيِّ.

أشار الرب خلسةً إلى لمحّةٍ من هذا المجد الذي يكون للإنسان عندما قال "تَأَمَّلُوا الزَّنَابِقَ كَيْفَ تَنْمُو لَا تَتَّعَبُ وَلَا تَغْزِلُ، وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ وَلَا سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا. فَإِنْ كَانَ الْعُشْبُ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ فِي الْحَقْلِ وَيُطْرَحُ غَدًا فِي التَّوَرِّ

يُؤْسُهُ اللهُ هَكَذَا، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يُؤْسِكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الْإِيمَانِ؟" (لو ١٢ : ٢٧ - ٢٨)، فإن كان هو يكسو الزنابق بمجد لم يكن عليه سليمان العظيم في الملوك، فأى مجد سيكون لمُختاريه الذين يحملون لأجل اسمه في هذه الحياة صعباً وضيقاً وآلاماً لا تُعد ولا تُحصى؟! قال أحدهم إقال الله لملك كنيسة سميرنا "كُنْ أُمِيناً إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ" (رؤ ٢ : ١٠)، وهذا الوعد هو لِكُلِّ إِنْسَانٍ فَمَنْ كَانَ أُمِيناً فِي مُحَبَّةِ الْمَسِيحِ وَخِدْمَتِهِ وَعَهْدِهِ إِلَى الْمَوْتِ فَسَيُنَالُ مِنْهُ إِكْلِيلُ الْحَيَاةِ وَيَحْظَى بِالشَّرْكَهَ مَعَهُ فِي الْمِيرَاثِ السَّمَاوِيِّ وَالْأَمْجَادِ الْأَبَدِيَّةِ، وَعَلَى ذَلِكَ فَالْجِهَادُ وَالْآلَامُ هِيَ طَرِيقُ الْوَصُولِ إِلَى الْأَمْجَادِ وَكَذَلِكَ اِحْتِمَالُ الضِّيقَاتِ وَالْأَمَانَةُ إِلَى الْمَوْتِ فَإِنَّهُمَا سَبِيلُ التَّمَتُّعِ بِنَوَالِ إِكْلِيلِ الظُّفْرِ، فَالْمَسِيحِيُّ الْأُمِينُ مَتَى فَارَقَ الْحَيَاةَ يُلَاقِي رَبَّهُ بِاسْمِ الثَّغْرِ، فَيَكُونُ كَالْجُنْدِيِّ الْبَاسِلِ الْأُمِينِ عِنْدَمَا يَعُودُ مِنْ سَاحَةِ الْقِتَالِ مُنْتَصِراً لِيُنَالَ جِزَاءَ جِهَادِهِ وَأَمَانَتِهِ، فَلَا تَضْجُرْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ إِذَا تَرَاكَمَتْ عَلَيْكَ الْمَخَافُوفُ وَالْأَحْزَانُ بَلْ اثْبَتْ عَلَى مَا تَعَلَّمْتَ وَأَيَّقَنْتَ لَكَی تَتَمَجَّدَ فِي السَّمَاءِ بِالْأَمْجَادِ الَّتِي يَعْجِزُ اللِّسَانُ عَنْ وَصْفِهَا، تِلْكَ الْأَمْجَادُ الَّتِي لَمَّا عَايْنَهَا بُولُسُ الرَّسُولُ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَنْهَا وَلَمْ يَجِدْ فِي قَوَامِيسِ اللُّغَةِ أَلْفَاظاً تُسَاعِدُهُ عَلَى وَصْفِهَا فَانْكَفَى بِقَوْلِهِ "مَا لَمْ تَرَهُ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ بِهِ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ" (١ كو ٢ : ٩) .

ما بين مجد الأرض ومجد السماء

حَقّاً لَا مَجْدَ يَوْسُفَ الصَّدِيقِ الَّذِي صَارَ إِلَيْهِ فِي مِصْرَ "وَوَخَّلَعَ فِرْعَوْنُ خَاتَمَهُ مِنْ يَدِهِ وَجَعَلَهُ فِي يَدِ يَوْسُفَ وَالْبَسَهُ ثِيَابَ بُوصٍ وَوَضَعَ طَوْقَ ذَهَبٍ فِي عُنُقِهِ وَأَرْكَبَهُ فِي مَرْكَبَتِهِ الثَّانِيَةِ وَنَادَوْا أَمَامَهُ «ارْكَبُوا». وَجَعَلَهُ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ" (تك ٤١ : ٤٢ - ٤٣)، وَلَا مَجْدَ دَاوُدَ الْمَلِكِ الَّذِي قَالَ عَنْهُ الْكِتَابُ "وَنَصَبَ دَاوُدَ تَذْكَاراً عِنْدَ رُجُوعِهِ مِنْ ضَرْبِهِ ثَمَانِيَةَ

عَشَرَ أَلْفًا مِنْ أَرَامَ فِي وَادِي الْمِلْحِ. وَجَعَلَ فِي أَدُومَ مُحَافِظِينَ. وَضَعَ مُحَافِظِينَ فِي أَدُومَ كُلِّهَا. وَكَانَ جَمِيعُ الْأَدُومِيِّينَ عِبِيداً لِذَاوُدَ. وَكَانَ الرَّبُّ يَخْلُصُ دَاوُدَ حَيْثُمَا تَوَجَّهَ. وَمَلَكَ دَاوُدَ عَلَى جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ. وَكَانَ دَاوُدَ يُجْرِي قَضَاءً وَعَدَلاً لِكُلِّ شَعْبِهِ." (٢ صم ٨: ١٣-١٥)، "وَصَارَ الْمُوَابِيُّونَ عِبِيداً لِذَاوُدَ يُقَدِّمُونَ هَدَايَا. وَضَرَبَ دَاوُدَ هَدَدَ عَزَرَ بْنِ رَحُوبَ مَلِكَ صُوبَةَ حِينَ ذَهَبَ لِيُرِدَّ سُلْطَتَهُ عِنْدَ نَهْرِ الْفُرَاتِ. فَأَخَذَ دَاوُدَ مِنْهُ أَلْفًا وَسَبْعَ مِئَةِ فَارِسٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ رَاجِلٍ. وَعَزَقَبَ دَاوُدَ جَمِيعَ خَيْلِ الْمَرْكَبَاتِ وَأَبْقَى مِنْهَا مِئَةَ مَرْكَبَةٍ. فَجَاءَ أَرَامَ دِمَشْقَ لِنَجْدَةِ هَدَدَ عَزَرَ مَلِكَ صُوبَةَ، فَضَرَبَ دَاوُدَ مِنْ أَرَامَ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ أَلْفَ رَجُلٍ. وَجَعَلَ دَاوُدَ مُحَافِظِينَ فِي أَرَامَ دِمَشْقَ وَصَارَ الْأَرَامِيُّونَ لِذَاوُدَ عِبِيداً يُقَدِّمُونَ هَدَايَا. وَكَانَ الرَّبُّ يَخْلُصُ دَاوُدَ حَيْثُمَا تَوَجَّهَ. وَأَخَذَ دَاوُدَ أَنْتَرَسَ الذَّهَبَ الَّتِي كَانَتْ عَلَى عَبِيدِ هَدَدَ عَزَرَ وَأَتَى بِهَا إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَمِنْ بَاطِحَ وَمِنْ بِيروثَايَ مَدِينَتَي هَدَدَ عَزَرَ أَخَذَ الْمَلِكُ دَاوُدَ نَحَاساً كَثِيراً جِداً" (٢ صم ٨: ٢-٨)، ولا مجد مردخاي ذاك الذي صَيَّرَهُ إِلَيْهِ الْمَلِكُ أَحْشَوِيرُوشَ "فَأَخَذَ هَامَانُ اللَّبَاسَ وَالْفَرَسَ وَالْبَسَ مُرْدَخَايَ وَأَرْكَبَهُ فِي سَاحَةِ الْمَدِينَةِ وَنَادَى قُدَّامَهُ: «هَكَذَا يُصْنَعُ لِلرَّجُلِ الَّذِي يُسَرُّ الْمَلِكُ بِأَنْ يُكْرِمَهُ» (أس ٦: ١١) سَيُضَاهَى بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ مَجْدَ الْإِنْسَانِ الَّذِي سَتَتَغَيَّرُ هَيْئَتُهُ فِي الْأَبَدِيَّةِ لِتَكُونَ عَلَى صُورَةِ مَجْدِ اللَّهِ الْأَمْرِ الَّذِي أَعْلَنَهُ مَار بُولَسُ الرِّسُولُ فِي قَوْلِهِ "فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضاً نَنْتَظِرُ مُخْلَصاً هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي سَيَغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ" (فى ٣: ٢٠ - ٢١)، وَأَوْضَحَهُ الْقَدِيسُ يُوْحَنَّا الْإِنْجِيلِيُّ لَمَّا قَالَ "أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، الْآنَ نَحْنُ أَوْلَادُ اللَّهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لِأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ" (١ يو ٣: ٢)، قَالَ الْقَسَ يُوْحَنَّا لِإِنْ مُوسَى لَمَّا عَايَنَ لَمَحَةً بَسِيطَةً مِنْ وَرَاءِ مَجْدِ الرَّبِّ تَلَأَ وَجْهَهُ بِالنُّورِ حَتَّى لَمْ يَسْتَطِعْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنْ يَحْدُقُوا النَّظَرَ إِلَيْهِ فَكَانَ يُغَطِّيهِ بِبُرْفُوعٍ (خر ٣٤: ٢٩-٣٠)، وَكَذَلِكَ بَطْرُسُ وَيَعْقُوبُ وَيُوْحَنَّا عِنْدَمَا تَجَلَّى الْمَسِيحُ أَمَامَهُمْ دُهِلُوا

لمجد ذلك النور العجيب وَفَضَّلُوا البقاء على الجبل (مر ٩ : ٢ - ٥)، فما بالناس نحن الذين سنكون على هيئة من النور نُضَاهِي هيئة المسيح نفسه وسنراه كما هو لأنه سَيُعَيَّرُ شكل جسد تواضُّعنا ليكون على صورة جسد مجده (فى ٣ : ٢١) .

ثُمَّ وَإِنْ كَانَ المجد الذى يهبه الله لِمَنْ يَتَّبِعُهُ يُعْطِيهِ هَيْبَةً تَجْعَلُ أَعْدَاؤَهُ يُسَالِمُونَهُ "إِذَا أَرْضَتِ الرَّبُّ طُرُقَ إِنْسَانٍ جَعَلَ أَعْدَاءَهُ أَيْضاً يُسَالِمُونَهُ" (أُم ١٦ : ٧)، وَتَوَهَّلْ أَحِبَابَهُ لِيُنَالُوا مِنْ فَيْضِ هَذَا الْمَجْدِ "الْمُسَايِرُ الْحُكَمَاءَ يَصِيرُ حَكِيمًا" (أُم ١٣ : ٢٠)، وَتَجْتَذِبْ مُقَاوِمِيهِ لِيُمَجِّدُوا تِلْكَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي يُلاحِظُونَهَا فِيهِ مِنْ جِرَاءِ الْحِكْمَةِ الَّتِي سَلَكَ بِهَا فَأَعْطَتْهُ هَيْبَةً وَوَقَارًا، فَكَمْ وَكَمْ يَكُونُ الْمَجْدُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يهبه الله لِلإِنْسَانِ فِي الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي لَا تَنْتَهِي وَالَّذِي لِأَجْلِهِ - أَى لِهَذَا الْمَجْدِ - أَوْصَى أَحَدُ الْأَبَاءِ قَائِلًا {إِبْتَهِجْ أَبُيْهَا الْمُؤْمِنُ الْوَائِقُ بِخَلَاصِ نَفْسِكَ، ابْتَهِجْ بِذَلِكَ الْمَجْدِ الْمُعَدِّ لَكَ، وَكَيْفَ لَا تَبْتَهِجَ وَهُنَاكَ لَا تَجِدُ شَيْئًا تَكْرَهُهُ مُطْلَقًا بَلْ لَكَ كُلُّ مَا تُحِبُّ وَتَشْتَهُي، كَيْفَ لَا وَكُلُّ مَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ ظُلْمَةٍ وَآلَامٍ سَيَبْقَى فِي الْقَبْرِ وَتُسْتَغْبَطُ وَتَطَوَّبُ نَفْسُكَ حِينَمَا تَخْرُجُ مِنْ سَجْنِكَ إِلَى عَرْشِكَ}.

*الفرح

عَبَّرَتِ الشاعرة إميلي وايت عن تلك الأفراح فى قصيدة قالت فيها: {لماذا نخاف الموت الذى يُنْهِى سَجْنَ تِلْكَ الْحَيَاةِ؟ لِمَاذَا نَتَعَلَّقُ بِشِدَّةِ الْمَبَاهِجِ الدُّنْيَوِيَّةِ؟ أَلَيْسَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ تَقُودُنَا لِلإِيمَانِ وَالرَّجَاءِ فِي الْحَيَاةِ وَالنَّعِيمِ الْأَبَدِيِّ؟ فَلِمَاذَا لَا زِلْنَا نَرْتَدُّ مِنَ الْمَوْتِ؟ أَلَا وَإِنْ كُنَّا كَعُمَيَّانِ لَا نَسْتَطِيعُ تَصَوُّرَ الْأَفْرَاحِ الْأَبَدِيَّةِ}.

مِنْ حَيْثُ أَنَّ اللَّهَ كَامِلٌ فِي كَافَةِ صِفَاتِهِ وَأَيْضًا فِي سَائِرِ هَيْبَاتِهِ فَهُوَ كَامِلٌ أَيْضًا فِي الْفَرَحِ الَّذِي يهبه لِلإِنْسَانِ فِي الْأَبَدِيَّةِ بِحَيْثُ أَنَّ كَافَةَ الْأَفْرَاحِ الْأَرْضِيَّةِ مَعَ اخْتِلَافِ مُسَبِّبَاتِهَا وَتَبَايُنِ الْأَشْخَاصِ الْمَعْنِيِّينَ فِيهَا لَوْ اجْتَمَعَتْ مَعًا مُضَاعَفَةً مِائَاتِ الْمَرَّاتِ لَنْ

تُضاهي ذلك الفرح الأبدى الذى قال عنه أحدهم لما أعظم السرور الذى يشمل المؤمنين إذ ذاك عندما يرون أن أتعابهم قد انقضت وأنهم انتصروا على أعدائهم وفازوا بالخلاص الأبدى، إنَّ موسى الكليم وبنو إسرائيل هتفوا مُسبحين حينما نجوا من فرعون وجيشه، أفما نبتهج نحن بالأولى ونفرح عندما نعبُر بحار مصائب هذا العالم ونتخلَّص من كل تجاربه المُرّة وننتهى من ديار نحيبه ومن مُحاربات الأعداء المُقاومين لنا؟ كيف لا نبتهج عندما نصل إلى فردوس النعيم حيثُ ننسى كل ما قاسيناه فى هذا العالم من أتعاب شديدة وأحزان عديدة ونكون سابحين فى بحار أفراح لا يُعرف قرارها كأننا محمولين على أفلاك السماء، على أجنحة حمامة مُعشاة بِفضة وريشها بِصُفرة الذهب}.

سيكون هناك أفراح عجيبة كاملة وحياة خالدة وصفها النبى فى قوله "وَسَيَمَسَحُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عَيْنِهِمْ، وَالْمَوْتُ لَا يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلَا يَكُونُ حُزْنٌ وَلَا صُرَاخٌ وَلَا وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لِأَنَّ الْأُمُورَ الْأُولَى قَدْ مَضَتْ" (رؤ ٢١: ٤)، سيمسح الله بيديه الحانيتين كل دمعة من عيونهم، وهذه هى أحلى اللمسات كقول ترتليانوس {إنه ما كان لها أن تجف ما لم تمسحها الرافات الإلهية}، وليس هناك حزن من جزاء خسائر ماديّة أو فراق أحبّاء ولا صُراخ من اضطهاد أو تعذيب ولا وجع أمراض فى النفس أو الجسد لأن الأمور الأولى قد مضت، فيا للفرحة لأن الموت الذى ساد لن يسود فيما بعد^(١٧٦).

*ديمومة الأبدية

كما أن الله فى كمال عدله يُجازى المُعاندين له بعذابات أبدية لا تنتهى كانهاء الأمور الأرضيّة، فهو أيضاً فى كماله العادل يهب مُحبيه أمجاداً وأفراحاً أبدية قال عنها أحد القديسين {لو جمعت كل مفاخر الملوك من بدء الخليقة إلى نهايتها ووُضِعَتْ على هامة ملك واحد فإنها لا تُضاهي ذلك المُلك العتيد لأنها جميعها لا تخرج عن كونها مُلكاً

أرضياً بشرياً زائلاً، أمّا ذلك المُلك فهو مُلك سماوي إلهي أبدي، وكما لا توجد ثمة مُعادلة بين الذهب والتراب وبين الثرى والثرى فبهذا المقدار وبأكثر يعلو مجد السماء لما احتواه من الجلال عن المجد الأرضي الفاني}.

حقاً إن كل أمجاد الإنسان وأفراحه وتعزياته التى لا يُعبّر عنها فى الأبدية تتضاعف مئات الألوف من المرات عندما يوقن أنها دائمة لا تنتهى أبداً كمثيلتها الأرضية، قال القس منسى يوحنا لكل فرح فى العالم لا يدوم، أمّا أفراح السماء فهى دائمة إلى الأبد ولا تزول مُطلقاً ولا يُمكن أن يتخللها أحزان ولا أوجاع لأنه لا سبيل لهما فى ذلك المكان الذى أُعدّ لراحة المؤمنين}.

ثمّ وإن كان بصيصٌ ولمحٌ من هذه الأمجاد والأفراح الأبدية متى سمح به الله كعربون يستحث به ويُشجّع من تبعوه بأمانة قد يستمر لوقتٍ طويلٍ يلهب مشاعر الإنسان مجداً وفرحاً لانهائياً وغير موصوفٍ مع أن هذا الفرح ينتهى فى أي وقت اعتراه فيه الخمول أو الفتور، فكم وكم تكون ديمومة الأمجاد الأبدية وأفراحها تلك التى تُعادل ما قاله أحد الآباء عن ديمومة الأبدية بعذاباتها وبأفراحها لما معنى قول الكتاب "إلى أبد الآبدين"؟ هل معناه أن الأبرار يتتعمون مدة تُساوى المدة التى فيها يستطيع عصفور واحد أن يُجفّف جميع مياه البحار والمحيطات إذا أتى كل سنة وشرب منها نقطة واحدة لا غير؟! هل معناه أنهم يتتعمون زمناً يُقدّر بالزمن الذى تتمكن فيه دودة صغيرة من أن تفتنى كل أشجار الأرض إذا قرضت كل سنة قرصة واحدة فقط؟! هل معناه أنهم يتتعمون دهوراً تُقدّر بالدهور التى تتمكن فيها نملة من الطواف بالأرض بأسرها إذا مشيت كل سنة شبراً واحداً فقط؟! لا بل هم يتتعمون إلى أمد أطول من ذلك بكثير جداً، حتى لو فُرِضَ أن العالم كله مملوءٌ بالرمل ونُقِلَت منه كل مائة سنة ذرة واحدة لانتهى ما فى العالم من رمل وما انتهت الأبدية!}.

* الوجود فى حضرة المسيح^(١٧٧)

قال القديس يوحنا ذهبى الفم {لو اتَّفَقَ أَنْ مَلَكاً أَعَدَ لِلْإِنْسَانِ مَا مَسْكناً جَلِيّاً دَاخِلَ قُصُورِ بِلَاطَةِ الْمُلُوكِ وَلَكِنَّهُ قَبْلَ أَنْ يُسَكِنَهُ فِيهِ أَسْكَنَهُ فِي كُوخٍ حَقِيرٍ، فَكَمْ تَكُونُ أَشْوَاقُهُ عَظِيمَةً لِلخُرُوجِ مِنَ الْكُوخِ كَيْ مَا يَذْهَبَ وَيُقِيمَ فِي ذَلِكَ الْقَصْرِ الْمُنِيفِ، هَكَذَا تَكُونُ النَّفْسُ دَاخِلَ جَسَدِهَا فِي هَذَا الْعَالَمِ كَسَجِينٍ فِيهِ وَلَا يُمَكِّنُهَا أَنْ تَخْرُجَ مِنْهُ إِلَّا بِالْمَوْتِ لِتَنْتَظِرَ إِلَى بِلَاطِ الْمَلِكِ السَّمَائِيِّ}.

حقاً إِنَّ كُلَّ أَمْجَادِ الْأَبَدِيَّةِ وَأَفْرَاحِهَا لَا تُقَاسُ بِمَلَأِ قِيَاسِ بَفَرَحِ الْوُجُودِ الدَائِمِ فِي حَضْرَةِ يَسُوعَ الَّذِي لَهُ السُّلْطَانُ وَالْهَيْبَةُ وَالسُّمُو وَالنَّقَاةُ وَالْعِظَمَةُ وَالْجَمَالُ وَالْجَبْرُوتُ وَالْقُدَاسَةُ وَالْمَجْدُ، وَالَّذِي كَانَتْ الْجُمُوعُ فِي أَيَّامِ أَنْ اتَّخَذَ جَسَداً إِنْسَانِيّاً حَاجِباً مَجْدَ لَاهُوتِهِ تَتَقَاطَرُ وَتَتَزَاحَمُ لِلْمَسِّ هُدْبَ ثَوْبِهِ، كِبَاراً كَانُوا "وَأَمْرَأَةً بِنَزْفِ دَمٍ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَقَدْ أَنْفَقَتْ كُلَّ مَعِيشَتِهَا لِلْأَطْبَاءِ، وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تُشْفَى مِنْ أَحَدٍ، جَاءَتْ مِنْ وَرَائِهِ وَلَمَسَتْ هُدْبَ ثَوْبِهِ. فَبِالْحَالِ وَقَفَ نَزْفُ دَمِهَا" (لو ٨: ٤٣-٤٤)، أَمْ صِغَاراً "حِينَئِذٍ قَدَّمَ إِلَيْهِ أَوْلَاداً لِكَيْ يَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَيُصَلِّيَ، فَانْتَهَرَهُمُ التَّلَامِيذُ" (مت ١٩: ١٣)، عُلَمَاءَ كَانُوا "كَانَ إِنْسَانٌ مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ اسْمُهُ نِيفُودِيمُوسُ، رَئِيسٌ لِلْيَهُودِ. هَذَا جَاءَ إِلَى يَسُوعَ لَيْلًا" (يو ٣: ١-٢)، أَمْ جُهْلَاءَ "ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَأَنْصَرَفَ إِلَى نَوَاجِي صُورَ وَصَيْدَاءَ. وَإِذَا امْرَأَةً كُنْعَانِيَّةً خَارِجَةً مِنْ تِلْكَ التُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً: «ارْحَمْنِي، يَا سَيِّدُ" (مت ١٥: ٢١-٢٢)، أَغْنِيَاءَ كَانُوا "وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ، جَاءَ رَجُلٌ غَنِيٌّ مِنَ الرَّامَةِ اسْمُهُ يَوْسُفُ وَكَانَ هُوَ أَيْضاً تَلْمِيذاً لِيَسُوعَ" (مت ٢٧: ٥٧)، أَمْ فَقَرَاءَ "وَتَطَّلَعَ فَرَأَى الْأَغْنِيَاءَ يُقْفُونَ قَرَابِينَهُمْ فِي الْخِرَازِنَةِ، وَرَأَى أَيْضاً أَرْمَلَةً مَسْكِينَةً أَلْقَتْ هُنَاكَ فَلْسَيْنِ" (لو ٢١: ٢-١)، أَبْرَاراً كَانُوا "أَمَّا يُوحَنَّا فَلَمَّا سَمِعَ فِي السَّجْنِ بِأَعْمَالِ الْمَسِيحِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنَ تَلَامِيذِهِ، وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ هُوَ الْآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟" (مت ١١: ٢-٣)، أَمْ خُطَاةَ "وَإِذَا امْرَأَةً فِي الْمَدِينَةِ كَانَتْ خَاطِئَةً،

إِذْ عَلِمْتُ أَنَّهُ مُتَكَيِّفٌ فِي بُيُوتِ الْفَرِيسِيِّ، جَاءَتْ بِقَارُورَةٍ طِيبٍ وَوَقَفَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ مِنْ وَرَائِهِ بَاكِئَةً، وَابْتَدَأَتْ تَبْلُ قَدَمَيْهِ بِالذُّمُوعِ، وَكَانَتْ تَمْسَحُهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا، وَتُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ وَتَدْهَنُهُمَا بِالطِّيبِ" (لو ٧: ٣٧-٣٨). بل إن هذا الامتياز وحده - أى الوجود فى حضرة المسيح - إنما لِيَعْنَى هُنَاكَ فى الأبدية عن أية أفراح وأمجاد أخرى للإنسان، قال القس منسى يوحنا {العمرى} إنه كفى بالقدسيين أن يتمتعوا بالوجود الدائم فى حضرة الله، فهذا هو مُنتهى الفخر والمجد وأعظم من كل غنى العالم ولا ريب أنه ما من كنز يُضاهى هذا الكنز، ولا امتلاك أعظم من هذا الامتلاك، أية وراثة أعظم قيمة من ملك السموات والأرض وأيما ذهب أغلى من خالق الذهب وهو يُقدِّم لنا كل غنى نمتلكه}.

هُنَاكَ فى الأبدية لن يَمُكُثَ الإنسان فى حضرة يسوع فقط بل وأيضاً سِيَتَكُنَى فى حِضْنِهِ^(١٧٨) لِيَمْسَحَ كل دَمْعَةً مِنْ عَيْنِهِ (رؤ ٧: ١٧)، وربما أنه يَتَكُنَى كالأطفال الذين قدموهم إليه على رجليه (مت ١٩: ١٣)، أياً كان فسيكون على مقربة شديدة منه بحيث أن اللغات البشرية لم تجد لها ألفاظاً تُعَبِّرُ عن هذا القرب فقالت بلسان النبی إشعياء "وَيَمْسَحُ السَّيِّدُ الرَّبُّ الدُّمُوعَ عَنْ كُلِّ الْوُجُوهِ وَيَنْزِعُ عَارَ شَعْبِهِ عَنْ كُلِّ الْأَرْضِ" (إش ٢٥: ٨).

فإن كان الإنسان متى افتقده الرب بإحدى تعزياته الإلهية يمتلئ ناراً وشوقاً وفرحاً لا يُنطق به، فكم وكما حينما يكون فى حضرة العريس مباشرةً، يراه كما هو (١ يو ٣: ٢)، يجلس على مقربة منه، يستمع اليه ويلمسه، وحين شاء ارتمى فى حِضْنِهِ؟! قال القس منسى يوحنا لما أعظم الفرح الذى يملأ المؤمن حينما يُشاهد رب البرايا يحتفى به ويضمُّهُ إلى صدره بمحبة وحنان، ومن هو الإنسان الذى يكون موضع اهتمام مُبدِع الكون وخالق الكائنات؟ وأى سرور أعظم من سرور النفس التى تتمتع بجمال الخالق وجميع كمالاته؟ وإذا كان يعقوب لبث يخدم خاله لابان مدة أربعة عشر سنة لأجل جمال راحيل، فأية خدمة يجب أن نُقدِّمها لله لكى ما يكون لنا حق التمتع بجمال من هو أبرع جمالاً من

بنى البشر؟ ولهذا يقول داود "أَمَّا أَنَا فَبَالْبَرِّ أَنْظُرُ وَجْهَكَ. أَشْبَعُ إِذَا اسْتَيْقَظْتُ بِشَبَهِكَ" (مز ١٧: ١٥)، وقال أيضاً {أى مجد نبُغ إليه حينما نجلس حول العريس المجيد ونكون كبذور تتألق في قُبّة أفلاك المجد والبهاء، بل حينما نجلس فوق الشمس والكواكب البهيّة، على المُتَكَاتِ السَّمائِيّةِ ونتلأأ كأنوار باهرة وكواكب زاهرة وشموس ساطعة وأنوار لامعة حول شمس البر الحقيقي ببهاء عظيم هذا مقداره}.

*رؤية القديسين

إذا كان عقاب المُتَهاون غير المُستَعِد هو الانفصال عن القديسين والأبرار فَمُكَافَأَةُ الْمُجْتَهِدِينَ المُسْتَعِدِّينَ هِيَ رُؤْيَتُهُمْ عَنْ قَرَبٍ شَدِيدٍ، بَلِ وَالْوُجُودَ الدَّائِمَ فِي عِشْرَةِ حَقِيقَةِ وَثِيقَةٍ مَعَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمْ الرَّسُولُ "وَلَكِنَّا نَشْتَهِي أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يُظْهِرُ هَذَا الْاجْتِهَادَ عَيْنُهُ لِيَقِينِ الرَّجَاءَ إِلَى النِّهَايَةِ، لِكَيْ لَا تَكُونُوا مُتَبَاطِئِينَ بَلْ مُتَمَنِّلِينَ بِالَّذِينَ بِالْإِيمَانِ وَالْأَثَاةِ يَرِثُونَ الْمَوَاعِيدَ" (عب ٦: ١١ - ١٢)، والذين أوصى أَنْ نَتَمَثَّلَ بِإِيمَانِهِمْ لِكَيْ مَا نَصِيرَ أَهْلًا لِلْوُجُودِ الدَّائِمِ مَعَهُمْ فِي حَضْرَةِ الرَّبِّ (عب ١٣: ٧)، فَإِنْ كَانَ فَرَحُ وَاشْتِيَاقُ الْمُؤْمِنِ هَكَذَا يَكُونُ حِينَما يَزُورُ أَحَدَ مَوَاضِعِ الْقَدِيسِينَ أَوْ الشُّهَدَاءِ أَوْ حِينَما يَتَرَاءَى أَمَامَ رِفَاتِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِذْ تَأْخُذُهُ هَيْبَةٌ وَرَهْبَةٌ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَكْرَمُوا الرَّبَّ بِحَيَاتِهِمْ وَبِأَعْمَالِهِمْ وَبِإِيمَانِهِمْ فَأَكْرَمَهُمُ الرَّبُّ (١ صم ٢: ٣٠) وَمَنْ ثُمَّ يَطْفُقُ مُحَاوَلًا أَنْ يَلْمَسَ وَلَوْ هُدْبَ السِّتْرِ الْمُتَلَحِّفِ بِهِ رِفَاتِهِمْ، فَكَمْ وَكَمْ يَكُونُ فَرَحُهُ وَشَوْقُهُ حِينَما يَرَاهُمْ وَجْهًا لَوَجْهِ قَاصِّينَ عَلَيْهِ سِيرَتَهُمْ وَجِهَادَاتِهِمُ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي مَرَّارًا قَرَأَ عَنْهَا وَأَحْبَبَهَا وَتَمَنَّى لَوْ عَاصَرَ أَحْدَاثَهَا.

حقيقة تعارف أرواح الأبرار

ثم إن حقيقة تعرف الإنسان على أرواح القديسين والأبرار والشهداء في الفردوس مثلما في الملكوت جاءت في مواضع كتابية كثيرة منها مثلاً ما جاء في مثل الغنى ولعازر "فَمَاتَ الْمِسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى حِصْنِ إِبْرَاهِيمَ. وَمَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضاً وَدُفِنَ فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْجَحِيمِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِصْنِهِ، فَنَادَى وَقَالَ: يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، ارْحَمْنِي، وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيَبْلَّ طَرَفَ إِصْبَعِهِ بِمَاءٍ وَيَبْرِدَ لِسَانِي، لِأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هَذَا اللَّهيبِ. فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا ابْنِي، أَذْكَرُ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ، وَكَذَلِكَ لِعَازَرُ الْبَلَايَا. وَالْآنَ هُوَ يَتَعَرَّى وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ" (لو ١٦: ٢٢-٢٥)، الأمر الذي نفهم منه أن الغنى وهو مُعَذَّبٌ في اللهيب رأى إبراهيم وعرفه وعرف أيضاً لعازر وتذكَّر إخوته الخمسة المتوأمين بل وأحب أن يُبشِّرهم بالعذاب الأبدي لكي ما لا تصير نهايتهم إليه، فإن كان الأشرار في الجحيم حيثُ العذاب الشديد رأوا هؤلاء القديسين وتكلَّموا معهم فكم قريباً تكون رؤية الأبرار لهم في الأبدية السعيدة الأمر الذي أعلنه الرب في قوله "إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَكُونُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ" (مت ٨: ١١) حيثُ أن الوجود في الحِصْنِ لهو أقرب ما تُعَبَّر عنه اللغات البشرية بما ويُفيد معنى القرب الشديد، ومن هنا لن يكون المؤمن في حاجة لِنَكْبُدَّ عناء صعود جبل الأنبا أنطونيوس لزيارة مغارته بالجبل الشرقي، فها هو الأنبا أنطونيوس أمامه مباشرةً يشترك معه في الأفراح السرمدية التي أجزلها الله لِتَابِعِيهِ وَلِمُؤْمِنِيهِ، ولم يعد في حاجة لزيارة مغارة الأنبا مقاريوس ببرية وادي النطرون إذ وهو مُلتحف بالجسد المُمَجَّد ذو الطبيعة الجديدة يقدر أن يتراءى أمام الأنبا مقاريوس نفسه كي ما يتحداه معاً أمام محفل الملائكة القديسين في تسبيحٍ دائمٍ للرب يسوع المسيح، وهكذا فلم يعد في حاجة لِنَكْبُدَّ عناء الزحام الشديد في أحد الشوارع الضيقة لرؤية العذراء المُتَجَلِّية على أحد قباب

كنائسها فهي هي العذراء الأم أمامه مباشرة يُعاين معها مجد الإله المُتَجَسِّدُ مِنْهَا، قال القس منسى يوحنا عن حال المؤمن في النعيم الأبدى {هُنَالِكَ يَضَعُ الْمُؤْمِنُ يَدَهُ فِي يَدِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ، وَيَنْظُرُ وَجْهَ بُولُسِ الرَّسُولِ وَيَقِفُ مَعَ بَطْرُسَ وَيَجْلِسُ فِي الْحَقُولِ الْخَصْبَةِ مَعَ مُوسَى وَدَاوُدَ، وَيُصَلِّي فِي نُورِ شَمْسِ النِّعَمِ مَعَ يُوْحَنَّا وَالْمَجْدَلِيَّةِ، فَيَأْتِي لَهَا مِنْ غِبْطَةٍ عَظِيمَةٍ}.

*رؤية الأحباب

كما سَيَمَيِّزُ الْإِنْسَانُ أَرْوَاحَ الْقَدِيسِينَ وَالشُّهَدَاءِ الَّذِينَ طَالَمَا اشْتَهَى أَنْ يَرَاهُمْ عَنْ قُرْبٍ، فَلَرُبَّمَا إِنَّهُ سَيَتَعَرَّفُ أَيْضاً عَلَى أَرْوَاحِ الْأَهْلِ وَالْأَحْبَاءِ وَالْأَصْدِقَاءِ، مِثْلَمَا أَنَّ الْغَنَى الْمُعَذَّبَ فِي اللَّهْيَبِ تَعَرَّفَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَلِعَازَرَ وَتَذَكَّرَ إِخْوَتَهُ الْخَمْسَةَ، وَمِثْلَمَا أَنَّ بَطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوْحَنَّا وَهُمْ عَلَى جَبَلِ التَّجَلَّى فِي حَالَةٍ مِنَ السَّمَوِ الرُّوحِي وَالْإِنْخِطَافِ الْعَقْلِي مَيَّزُوا بَيْنَ مُوسَى وَإِيلِيَّا دُونَ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ مَعَهُمْ سَابِقُ رُؤْيَا أَوْ مَعْرِفَةُ اللَّهِ إِلَّا مِنْ أَصْفَارِ التَّوْرَةِ وَكُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ، وَمِثْلَمَا أَنَّ يَهُوذَا الْمَكَابِي فِي رُؤْيَا تَعَرَّفَ عَلَى رُوحِ الْكَاهِنِ الْأَعْظَمِ أُونِيَا وَمَيَّزَهَا "وَسَلِّحْ كَلَامَهُمْ بِتَعْزِيَةِ كَلَامِهِ الصَّالِحِ أَكْثَرَ مِمَّا سَلَّحَهُمُ بِالْتَّرُوسِ وَالرَّمَاكِ ثُمَّ قَصَّ عَلَيْهِمْ رُؤْيَا يَقِينِيَّةٍ تَجَلَّتْ لَهُ فِي الْحُلْمِ فَشَرَحَ بِهَا صُدُورَهُمْ أَجْمَعِينَ. وَهَذِهِ هِيَ الرُّؤْيَا قَالَ رَأَيْتُ أُونِيَا الْكَاهِنَ الْأَعْظَمَ رَجُلَ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ الْمَهِيْبِ الْمَنْظَرِ الْحَلِيمِ الْأَخْلَاقِ صَاحِبِ الْأَقْوَالِ الرَّائِعَةِ الْمَوَاطِبِ مِنْذُ صِبَايَا عَلَى جَمِيعِ ضُرُوبِ الْفَضَائِلِ بِأَسْطًى يَدِيهِ وَمُصْلِيّاً لِأَجْلِ جَمَاعَةِ الْيَهُودِ بِأَسْرَهَا. ثُمَّ تَرَأَى لِي رَجُلَ كَرِيمِ الشَّيْبَةِ أَغْرَ الْبَهَاءِ عَلَيْهِ جَلَالَةٌ عَجِيبَةٌ سَامِيَّةٌ. فَأَجَابَ أُونِيَا وَقَالَ هَذَا مَحَبُّ الْإِخْوَةِ الْمَكْثَرِ مِنَ الصَّلَوَاتِ لِأَجْلِ الشَّعْبِ وَالْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ إِرْمِيَا نَبِيَّ اللَّهِ. ثُمَّ إِنَّ إِرْمِيَا مَدَّ يَمِينَهُ وَنَاقَلَ يَهُوذَا سَيْفًا مِنْ ذَهَبٍ وَقَالَ: خُذْ هَذَا السَّيْفَ الْمُقَدَّسَ هِبَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِهِ تَحْطُمُ الْأَعْدَاءُ" (٢ مك ١٥ : ١١ - ١٦).

وحتى لو لم يدرك الإنسان ماهية هذا التعارف أو كنهه فيكفيه إيمانه الراسخ والأكيد بانتقاله إلى مكانٍ واحدٍ مع كافة أحبائه وذويه في الأبدية السعيدة حيث عشرة يسوع المسيح الدائمة والمفرحة.

* إدراك الهدف

قال أحد الآباء {سعادة الإنسان ترجع للهدف الذى يعيش لأجله، فالإنسان الحقيقى العظيم هدفه هو الله الذى خلقه وفداه وأورثه ملكوته، هكذا إن ظَلَّتْ عينا الإنسان مُنَبَّةً على المسيح غايته، استمر هدفه يسطع فى وسط ظلمة العالم إذ كان المسيح له ملجأ وقوة}، وقال كاتب {إن أعظم بؤس وشقاء للإنسان ليس هو الفقر ولا المرض ولا الحظ السيئ فى الحياة ولا خيبة الأمل بل ولا الموت، ولكن هو بؤس عدم معرفة الإنسان لماذا يُولَدُ وبتألم ويموت}.

سعادة المؤمن فى الأبدية ستكون أيضاً لإدراكه للهدف الذى لأجله طفق وهو غريبٌ على الأرض (عب ١١: ١٣) يحتمل الآلام والتجارب ويشعر بضيقات وأحزان - ذلك الهدف الذى عبّر عنه الجامعة فى قوله "صَنَعَ الْكُلَّ حَسَنًا فِي وَقْتِهِ وَأَيْضًا جَعَلَ الْأَبَدِيَّةَ فِي قُلُوبِهِمُ الَّتِي بِلَاهَا لَا يُدْرِكُ الْإِنْسَانُ الْعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُهُ اللَّهُ مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ" (جا ٣: ١١) - إذ لن يكون فيما بعد فى حاجة لإجابات على أسئلة طالما سببت له الحيرة - قال أحدهم {ما هو معنى الحياة؟ كيف يُمكننى الحصول على تناغمٍ لسبب الحياة التى أعيشها الآن؟ إننى أستيقظ، أكل، أعمل، أنام، ثُمَّ أَكْرُرُ نفس العملية يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام، ولكن لماذا؟ بأى هدف؟ هل لمُجَرِّد أن أبلى وأطرح كثوب يُلْبِى؟ مجرّد أن أمضى لأفسح مكاناً لآخر؟ كيف يُمكننى أن أتواءم مع جميع الأغااز المركبة المحيرة التى تواجه حياتى بشكل معقول وبنمط هادىء؟ هل توجد خطة ذكية وراء كل هذه

الأشياء؟ خطة تعنى معنى الحياة؟} - وقال فيلسوف إذ سُئِلَ عن سبب فرحه حال إقدامه على الموت {عن قريب أُطْلِعَ على حقيقة مُستقبل النفس}، بل سيتحقق لديه المعنى الحقيقى والمغزى الإلهي من تلك الأحزان والضيقات والآلامات التى طالما سببت له الحزن والضيق لينطبق عليه ما عَلَّمَ به مار بولس الرسول فى قوله "لَأَنَّنَا نَعْلَمُ بَعْضَ الْعِلْمِ وَنَتَنَبَّأُ بَعْضَ التَّنَبُّؤِ. وَلَكِنْ مَتَى جَاءَ الْكَامِلُ فَحِينَئِذٍ يُبْطَلُ مَا هُوَ بَعْضٌ. لَمَّا كُنْتُ طِفْلاً كَطِفْلِ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ وَكَطِفْلِ كُنْتُ أَفْطَنُ وَكَطِفْلِ كُنْتُ أَفْتَكِرُ. وَلَكِنْ لَمَّا صِرْتُ رَجُلًا أَبْطَلْتُ مَا لِلطِّفْلِ. فَإِنَّا نَنْظُرُ الْآنَ فِي مِرَاةٍ فِي لُغْزٍ لَكِنْ حِينَئِذٍ وَجْهًا لَوَجْهِهِ. الْآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ لَكِنْ حِينَئِذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عَرَفْتُ" (١كو ١٣ : ٩ - ١٢) (١٧٩).

بُطلان أفكار الوجوديين والمُلحدين

هناك يتحقق بُطلان الأفكار الوجودية والإلحادية التى كانت تُنادى بعدم جدوى الحياة - قال أحد الوجوديين {إنى أَفْكَرُ كى أَتَخَلَّصَ من حياتى النافلة (١٨٠) أو على الأقل أَتَخَلَّصَ من الكيانات التى بلا لزوم، وأيضاً فإن موتى، جسدى، دمي الذى يُسَكَّبُ على هذه الحصى وهذه الرِّمال هو أيضاً بلا لزوم، إنى نافلة بخصوص الخلود}، وقال آخر {إن الحياة هى وباء، بلاء، لا وجود مُستمر فيها للنفس، هى بلا هدف وبلا اتجاه، والحياة فى وزنها لا تزيد عن الفراغ، الإنسان ليس له هوية، ولا اسم ولا يزيد عن أن يكون خطاباً بلا عنوان} - وتَنَكَّرَ وجود الله جابلها ومُعطيها - قال كلودفيغ فيورباخ (١٨١) {النقطة الفاصلة فى التاريخ سوف تكون تلك اللحظة التى يُدرك فيها الإنسان أن الإله الحقيقى للإنسان هو الإنسان نفسه}، وقال فريدريك نيشته {الله ميت، ونحن الذين قتلناه، سنظل فى حرب مع الخيال والمثال المسيحى، وضد التعليم الذى يجعل التطويبات والخلاص هى نهاية الحياة}، وقال أوغسط كومتى {بلا شك، الله رحل دون عودة} -

حيثُ يُدرك الإنسان وقتئذ أن حياته لم تكن نافلة بل ذات قيمة عند الله وأهمية بحيث أنها لمّا انحرفت افتداها بنفسه وبدمه، وأن موته ليس بلا قيمة بل هو الحاجز الذى يفصل بينه وبين السعادة الأبدية غير الموصوفة، وأن حياته الأرضية ليست وباءً ولا بلاءً فى حد ذاتها اللهم إلا لو طفق فيها مُنشغلاً لاهياً مُتوانياً مُتخاذلاً عن الاستعداد لما بعدها، وليست - أى الحياة - فراغاً بل هى ذات قيمة عظيمة وهدفاً جلياً اللهم إلا لو طفق فيها ساعياً لأهدافه الفانية والباطلة التى لما زالت شعر بتفاهة حياته وبطلانها.

أخيراً وبعدما أظهرنا مُجرّد لمحة يسيرة جداً - لا تزد عن كونها نُقطة من مُحيط - من أمجاد السماء وأفراحها وتعزياتها يلزم كل واحد أن يُعَاتِب نفسه - كما عمل أحدهم - قائلاً {هل لا يستحق مجد السماء وأفراحها وسعادتها يا نفسى بعد ذلك أن تحتقرى العالم لأجله؟ هل يُمكن للعالم مهما تلاً أن يُعْتَبَر بقيمة لحظة قصيرة فى ملكوت السموات؟ قولى للعالم إذاً [اذهب عني أيها العالم، لِتَغِب عَنِّي كل أمجادك فإنى لا أحزن على فراقها، إنى أتوقّع عند سيدي يسوع المسيح مجداً حقيقياً أبدياً، إنى أريد أن أخسر كل شئ لأريح المسيح]}.

†

الباب الثامن

نتيجة العبادة الإيجابية

تلك الأهداف الإيجابية للعبادة تؤدّي بالإنسان بعدما كان قبلاً يخاف تلك اللحظة ويرهب الموت - كونه يفصله عن أحبائه وذويه ويؤهّله للعذاب الأبدي - إلى تغييرٍ كاملٍ يُصيرُهُ:

مُترقِّباً للقاء^(١٨٢)

مُترقِّباً لتلك اللحظة التي يُعلن فيها عن الخلاص الذي قدمه الرب يسوع المسيح للبشريّة جمعاء "أَنْتُمْ الَّذِينَ بِقُوَّةِ اللَّهِ مَحْرُوسُونَ، بِإِيمَانٍ، لِخَلَاصٍ مُسْتَعَدٍّ أَنْ يُعْلَنَ فِي الزَّمَانِ الْآخِرِ" (١ بط ١: ٥)، والذي أعلن عنه بأفواه أنبيائه القديسين الذين هم مُنذُ الدهر "وَيُقَالُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: «هُوَذَا هَذَا إِلَهُنَا. انْتَبَرْنَا فَخَلَّصَنَا. هَذَا هُوَ الرَّبُّ انْتَبَرْنَا». نَبْنِهُجُ وَنَفْرَحُ بِخَلَاصِهِ» لِأَنَّ يَدَ الرَّبِّ تَسْتَقِرُّ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ وَيُدَاسُ مُوَابٌ فِي مَكَانِهِ كَمَا يُدَاسُ النَّبِيُّ فِي مَاءِ الْمَرْبَلَةِ" (إش ٢٥: ٩ - ١٠)، والذي سيكون - أى هذا الإعلان - حال ظهور علامة صليبه المقدس (مت ٢٤: ٣٠)، ونزوله من السماء بقوة وبمجد كثير (١ تس ٤: ١٦ - ١٧)، ومن ثَمَّ تنزلزل السموات والأرض والبحار واليابسة (حجى ٢: ٦ - ٧)، ويرونه كمُستهى كل الأمم (حجى ٢: ٧) يُغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده (فى ٣: ٢٠ - ٢١)، وهكذا يشتركون فى خدمته المقدسة مع ملائكته الأطهار "وَلَا تَكُونُ لَعْنَةً مَا فِي مَا بَعْدُ. وَعَرْشُ اللَّهِ وَالْخُرُوفُ يَكُونُ فِيهَا، وَعَبِيدُهُ يَخْدُمُونَهُ". (رؤ ٢٢: ٣) حيثُ السماء والأرض الجديدتين (رؤ ٢١: ١ - ٢)، فينالون الطوبى الأبدية (رؤ ١٤: ١٣)، (رؤ ١٩: ٩) ليتحقق عندهم ما كانوا يرجونه كإعلان

بولس الرسول الذى قال فيه "إِنْ كَانَ لَنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ فَقَطُّ رَجَاءٌ فِي الْمَسِيحِ فَإِنَّنَا أَشَقَى جَمِيعِ النَّاسِ" (١كو ١٥ : ١٩)، "مُنْتَظِرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَمُخْلَصِينَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (تى ٢ : ١٣).

الغيرة المُقدَّسة

ثُمَّ أَنَّ هَذَا التَّرَقُّبُ يَدْفَعُ بِنَا فِيهِ إِلَى:

◀ الغيرة على عدم تضييع فرصة التوبة الثمينة فى هذا الدهر^(١٨٣) تلك التى لما استغلَّها الخطاة خلصوا ولما استغلَّها الزُّناة والعشارون دافع عنهم الرب قائلاً لليهود "لَمْ آتِ لِأَدْعُو أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ" (لو ٥ : ٣٢)، ولما استغلَّها آخرون صاروا أولين يأتون من المشارق والمغارب ويتكئون فى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ فى ملكوت السموات (مت ٨ : ١١)، ويجيئون من حِطَّائِرٍ أُخْرَى إِلَى حَظِيرَةِ رَاعِي الرُّعَاةِ الْوَحِيدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ (يو ١٠ : ١٦)^(١٨٤). قال القس منسى يوحنا {قلينته الخاطى من غفلته وليفتح عينيه وليهتم بما هو قادر عليه الآن فيداوى ما لا يقدر على مداواته فيما بعد، إن الزمان الحاضر مناسب ومقبول، الآن وفى دقيقة واحدة يمكننا أن نكسب ما لا يُمكن أن نكسبه فى الأبدية كلها}.

ثُمَّ أَنَّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ الْآتِينَ الْمُسْتَغْلِينَ لِفُرْصَةِ التَّوْبَةِ قَدْ نَبَذُوا حِكْمَتَهُمُ الْأَرْضِيَّةَ الَّتِي أَمَلَاهَا عَلَيْهِمْ قَبْلَ رُئُوسِ هَذَا الْعَالَمِ رَاجِعِينَ إِلَى عِبَادَةِ الْإِلَهِ الْحَى - بَعْدَمَا تَصَرَّفُوا قَبْلَ فِى شَهَوَاتِ جَسَدِهِمْ عَامِلِينَ مَشِيئَاتِ الْجَسَدِ وَالْأَفْكَارِ (أف ٢ : ٣) - مُتَمَمِّينَ مَا أَوْصَاهُ أَحَدُ الْقَدِيسِينَ {أَمَّا نَحْنُ الْأَحْيَاءُ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فَيَجِبُ عَلَيْنَا إِنْ سَمِعْنَا الْيَوْمَ صَوْتَهُ أَلَّا نُقْسَى قُلُوبَنَا لَثَلَا يَسْخَطَ عَلَيْنَا بَرَجْزُهُ وَيَغْلِقَ أَمَامَ وَجْهِهَا أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ، بَلْ لِنُبَادِرَ مُسْرِعِينَ مَا دَامَ مَعَنَا النُّورُ وَلِنَسْجُدَ لِلرَّبِّ خَاشِعِينَ مُذْرِفِينَ دُمُوعَ التَّوْبَةِ لَثَلَا نَهْلِكَ وَنَخْسِرَ الْجَوْهَرَةَ الثَّمِينَةَ

التي اشتراها بدمه الكريم وقدها بالروح القدس وطهرها بنار محبته الإلهية، من أراد الحياة والخلص فليقبل إلى المسيح المصلوب ملك الملوك ورب الأرباب، ويحترس من أن يرفضه كاليهود الذين برفضهم إياه حملوا أنفسهم بأثقل الخطايا ووضعوا على رؤوسهم أثقل الذنوب}.

◀ الغيرة على عدم احتساب يسوع لهم ضمن خاصته الذين أعطاهم له الآب "أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم. كانوا لك وأعطيتهم لي، وقد حفظوا كلامك. والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك" (يو ١٧: ٦-٧)، "من أجلهم أنا أسأل. لست أسأل من أجل العالم، بل من أجل الذين أعطيتني لأنهم لك" (يو ١٧: ٩) في حين أن آخرين كانوا تحت الآلام مثلهم (يع ٥: ١٧)، بل وفي ضيقات وتجارب وشدائد أصعب احتمالاً مما لهم - أي للأولين - قد صاروا ضمن قطيعه المقدس فحسبوا أهلاً أن يقفوا مع المائة والأربعة والأربعين ألفاً الذين رافقوا الرب على جبل صهيون (رؤ ١٤: ١) واستحقوا أن يأخذوا الثياب البيض من السيد القدوس (رؤ ٦: ١٠) ليستريحوا حتى يكمل العبيد رفقاؤهم جهادهم على الأرض (رؤ ٦: ١١) (١٨٥).

◀ الغيرة على ضياع فرصة التغيير إلى صورة جسد مجد الرب يسوع المسيح "فإن سيرتنا نحن هي في السماوات، التي منها أيضاً ننظر مُخلصاً هو الرب يسوع المسيح، الذي سيغير شكل جسدنا ليكون على صورة جسد مجده، بحسب عمل استبطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء" (فى ٣: ٢٠ - ٢١)، تلك الفرصة التي نالها خطاة كثيرون حتى من بين من قال عنهم مار بولس الرسول "لأنهم لما عرفوا الله لم يُجدوه أو يشكروه كإله بل حَمَقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ وَاطْلَمَ قُلُوبُهُمُ الْعَبْيُ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلَاءُ وَأَبْدَلُوا مَجْدَ اللَّهِ الَّذِي لَا يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى وَالطُّيُورِ وَالْذَوَابِّ وَالزَّحَافَاتِ. لِذَلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللَّهُ أَيْضاً فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النَّجَاسَةِ لِإِهَانَةِ أَجْسَادِهِمْ بَيْنَ

ذَوَاتِهِمْ. الَّذِينَ اسْتَبَدَّلُوا حَقَّ اللَّهِ بِالْكَذِبِ وَاتَّقَوْا وَعَبَدُوا الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ" (رو ١: ٢١-٢٥)، ذلك لأنهم قدموا توبة لائقة مُقْتَدِينَ بِتعاليم الإنجيل النيرة التى أضاعت قلوبهم وطريقهم فأدخلتهم إلى حضرة الرب المجيدة والبهية. قال القس منسى يوحنا {إن اتخذ الإنسان كتاب الله مصباحاً له وسار مُهْتَدِياً به يحصل على النجاة، أما إذا أهمل ذلك الخلاص الذى تكلَّم به الرب فلا يمكن أن ينجو، سيقف الكتاب المقدس فى ذلك اليوم ويشتكى على كل من تعذاه وأهمله ولم يُتِمَّ ما جاء فيه}.

◀ الغيرة على ضياع فرصة التَّمَتُّع بالأفراح الأبدية^(١٨٦) التى أشار إليها مار يوحنا الحبيب فى قوله "وَسَمِعْتُ كَصَوْتِ جَمْعٍ كَثِيرٍ، وَكَصَوْتِ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ، وَكَصَوْتِ رُغُودٍ شَدِيدَةٍ قَائِلَةً: «هَلِّلُويَا! فَإِنَّهُ قَدْ مَلَكَ الرَّبُّ إِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. لِنَفْرَحْ وَنَتَهَلَّلْ وَنُعْطِهِ الْمَجْدَ، لِأَنَّ عُرْسَ الْحَمَلِ قَدْ جَاءَ، وَامْرَأَتُهُ هِيَائَتْ نَفْسَهَا. وَأُعْطِيَتْ أَنْ تَلْبَسَ بَرّاً نَقِيّاً بَهِيّاً، لِأَنَّ الْبَرَّ هُوَ تَبَرُّرَاتُ الْقُدِّيسِينَ" (رو ١٩: ٦ - ٨)، والتى اغتصبها لأنفسهم آخرون واجهوا أحزاناً هذه عددها لكنها لم تُشكِّكهم فى مراحم الله الذى سمح لهم بمثل هذه الأحزان لتهذيبهم وتقويم أنفسهم لكى ما تتروَّض فى طريق الملكوت ومن ثَمَّ يَنْطَبِقَ عَلَيْهِمْ ما قاله الرب "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ سَتَبْكُونَ وَتَتَوَحَّوْنَ وَالْعَالَمُ يَفْرَحُ. أَنْتُمْ سَتَحْزَنُونَ، وَلَكِنَّ حُزْنَكُمْ يَتَحَوَّلُ إِلَى فَرَحٍ. الْمَرْأَةُ وَهِيَ تَلْدُ تَحْزَنُ لِأَنَّ سَاعَتَهَا قَدْ جَاءَتْ، وَلَكِنَّ مَتَى وَلَدَتِ الطِّفْلَ لَا تَعُودُ تَذْكُرُ الشَّدَّةَ لِسَبَبِ الْفَرَحِ، لِأَنَّهُ قَدْ وُلِدَ إِنْسَانٌ فِي الْعَالَمِ" (يو ١٦: ٢٠-٢١)، قال أحدهم {من لا يُسَرُّ إذا شعر أنه لأجله قد أُعِدَّتْ أفراح سرمدية وسعادة خالدة، فإذا تأملت فى هذا أخذك الميل إلى الشوق الذى يُؤَلِّدُ فيك العمل لتحصيل ذلك المجد حتى تقول مع القديس أغسطينوس [يا أورشليم يا بيت الله السرمدى أنت بعد الله بهجتنا وتعزيتنا وسلوتنا لأن ذكرى اسمك العذب يُخَفِّفُ حُزْنَنا وَيُلَطِّفُ عَذَابِنَا]}.

◀ الغيرة على ضياع فرصة مُعَايَنَةِ الْخَلَاصِ الثَّمِينِ الذى قيل عنه "وَبَعْدَ هَذَا سَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنْ جَمْعٍ كَثِيرٍ فِي السَّمَاءِ قَائِلًا: «هَلِّلُويَا! الْخَلَّاصُ وَالْمَجْدُ وَالْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ لِلرَّبِّ إِلَهِنَا" (رؤ ١٩ : ١)، والذى سَيُعَايَنُهُ آخَرُونَ كَانُوا مُعَانِدُونَ لِلإِيمَانِ لَكِنَّهُمْ حَالُ دَعْوَةِ الرَّبِّ لَمْ يُمْسِكُوا قُلُوبَهُمْ بَلْ قَبِلُوا دَعْوَتَهُ بِقُوَّةٍ صَيَّرَتْهُمْ فِيهِ - أَى فِي الإِيمَانِ - بِعُمُقٍ لِيَتَحَقَّقَ مَا قَالَهُ الرَّبُّ بِلِسَانِ إِسْعِيَاءَ النَّبِيِّ "فَيَرْفَعُ رَايَةً لِلْأُمَمِ مِنْ بَعِيدٍ وَيَصْنُفِرُ لَهُمْ مِنْ أَفْصَى الْأَرْضِ فَإِذَا هُمْ بِالْعَجَلَةِ يَأْتُونَ سَرِيعًا. لَيْسَ فِيهِمْ رَازِحٌ وَلَا عَاتِرٌ. لَا يَنْعَسُونَ وَلَا يَنَامُونَ وَلَا تَتَحَلَّى حُرْمٌ أَحْقَانِيَهُمْ وَلَا تَنْقَطِعُ سُبُورُ أَحْذِيَّتِهِمْ. الَّذِينَ سِيَّاهُمْ مَسْنُونَةٌ وَجَمِيعُ قَسِيَّتِهِمْ مَمْدُودَةٌ"^(١٨٧). حَوَافِرُ خَيْلِهِمْ تُحْسَبُ كَالصَّوَانِ وَبَكَرَاتُهُمْ كَالزُّوبَعَةِ" (إش ٥ : ٢٦-٢٨).

◀ الغيرة على ضياع فرصة المجد الذى أعلن عنه الرب فى قوله "حينئذ يضيئ الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم" (مت ١٣ : ٤٣) والذى سيرونه على آخرين غيّر الرب طبيعتهم إلى صورة جسد مجده (فى ٣ : ٢٠) فصاروا مثله (١ يو ٣ : ٢)^(١٨٨) واقفين عن يمينه يسمعون القول الثمين "تعالوا إليّ يا مُبَارَكِي أَبِي رِثَا الْمُلْكِ الْمُعَدَّ لَكُمْ مِنْذُ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ" (مت ٢٥ : ٣٤)، قال القس منسى يوحنا {حينما يرى الأشرار فى ذلك اليوم الأخير مجد الصديقين وعظمتهم ويُشَاهِدُونَ تَصَرُّفَ الْمَلَائِكَةِ مَعَهُمْ وَيَرُونَ الْاحْتِفَاءَ الَّذِى يُوجَّهُ إِلَيْهِمْ وَالضِّيَاءَ الَّذِى يُسْرِبُهُمْ ثُمَّ يَذْكُرُونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا أَنْسَاءً مِثْلَهُمْ وَكَانُوا لِابْسِينِ أَجْسَاداً وَسَاكِنِينَ فِي الْعَالَمِ مَعَهُمْ، مِنْهُمْ مَنْ عَاشَ فِي بُؤْسٍ عَظِيمٍ وَلَكِنَّهُمْ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِيمَانِ خَلَصُوا وَاسْتَحَقُّوا هَذِهِ الْغِبْطَةَ الدَّائِمَةَ، فَأَى حَدٍ مُحْرِقٍ يُمَزَّقُ قُلُوبَهُمْ وَيُعَذِّبُ أَحْشَاءَهُمْ؟}.

أَمَّا الْغِيْرَةُ الْعُظْمَى الَّتِى يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يُضْرِمَهَا فِي قَلْبِهِ هِىَ عَدَمُ صِيرُورَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِى عُدَّ لِآخَرِينَ أَكَالِيلَ سَرْمَدِيَّةٍ وَأَفْرَاحاً لَا تَنْتَهَى - إِنَّمَا تَرْجِعُ لِمُعَايَنَةِ الْمَجْدِ الْبَهِيِّ وَالْخَلَاصِ الثَّمِينِ - وَصَكّاً لِلانضمامِ إِلَى قَطِيعِ الرَّبِّ، بِالنَّسْبَةِ لَهُ يَوْماً لِلشَّرِّ (مز

٤١: ١) (١٨٩) حيثُ الظلمة القائمة "قُدَّامَهُ تَرْتَعِدُ الْأَرْضُ وَتَرْجُفُ السَّمَاءُ. الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُظْلِمَانِ وَالنُّجُومُ تَحْجِرُ لَمَعَانَهَا. وَالرَّبُّ يُعْطِي صَوْتَهُ أَمَامَ جَيْشِهِ. إِنَّ عَسْكَرَهُ كَثِيرٌ جِدًّا. فَإِنَّ صَانِعَ قَوْلِهِ قَوِيٌّ لَأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ عَظِيمٌ وَمَخُوفٌ جِدًّا فَمَنْ يُطِيقُهُ؟" (يؤ ٢: ١٠ - ١١)، وحيثُ الخراب والقفر "فَأَجْعَلُ الْأَرْضَ خَرِبَةً مُقْفَرَةً، وَتَبْطُلُ كِبْرِيَاءُ عِرَّتِهَا، وَتَخْرِبُ جِبَالُ إِسْرَائِيلَ بِلَا عَابِرٍ. فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ حِينَ أَجْعَلُ الْأَرْضَ خَرِبَةً مُقْفَرَةً عَلَى كُلِّ رَجَاسَاتِهِمُ الَّتِي فَعَلُوهَا" (حز ٣٣: ٢٨ - ٢٩)، وحيثُ مواجهة الغضب الإلهي "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَسْجُدُ لِلْوَحْشِ وَلِصُورَتِهِ، وَيَقْبَلُ سِمَتَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ أَوْ عَلَى يَدِهِ، فَهُوَ أَيْضًا سَيَشْرَبُ مِنْ خَمَرٍ غَضَبِ اللَّهِ الْمَصْنُوبِ صِرْفًا فِي كَأْسِ غَضَبِهِ، وَيُعَذَّبُ بِنَارٍ وَكِبْرِيَةٍ أَمَامَ الْمَلَائِكَةِ الْقَدِيسِينَ وَأَمَامَ الْخُرُوفِ" (رؤ ١٤: ٩ - ١٠)، وحيثُ الأحداث الكونية المُرعبة "وَنَظَرْتُ لَمَّا فَتَحَ الْخَنَمَ السَّادِسَ، وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، وَالشَّمْسُ صَارَتْ سَوْدَاءَ كَمِسْحٍ مِنْ شَعَرٍ، وَالْقَمَرُ صَارَ كَالدَّمِ، وَنُجُومُ السَّمَاءِ سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ كَمَا تَطْرَحُ شَجَرَةُ التَّيْنِ سَقَاطَهَا إِذَا هَزَّتْهَا رِيحٌ عَظِيمَةٌ. وَالسَّمَاءُ انْفَلَقَتْ كَدَرَجٍ مُتَنَفِّ، وَكُلُّ جَبَلٍ وَجَزِيرَةٍ تَرَحَّرَا مِنْ مَوْضِعِهِمَا. وَمُلُوكُ الْأَرْضِ وَالْعُظَمَاءُ وَالْأَغْنِيَاءُ وَالْأُمَرَاءُ وَالْأَقْوِيَاءُ وَكُلُّ عَبْدٍ وَكُلُّ حُرٍّ، أَخْفَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَغَايِرِ وَفِي صُحُورِ الْجِبَالِ، وَهُمْ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ وَالصُّحُورِ: «أَسْقِطِي عَلَيْنَا وَأَخْفِينَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَعَنْ غَضَبِ الْخُرُوفِ"، (رؤ ٦: ١٢ - ١٦) (١٩٠)، وحيثُ القتل بأيدي الملائكة "فَإِنْفَكَّ الْأَرْبَعَةُ الْمَلَائِكَةُ الْمُعْدُونَ لِلسَّاعَةِ وَالْيَوْمِ وَالشَّهْرِ وَالسَّنَةِ، لِكَيْ يَقْتُلُوا ثُلُثَ النَّاسِ. وَعَدَدُ جُيُوشِ الْفُرسَانِ مِئَتًا أَلْفَ أَلْفٍ وَأَنَا سَمِعْتُ عَدَدَهُمْ. وَهَكَذَا رَأَيْتُ الْخَيْلَ فِي الرُّوْيَا وَالْجَالِسِينَ عَلَيْهَا، لَهُمْ دُرُوعٌ نَارِيَّةٌ وَأَسْمَانُجُونِيَّةٌ وَكِبْرِيَتِيَّةٌ، وَرُؤُوسُ الْخَيْلِ كَرُؤُوسِ الْأَسُودِ، وَمِنْ أَفْوَاهِهَا يَخْرُجُ نَارٌ وَدُخَانٌ وَكِبْرِيَتٌ. مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ قُتِلَ ثُلُثُ النَّاسِ مِنَ النَّارِ وَالْدُّخَانِ وَالْكَبْرِيتِ الْخَارِجَةِ مِنْ أَفْوَاهِهَا"، (رؤ ٩: ١٥ - ١٨)، وحيثُ نوال الويل الأبدى "وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَشْتَهُونَ يَوْمَ الرَّبِّ. لِمَاذَا لَكُمْ يَوْمَ الرَّبِّ هُوَ ظَلَامٌ لَا نُورٌ؟" (عا ٥: ١٨).

وأخيراً حيثُ السؤال المحتوم "أعطِ حساب وِكالْتِك" (لو ١٦ : ٢)، قال القس منسى يوحنا {عندما يُفْتَح الختم الثالث وهو سفر التوكيل يقول السيد المسيح لِكُل واحد "اعطِ حساب وِكالْتِك" (لو ١٦ : ٢)، لقد كُنْتَ موَكِّلاً على وزنات كثيرة مُتَنَوِّعة: كُنْتَ موَكِّلاً على جِسم فماذا عملت له؟ هل حفظت صحته بكل ما فى إِمكانك؟ هل حفظته خالياً من الشوائب؟ أو أَسَمَمْتَه بتَجَرُّع المُسكِرات وعَرَضْتَهُ بها لِلتَّضَعُّع وارْتِكاَب الأُمُور التى لا ينتج عنها إلا الضعف وانتهاك القوى؟ كيف تَصَرَّفْتَ بِعَيْنِيكَ؟ هل استعملْتَهُما فى طريق الطهارة أم النجاسة؟ هل ظنَنْتَ أن الغاية من خلقتَهُما لم تكن إلا للتمتع بالمناظر المُبهِجة والمرائى الجميلة التى تُعَرِّضُ للسقوط فى الخطيئة؟ أم استعملْتَهُما فيما هو لائق وبالأخص فى قراءة الكتب التى تُهَدِّبُكَ دينياً وأدبياً وتُرشدُكَ إلى معرفة إرادة الله من نحوك؟، ماذا عملت بِلِسَانِكَ؟ هل استعملْتَهُ فى الشَتائم والتلَفُّظ بالألفاظ القبيحة وإلقاء الفتن بين الناس والتلَفُّظ بالأغاني المُبْتَدَلَة والأنغام الشيطانية؟ أم استعملْتَهُ فى تسبيح ربك بالأنغام الروحية وفى التكلُّم مع الآخرين ببشارته وإلى غير ذلك من الأعمال الحسنة الممدوحة؟ ماذا عملت بِعَقْلِكَ؟ هل استعملْتَهُ فى عمل الشر وفى إيجاد الضغائن وتأليف الكتب والمقالات الكُفْرِية وغيرها من الأمور الضارة للعالم؟ أم استخدمْتَهُ للتفكير فى محبة إلهك وفى تأليف الكتب التى من شأنها تهذيب الآخرين وفى عمل الخير ونشر ألوية السلام بين الناس؟ لقد وَكَلْتِكَ على رُوح فهل اهتممتَ بها جيداً؟ هل اعتبرتها ذات قيمة فى نظرك وشعرتَ أنك لا تستفيد إذا ربحت العالم كله وخسرتها؟ أم أنك عشت كالبهائم التى لا تدرك؟ أيضاً وِكالْتِكَ على أُمُوال كثيرة كانت أم قليلة، فكيف تَصَرَّفْتَ بها؟ هل صرفْتَهَا فى ملذاتك وشهواتك الدنيوية؟ أم استعملْتَهَا فى عمل الخير ومُساعدة الفقراء والمُحتاجين وغير ذلك من الأعمال النافعة؟، وأيضاً أعطيتُكَ وَقْتاً فكيف قضيتَهُ؟ هل فى لعب القمار والجلوس بالمقاهى ومحلات الألعاب الرديئة وغير ذلك من الأمور الممقوتة؟ أم قضيتَهُ فى السعى وراء الأمور الضرورية لِخِلاص نفسك وفى عِبادة ربك وعمل

مشيئته وخدمة الآخرين؟ "اعطِ حسابِ وكالتك" هل أحببت الله حُباً خالصاً حقاً؟ هل كُنْتُ تقود الناس إلى الخير أم إلى الشر؟ كم قتلت بشكوكك ونميمتك؟ وكم أفسدت؟ وكم اختلست من مال غيرك؟، "اعطِ حسابِ وكالتك"، أين وضعت نفسك؟ أين جعلت صورتك؟ أين ألقيت وزنتك؟ أفى حماة الزنى الرجسة؟ أفى نجاسة الفسق وندس الفجور؟ أفى النهم والسُكر؟ أفى قبر الطمع والشراسة؟ "أعطوا حسابِ وكالتكم" أيُّها المُحبون للفضة، أيُّها الخطفة والمُرابون، أيُّها الخائنون أين وضعت قلوبكم؟ أفى قبر الجور والظلم؟ أفى لحد الخطف والنهب؟ "أعطوا حسابِ وكالتكم" أيُّها الحاقدون أين وضعت ضمائركم؟ أفى قبر الوشاية والسعاية؟ أفى لحد الإساءة والضرر؟ أفى قبر القتل والعداوة؟ "أعطين حسابِ وكالتك" أيُّها النساء الجاهلات المترخيات أين وضعت قلوبكن؟ أفى أيدي إبليس المُحتال؟ أفى أيدي السحرة والمنجمين؟ أفى التزيّن والتجمل؟ أفى تحسين الوجوه بالأدهان واللطوخ وبقية الآلات الشيطانية؟ "أعطوا حسابِ وكالتكم" هل فيكم جميعاً من يحتج أنه أخطأ جهلاً؟ أيُّها الخُطاة لو قلتم ذلك لقامت عليكم المناير وجميع أجراس الكنائس والأسفار الإلهية وخُدام الكلمة وكذَّبوكم عن غيَّتكم، ولكنكم رفضتم المعرفة لذلك أنا أرفضكم" (هو ٤ : ٦) .

عجيبٌ أنه فى نفس اللحظة التى يواجه فيها غير المُستعد هذه الأهوال القاسية يكون فيها المُستعد على السحاب مع الرب يسوع المسيح الذى طالما اشتاق لِجَرْدِ رؤيته من بعيد كالذين قال عنهم الرسول "فِي الْإِيمَانِ مَاتَ هَؤُلَاءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيَّوْهَا، وَأَقْرَبُوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلَاءُ عَلَى الْأَرْضِ" (عب ١١ : ١٣)، وما هو ذا واقفٌ على مَقَرَّةٍ منه مُنْشَغِلاً بِالتَّقَرُّسِ فى جماله الباهر وحسنه الكامل وفى جراحاته التى خَلَّصَتْهُ وكل أحبابه وذويه بل والعالم كله من سطوة الموت وقساوة عذابات الجحيم الأبدي!

الباب التاسع

كيفية الوصول للعبادة الإيجابية

متى استجاب الإنسان لنداءات الرب يسوع المسيح لِيَتَحَوَّلَ من مرحلة العبادة السلبية التي كان فيها قبلاً خائفاً مُرتعباً من الموت ومن عذابات الآخرة ومن احتمالية تأثيره السلبي بسلوكه على ذويه، لا يبلغ دُفعة واحدة لمرحلة العبادة الإيجابية التي يكون فيها مُجرداً من الخوف مُشتاقاً لَتَذَوُّقِ حلاوة يسوع ورؤية القديسين في الملكوت، ذلك لأن الطريق الروحي مع أنه كُلِّي اللذة "عند كثرة همومي في داخلي تعزياتك تلذذ نفسي" (مز ٩٤: ١٩)، "كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً" (٢كو ١: ٥)^(١٩)، إلا أن سِمته الأساسية هي الضيق والكرب "اجتهدوا أَنْ تَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ" (لو ١٣: ٢٤)، والطول "مَا دُعِيَ كُلُّ وَاحِدٍ فِيهِ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فَلْيَلْبَثْ فِي ذَلِكَ مَعَ اللَّهِ" (١كو ٧: ٢٤)، "لِذَلِكَ بِالْأَكْثَرِ اجْتَهِدُوا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ أَنْ تَجْعَلُوا دَعْوَتَكُمْ وَاخْتِيَارَكُمْ ثَابِتِينَ. لِأَنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ لَنْ تَزِلُّوا أَبَداً. لِأَنَّهُ هَكَذَا يُقَدِّمُ لَكُمْ بِسَعَةِ دُخُولٍ إِلَى مَلَكُوتِ رَبِّنَا وَمُخْلِصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الْأَبَدِيِّ" (٢بط ١: ١٠ - ١١)، "لَا يَنْبَاطُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمُ التَّبَاطُؤِ، لَكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لَا يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أَنَا، بَلْ أَنْ يُقْبَلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ. وَلَكِنْ سَيَأْتِي كُلِّصٌ فِي اللَّيْلِ، يَوْمَ الرَّبِّ، الَّذِي فِيهِ تَزُولُ السَّمَاوَاتُ بِضَجِيجٍ، وَتَنْحَلُّ الْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً، وَتَحْتَرِقُ الْأَرْضُ وَالْمَصْنُوعَاتُ الَّتِي فِيهَا. فَبِمَا أَنَّ هَذِهِ كُلُّهَا تَنْحَلُّ، أَيُّ أَنَااسٍ يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ فِي سِيرَةٍ مُقَدَّسَةٍ وَتَقْوَى؟ مُنْتَظَرِينَ وَطَالِبِينَ سُرْعَةَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، الَّذِي بِهِ تَنْحَلُّ السَّمَاوَاتُ مُلْتَهَبَةً، وَالْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً تَذُوبٌ" (٢بط ٣: ٩ - ١٢)، فنوح استمر مائة عام (تك ٥: ٣٢)، (تك ٧: ٦) يبني الفلك مواجهاً تعبيرات الناس وسُخْرِيَتَهُمْ، وإبراهيم طفق خمسة وعشرين سنة مُنْتَظِراً الابن الذي وعده به الله (تك ١٢:

(٢١: ١)، وهكذا فيعقوب كثُرَتْ أحزانه وأتعبه تارة مع عيسو الساعى لقتله (تك ٢٧: ٤١) وأخرى من لابان الذى خدمه أربعة عشرة سنة بابنتيه وست سنين بغنمه (تك ٣١: ٤١) والذى غَيَّرَ أجرته عشر مرّات (تك ٣١: ٤١)، ويوسف طالت أيامه فى الغربة (تك ٣٧: ٢٨) حيثُ العبوديّة (تك ٣٧: ٣٦) والسجن (تك ٣٩: ٢٠)، وأخيراً موسى طالت فترة تهذيبه وتأديب الله له فى البريّة أربعين سنة (خر ٣: ١)، لذلك ولكى ما يضمن الإنسان سلامة الوصول من عبادته السلبيّة إلى الأخرى الإيجابيّة خلال ذلك الطريق الضيق الكرب الطويل يلزمه لنلاّ يحيد يُمنّة ولا يُسرة (أم ٤: ٢٧) أن يتّبَع عدّة خطوات إيجابيّة ولازمة لى ما يُنَبِّت مُضيّه فى الطريق المُستقيم (أم ١٤: ١٢) أولها:

+ التدقيق^(١٩٢)

معروفٌ وجلّى أن الإنسان يميل بطبيعته للطريق الواسع الرحب حيثُ الحرّية الغاشة التى قال بطرس الرسول عن طالبيها "هُؤْلَاءِ هُمْ آبَارٌ بِلَا مَاءٍ، غُيُومٌ يَسُوقُهَا النُّوْءُ. الَّذِينَ قَدْ حُفِظَ لَهُمْ قَتَامُ الظَّلَامِ إِلَى الْأَبَدِ. لِأَنَّهُمْ إِذْ يَنْطَفُونَ بِعِظَائِمِ الْبُطْلِ، يَخْدَعُونَ بِشَهَوَاتِ الْجَسَدِ فِي الدَّعَارَةِ مَنْ هَرَبَ قَلِيلًا مِنَ الَّذِينَ يَسِيرُونَ فِي الضَّلَالِ، وَاعِدِينَ إِيَّاهُمْ بِالْحُرِّيَّةِ، وَهُمْ أَنْفُسُهُمْ عَبِيدُ الْفَسَادِ. لِأَنَّ مَا انْغَلَبَ مِنْهُ أَحَدٌ فَهُوَ لَهُ مُسْتَعْبِدٌ أَيْضًا" (٢بط ٢: ١٧-١٩)، والتى تُغريه بوسعها فتجذب به إليها مع الأكثرين مؤدّية بهم للهلاك (مت ٧: ١٣)، ولأجل ذلك الميل للوسع والرحب حَتَمَ الله على الإنسان طريقاً ضيقاً كرياً مُوجِباً عليه أن يمضى فيه مُجْتَهِداً مُدَقِّقاً ضابطاً لِنَفْسِهِ فى كل شىء "كُلُّ مَنْ يُجَاهِدُ يَضْبِطُ نَفْسَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ" (١كو ٩: ٢٥).

التدقيق ليس صعباً

قال القديس مقاريوس الكبير {فإن كان الأمر يبدو لنا صعباً (أى التدقيق) بسبب مشقة ممارسة الفضيلة ويبدو أكثر صعوبة بسبب مشورات العدو الغادرة، فانظروا أحشاء رحمة الله وطول أناته من نحونا وهو ينتظر رجوعنا، وحينما نُخطئ فهو يمدُّ يده إلينا فى انتظار توبتنا، وحينما نسقط لا يستحى أو يخجل من قبولنا واحتضاننا ثانية}.

لزوم وضرورة التدقيق الذى أوصى به الله ليس صعباً كما يبدو للكثيرين لأنه - أى التدقيق - يُعدُّ أحد الوصايا الإنجيلية التى أشار مار يوحنا الإنجيلي ضمناً إلى سهولتها فى قوله "فإنَّ هَذِهِ هِيَ مَحَبَّةُ اللَّهِ: أَنْ نَحْفَظَ وَصَايَاهُ. وَوَصَايَاهُ لَيْسَتْ ثَقِيلَةً" (١ يو ٥: ٣)، فالرب لا يُعطى وصايا يستحيل تنفيذها ولو ذاك ما كان كل الكتاب الذى هو موحى به من الله نافِعاً وصالحاً للتعليم والتقويم والتهديب (٢تى ٣: ١٦)، وما أوصى القديس بولس تلميذه تيموثاوس أن يصير قدوة فى إتمام الوصايا ليتبع أثره آخرون "لَا يَسْتَهِنُ أَحَدٌ بِحَدَاتِكَ، بَلْ كُنْ قُدْوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَلَامِ، فِي التَّصَرُّفِ، فِي الْمَحَبَّةِ، فِي الرُّوحِ، فِي الْإِيمَانِ، فِي الطَّهَارَةِ" (١تى ٤: ١٢)، وما كان قد أوصاه أيضاً أن يعكف على القراءه والوعظ (١تى ٤: ١٣) لتعليم رعيته وصايا ليس فى مقدرتهم تنفيذها والسلوك الأمين فيها !!! وهذا من ناحية.

التدقيق رد فعل طبيعى

أمّا من الناحية الأخرى، فالتدقيق فى الطريق الروحي يُعدُّ كرد فعل طبيعى لمن بدأ خطوات عبادته الإيجابية حيث الاشتياق لدخول راحة الرب "فَلَنَخَفْ، أَنَّهُ مَعَ بَقَاءِ وَعْدٍ بِالدُّخُولِ إِلَى رَاحَتِهِ، يُرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ قَدْ خَابَ مِنْهُ" (عب ٤: ١)، ومن ثَمَّ التدوُّق لحلاوة الرب يسوع الذى هو أبرع جمالاً من بنى البشر (مز ٤٥: ٢)، والتَّمَتُّع بأفراح

المدينة العتيدة "لأنَّ لَيْسَ لَنَا هُنَا مَدِينَةٌ بَاقِيَّةٌ، لَكِنَّا نَطْلُبُ الْعَتِيدَةَ" (عب ١٣ : ١٤) تلك التي أعلن عنها مار يوحنا البشير في قوله "وَأَنَا يُوحَنَّا رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُهَيَّأَةً كَعُرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا. وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: «هُوَذَا مَسْكُنُ اللَّهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا. وَاللَّهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلَهًا لَهُمْ. وَسَيَمْسَحُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عَيْنِهِمْ، وَالْمَوْتُ لَا يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلَا يَكُونُ حُزْنٌ وَلَا صُرَاخٌ وَلَا وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لِأَنَّ الْأُمُورَ الْأُولَى قَدْ مَضَتْ" (رؤ ٢١ : ٢ - ٤).

ما بين خوف العبادة السلبيّة والأخرى الإيجابيّة

فإن كان خوف المرحلة الأولى - أى مرحلة العبادة السلبيّة - هو الخوف الطبيعي والغريزي من الموت ومن العذاب الأبدى ومن احتماليّة تأثير الإنسان بنهايته المريعة على خلاص ذويه وأحبابه، فخوف المرحلة الثانية - أى مرحلة العبادة الإيجابيّة - التي شرع الإنسان في نهجها وولوجها هو الخوف من إطفاء الروح، ومن التّسبّب في الحزن ليسوع الكلّي القداسة والذي يبتغى قداسة أبنائه وطهارتهم من كل ما يشوب ويُعكّر طريق خلاصهم "أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، الْآنَ نَحْنُ أَوْلَادُ اللَّهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهَرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لِأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ. وَكُلُّ مَنْ عِنْدَهُ هَذَا الرَّجَاءُ بِهِ، يُظْهَرُ نَفْسُهُ كَمَا هُوَ طَاهِرٌ" (١ يو ٣ : ٢-٣)، "لِذَلِكَ أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، إِذْ أَنْتُمْ مُنْتَظَرُونَ هَذِهِ، اجْتَهِدُوا لِتُوجَدُوا عِنْدَهُ بِلَا دَنَسٍ وَلَا عَيْبٍ، فِي سَلَامٍ" (٢ بط ٣ : ١٤)، وإذ يصيروا بلا لوم وبلا عيب (١ تي ٦ : ١٣-١٤)، (أع ٢٤ : ١٦) لا يجد العدو في ذلك اليوم الرهيب ما يشتكى به على واحدٍ منهم.

نواحي مما يُدَقَّق فيها الإنسان

أما من بين ما وُضِعَ على الإنسان أن يُدَقَّق فيه هو:

*الخطايا البسيطة

قال أحدهم {حقاً لقد استطاع الإنسان اليوم أن يكون سيداً وملكاً على الأرض وبالأكثر إنه يُخاطر بالانطلاق إلى الفضاء، ولكن المأساة والفاجعة أنه بالرغم من كل هذا، فإنه غير قادر أن يضبط نفسه، لقد صرنا مثل الإسكندر الأكبر الذي غزا كل العالم وهو في الثالثة والعشرين من عمره حتى أنه بكى إذ لم يعد مكاناً في العالم لم يُسيطر عليه، لقد صار ملكاً على كل أحد وعلى كل شيء، ومع ذلك تَبَقَّى شيء واحد لم يعد قادراً أن يتحكم فيه، إنه نفسه، وفي النهاية فإن قاهر العالم العظيم قد قهرته الخمر}، وقال الأب أنتوني كونيارييس {حدث أن حذف شخصٌ ما شُرطةً وصلٍ (بين كلمتين)، وهذه كَلَفَت الحكومة الأمريكية ١٨,٥ مليون دولار! وقد حُذِفَت هذه الشرطة حينما أُدخِلَت معلومات لَتغذية أحد الكومبيوترات وكان المقصود من هذه المعلومات أن توجه صاروخاً نحو الكوكب فينوس، إن نقصان هذه الشرطة أرسل الصاروخ بعيداً عن اتجاهه واضطروا إلى تدميره. ويحكى فيلم "أطول يوم" الذي يروى قصةً غزو الحلفاء لفرنسا إبان الحرب العالمية الثانية أن جنرالاً ألمانياً طلب من هتلر أن يسمح له باستخدام فرق احتياطية ودبابات ليشن هجوماً مُعاكساً ضد الحلفاء، فأبلغه أحدهم قائلاً [لقد تناول هتلر قُرصاً مُنوماً ولا يُمكننا ازعاجه]، فقدم القائد الغاضب وقال [إن مصير أوروبا يتقرر من خلال قرص مُنوم]. إن شرطة وصل صغيرة، أقرصاً مُنومة، أشياء تافهة، كم تكون أحياناً ذات قيمة بالغة الأهمية في تحديد العواقب والمصائر}. وقال كاتب^(١٩٣) {عندما أتمعن أحياناً

فى العواقب الهائلة التى تنتج عن أمورٍ تافهة، يَحْتِثْنِ فكرى أن أقول [لا توجد أشياء تافهة]].

قد تخذع الخطية الإنسان ببساطتها (٢كو ١١: ٣) فلا يَكِفُّ عن المضى فيها ثقةً منه أنها لا تبعده عن الطريق المُستقيم (أم ١٤: ١٢) مع أنها هى عينها تؤول به للهلاك، تلك الخطايا البسيطة التى أسماها الرب بـ "الثعالب الصغيرة المُفسدة للكروم" قد أشار إليها مار يعقوب الرسول عندما أوضح أن موت الإنسان يبدأ بقبوله لِخَطِيَّةٍ يظنّها بسيطة "ثُمَّ الشَّهْوَةُ إِذَا حَبَلَتْ تَلِدُ خَطِيَّةً، وَالْخَطِيَّةُ إِذَا كَمَلَتْ تُنْتِجُ مَوْتًا" (يع ١: ١٥) وأشار إليها أيضاً مار بولس الرسول عندما أعلن أنها - أى الخطايا البسيطة - قد تنتقل من واحدٍ لآخر، لذلك أوصى بعدم مُخالطة الأشرار "المُعاشرات الرديئة تُفسد الأخلاق الكريمة" (١كو ١٥: ٣٣) لئلا "يُخَرَّبَ الإنسان نفسه" (أم ١٨: ٢٤) إذ يصير من الجُهَّال "رَفِيقُ الْجُهَّالِ يُضَرُّ" (أم ١٣: ٢٠) الذين يألَفون طريق الخطية (أم ٢٢: ٢٤ - ٢٥) فينالون العقاب "يَا ابْنِي اخْشَ الرَّبَّ وَالْمَلِكَ. لَا تُخَالِطِ الْمُتَقَلِّبِينَ لِأَنَّ بَلِيَّتَهُمْ تَقُومُ بَعْتَةً وَمَنْ يَعْلَمُ بَلَاءَهُمَا كِلَيْهِمَا" (أم ٢٤: ٢١ - ٢٢)، قال القديس يوحنا الدرجى {رَأَيْتُ أَطْفَالاً أَنْقِيَاءَ صَالِحِينَ جَاءُوا طَلِبَاءً لِلْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ وَالْمَنْفَعَةِ، وَلَكِنْهُمْ بِمُعَاشَرَتِهِمْ لِلصَّبِيَّانِ الْآخَرِينَ لَمْ يَنْشَأُوا فِيهَا إِلَّا عَلَى حُبِّ الْإِيزَاءِ وَالرَّذِيلَةِ}، وقال {لَا يَتَوَهَّمَنَّ أَحَدٌ أَنَّ هَذَا الْهَوَى - يَقْصِدُ الْحَقْدَ - هَيِّنٌ ضَعِيفٌ فَإِنَّهُ كَثِيرٌ مَا يُصِيبُ حَتَّى الرِّجَالَ الرُّوحَانِيِّينَ}، وأيضاً قال {لَا يَتَوَهَّمَنَّ أَحَدٌ مِنْ ذَوَى اسْتِقَامَةِ الرَّأْيِ أَنَّ خَطِيَّةَ الْكَذِبِ صَغِيرَةٌ، فَإِنَّ الرُّوحَ الْكُلِّيَّ الْقِدَاسَةَ قَدْ حُكِمَ عَلَيْهَا حُكْماً رَهِيْباً دُونَ سَائِرِ الْخَطَايَا، فَإِنَّ كَانَ اللَّهُ "يَهْلِكُ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ بِالْكَذِبِ" (مز ٥: ٦) حسب قول داود، فماذا يحل بالذين يُلَفَّقُونَ كَذِبَهُمْ بِأَقْسَامٍ؟}.

أمثلة من خطورة الخطايا البسيطة

مِمَّا يُوضَّح خطورة هذه الخطايا التي يظن مُقترفها أنها هينة بسيطة هو تأثيرها على كثيرين من المُعتَبَرين أعمدة، كيهودا الذى خدعته أولاً بِمَحبة المال تلك الشهوة التي أدَّت به لِيَصِير سارقاً للصندوق (يو ١٢ : ٤ - ٦) يَتَحَلَّى بِصِفَاتٍ تجعله يُوبَّخ وَيُبَكَّت بِغير وجه حق (يو ١٢ : ٥)، وَيُبدى استعدادَه لِعَمَلِ أى شئٍ لِإِتِمَامِ شهوته^(١٩٤) حتى وإن تَقَدَّمَ لرؤساء الكهنة وفُؤَاد الجُند مُخَطَّطاً لخيانة سيده ولو بثلاثين من الفِصَّة (مت ٢٦ : ١٥)، وكبطرس الذى جَرَّتْهُ من الثقة الشديدة بالنفس ثُمَّ تَدَرَّجَتْ معه فأعطته الإيمان الراسخ والأكيد بشجاعته التي لا يتحلَّى بها أحدٌ غيره وأخيراً انتهت به بأن أنكر الرب بقسم وبلعن وشتَم، وكداود الذى خدعته أولاً بنظرة واحدة خاطئة من على السطح لامرأة أوريا الحثي (٢صم ١١ : ٢)، ثُمَّ تَدَرَّجَتْ معه فأوحت اليه بِحَقِّهِ فى أن يُرْسِلَ ليأخذها إلى بيته (٢صم ١١ : ٣) ويضطجع معها (٢صم ١١ : ٤) وإذ تَمَلَّكَت عليه - أى الخطيئة - أوجبت عليه غِشاً وخِداًعاً (٢صم ١١ : ٧ - ١١) ومن ثَمَّ خيانةً وقتلاً (٢صم ١١ : ١٥)^(١٩٥)، وكسليمان الذى خدعته أولاً بشئٍ يبدو بسيطاً طبيعياً - من وجهة نظره - ألا وهو محبته لِنساء غريبات الجنس والمذهب ومن ثَمَّ زواجه بهُنَّ بالإضافة إلى بنت فرعون (١مل ١١ : ١) وهكذا تَدَرَّجَتْ معه فمالَت بقلبه وراء آلهتِهِنَّ ذاهباً وراء عشتاروث إلهة الصيدونيين وملكوم رجب بنى عمون (١مل ١١ : ٥) وكموش رجب المؤابيين الأمر الذى أغضب الله فقال له "مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ عِنْدَكَ، وَلَمْ تَحْفَظْ عَهْدِي وَفَرَائِضِي الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا، فَإِنِّي أَمَرْتُ الْمَمْلَكَةَ عَنْكَ تَمَزِيقاً وَأُعْطِيَهَا لِعَبْدِكَ" (١مل ١١ : ٩ - ١١).

قال الأب أنتونى كونياريس {نقرأ فى سفر نشيد الأنشاد فى العهد القديم عن الثعالب الصغيرة التي التهمت جذور الكروم ودمرت المزارع، من النادر كان يُمكن رؤيتها، إنها لم تكن من الوحوش المُفترسة التي تطوف خلصةً فى الليل والتي تجلب الدمار على المدن،

إنها مُجَرَّدُ ثعالب صغيرة، إن هذه الثعالب الصغيرة تلعب دوراً مُدَمِّراً فى حياة المسيحيين اليوم، إنها نشطة جداً فى الكنيسة}، وقال الكاتب س. س. لويس فى إحدى كتاباته عن نفس الموضوع {أصيب شيطانٌ بِدُعر عندما وجد أن الشخص المنوط به اقتياده للجحيم قد انضمَّ إلى إحدى الكنائس، فكتب خطاباً إلى رئيسه يسأله التصرُّف، فنصح الشيطان عميله ألا يقلق بل يظل مُتَابِعاً له باستمرار خصوصاً عندما يكون فى الكنيسة وحثُّه بالقول [دعه مُتَنَبِّهاً دائماً للأشياء التافهة، دَعَهُ يُرَكِّزُ انتباهه على أن الواعِظ هو شخص مُرائى وأن جذاء شخص آخر يُحَدِّثُ جلبه، وأن قُبَّعة تلك المرأة غير مُناسبة، دعه يلتفت إلى الأمور التافهة وعندئذ لن يرى المسيح على الإطلاق]]. وأخيراً قال القديس يوحنا الدرجى {لا تُصَدِّقْ من يقول لك بعد زلَّة كبيرة ألا تمتنع عن الزلَّات الصغيرة بِحِجَّة أنها ليست ذات شئٍ بإزاء تلك، فكثيراً ما كَفَّتْ غضب القاضى الشديد هدايا صغيرة}.

* خطايا اللسان

قيل عن فريدريك الأكبر عظيم بروسيا أنه كان يوماً يَتَجَوَّلُ فى طريق ضواحي برلين عندما مرَّ مُصادفةً برجل هرم^(١٩٦) جداً وبدافع حُب الاستطلاع الفضولى وقف فجأة أمام الرجل الهرم وسأله [من أنت؟]، أجابه العجوز [أنا ملك]، فسأله فريدريك باندهاش [ملك؟] على أى إماره تحكم؟]، أجابه العجوز [إنى أحكم نفسى لأنى أقدر أن أضبط وأحكم نفسى، إننى موضوع نفسى التى أتاَمَّر عليها]، وقال أحدهم {فى هذه الأيام نحن الذين قهرنا العالم وغزواناه عن طريق العلم، نحن فى خطر انغلابنا من الذات، نحن ضبطننا الطبيعة، ولكن هل نقدر أن نضبط شيئاً صغيراً مثل اللسان؟}، وقال القديس يوحنا {إن توخَّيت أن تُخْرِجَ قذى من عين غيرك وبالأحرى إن خُيِّلَ لك ذلك، لا تستعمل عوض الميل خشبة فتزداد القذى اغتراراً، إن الخشبة هى ألفاظٌ ثقيلة قَظَّة}.

مِمَّا حَدَرَ مِنْهُ الرَّبُّ كخَطَايَا تَبْدُو بِسِيْطَةِ لَكِنْهَا تَوْدَى لِلْهَلَاكِ الْاَبْدَى خَطَايَا اللِّسَانِ، وَلِذَلِكَ اَوْضَحَ اَنْ دَيْنُونَةُ الْاِنْسَانِ لَنْ تَكُوْنَ فَقَطْ عَلٰى الْقَتْلِ وَالسَّلْبِ وَالنَّهْبِ وَالزَّانَا وَإِنَّمَا اَيْضًا عَلٰى كُلِّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا (مت ١٢: ٣٦ - ٣٧) الْاَمْرَ الَّذِى اَشَارَ اِلَيْهِ يَعْقُوبُ الرَّسُولُ فِى قَوْلِهِ "لَاَنْتُمْ فِى اَشْيَاءَ كَثِيْرَةٍ تَعْتَرُّ جَمِيْعُنَا. اِنْ كَانَ اَحَدٌ لَا يَعْتَرُّ فِى الْكَلَامِ فَذَاكَ رَجُلٌ كَامِلٌ، قَادِرٌ اَنْ يُلْجِمَ كُلَّ الْجَسَدِ اَيْضًا. هُوَذَا الْخَيْلُ، نَضَعُ اللُّجْمَ فِى اَفْوَاهِهَا لِكَيْ تَطَاوَعَنَا، فَتُدِيرَ جِسْمَهَا كُلَّهُ. هُوَذَا السُّفُنُ اَيْضًا، وَهِيَ عَظِيْمَةٌ بِهَذَا الْمِقْدَارِ، وَتَسُوْفُهَا رِيَّاحٌ عَاصِفَةٌ، تُدِيرُهَا دَقَّةً صَغِيْرَةً جَدًّا اِلَى حَيْثُمَا شَاءَ قَصْدُ الْمُدِيْرِ. هَكَذَا اللِّسَانُ اَيْضًا، هُوَ عُضْوٌ صَغِيْرٌ وَيَفْتَحِرُ مُتَعَطِّمًا. هُوَذَا نَارٌ قَلِيْلَةٌ، اَيُّ وَقُوْدٍ تُحْرِقُ؟ فَالِّلِّسَانُ نَارٌ! عَالَمُ الْاِثْمِ. هَكَذَا جُعِلَ فِى اَعْضَانِنَا اللِّسَانُ، الَّذِى يَدْنُسُ الْجِسْمَ كُلَّهُ، وَيُضْرِمُ دَائِرَةَ الْكُوْنِ، وَيُضْرِمُ مِنْ جَهَنَّمَ. لِأَنَّ كُلَّ طَبْعٍ لِلْوُحُوشِ وَالطُّيُورِ وَالزَّحَافَاتِ وَالْبَحْرِيَّاتِ يُدَلُّ، وَقَدْ تَدَلَّلَ لِلطَّبْعِ الْبَشَرِيِّ. وَأَمَّا اللِّسَانُ فَلَا يَسْتَطِيْعُ اَحَدٌ مِنَ النَّاسِ اَنْ يَدُلَّهُ. هُوَ شَرٌّ لَا يُضْبَطُ، مَمْلُوءٌ سُمًّا مُمِيْنًا" (يع ٣: ٢-٨)، قَالَ الْاَبُ كَرْنِيلْيُوسُ الْمَقَارِى فِى شَرْحِهِ لِ (رؤ ٩: ١٧) {لِنَحْتَرِسَ لِأَنَّ الْاَفْوَاهَ بِالذَّاتِ هِىَ مَصْدَرُ كُلِّ خَطَاٍ وَخَطِيْئَةٍ يَقَعُ فِيْهَا الْاِنْسَانُ}.

القسم

مِنْ خَطَايَا اللِّسَانِ الْقِسْمُ الَّذِى لَا يَنْتَبِهَ الْاِنْسَانُ اِلَى خَطُوْرَتِهِ^(١٩٧) مَعَ اَنْ وَصَايَا اِنْجِيْلِيَّةٍ مُبَاشِرَةً وَوَاضِحَةً تَنْتَهِي عَنْهُ نَهْيًا تَارَةً بِفَمِ الرَّبِّ نَفْسَهُ الَّذِى قَالَ "اَيْضًا سَمِعْنُمُ اَنَّهٗ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لَا تَحْنَتْ، بَلْ اَوْفِ لِلرَّبِّ اَقْسَامَكَ. وَأَمَّا اَنَا فَاَقُوْلُ لَكُمْ: لَا تَحْلِفُوا الْبَتَّةَ، لَا بِالسَّمَاءِ لِأَنَّهَا كُرْسِيُّ اللّٰهِ، وَلَا بِالْاَرْضِ لِأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمِيْهِ، وَلَا بِأُوْرُشَلِيْمَ لِأَنَّهَا مَدِيْنَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيْمِ. وَلَا تَحْلِفُ بِرَأْسِكَ، لِأَنَّكَ لَا تَقْدِرُ اَنْ تَجْعَلَ شَعْرَةً وَاحِدَةً بَيَضَاءً أَوْ سَوْدَاءً. بَلْ لِيَكُنْ كَلَامُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ، لَا لَا. وَمَا زَادَ عَلٰى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الشَّرِيْرِ" (مت ٥: ٣٣ - ٣٧)،

وأخرى بأفواه أنبيائه ورُسُلُهُ كَمَا رِ يَعْقُوبُ الرِّسُولُ الَّذِي قَالَ "وَلَكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ يَا إِخْوَتِي لَا تَحْلِفُوا لَا بِالسَّمَاءِ وَلَا بِالْأَرْضِ وَلَا بِقِسْمٍ آخَرَ. بَلْ لِنَكُنْ نَعْمَكُمْ نَعَمْ وَلَاكُمْ لَا، لِنَلَّا تَقَعُوا تَحْتَ دَيْئُونَةٍ" (يع ٥ : ١٢).

الكلام المضيع للوقت

ثُمَّ أَنَّ مِنْ نَفْسِ هَذَا النُّوعِ أَيْضاً - أَى خَطَايَا اللِّسَانِ - الكلام المضيع للوقت الَّذِي قَالَ عَنْهُ أَلِفَاازُ التِّيمَانِي "أَلَعَلَّ الْحَكِيمَ يُجِيبُ عَنْ مَعْرِفَةٍ بَاطِلَةٍ وَيَمَلَأُ بَطْنَهُ مِنْ رِيحِ شَرْقِيَّةٍ فَيَحْتَجَّ بِكَلامٍ لَا يُفِيدُ وَبِأَحَادِيثَ لَا يَنْتَفَعُ بِهَا!" (أَى ١٥ : ١ - ٣) وَقَالَ عَنْهُ أَلِيهُو الْبُوزِي "إِنَّ أَيُّوبَ يَتَكَلَّمُ بِلَا مَعْرِفَةٍ وَكَلامُهُ لَيْسَ بِتَعَقُّلٍ" (أَى ٣٤ : ٣٥) وَهَكَذَا قَالَ عَنْهُ أَيُّوبَ "هَلْ مِنْ نِهَائِيَةِ لِكَلَامٍ فَارِغٍ. أَوْ مَاذَا يُهَيِّجُكَ حَتَّى تُجَاوِبَ؟" (أَى ١٦ : ٣) وَأَخيراً قَالَ عَنْهُ الْجَامِعَةُ "فِي كُلِّ تَعَبٍ مَنَفَعَةٌ وَكَلامُ الشَّفَقَتَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَى الْفَقْرِ" (أَمْ ١٤ : ٢٣)، لِذَلِكَ أَوْصَى بُولُسُ الرِّسُولُ تَلْمِيذَهُ تِيْمُوثَاوُسَ أَنْ يَتَجَنَّبَ كُلَّ مَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ خَطَايَا اللِّسَانِ مِنْ تَسْرُعٍ فِي اسْتِخْدَامِهِ إِلَى الْإِكْثَارِ مِنْهُ وَالَّذِي يُوَوِّلُ إِلَى قِسْمٍ مِنْ نَاحِيَةِ وَكَلَامٍ بَاطِلٍ غَيْرِ نَافِعٍ مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى إِذْ قَالَ لَهُ "يَا تِيْمُوثَاوُسُ، احْفَظِ الْوَدِيعَةَ، مُعْرِضاً عَنِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ الدَّنِيسِ، وَمُخَالَفَاتِ الْعِلْمِ الْكَاذِبِ الْإِسْمِ، الَّذِي إِذْ تَظَاهَرَ بِهِ قَوْمٌ رَاغُوا مِنْ جِهَةِ الْإِيمَانِ" (١ تِي ٦ : ٢٠ - ٢١)، الْأَمْرُ عَيْنُهُ الَّذِي قَالَ عَنْهُ الْقَدِيسُ يُوْحَنَّا الدَّرْجِي لِتَلَامِيذِهِ {رَأَيْتُ أَنَا سَاساً يَتَبَجَّحُونَ بِكَاذِيبِهِمْ وَيَنْسُجُونَ بِالْمِزَاحِ وَالْكَلَامِ الْبَاطِلِ فَنُوناً مِنْ الضَّحْكِ يُلَاشُونَ بِهِ نُوْحُ السَّامِعِينَ بِصُورَةٍ لَا يَرْتِي لَهَا}.

* خطايا الفكر

قال أحد الآباء {من أعظم الأشياء التى فى العالم هى أن تضبط نفسك ولا تدع أى شخص يُحيط بك أن يدفعك، ولا تدع أية من نزواتك وضعفائك أن تقهرك وتتسلط عليك، لا يوجد أعظم مما خلقك الله لأجله وهو أن تكون ملكاً على نفسك}، وقال آخر {كتب واحدٌ من أعظم ملوك وحكام العالم "مالك نفسه خير من مالك مدينة" (أم ١٦ : ٣٢)، إن أعظم مدينة للجميع تقع فى صدر كل إنسان [أى فى قلبه]، إن من يأخذ هذه المدينة ويحكمها هو ملك على جميع المنتصرين والفاتحين}،

وجب أيضاً على الإنسان أن يُدقق فى أفكاره لأن مُجرد "فكر الحماقة هو خطيئة" (أم ٢٤ : ٩)، لذلك قال الرب "قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لَا تَزِنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ رَزَىٰ بِهَا فِي قَلْبِهِ" (مت ٥ : ٢٧ - ٢٨) الأمر عينه الذى أوضحه سليمان الحكيم لما أشار إلى أن من يُفكر فى الشر بإصرارٍ مَنْ لا يبتغى الندم والتوبة يكون تماماً كَمَنْ أكمل الخطيئة وأتم الشر "مَنْ يُعْمَضُ عَيْنَيْهِ لِيُفَكِّرَ فِي الْأَكَاذِيبِ وَمَنْ يَعْصُ شَفَتَيْهِ فَقَدْ أَكْمَلَ شَرًّا" (أم ١٦ : ٣٠)،

من بين ما جاء عن ضبط الآباء لأفكارهم ما قيل عن الأنبا إيسيدورس قس الإسقيط الذى كان إذا أوعزت أفكاره إليه بأنه رجلٌ عظيمٌ يُجيبها قائلاً [ألعلى مثل أنبا أنطونيوس أو أصبحت مثل أنبا بموا؟] فيستريح فكره، وإذا قالت له الشياطين [إنك ستذهب إلى العذاب] يُجيبهم قائلاً [إذا مضيت إلى العذاب فسوف تكونون تحتى].

أمثله كتابية عن خطايا الفكر

وَصَحَّ كَثِيرًا هَذَا النُّوعُ مِنَ الْخَطَايَا فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، فَسَمِعَانُ الْفَرِيسِيُّ لَمْ يَدْنِ الْمَرْأَةَ الْخَاطئةَ عَلَنًا لَكِنْ فِي فِكْرِهِ (لو ٧ : ٣٩) الْأَمْرُ الَّذِي عَاتَبَهُ عَلَيْهِ الرَّبُّ قَائِلًا "أَتَنْظُرُ هَذِهِ

المرأة؟ إِنِّي دَخَلْتُ بَيْتَكَ، وَمَاءً لِأَجْلِ رِجْلَيَّ لَمْ تُعْطِ. وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ غَسَلَتْ رِجْلَيَّ بِالذُّمُوعِ وَمَسَحَتْهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا. قُبْلَةً لَمْ تُقْبَلْنِي، وَأَمَّا هِيَ فَمُنْذُ دَخَلْتُ لَمْ تَكْفَ عَنْ تَقْبِيلِ رِجْلَيَّ. بَرِيتُ لَمْ تَذْهَبْ رَأْسِي، وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ دَهَنَتْ بِالطَّيِّبِ رِجْلَيَّ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ، لِأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا. وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلًا" (لو ٧: ٤٤-٤٧)، وهيرودس الملك لم يذكر له الكتاب خطية اللهم إلا تلك التي فيها قبل بفكره مدح الشعب له كإله (أع ١٢: ٢١-٢٣)، والكنيسة المُجْتَمِعُونَ في كفر ناحوم لِسَمَاعِ الْمَسِيحِ لم يلوموه علناً لَمَّا سَمِعُوهُ يَقُولُ لِلْمَفْلُوجِ "يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ" (مر ٢: ٥) لكن في فكرهم الذي هو أمامه واضحٌ ومكشوفٌ وغير مستورٍ "فَلِلْوَقْتِ شَعَرَ يَسُوعُ بِرُوحِهِ أَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ هَكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِهِذَا فِي قُلُوبِكُمْ؟ أَيْمًا أَيْسَرُ، أَنْ يُقَالَ لِلْمَفْلُوجِ: مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ، أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟ وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لِبْنِ الْإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا»، قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «لَكَ أَقُولُ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!»" (مر ٢: ٨-١١).

مبدأ الآية الواحدة

ومع أَنَّ الْإِنْسَانَ بَعْدَ السَّقُوطِ قَدْ صَارَ مُمَيَّزًا بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ (تك ٣: ٥) إِلَّا أَنَّ الشَّرَّ يَأْتِيهِ فِي غَالِبِ الْأَحْيَانِ مُسْتَتَرًّا تَحْتَ أَحَدِ أَشْكَالِ الْعِبَادَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ وَالْفَضِيلَةِ الْخَادِعَةِ كَقَوْلِ النَّبِيِّ "هُنَاكَ طُرُقٌ تَبْدُو لِلْإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةً وَعَاقِبَتُهَا الْمَوْتُ" (أم ١٤: ١٢) لِذَلِكَ وَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يُدَقِّقَ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ وَكُلِّ فِكْرٍ الْأَمْرَ الَّذِي لِأَجْلِهِ كَانَ أَيُّوبُ يُقَدِّمُ الذَّبَائِحَ الْيَوْمِيَّةَ عَنْ سَهَوَاتِ أَبْنَائِهِ وَهَفَوَاتِهِمْ "وَكَانَ لَمَّا دَارَتْ أَيَّامُ الْوَلِيمَةِ أَنَّ أَيُّوبَ أَرْسَلَ فَقَدَسَهُمْ وَبَكَرَ فِي الْغَدِ وَأَصْعَدَ مُحَرَّقَاتٍ عَلَى عَدَدِهِمْ كُلِّهِمْ لِأَنَّ أَيُّوبَ قَالَ: «رُبَّمَا أَخْطَأَ بَنِيَّ وَجَدَّفُوا عَلَى اللَّهِ فِي قُلُوبِهِمْ». هَكَذَا كَانَ أَيُّوبُ يَفْعَلُ كُلَّ الْإِيَّامِ" (أى ١: ٥).

"يخلص كما بنار" (١كو ٣: ١٥)

أما الذين لا يسلكون بتدقيق واضعين كل رجائهم أن خلاصهم حتمى حتى ولو لم يعملوا صلاحاً استناداً لقول الرسول "عَمَلُ كُلِّ وَاحِدٍ سَيَصِيرُ ظَاهِراً لَأَنَّ الْيَوْمَ سَيَبِينُهُ. لِأَنَّهُ بِنَارٍ يُسْتَعْلَنُ وَسَتَمْتَحَنُ النَّارُ عَمَلَ كُلِّ وَاحِدٍ مَا هُوَ. إِنْ بَقِيَ عَمَلُ أَحَدٍ قَدْ بَنَاهُ عَلَيْهِ فَسَيَأْخُذُ أَجْرَهُ. إِنْ اخْتَرَقَ عَمَلُ أَحَدٍ فَسَيَخْسَرُ وَأَمَّا هُوَ فَسَيَخْلُصُ وَلَكِنْ كَمَا بِنَارٍ." (١كو ٣: ١٣-١٥) وَضِعَ عَلَيْهِمْ بَلْ وَلَزِمَ أَنْ يَسْأَلُوا أَنْفُسَهُمْ [لماذا يصير المسيحي الذي اغترف من مواهب الروح القدس وصار مدعوّاً ابناً لا عبداً ولبس الرب يسوع المسيح بالمعمودية (غل ٣: ٢٧) فى خانة من بالكاد يخلص، مع أنه كان بالأولى به بل بالأحرى مُخطط له أن ينال أكاليل الملكوت التى لا تُفنى فيمتاز نجمه عن آخرين "خلصوا كما بنار"، وربما كانوا - أى هؤلاء الآخرين - ممن نظر الله إلى حالتهم وظروفهم فوجدهم بسبب نواياهم الطيبة ممن يستحقون الخلاص بالكاد ولو بنار؟].

على أن تعبير "كما بنار" (١كو ٣: ١٥) جاء فى تفسير ثيودورت أسقف قرش (إن كان أحد بكل إخلاص يخدم ويكرز لكنّه لم يُقَدِّم الكرازة كما يليق، فإن مراحم الله تلحق به ويخلص فى يوم الرب كما بنار)، وجاء فى شرح آخر (إن لم يثبت المخدمين أمام نيران الشدائد والضيقات، أى ستحترق وتتلاشى كل أتعاب الخادم ويبعد المخدمين عن الله، سيخسر الخادم أجر خدمته لأنها كانت خدم سطحية وضعيفة، ولكن سيخلص من أجل إيمانه رغم فشله فى الخدمة، فعبارة "يخلص" تعود على الخادم الذى لن تأتى خدمته بالنتيجة المرجوة، لكن حياته الشخصية كانت بإيمان وعمل صالح، وعبارة "يخسر" تعود على الأجر عن الخدمة). ومن هنا يتضح أن الخلاص حتى ولو كان "كما بنار" (١كو ٣: ١٥) لن يكون للخائفين المتكاسلين المُكتفين بعدم اقترافهم للخطايا التى ظنّوها كبيرة

لكن للخادم من ذوى السيرة الطيبة الحسنة المتلازمة مع أعمالٍ صالحةٍ يفتتيتها لأجل نوال استحقاقات الخلاص الذى يُقدّمه المسيح مجاناً بدمه الكريم.

"خطيّه ليست للموت" (أيو ٥ : ١٦ - ١٧)

قد يتكل أيضاً من يظنّون أنّ خلاصهم حتمى ومضمونٌ بدون تدقيق على قول الرسول يوحنا "إن رأى أحدٌ أخاه يُخطئُ خطيَّةً ليست للموت، يطلبُ، فيُعْطيه حياةً للذين يُخطئونَ ليس للموت. تُوجدُ خطيَّةٌ للموت. ليس لأجلِ هذه أقولُ أن يُطلبَ. كلُّ إنمٍ هو خطيَّةٌ، وتُوجدُ خطيَّةٌ ليست للموت" (أيو ٥ : ١٦ - ١٧) ظانين أن كسلهم عن الأعمال الصالحة واكتفاءهم بما هم فيه قد يُعد من الخطايا التى ليست للموت ناسيين بذلك أن الموضوع ليس فى نوع الخطيَّة بل فى العناد والإصرار على ارتكابها، فحتى الخطايا الكبيرة كالقتل والزنا لها غفران متى استجاب الإنسان لمناخس الروح القدس نادماً مقدماً توبة وفى هذا قال أحدهم (معنى "خطيَّة ليست للموت" أى خطايا الضعف البشرى نظراً لوجودنا فى الجسد بشرط أن يُجاهد الخاطئ ويبتغى التغيير وإرضاء الله)، وقال آخر (هناك خطايا ليست للموت، ليس لأن طبيعتها غير مُميتة لكن لصدورها عن ضعف بشرى أو جهل رغم توبتنا المُستمرة، وهذه الخطايا ليست غير ملومة ولا تعني أننا لا نتوب عنها لهذا كل يوم نُصلّي قائلين "اغفر لنا ذنوبنا").

دوام الحال من المُحال

وحتى لو أخذنا برأى المُتكلمين على الخلاص "كما بنار"، وعدم توخى الحذر من الخطايا التى يُظن أنها لا تُسبب موتاً، فمن الذى يضمن لهم الخلاص، ومن الذى يضمن لهم ثبات حالتهم عند هذا الحد الذى يتكل على الخلاص "كما بنار" وعدم

تدهورهم لحال أسوأ مما هم فيه فيصيرون فى مستوى الذى فاتته الخلاص "كما بنار" بل وفاته الخلاص تماماً، وبفرض أن تفسيرات وشروحات الآباء فى وصف الخطيئة التى ليست للموت جاءت تتماشى مع معتقدهم أن خطاياهم أو بالحرى كسلهم وتوانهم وفتورهم سيُعدّوا من الخطايا التى ليست منها - أى من الخطايا التى ليست للموت - فما الذى يضمن لهم أيضاً سلامة التفسير؟ ولماذا يضع الإنسان نفسه فى شك والمعروف أن الإنسان متى سلك بتدقيق شديد حتماً سيُزلُّ فى واجدة أو أكثر من الوصايا الإلهية، لكنه بسهولة وبيسرٍ قد يرجع نادماً باكياً مُسارعاً إلى التوبة، أمّا مَنْ يختار الطريق الواسع سالكاً بحرّية غاشة تستعبد السائرين فيها والمتكلمين عليها لا يقدر بسهولة أن يرجع تائباً باكياً نادماً إذ يكون قد ابتعد كثيراً مُنحرفاً عن الطريق المُستقيم تماماً مثلما أن الطالب الذى يجتهد لنوال درجة التفوّق قد يحظى بدرجة عالية أو على الأقل درجة معقولة، أما الذى لا يجتهد مُكتفياً بدرجة النجاح لا ينجح أبداً.

ومن هنا نفهم أن تدقيق الإنسان فى طريقه الروحى هو بمثابة اللجام الذى يُقيّد ميله للشر والخطية لأن "كُلَّ تَصَوُّرٍ أَفْكَارٍ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شَرِيرٌ كُلَّ يَوْمٍ" (تك ٦: ٥). تحكى قصة أنه كان يوجد رجلٌ عجوزٌ يشتكى من الألم والجهد فى نهاية كل يوم، فسأله صديق [لماذا كل هذا الألم الذى تشكو منه؟] فأجابه العجوز [إنى أعمل أعمالاً مُضنيّة كل يوم، يوجد عندى بازان - نوع من الصقور - على كل يوم أن أروضهما، وكذلك أربان يلزم أن أحرصهما من الجرى خارجاً، وصقران على أن أقودهما وأدربهما، وحيّة على أن أحاصرها، وأسد على أن أحفظه دائماً مُقيّداً فى قفص حديدى، ومريض على أن أعتنى به وأخدمه]، قال الصديق [ما هذا كله، لا بد أنك تضحك لأنه حقاً لا يوجد إنسان يُراعى كل هذه الأشياء مرّة واحدة]، قال الشيخ [حقاً إننى لا أضحك ولكن ما أقوله هو الحقيقة المُحزنة ولكنها الهامة، إن البازين هما عيناى وعلى أن أحرصهما باجتهاد ونشاط،

والأرنبيين هُما قدمائى وعلىَّ أن أحفظهُما من السير فى طريق الخطيَّة، والصقيرين هُما يداى وعلىَّ أن أدربهُما على العمل حتى تَمدَّانى بما أحتاج وما يحتاج إليه الآخرون من إخوتى، والحيَّة هى لسانى الذى علىَّ أن ألجمه حتى لا ينطق بكلام معيب وشائن، والأسد هو قلبى والذى يوجد لى معه حرب مُستمرة كى لا تخرج منه أمورٌ شريرة، أمَّا الرجل المريض فهو جسدى كله والذى يحتاج دائماً إلى يقظتى وعنايتى وانتباهى، إن هذا العمل اليومى هو ما يستنفذ عافيتى].

+ النمو

سأل رَجُلٌ شاباً فى المدرسة الثانويَّة [ماذا ستفعل عندما تنتهى من دراستك؟]، [سوف ألتحق بالكلية]، [نُتَمَّ ماذا؟]، [نُتَمَّ أود أن أصبح مُحامياً ناجحاً]، [نُتَمَّ ماذا؟]، [نُتَمَّ سأشتري منزلاً جميلاً فى ضواحي المدينة وأكوِّن أسرة]، [نُتَمَّ ماذا؟]، [وأمل أن أصير قاضياً يوماً ما]، [نُتَمَّ ماذا؟]، [نُتَمَّ أود أن أقوم برحلة حول العالم]، [نُتَمَّ ماذا؟]، [أظن إنى فى نهاية الأمر سأموت مثل غيرى من الناس]، [نُتَمَّ ماذا؟]، أجب الشاب قائلاً [حسناً لم أفكر كثيراً عن ماذا سيحدث لى بعد الموت].

فائدة طلب النمو

هكذا وبنفس الحال لَزِمَ على السالك فى الطريق الروحى أن يُدرك الهدف أو بالحرى الخطوة التالية لتدقيقه فى وصايا الرب وإلا لفترت عزيمته وخارت قواه عن المضى فيها إلى نهايتها فيصير بلا روح "وَيْلٌ لِلْقَائِلِ لِلْعُودِ: اسْتَيْقِظْ! وَلِلْحَجَرِ الْأَصَمِّ: انْتَبِهْ! أَهْوِ يَعْلَمُ؟ هَا هُوَ مَطْلَبُي بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَا رُوحَ الْبَيَّةِ فِي دَاخِلِهِ" (حب ٢: ١٩)، وبلا ثمر "قُلْ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَلْ تَنْجَحُ؟ أَفَلَا يَقْلَعُ أُصُولُهَا وَيَقْطَعُ ثَمَرُهَا فَتَنْبَسَ؟ كُلُّ مَنْ أَوْزَقَ

أَغْصَانَهَا تَبْيَسُ، وَلَيْسَ بِذِرَاعٍ عَظِيمَةٍ أَوْ بِشَعْبٍ كَثِيرٍ لِيَقْلَعُوهَا مِنْ أَصُولِهَا. هَا هِيَ الْمَغْرُوسَةُ، فَهَلْ تَنْجَحُ؟ أَلَا تَبْيَسُ بَيَّسًا كَأَنَّ رِيحاً شَرْقِيَّةً أَصَابَتْهَا؟ فِي حَمَائِلِ نَبْتِهَا تَبْيَسُ» (حز ١٧: ٩ - ١٠)، من ناحية، بل وفي تَشَكُّكٍ يُبْعِدُهُ عَنْ تَعَزِيَّاتِ الْمَسِيحِ الَّتِي تُلَذِّذُ نَفْسَهُ مَعَ كُلِّ اجْتِهَادٍ لَهُ فِي إِحْدَى الْوَصَايَا الَّتِي يُدَقِّقُ وَيُضَيِّقُ عَلَى نَفْسِهِ فِي إِتْمَامِهَا مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى.

ثُمَّ أَنْ إدْرَاكَ الْإِنْسَانِ لَذَاكَ الْهَدَفِ الَّذِي لِأَجْلِهِ يُدَقِّقُ فِي إِتْمَامِ وَصَايَا الرَّبِّ يَعْطِيهِ نُمُوًّا فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَلَى حِدَةٍ فَيَصِيرُ مُحِبًّا لِلصَّلَاةِ بَعْدَمَا كَانَ كَارِهًا لَهَا، مُحِبًّا لِلْعَطَاءِ بَعْدَمَا كَانَ لَا يَكْتَرِثُ بِالْفُقَرَاءِ، مُحِبًّا لِلْأَعْدَاءِ بَعْدَمَا كَانَ لَا يَحِبُّ حَتَّى الْأَقْرَبَاءِ، مُتْلَذِّذًا بِالرَّبِّ بَعْدَمَا كَانَ مُجَدِّفًا عَلَيْهِ، مُدْرِكًا لِهَدَفٍ وَلِمَعْنَى الْحَيَاةِ بَعْدَمَا كَانَ بَلَا هَدَفٍ فِيهَا الْأَمْرَ عَيْنَهُ الَّذِي قَالَ عَنْهُ مَارِ بَطْرُسُ الرَّسُولِ "لَأَنَّ هَذِهِ (أَيَّ التَّدْقِيقِ) إِذَا كَانَتْ فِيكُمْ وَكَثُرَتْ، تُصَيِّرُكُمْ لَا مُتَكَاسِلِينَ وَلَا غَيْرَ مُثْمِرِينَ (بَلْ فِي نُمُو) لِمَعْرِفَةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (٢بط ١: ٨). قَالَ أَحَدُهُمْ {فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ نَوْجِدْ لِنَقْفِ جَامِدِينَ، نَحْنُ خُلِقْنَا لِأَجْلِ أَنْ نَتَحَرَّكَ، نَسْتَمِرَّ فِي الْحَرَكَةِ، نَسْتَمِرَّ فِي النُّمُو، لِنَبْحَثَ عَنِ الْكَمَالِ، نَتَوَجَّدَ أَوْقَاتٍ نَنْجَحُ فِيهَا وَأَوْقَاتٍ نَفْشَلُ فِيهَا، وَلَكِنَّا سَوْفَ لِنَتَعَلَّمَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَنْ نَجَاحُنَا وَفَشَلُنَا، وَسَوْفَ نَجْعَلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ مَعْبَرًا إِلَى إِنْجَازَاتٍ أَفْضَلَ وَأَرْقَى}.

فائدة التَّدْرِجِ فِي النُّمُو

فَإِنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ أَوْصَى الْإِنْسَانَ بِطَلَبِ النُّمُو "وَأَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ فَابْتَئُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى إِيْمَانِكُمْ بِالْقُدْسِ، مُصَلِّينَ فِي الرُّوحِ الْقُدْسِ" (يه ٢٠) لِكَيْ مَا يَحْمِيهِ مِنَ الْإِنْحِدَارِ أَوْ مِنَ التَّوَقُّفِ عِنْدَ نَفْسِ الدَّرَجَةِ الْأُولَى - أَيْ التَّدْقِيقِ - وَالرَّضَى عَنْهَا فَالْأَجْدَرُ بِهِ - أَيْ بِالْإِنْسَانِ - أَنْ يَبْدَأَ بِالتَّدْقِيقِ لِكَيْ مَا يَنْمُو فِي الطَّرِيقِ الرُّوحِيِّ إِذْ لَا يَسْتَطِيعُ بُلُوغَ الدَّرَجَةِ

الثانية قبلما يعبر على الأولى مثلما أنه لا يستطيع بلوغ الثالثة قبل مُضيه على الثانية، فأهل تسالونيكي لم يصلوا للدرجة التي فيها يطوبهم الرسول "تَشْكُرُ الله كُلَّ حِينٍ مِنْ جِهَةِ جَمِيعِكُمْ، ذَاكِرِينَ إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِنَا، مُتَذَكِّرِينَ بِلَا انْقِطَاعٍ عَمَلٍ إِيْمَانِكُمْ، وَتَعَبٍ مَحَبَّتِكُمْ، وَصَبْرٍ رَجَائِكُمْ، رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، أَمَامَ اللهِ وَأَبِينَا" (١ تس ١: ٢ - ٣)، "وَأَنْتُمْ صِرْتُمْ مُتَمَثِّلِينَ بِنَا وَبِالرَّبِّ، إِذْ قَبِلْتُمْ الْكَلِمَةَ فِي ضَيْقٍ كَثِيرٍ، بِفَرَحِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، حَتَّى صِرْتُمْ قُدُوةً لَجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ فِي مَكِدُونِيَّةَ وَفِي أَخَايَةِ" (١ تس ١: ٦ - ٧) إلا بعدما اجتازوا المرحلة الأولى التي أظهروا فيها رغبتهم الشديدة للرجوع إلى الله من عبادة الأوثان "لأنَّهُمْ هُمْ يُخْبِرُونَ عَنَّا أَيُّ دُخُولٍ كَانَ لَنَا إِلَيْكُمْ، وَكَيْفَ رَجَعْتُمْ إِلَى اللهِ مِنَ الْأَوْثَانِ لَتَعْبُدُوا اللهَ الْحَيَّ الْحَقِيقِيَّ، وَتَنْتَظِرُوا ابْنَهُ مِنَ السَّمَاءِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، يَسُوعَ، الَّذِي يُنْفِذُنَا مِنَ الْغَضَبِ الْآتِي" (١ تس ١: ٩ - ١٠)، وأهل أفسس لم يبلغوا درجة القربى الشديدة للرب "وَلَكِنْ الْآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا بَعِيدِينَ صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ" (أف ٢: ١٣) إلا بعدما قبلوا الإيمان به "لِذَلِكَ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ سَمِعْتُ بِإِيْمَانِكُمْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَمَحَبَّتِكُمْ نَحْوَ جَمِيعِ الْقَدِيسِينَ" (أف ١: ١٥). وهكذا فبولس الرسول لم يبلغ أكاليل البر "قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الْإِيْمَانَ، وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبَرِّ، الَّذِي يَهْبُهُ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّبُّ الدِّيَانُ الْعَادِلُ" (١ تي ٤: ٧ - ٨) إلا بعدما احتمل أتعاباً وضيقاتٍ لا حصر لها "أَهْمُ خُدَّامُ الْمَسِيحِ؟ أَقُولُ كَمْخَتَلُ الْعَقْلُ: فَأَنَا أَفْضَلُ. فِي الْأَتْعَابِ أَكْثَرُ. فِي الضَّرَبَاتِ أَوْفَرُ. فِي السُّجُونِ أَكْثَرُ. فِي الْمَيِّتَاتِ مَرَارًا كَثِيرَةً. مِنَ الْيَهُودِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَبِلْتُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً إِلَّا وَاحِدَةً. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ضُرِيتُ بِالْعِصِيِّ. مَرَّةً رُجِمْتُ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ انْكَسَرَتْ بِي السَّفِينَةُ. لَيْلًا وَنَهَارًا قَضَيْتُ فِي الْعُمُقِ. بِأَسْفَارٍ مَرَارًا كَثِيرَةً. بِأَخْطَارٍ سَيُولِ. بِأَخْطَارٍ لُصُوصٍ. بِأَخْطَارٍ مِنْ جِنْسِي. بِأَخْطَارٍ مِنَ الْأُمَمِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْمَدِينَةِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْبَرِّيَّةِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْبَحْرِ. بِأَخْطَارٍ مِنْ إِخْوَةٍ كَذَبَةٍ. فِي تَعَبٍ وَكَدٍّ.

فِي أَسْهَارٍ مِرَارًا كَثِيرَةً. فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ. فِي أَصْوَامٍ مِرَارًا كَثِيرَةً. فِي بَرَدٍ وَعُزْيٍ. عَدَا مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ: التَّرَاكُمُ عَلَيَّ كُلِّ يَوْمٍ. الْإِهْتِمَامُ بِجَمِيعِ الْكَنَائِسِ" (٢كو ١١: ٢٣ - ٢٨).

+ الامتناع عن كل شر وشبهه شر

متى بدأ الإنسان الطريق الروحي بالتدقيق في وصايا الرب ومن ثمَّ النمو فيها يهبه الله البصيرة الروحية "تعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق" (١يو ٥: ٢٠) لكي ما يصير مُمَيِّزًا ليس فقط الشر بل وأيضاً شبه الشر^(١٩٨) كوصية الرسول "إِمْتَنِعُوا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ شَرٍّ" (١تس ٥: ٢٢)، وبعدما سلك بتدقيق شديد خشية أن يأتيه الشر مُستترًا تحت ستار أحد أشكال العبادة المُستقيمة طفق لا يجهل أفكار الشيطان وحيله مُمَيِّزًا لِكَثِيرٍ من حركاته وإغراءاته لينطبق عليه قول الرسول "كَانَ أَنَاثُ مِنْكُمْ. لَكِنْ اغْتَسَلْنَاهُ بَلِّ تَقَدَّسْتُمْ بَلِّ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ الْهِنَا. كُلُّ الْأَشْيَاءِ تَحُلُّ لِي لَكِنْ لَيْسَ كُلُّ الْأَشْيَاءِ تَوَافِقُ. كُلُّ الْأَشْيَاءِ تَحُلُّ لِي لَكِنْ لَا يَتَسَلَّطُ عَلَيَّ شَيْءٌ" (١كو ٦: ١١ - ١٢)، وقول النبي "مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ شَرٍّ مَنَعْتُ رِجْلِي لِكَيْ أَحْفَظَ كَلَامَكَ. عَنْ أَحْكَامِكَ لَمْ أَمِلْ لِأَنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتَنِي" (مز ١١٩: ١٠١ - ١٠٢)، ومن ثَمَّ يُتِمَّم بسهولة^(١٩٩) ما قد أوصى به مار بولس الرسول لَمَّا قَالَ "لِيَتَجَنَّبِ الْإِنَّمُ كُلُّ مَنْ يُسَمِّي اسْمَ الْمَسِيحِ" (٢تى ٢: ١٩)، قال القديس يوحنا الدرجي لمتى جاهد الإنسان الجهاد الحسن يتكوَّن عنده حسَّ روحي يُمَيِّزُ به الإيحاءات الصالحة والشريرة، وَيَبَيِّنُ مشيئة الله بيقين في كل حين وفي كل الحالات، وهذا الحسَّ النَّيِّرُ هو فضيلة التمييز بل موهبة التمييز وهي مبنية على فضائل البساطة والوداعة والبراءة والتواضع}. وقال الأب موسى في إحدى مُناظراته مع يوحنا كاسيان لَمَّا كُنْتَ فِي منطقة the baid حيثُ يقطن الطوباوي أنطونيوس، حدث أن جاءه جماعة من الآباء يسألونه عن "الكمال" واستمرت المُناقشة حتى الصباح، وأخذ

هذا السؤال النصيب الأكبر من الليل، وقد نوقش أى الفضائل أقدر على حفظ الإنسان من مكائد الشياطين وحيله، حيث تَحَدَّث كل واحد حسب ميول عقله وفكره فقال البعض إن الجهاد فى الصوم والسهَر يُقَوِّم الفكر ويُنَقِّى القلب ويُسَهِّل للإنسان التَّقَرُّب إلى الله، ومنهم مَنْ قال إن المسكنة والزهد فى الأمور الأرضية يُمَكِّن العقل أن يكون خالياً من هموم العالم فيتحرر نحو الله وذكر البعض أعمال المحبة وفعل الرحمة وهكذا، وأخيراً تكلم الطوباوى أنطونيوس فقال [حقاً إن كل هذه الأمور التى ذكرتموها نافعة ومفيدة وضرورية وتُعِين الْمُتَعَطِّشِينَ إلى الله والراغِبِينَ فى الاقتراب منه، لكن هناك حوادث لا حصر لها لا تسمح لنا أن نقول بأن هذه فى ذاتها تهبنا العطايا العظمى، فالبعض مارسوا الصوم والسهَر وانسحبوا إلى الوحدة بقصد ترك كل شئ ومع هذا وجدناهم يسقطون فجأة، ويُمكننا إذا تتبعنا بدقة أسباب انهيارهم وسقوطهم نعرف الأمر الرئيسى الذى يقودنا إلى الله، فإذا تزايدت فيهم أعمال الفضائل المذكورة نقصهم التمييز، وهذا منعهم من الاستمرار فى الجهاد، وسبب سقوطهم الواضح هو عدم أخذهم بتعاليم الآباء الكافية التى بها يحصلون على الحكمة والتمييز فتطرفوا فى جانب من جوانب الفضيلة، فالتمييز يُعَلِّم الإنسان أن يسير فى الطريق الملوكى، من غير أن يسمح له بالتطرف يميناً فى الفضيلة أى المَغَالاة وتجاوز حدود الاعتدال فى جسارة ووقاحة كما لا يسمح له بالكسل]].

+ الكمال

أخيراً يصل الإنسان للدرجة التى كان يظنها مُستحيلة البلوغ مع كونها وصية إلهية بفرم الرب الذى قال "كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل" (مت ٥: ٤٨)، "إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع كل مالك وأعط الفقراء وتعال اتبعنى حاملاً

الصليب" (لو ١٨ : ٢٢)، ومن ثَمَّ يصير "إنسان الله كاملاً، مُتَأَهِّباً لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ" (٢تى ٣ : ١٧) ويكون مُرَكَّباً كوصية مار بولس الرسول "اجْتَهِدْ أَنْ تُقِيمَ نَفْسَكَ لِلَّهِ مُرَكَّباً، عَامِلاً لَا يُخْزَى، مُفَصَّلاً كَلِمَةً الْحَقِّ بِالِاسْتِقَامَةِ" (٢تى ٢ : ١٥)، وَيُصْبِحُ قَلْبُهُ كاملاً أمام الرب كدعوة النبي "فَلْيَكُنْ قَلْبُكُمْ كاملاً لَدَى الرَّبِّ إِلَهِنَا إِذْ تَسِيرُونَ فِي فَرَائِضِهِ وَتَحْفَظُونَ وَصَايَاهُ كَهَذَا الْيَوْمِ" (١مل ٨ : ٦١)، "لِيَكُنْ قَلْبِي كاملاً فِي فَرَائِضِكَ لِكَيَّ لَا أَخْزَى" (مز ١١٩ : ٨٠). قال أحد الآباء^(٢٠٠) {نادراً ما يخلو الإنسان من أمور يؤاخذ ويُلَام عليها، فنحن نسير في طريق الكمال النسبي والقداسة هي نسبية بالنسبة إلى الكمال المطلق والقداسة المطلقة لله، ليت شهوة الكمال تتملك علينا فنسعى بحذر شديد لنكون بالحقيقة "بلا لوم" (أف ١ : ٤) وبلا عثرة}.

فإن كان الله لا يُعْطَى الإنسان وصايا مُستحيلة التنفيذ، فكافة وصاياه بضرورة التدقيق الذى يؤدَّى للنمو الذى يهب التمييز بين الخير والشر بل وشبه الشر ومن ثَمَّ يُوَهِّلُ للكمال هى حقاً مُمكنة التنفيذ استناداً على مؤازرة الروح الذى يهب مُتَمِّمَهَا اليقين الثابت والراسخ بحقيقة الإعلان الإلهي القائل "إن نيرى هَيِّنَ وحملى خفيف" (مت ١١ : ٣٠)، وكما أنه لا يقدر واحدٌ أَنْ يُقَرَّ بِصِحَّةِ خِيفَةِ نِيرِ الرب إلا متى بدأ فى حمله ومن ثَمَّ يتأكد عملياً من خِفَتِهِ، هكذا فَمَنْ يتكلم عن هذه الدرجات دون أن يبدأ عملياً فى إتمامها^(٢٠١) مُسْتَنِدّاً على وعد الرب الذى قال فيه "بدونى لا تقدرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئاً" (يو ١٥ : ٥) يشعر باستحالة ليس فقط بلوغ نهايتها بل وأيضاً مُجَرَّدَ البدء فيها!

†

الباب العاشر

ارتباط وثيق

خطية واحدة تجر خطايا عدة

قد يظن الإنسان خطأ أن سلوكه في الطريق الروحي أمرٌ مُستحيلٌ إذ أنه يوجب عليه الاجتهاد في كل فضيلة وفي كل عمل صالح على حدة مما يستلزم منه جهداً مضاعفاً يثق تماماً أنه لا يتصف ولا يتحلّى به فتفتّر عزمته ومن ثمّ يُكمل بالجسد بعدما يكون قد ابتدأ بالروح (غلا ٣: ٣)، لكن الحقيقة أن الطريق الروحي مُتداخِلٌ ومُترابطٌ ارتباطاً وثيقاً كارتباط روح الإنسان بجسده^(٢٠٢)، فخطية واحدة قد تجر معها خطايا أخرى^(٢٠٣) كقول الرسول "مَنْ حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة فقد صار مُجرماً في الكل" (يع ٢: ١٠)، "ثمّ الشهوة إذا حبلت تلد خطية والخطية إذا كُملت تنتج موتاً" (يع ١: ١٥). وهكذا كقول القديس إبيفانيوس {ألم تلاحظوا كيف أن كلمة واحدة تستطيع أن تخلف وراءها سلسلة من الكلام، وكيف أن كل كلمة تُؤلّد سلسلة من الأفكار، وسلسلة الأفكار تتحول إلى سلسلة بدايات وأفعال شريرة؟}.

أمثلة كتابية

فحسد قايين لأخيه (تك ٤: ٥) أدّى به إلى القتل (تك ٤: ٨) وطمع لوط (تك ١٣: ١٠) كاد يؤدّي به للهلاك (تك ١٩: ١٢ - ١٣)، وشهوة داود أدت به لغشٍ ولخداعٍ ومن ثمّ لقتلٍ. وعدم ضبط سليمان النبي لنفسه في إحدى الفترات (جا ٢: ٣ - ١١) أدّى به للانسياق وراء شهوة الإكثار من الزوجات والسرائر ومن ثمّ مال وراء آلهتهنّ (١ مل ١١: ٤ - ٨). وهكذا فطمع يهوذا أدّى به للتحلّى بصفاتٍ بغيضةٍ منها أنه يُوبّخ الخاطئة في

وجود الديان العادل الذى غفر لها (يو ١٢: ٤-٦) الأمر الذى آل به لِعِشٍ وخِدَاعٍ فى إحجامه عن إعلان السبب الحقيقى الذى لأجله يُوبَّخُ ساكبة الطيب، وإذ تَمَلَّكَتْ عليه شهوة الطمع ذهب إلى خيانة سيده مُظهِراً جده لجميل من اختاره مانحاً إياه سُلْطَاناً وهيبةً من ناحية وراداً لخيرهِ بشرٍ من ناحية أخرى وكل هذا أدَّى به لليأس والهلاك الأبدى، وأخيراً رغبة هيرودس فى استتارة عجب اليهود وإعجابهم للاحتفاظ بمنصبه أدَّى به لَتَجْبُرٍ وغطرسةٍ فقتل يعقوب أبا يوحنا بالسيف وبعدها أمسك بِبُطرس وأودعه فى السجن (أع ١٢: ١-٤) الأمر الذى آل به لِكبرياء من لا يُعطى المجد لله بل يَغْتَصِبُهُ لِنَفْسِهِ حال مدحهم إياه "هذا صوت إله لا إنسان" (أع ١٢: ٢٢) ومن ثَمَّ هلك بيد الملاك الذى ضربه فأكله الدود مات (أع ١٢: ٢٣).

قال أحد الآباء عن تداخل الخطايا وترابطها معاً {الحقد ثمرة الغضب وادّخار الخطايا ومقت للبر واضمحلال للفضائل وسُم للنفس ودودة للعقل وخزى للصلاة وقطع للتضرُّع واغتراب عن المحبة وخطية مُسْتَمِرّة وشر قائم فى كل ساعة}، وقال {من احتكاك الحجر والحديد تتولّد النار، ومن كثرة الكلام والمزاح يَتَوَلَّدُ الكذب الذى يُطْفِئُ المحبة وفيه إنكار الله}، وأيضاً قال {المُراءاة أم الكذب وكثيراً ما تكون قياساً له، فإن البعض يقولون بأن المُراءاة ليست سوى تنميق للكذب وتزويق مدموج بالحلفان ومجدول معه}، وأخيراً قال {كل رذيلة غير الضجر تُبْطِلُ فضيلة واحدة، أمّا الضجر فهو موت كامل لكل فضائل الراهب}.

فضيلة واحدة تُجَرِّ فضائل عدّة

هكذا وبنفس الحال ففضيلة أو عملٌ صالحٌ واحدٌ يؤدِّي لغيره فى تَسَلُّسٍ وترابطٍ بديع يُظهِرُ حقيقة خِفة نير الرب (مت ١١: ٣٠) الذى أوصى بلزوم إتمام كافة وصاياه التى

قد تبدو صعبة لكثيرين، فَضبط الإنسان لنفسه فى كل شئ (١كو ٩ : ٢٥) إنما يؤدّى به للسلوك بحكمة من جهة الذين هُم من خارج الإيمان (كو ٤ : ٥) ومن ثَمَّ لِإتمام الوصايا الإلهية الأمرة بالكراسة للعالم كُلّه (مر ١٦ : ١٥)، "تَكُونُونَ لِي شُهُوداً فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ أَلِيَهُودِيَّةٍ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ" (أع ١ : ٨)^(٢٠٤)، وسلوك الإنسان بسيرة حسنة (١بط ٢ : ١٢) يؤدّى به لاجتذاب الجميع لِعدم التجديف على الاسم الحسن (رو ٢ : ٢٤)، وعناية الإنسان بِعَدْوِهِ (رو ١٢ : ٢٠) إِنَّمَا يُثَبِّتُ لَدِيهِ الْوَصِيَّةَ الْأَمْرَةَ بِمَحَبَّةِ الْأَعْدَاءِ (مت ٥ : ٤٤) فيصير بالتبعية مُحِبّاً لِلأَقْرَبَاءِ "تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" (مر ١٢ : ٣١)، وهكذا فَمَغْفَرَةُ الْإِنْسَانِ لِلْمُخْطِئِ إِلَيْهِ "اغفروا...." (لو ٦ : ٣٧) يَقْوَى ثِقَتُهُ فِي غُفْرَانِ اللَّهِ لَهُ "...." يُغْفَرُ لَكُمْ" (لو ٦ : ٣٧)، وَرَحْمَةُ الْإِنْسَانِ الَّتِي يَتَعَطَّفُ بِهَا عَلَى الْمَسْكِينِ (مز ٤١ : ١) تَهْبِهِ امْتِيازاً وَحِظُوَّةً لَدَى اللَّهِ فَيَسْتَجِيبُ لِنِدَائِهِ وَلِصَرَخَاتِهِ (أم ٢١ : ١٣) مِنْ نَاحِيَةٍ، وَتَمْنَحُهُ الْبَرَكَةَ (أم ٢٢ : ٩) الَّتِي بِهَا يُمَجِّدُ خَالِقَهُ (أم ١٤ : ٣١) مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، وَمُعَاتَبَةُ الْإِنْسَانِ لِلْمُخْطِئِ إِلَيْهِ (مت ١٨ : ١٥) تُكْسِبُهُ الطَّوْبَى الَّتِي طَوَّبَ بِهَا الرَّبُّ صَانِعِي السَّلَامِ "طَوْبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ، لِأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ يُدْعَوْنَ" (مت ٥ : ٩) وَالَّتِي أَوْصَى بِهَا يُولَسُ الرِّسُولُ عِنْدَمَا قَالَ "إِنْ كَانَ مُمَكِّناً فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ" (رو ١٢ : ١٨)، وَهَكَذَا فَعَمَلُ الصَّوْمِ (مت ٦ : ١٦) يُوَهِّلُ لِلْعَتَقِ مِنَ الْأَرْوَاحِ النَّجِسَةِ (مت ١٧ : ٢١)، وَعَمَلُ الصَّلَاةِ (لو ١١ : ٢) يُوَدِّى تَدْرِيجِيّاً لِلجَّاجَةِ فِيهَا "يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلَا يَمُلْ" (لو ١٨ : ١)، "صَلُّوا بِلَا انْقِطَاعٍ" (١تس ٥ : ١٧).

من هذا كُلِّهِ نُدْرِكُ تَمَامَ الْإِدْرَاكِ أَنَّ إِتِمَامَ الْإِنْسَانِ لِأَحَدَى الْوَصَايَا الْإِنْجِيلِيَّةِ يَجْتَذِبُهُ طَوْعاً وَيُسْرًا لِإِكْمَالِ بَقِيَّتِهَا غَيْرِ شَاعِرٍ بِثِقَلِ نِيرِ إِتِمَامِهَا وَإِتْيَانِهَا، وَبِعَدَمِ كَانِ يَظُنُّهَا مُسْتَحِيلَةَ الْحَمْلِ فَإِذْ هِيَ نَفْسُهَا تَحْمِلُهُ بِقُوَّةِ الرُّوحِ الْكَامِنِ فِيهَا، فَتُحْيِيهِ مَتَى اعْتَرَتْهُ ظُلْمَةُ الْمَوْتِ "احْفَظْ وَصَايَايَ فَتَحِيَا" (أم ٤ : ٤)، "لَا تَبْرَحْ عَنْ عَيْنَيْكَ. احْفَظْهَا فِي وَسْطِ قَلْبِكَ" (أم ٤ : ٢١)، "احْفَظْ وَصَايَايَ فَتَحِيَا وَشَرِيعَتِي كَحَدَقَةِ عَيْنِكَ" (أم ٧ : ٢)، وَتَشْفِيهِ مَتَى

صار سقيماً عليلاً من جرّاء حيدانه عنها ونسيانها لها "لأنّها هي حياة للذين يجدونها ودواء لكلّ الجسد" (أم ٤ : ٢٢).

†

ما يلي خطوات الوصول للعبادة الإيجابية

هكذا وبنفس درجة ارتباط وتداخل شرور الإنسان وحسناته يتربّط ويتداخل موضوعنا في تزامن بديع يؤكّد خفة نير الرب الذي قال "تعلّموا مني لأنّي وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم فإن نيري هين وجملتي خفيف" (مت ١١ : ٣٠)، فاستعداد الإنسان تخوفاً من الموت وما يتبعه من العذاب الأبدي - للمتوانين واللاهين - ومن احتمالية التأثير على الأحياء مع أنه يُعدّ أحد أشكال العبادة السلبية، إلا أنه يؤدّي بالسالك فيه إلى العبادة الأكثر نضوجاً - أي العبادة الإيجابية - التي يشترك من خلالها لتذوّق حلاوة يسوع المسيح على الأرض كعربون يُنبّئ في طريق اجتهاده، وفي السماء كنتيجة طبيعية لمن سلك بتلك الأمانة في الطريق الروحي الكرب والضيق^(٢٠) حيث يُعّين عظمة الرب وجماله وبهاءه من ناحية، وبنال المجد والفرح إذ يصير في ديمومة الوجود في حضرته من ناحية أخرى، تلك العبادة الإيجابية تحدو به للتدقيق في وصايا الرب فينمو مُتدرّجاً مُغتصباً لنفسه البصيرة الروحية (١ يو ٥ : ٢٠) التي تهبه التمييز والإفراز فيمتنع عن كل شر و "شبه شر" (١ تس ٥ : ٢٢)، ومن ثمّ يصل للكمال النسبي "كونوا كاملين كما أن أباكم كامل" (مت ٥ : ٤٨) الذي يؤدّي به لتلذّذ (مز ٣٧ : ٤) يؤوّل به إلى:

١} الفرح المَقَدَّس

قال أحدهم^(٢٠٦): {بدون فرح تكون التقوى والصلاة بلا نعمة، نظراً لأن قوتها تكمن في الفرح، بدون إعلان هذا الفرح تكون المسيحية مُبْهَمَة، الفرح ليس هو أحد مكونات المسيحية فقط، بل هو التناسق النغمي الذي يخرق كل شيء}، وقال آخر {الفرح المَقَدَّس هو نبض الحياة}، وقال القديس سيرافيم ساروفسكي {روح الله يملأ كل ما يلمسه بالفرح}، وهكذا قال القديس يوحنا ذهبي الفم في إحدى عِظاته عن القيامة المجيدة {ادخلوا إذاً كُلُّكُمْ إلى فرح المسيح، أيها الأغنياء والفقراء اطربوا بالجزاء على حد سواء، أيها الذين صاموا والذين لم يصوموا افرحوا اليوم، المائدة مُعَدَّة فَتَنَعَمُوا كُلُّكُمْ ولا يخرج أحدٌ جائعاً، لا يحزن أحدٌ على فقره لأن الملكوت ظهر، لا يبكي أحدٌ على زَلَّاته في كآبة لأن الغُفران قد أُشرق من القبر، لا يَخَف أحدٌ من الموت لأن موت الرب قد حرَّرنَا، أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟ قام المسيح وأنتِ صُرِعتِ، قام المسيح والشياطين تساقطت، قام المسيح والملائكة ابتهجوا، قام المسيح والحياة تحرَّرت، قام المسيح ولن يبقى في القبر ميتٌ، لأن المسيح بقيامته من الأموات صار باكورة الراقدين فله المجد والعزة إلى دهر الدهور آمين}.

الفرح غاية الله للإنسان

تَلَذُّذ الإنسان ببسوع الذي سبق وبدأ في الاستعداد للقاءه ثُمَّ انتهى إلى الاشتياق الدؤوب لهذا اللقاء يلهبه الفرح المَقَدَّس الذي ليس هو فقط وصية إنجيلية عَبَّرَ عنها النبي في قوله "اهْتَفِي لِلرَّبِّ يَا كُلَّ الْأَرْضِ. اهْتَفُوا وَرَتِّبُوا وَغَنُّوا. رَتِّبُوا لِلرَّبِّ بِعُودٍ. بِعُودٍ وَصَوْتِ نَشِيدٍ. بِالْأَبْوَابِ وَصَوْتِ الصُّورِ اهْتَفُوا قُدَّامَ الْمَلِكِ الرَّبِّ" (مز ٩٨: ٤-٦)^(٢٠٧) وأشار إليها الله في قوله "لَأَنِّي هَنَنْدَا خَالِقُ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةٍ وَأَرْضاً جَدِيدَةً فَلَا تُذَكِّرُ الْأُولَى وَلَا تَخْطُرُ

عَلَى بَالٍ. بَلْ افْرَحُوا وَابْتَهِجُوا إِلَى الْأَبَدِ فِي مَا أَنَا خَالِقٌ لَأَنِّي هَنَذَا خَالِقٌ أُورُشَلِيمَ بِهَجَةٍ
وَشَعْبَهَا فَرَحًا. فَأَبْتَهِجْ بِأُورُشَلِيمَ وَأَفْرَحْ بِشَعْبِي وَلَا يُسْمَعُ بَعْدُ فِيهَا صَوْتُ بُكَاءٍ وَلَا صَوْتُ
صُرَاخٍ" (إش ٦٥: ١٧ - ١٩) وأوصى بها الرسول لَمَّا قَالَ "افْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ
وَأَقُولُ أَيْضًا افْرَحُوا" (فى ٤: ٤)، إنما هو أَيْضًا - أى الفرح المُقَدَّس - غاية وهدف الله
للإنسان مُنْذُ أَنْ خَلَقَهُ عَلَى صُورَتِهِ وَمِثَالِهِ وَأَعْطَاهُ سُلْطَانًا عَلَى كَافَةِ خَلْقِهِ (تك ١:
٢٦)، وَمَنْحَهُ قُدْرَةً عَلَى إِكْثَارِ الْأَرْضِ وَإِعْمَارِهَا (تك ١: ٢٨)، وَوَهَبَهُ شَرَفًا بِالتَّمَتُّعِ الدَّائِمِ
بخدمته "هَكَذَا فَلْيَحْسِبْنَا الْإِنْسَانَ كَخْدَامِ الْمَسِيحِ وَوُكَلَاءِ سَرَائِرِ اللَّهِ" (١ كو ٤: ١) كَأَشْرَفِ
رُتَبِ الْمَلَائِكَةِ وَطَعَمَاتِهِمْ مِنْ بَيْنِ الَّذِينَ سَمِعَهُمُ النَّبِيُّ يَقُولُونَ "قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ
الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الْأَرْضِ" (إش ٦: ٣) وَنَظَرُهُمُ الرَّائِي خَارِينَ أَمَامَ الْعَرْشِ الْإِلَهِيِّ
قَائِلِينَ "أَمِينَ! الْبَرَكَةُ وَالْمَجْدُ وَالْحِكْمَةُ وَالشُّكْرُ وَالْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالْقُوَّةُ لِإِلَهِنَا إِلَى أَبَدِ الْآبِدِينَ.
أَمِينَ" (رو ٧: ١٢).

الفرح حتى مع أصعب الظروف

وَلَا دَلِيلٌ عَلَى ثَبُتِ هَذَا الْمَبْدَأِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي لِلْفَرَحِ مِنْ أَنَّهُ - أَى الْفَرَحِ - صَارَ بَشَارَةً
أَعْلَنَ عَنْهَا اللَّهُ لِأَدَمَ وَحَوَاءَ حَتَّى بَعْدَمَا أَسْقَطَا أَنْفُسَهُمَا مِنَ الْفَرَحِ الدَّائِمِ - الَّذِي مَدَعَا
الْوُجُودَ الدَّائِمَ فِي حَضْرَتِهِ الْإِلَهِيَّةِ - بِأَكْلِهِمَا مِنَ الشَّجَرَةِ! إِذْ أُعْطِيََا الْوَعْدَ بِالْخَلَاصِ (تك
٣: ١٥) كَعَرَبُونَ لِهَذَا الْفَرَحِ الَّذِي فَقَدُوهُ وَالَّذِي اسْتَرْجَعَهُ لَهُمُ الْمَسِيحُ كُليَّةً فِي مِلْءِ الزَّمَانِ
وَإِذَا مَلَكَ الرَّبُّ وَقَفَ بِهِمْ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ، فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا. فَقَالَ لَهُمُ
الْمَلَائِكَةُ: لَا تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أَبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ" (لو ٢: ٩ - ١٠)،
وَوَظَّهَرَ بَعْنَةً مَعَ الْمَلَائِكَةِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَائِيِّ مُسَبِّحِينَ اللَّهَ وَقَائِلِينَ: الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي
الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ" (لو ٢: ١٣ - ١٤) يَوْمَ أَنْ تَجَسَّدَ مِنْ

الروح القدس ومن مريم العذراء مُعلناً عن هذا الهدف وتلك الغاية فى قوله "إِنْ حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ تَتَبُنُّونَ فِي مَحَبَّتِي، كَمَا أَنِّي أَنَا قَدْ حَفِظْتُ وَصَايَا أَبِي وَأَثْبُتُ فِي مَحَبَّتِهِ. كَلِمَتُكُمْ بِهَذَا لِكِي يَثْبُتَ فَرَحِي فِيكُمْ وَيُكَمَّلَ فَرَحُكُمْ" (يو ١٥ : ١٠ - ١١).

الفرح عند آباء الكنيسة وقديسيها

هذا الفرح عُدَّ أيضاً منهجاً ومسلكاً عند آباء الكنيسة وقديسيها فى كتاباتهم وصلواتهم، فى صلاة الساعة السادسة نقول (نصرخ إليك ونشكر لك لأنك ملأت الكل فرحاً أيها المُخَلَّص لما أَتَيْتَ لِتُعِينِ الْعَالَمَ)، وفى صلاة تُتلى قبل التناول نقول (واحسبني مُسْتَحِقّاً أَنْ آخُذَ مِلءَ الْبَهْجَةِ فِيكَ حَتَّى يُمَكِّنِي أَنْ أُعَظَّمَ مَجِيئَكَ الْأَوَّلَ وَالثَّانِي رَاقِصاً بِالْفَرَحِ)، وهكذا فعندما نُدْهِنُ فى سر المعمودية، تُرَتِّمُ هذه الصلاة {تُقَدِّمُ لَكَ الْمَجْدَ، هَبْ لَهُ (أَيَّ لِلْمُعَمَّدِ) أَنْ يَتَمَتَّعَ بِرُوحِيَّةِ أَفْرَاحِ أُورُشَلِيمَ طَوَالَ حَيَاتِهِ}، وفى صلاة ما بعد التناول نقول أيضاً {وهكذا بعد أَنْ أَصْرِفَ حَيَاتِي عَلَى رَجَاءِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، سَأُصِلُ يَوْماً مَا إِلَى الرَّاحَةِ السَّامِدِيَّةِ، حَيْثُ لَحْنُ الْمُعَيَّدِينَ الَّذِي لَا يَنْقُطُ، وَاسْتِمْرَارُ لَذَّةِ الْمُشَاهِدِينَ لِجَمَالِ وَجْهِكَ الَّذِي لَا يُوصَفُ}، وفى إحدى عِظَاتِ الْقَدِيسِ أَغُسْطِينُوسِ يَقُولُ عَنْ ثَبَاتِ فَرَحِنَا فِي الرَّبِّ {افْرَحُوا فِي الرَّبِّ لَا فِي الْعَالَمِ، افْرَحُوا فِي الْحَقِّ لَا فِي الشَّرِّ، افْرَحُوا فِي رَجَاءِ الْأَبَدِيَّةِ لَا فِي زَهْرَةِ الْغُرُورِ الْبَاطِلَةِ وَالزَّائِلَةِ، هَذَا هُوَ الطَّرِيقُ لِلْفَرَحِ، أَيْنَمَا كُنْتُمْ عَلَى الْأَرْضِ وَمَهْمَا طَالَ بِقَاوُكُمْ عَلَيْهَا ااعْلَمُوا أَنَّ الرَّبَّ قَرِيبٌ، فَلَا تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ}. ثُمَّ أَنَّ الْقَدِيسَ يُوْحَنَّا الدَّرَجِيَّ يَكْتُبُ أَيْضاً عَنْ هَذَا الْفَرَحِ فَيَقُولُ {ذَلِكَ الَّذِي تَسْرِبُ بِالْدمُوعِ الدَّاخِلِيَّةِ بِحَسَبِ اللَّهِ، لَا يَتَوَقَّفُ أَبَداً عَنِ الْاِحْتِقَالِ - أَيْ الْأَفْرَاحِ - وَيَعْرِفُ ضَحْكَ النَّفْسِ الرُّوحَانِيَّ}. وفى كِتَابِ الرَّاعِي لِهِرْمَاسٍ نَقْرَأُ عَنْ هَذَا الْفَرَحِ {صَلَاةُ الْإِنْسَانِ الْحَزِينِ لَيْسَتْ لَهَا قُوَّةُ الصُّعُودِ إِلَى مَذْبَحِ اللَّهِ}، وَهَكَذَا يَتَكَلَّمُ بَعْضُ آبَاءِ الْكَنِيسَةِ عَنِ الصَّلَاةِ كَمَصْدَرٍ لِلْفَرَحِ فَيَقُولُ الْقَدِيسُ سَمْعَانَ الْلاهُوتَى {وَنَحْنُ مُبْتَدِئُونَ، تَكُونُ الصَّلَاةُ مِثْلَ نَارٍ مِنَ الْفَرَحِ مُضْطَرَمَّةٌ فِي الْقَلْبِ}،

ويقول القديس مار إسحق السريانى {عندما يصير قلبى هائماً وغير مُنزعج من جزاء الصمت المُتواصل، تتفجر أمواج من الفرح دون انقطاع لِنبهج قلبى}.

المسيحية مُبشرة بالفرح

هكذا كانت المسيحية مُنذُ بداءتها إعلاناً عن الفرح، الفرح الوحيد المُمكن على الأرض، إن كل فرح اعتدنا تسميته فرحاً واعتبرناه مُمكناً أثبتت لنا المسيحية إنه غير مُمكن، لكن ومن قلب الاستحالة ومن عمق هذه الظلمة بشرت المسيحية بفرح جديد شامل، وبهذا الفرح حولت النهاية إلى بداية، بدون إعلان هذا الفرح تكون المسيحية مُبهمّة، إن الكنيسة انتصرت على العالم فقط بالفرح، لكنها خسرت العالم عندما خسرت هذا الفرح، عندما كَفَّت عن الشهادة بثقة لهذا الفرح^(٢٠٨).

لماذا الفرح

نحن نفرح لأن الرب يسوع قد جعل من هذه الحياة الأرضية طريقاً ومدخلاً يُوَدّي إلى السماء، نبتهج لأن أعظم أفراحنا هُنا ما هي إلا مُجرّد ثمار أولى وتذوّق مبدئي للفرح الأبدي الذى سوف نختبره فى السماء، نحن نفرح لأن الرب يسوع قد غلب العالم، ومن ثمّ فقد أعطانا النُصرة على الخطيّة والألم والموت، فإن كان المسيح قد غلب العالم ويدعونا أن نشترك فى هذه الغلبة، ألا يكون من غير المعقول إن كُنّا لا نختبر فرحاً لا حد له؟ نحن نفرح لأن الله أحبنا وبذل ابنه الوحيد حتى لا نهلك بل تكون لنا حياة أبدية، نحن نفرح لأن أكثر التجارب سعادة اختبرناها على الارض ما هي إلا مُجرّد مُشهيات لما سنتذوقه فى السماء، نحن نبتهج لأن مسرة أبونا السماوى هي فى إعطائنا الملكوت كما قال "لا تخف أيّها القطيع الصغير فإن أباكم سرّ أن يُعطيكم الملكوت" (لو ١٢ : ٣٢)،

نحن نفرح لأننا بواسطة الصلاة والإفخارستيا يمكننا أن ندخل إلى حضرة الله حيث ملء البهجة^(٢٠٩).

* تحقيق وعد الخلاص^(٢١٠)

إذا كان الحزن الذى يعترى الإنسان مدعاة عدم ضمانه لحياة الخلود فى النعيم الأبدى فالمسيحى يفرح ويبتهج بتحقيق الرب يسوع المسيح وعده لآدم وحواء بخلاصهما مع كافة جنسهما ونسلهما حيث "مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفُرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسْطِ مُسَمَّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ، (كو ٢ : ١٤)، وهكذا صار الإنسان فى عِثْقٍ من عاقبة الموت الذى سببته له الخطيئة (رو ٥ : ١٢) بل وصار أيضاً مُصَالِحاً مع الله (رو ٥ : ١٠) بعدما كان فى عداوة معه (أف ٢ : ١٤ - ١٥)، كما نقول فى إحدى صلوات الأجيبة المقدسة {أَنْتِ هِيَ الْمُتَمَلِّئَةُ نِعْمَةً يَا وَالِدَةُ الْإِلَهِ، نُعْظَمُكَ لِأَنَّ مِنْ قَبْلِ صَلَيبِ ابْنِكَ انْهَيْطَ الْجَحِيمُ وَبَطِلَ الْمَوْتُ، أَمْوَاتًا كُنَّا فَنَهَضْنَا وَاسْتَحَقَقْنَا الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ وَنَلْنَا نَعِيمَ الْفَرْدَوْسِ الْأَوَّلِ، مِنْ أَجْلِ هَذَا نُمَجِّدُ بِشُكْرِ غَيْرِ الْمَائِتِ الْمَسِيحِ إِلَهَنَا} ونقول فى ذوكصولوجيَّة عيد القيامة {بِقُوَّتِهِ أَبْطَلَ الْمَوْتَ وَجَعَلَ الْحَيَاةَ تُضَى لَنَا} الأمر عينه الذى أعلنه مار يوحنا الإنجيلى فى قوله "وَهَذِهِ هِيَ الشَّهَادَةُ: أَنَّ اللَّهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهَذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ فِي ابْنِهِ. مَنْ لَهُ الْإِبْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنٌ اللَّهُ فَلَيْسَتْ لَهُ الْحَيَاةُ" (يو ٥ : ١١ - ١٢)، "فَإِنَّ الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الْآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا" (يو ١ : ٢).

* مغفرة الخطايا (٢١١)

إن كان حُزن الإنسان مدعاة أيضاً عدم ضمانه لمغفرة الله لخطاياها، فالمسيحي يفرح بكفارة المسيح اللانهائية والتي شملت البشرية جمعاء "إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا، ليس خطايانا فقط بل لخطايا العالم كله" (١ يو ٢: ٢)، "إِنْ قُلْنَا إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيئَةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِيْنَا. إِنْ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (١ يو ١: ٨ - ٩)، تلك الكفارة التي قدمها مجاناً للإنسان على خشبة الصليب والتي لأجل نوال لمح رمزي وبصيص تشبيهي منها التزم اليهود قديماً بتقديم ذبائح دموية مُستَمرة لا حصر لها كخطية الفرد (لا ٤: ١ - ١٢)، وكخطية الجماعة (لا ٤: ١٣ - ٢١)، وهكذا في بقية أنواع الخطايا كما يتضح من (لا ٥، ٦، ٧).

قال الأب أنتوني كونياريس {أمكن للإنسان انذاك أن ينظر في أعماق نفسه، ماذا يرى؟ كل شئ في داخله مملوء بالفرح الإلهي، ولم يعد بداخله حزن الخطية، ولا الخوف من الموت، فخبرة الغفران تجلب للنفس فرحاً غير عادى تُذَكَّر بالفرح العظيم الذى استقبل به الأب ابنه الضال فى بيته، محبة، فرح، حنان، احتفال، فقال الأب لعييده "أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الْأُولَى وَاللِّسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتِماً فِي يَدِهِ، وَجِدَاءً فِي رِجْلَيْهِ، وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَادْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ، لِأَنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ مَيِّتاً فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًّا" (لو ١٥: ٢٢ - ٢٤)، فكيف لا نفرح عندما يستقبلنا الله فى بيته كَمُخْلَصٍ وليس كقاضٍ؟.

* اجتياز ظلمة الهاوية

إن كان الإنسان يحزن لحتمية اجتيازه لظلمة الموت الأمر الذى يعترى الذين هم من خارج (كو ٤: ٥) والذين سبق موتهم قيامة الرب أبراراً كانوا أم أشراراً (تك ٤٢: ٣٨)،

(عد ١٦ : ٣١ - ٣٣)، فالمسيحي يفرح لأن المسيح عَوْضاً عنه قبل أن "ينزل إلى أقسام الأرض السفلى" (أف ٤ : ٩) لكي ما يُبَشِّرَ الذين في السجن (١بط ٣ : ١٨ - ١٩) بالخلاص الذي طالما انتظروه " (عب ١١ : ١٣) ولم يُدركوه (مت ١٣ : ١٧)، الأمر عينه الذي يجيء في إِبْصَالِيَّاتِ القيامة وذوكصولوجياتها من كتاب التسبحة السنوية حيث تقول عن الرب {بقوته أبطل الموت وجعل الحياة تُضَى لنا، وهو أيضاً الذي مضى إلى الأماكن التي أسفل الأرض، بوابو الجحيم رأوه وخافوا وأهلك طلاقات الموت فلم تستطع أن تمسكه، سحق الأبواب النحاس وكسر المتاريس الحديد وأخرج مُختاريه بفرح وتهليل، وأصعدهم معه إلى العلا إلى مواضع راحته، خلصهم لأجل اسمه وأظهر قوته لهم}، على أن الرب يسوع لم ينزل إلى أقسام الأرض السفلى لكي ما يُبَشِّرَ المُمسكين بها راجعاً بهم إلى موضعهم الأول فقط إنما أيضاً لكي ما يُصْعِدَهُمْ معه مُقيماً إياهم عن يمينه في مجده السرمدى "وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجَلَسْنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (أف ٢ : ٥ - ٦).

شهوة الموت عند الآباء القديسين

ثُمَّ وبعدما كان الموت يُمَثِّلُ خشيةً وظُلْمةً ورُعباً صار فرحاً ولَذَّةً وشوقاً حتى أن القديس ساروفيم ساروفسكى كان ينظر إليه كشئٍ مُفْرِحٍ داعياً إياه (الموت المُفْرِح)، وقد قال لِرَاهِبَةٍ كانت تخشى الموت {الموت بالنسبة لنا لا يعنى سوى الفرح}، كما أنه علَّم أن أى شئ يلمسه الله - حتى الموت - يُحَوِّلُهُ إلى فرح، وكانت التحية التي يستعملها على مدار السنة (المسيح بهجتى قام!)، ونفس الأمر عن (الموت المُفْرِح) أشار إليه الأب شميمين حينما قال {الموت هو لقاء مع الرب لذلك هو كُلُّهُ فرح، آه أيها الرب أية مسافة نبعد عن مثل هذا الحُب الذي يهزم خوف الموت فينا} وأوضحه الأب أنتوني كونيارييس

فى قوله {ما هى أضخم عقبة للفرح؟ أليست هى عقبة الموت؟ ومع ذلك ألم يتحطم الموت بواسطة قيامة المسيح التى نشترك فيها نحن من خلال سر المعمودية المقدسة؟ ألم يتحطم الموت ويتغير إلى حياة أبدية؟}. جاء عن أسقف أفريقي على مقاطعة تيبوكا يُدعى فيلكس أنه إذ حُكِمَ عليه بالإعدام بِحد السيف صَلَّى قائلاً {أشكر يا رب، كم أنت رحيم، لأنك منحتنى هذا الانعتاق والتحرر!}، وعندما بلغ الموضع الذى سَيُقتل فيه صَلَّى قائلاً {أشكر يا الله، عشتُ ٥٦ سنة فى العالم، حَفَظْتَ أَنْتَ نفسى فى البتولية، اتبعتُ وصايا الإنجيل، بشرتُ بالإيمان وكرزتُ بالحق وحده، يا إله السماء والأرض، يا يسوع المسيح أيها الطويل الأناة، أنا أحنى رقبتى كذبيحة لك وحدك، المجد والعظمة لك وحدك فى كل الدهور}.

* بهجة الخلاص (٢١٢)

إن كان الإنسان يفرح متى وُهِبَتْ له إحدى أصغر العطايا وأكثرها زوالاً، فكم وكم يكون فرح المسيحي بخلاص الرب العظيم، ذاك الذى شعر به داود النبى فَتَغَنَّى قائلاً "طَهَّرْنِي بِالزُّوْفَا فَاطْهَر. اغْسِلْنِي فَأَبْيَضَ أَكْثَرُ مِنَ النَّجِّ. أَسْمِعْنِي سُرُوراً وَفَرَحاً فَتَبْتَهِجَ عِظَامٌ سَحَقَتْهَا" (مز ٥١: ٧-٨)، "رُدَّ لِي بَهْجَةً خَلَاصِكَ وَبِرُوحٍ مُنْتَدِبَةٍ اعْضُدْنِي" (مز ٥١: ١٢)، وأحسَّ به إشعياء النبى فقال "فَرَحاً أَفْرَحُ بِالرَّبِّ. تَبْتَهِجُ نَفْسِي بِالْهِى لَأَنَّهُ قَدْ أَلْبَسَنِي ثِيَابَ الْخَلَاصِ. كَسَانِي رِدَاءَ الْبَرِّ مِثْلَ عَرِيسٍ يَتَزَيَّنُ بِعِمَامَةٍ وَمِثْلَ عَرُوسٍ تَتَزَيَّنُ بِحُلِيِّهَا" (إش ٦١: ١٠)، وتتبأ عنه زكريا الكاهن قائلاً "وَأَنْتَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ نَبِيُّ الْعَلِيِّ تُدْعَى، لِأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ لِشِعْدَ طَرَفِهِ. لِنُعْطِي شَعْبَهُ مَعْرِفَةَ الْخَلَاصِ بِمَغْفَرَةِ خَطَايَاهُمْ" (لو ١: ٧٦-٧٧) الأمر الذى عاينته كافة البشرية عقب قيامة الرب كما نقول فى قطع الساعة التاسعة {عندما نظرت الوالدة الحمل والراعى مُخْلِصَ العالم على

الصليب مُعلّقاً قالت وهى باكية [أمّا العالم فيفرح بقبوله الخلاص، وأمّا أحشائي فتلتهب عند نظرى إلى صليبوتك الذين أنت صابر عليه من أجل الكل يا ابنى والهى]].

لماذا الحُزن؟

فإن كان الرب يسوع المسيح هو الذى خلق الإنسان وأحبّه وأسلم ذاته لأجل أن يُصعدَهُ من الهاوية ويُنجّيه من بين الهابطين فى الجُب (مز ٣٠: ٣) ويُحسِن إليه ويُقَدِّ نفسه من الموت وعينيه من الدموع ورجليه من الذلل (مز ١١٦: ٧ - ٨) ويغفر كل خطاياه (عب ٢: ١٧) ومن ثَمَّ يُصَيِّرُهُ أَهْلاً لِنَدْوُقِ عربون الأفراح السماوية على الأرض "وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بَيْتاً أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَباً أَوْ أُمّاً أَوْ امْرَأَةً أَوْ أَوْلَاداً أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الْآبَدِيَّةَ" (مت ١٩: ٢٩) إلى أن يَتَمَتَّعَ بها كُلِّيَّةً فى السماء، فالسؤال الذى لزم على المسيحى حينذاك هو (لماذا الحُزن؟) عِوَضاً عن سؤاله التقليدى (لماذا الفرح؟).

٢} الفرح فى كل الظروف

قال أحد الآباء ليوحنا كاسيان {بالنسبة للمؤمن الحقيقى، جميع الأمور تعمل معاً لخيرهِ، فهو الرجل الأشول الذى يستخدم يده اليسرى كأنها يد يُمْنى، فيستخدم الأفراح وتَمَتُّعُهُ بالأفراح الزمنية كيد يُمْنى بها يشكر الله ويُسَبِّحُه، ويستخدم الأحزان والضيقات كيد يُسرى بها يحتمل بصبر شاكراً الله، وفى حالة التعزية الروحية والفرح - كيد يُمْنى يَتَعَبَّدُ لله بغيرة واشتياق، وفى حالة الفتور الروحى كيد يُسرى لا يَكِفُّ عن المثابرة والجهاد من أجل محبته للرب}.

إذا كان الهدف الأسمى والأعظم للإنسان هو نوال الخلاص الأبدي بحيث أن قيمته - أى هذا الهدف - تفوق بما لا يُقاس أية أهداف أخرى مهما عَظُم شأنها وكَثُرَتْ فائدتها، فلا شك أن فرح المسيحي بخلاص يسوع الذى قدمه مجاناً للبشرية جمعاء على خشبة الصليب يؤول به للفرح فى كافة الظروف الصعبة^(٢١٣) التى يواجهها خلال أيام غربته على الأرض تحقيقاً للعقاب الإلهي الذى صار لآدم وحواء ولكافة نسلهما من بعدهما (تك ٣: ١٦-١٩)، ذلك العقاب الذى أعلن أيوب عن نتيجته لما قال "الإنسان مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعباً" (أى ١٤: ١)، وأشار إليه موسى النبى فى صلاته قائلاً "أَيَّامٌ سِنِينَا هِيَ سَبْعُونَ سَنَةً وَإِنْ كَانَتْ مَعَ الْقُوَّةِ فَنَمَانُونَ سَنَةً وَأَفْخَرُهَا تَعَبٌ وَبَلِيَّةٌ لِأَنَّهَا تُفْرَضُ سَرِيعاً فَتَطِيرُ" (مز ٩٠: ١٠)، ومن هذه الأتعاب:

+ الأمراض

متى أدرك المسيحي الفرح بخلاص المسيح الذي قَدَّمَهُ للبشرية مجاناً على خشبة الصليب المُقَدَّسَةِ حيث "دان الخطية فى الجسد" (رو ٨: ٣) بأن "جَرَدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلَاطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَاراً، ظَافِراً بِهِمْ فِيهِ" (كو ٢: ١٥) يطفق غير مُكْتَرِبٍ لأمراضٍ قد تعترى ذلك الجسد الضعيف المُلتَحِف به والذى ورث طبيعته التى فسدت من حيث كونه وُلِدَ لآدم وحواء (رو ٥: ١٢) بعدما أفسدا طبيعتهم بالخطية الأولى فى الفردوس (تك ٣: ٢٢)، ويصير غير مُثَقِّلٍ بأفكارٍ فيها يُعَاتَب الله الذى أوجب عليه أمراضاً بسبب خطاياها^(٢١٤)، وهكذا نصير له البصيرة الروحية فيُدرك الحق (يو ٥: ٢٠) موقناً أن تلك الأمراض هى بمثابة:

١ { **اللجام** الذى يُقَيِّدُ الخاطئ عن إتيان الخطية التى سببت له ذلك المرض الأمر الذى أوضحه بطرس الرسول فى قوله "من تألم بالجسد كف عن الخطية" (١بط ٤: ١)،

وكشف عنه الرب عندما أعلن لمريض البركة أن خطاياه كانت السبب في مرضه الذى لازمه ثمانية وثلاثين عاماً (يو ٥ : ٥) ^(٢١٥)، الأمر عينه الذى أظهره بولس الرسول حينما أشار إلى أن المرض قد يكون عاقبة من يتجاسر على التقدم للتناول من جسد الرب ودمه بدون استحقاق "وَلَكِنْ لِيَمْتَحِنَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ وَهَكَذَا يَأْكُلُ مِنَ الْخُبْزِ وَيَشْرَبُ مِنَ الْكَأْسِ. لِأَنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْنُونَةً لِنَفْسِهِ غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ. مِنْ أَجْلِ هَذَا فَيَكُمُ كَثِيرُونَ ضَعَفَاءُ وَمَرْضَى وَكَثِيرُونَ يَرْقُدُونَ" (١ كو ١١ : ٢٨ - ٣٠)، وكل هذا مدعاة محبة المسيح الذى جعل هذه الأمراض كلجام يُقَيِّدُ الخاطئ عن الاستمرار فى الاستهانة حتى تتخسه مناحس التوبة فيستفيق نادماً تائباً باكياً تماماً كمرض أيوب الذى كان له بمثابة اللجام الذى قيده عن الاسترسال فى الافتخار بذاته (أى ٢٩ : ١٩ - ٢٠)، وبأعماله الصالحة (أى ٢٩ : ١٢)، لينتهى بقوله "هَآ أَنَا حَقِيرٌ فَمَاذَا أَجَابُكَ؟ وَضَعْتُ يَدَيَّ عَلَى فَمِي. مَرَّةً تَكَلَّمْتُ فَلَا أَجِيبُ وَمَرَّتَيْنِ فَلَا أَزِيدُ" (أى ٤٠ : ٤ - ٥). قال الأب أنتونى كونياريى {أحياناً نكون فى قمة الكبرياء والرضا والكفاية بأنفسنا لدرجة أننا لا نجد مكاناً ليسوع، وربما تخبو صحتنا، أو نفقد مُمتلكاتنا أو وظيفتنا، أو يضل أحد أبنائنا أو يتحطم بيتنا أو يموت أحد أحبائنا، فلا نعود مُكتفين بذواتنا فيما بعد، وحينذاك يُمكننا إدراك أن يسوع المسيح يُحاول جذب انتباهنا} ^(٢١٦).

٢ {الامتحان} الذى به يختبر الأب المُحب أولاده ليعرف مدى محبتهم له كامتحانه لليهود "إِذَا قَامَ فِي وَسْطِكَ نَبِيٌّ أَوْ حَالِمٌ خُلماً وَأَعْطَاكَ آيَةً أَوْ أُعْجُوبَةً وَلَوْ حَدَّثْتَ الْآيَةَ أَوْ الْأُعْجُوبَةَ الَّتِي كَلَمَكَ عَنْهَا قَائِلاً: لِنَذْهَبَ وَرَاءَ إِلَهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا وَنَعْبُدْهَا فَلَا تَسْمَعْ لِكَلَامِ ذَلِكَ النَّبِيِّ أَوْ الْحَالِمِ ذَلِكَ الْخُلْمَ لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُكُمْ يَمْتَحِنُكُمْ لِيَعْلَمَ هَلْ تُحِبُّونَ الرَّبَّ إِلَهُكُمْ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ" (تث ١٣ : ١ - ٣) وكماتحانه لإبراهيم "وَحَدَّثَ بَعْدَ هَذِهِ الْأُمُورِ أَنَّ اللَّهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ لَهُ: «يَا إِبْرَاهِيمُ». فَقَالَ: «هَئِنْدَا». فَقَالَ: «خُذْ

ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ إِسْحَاقَ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرْيَا وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ" (تك ٢٢ : ١ - ٢) ذلك الامتحان الذى وضحت من نتيجته مدى محبة إبراهيم لله^(٢١٧) إلى الدرجة التى فيها يذبح ابنه الذى انتظر إتيانه إلى الحياة الدنيا زماناً طويلاً (تك ٢٢ : ١١ - ١٢)، وهكذا كামتحانه لأَيُوب الذى أظهر مدى محبته لله وَتَمَسَّكُهُ بِكَمَالِهِ (أى ٢ : ٩) حتى بعدما أصابته بلايا كثيرة الأمر الذى لأجله قال الله للشيطان "هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الْأَرْضِ! رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ يَبْقَى اللَّهُ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ. وَإِلَى الْآنَ هُوَ مُتَمَسِّكٌ بِكَمَالِهِ وَقَدْ هَيَّجَنْتَنِي عَلَيْهِ لِأَبْتَلَعَهُ بِلاَ سَبَبٍ" (أى ٢ : ٣).

٣ { التزكية^(٢١٨) } لإيمان الإنسان المُجَرَّب بعدما يكون قد جاز أحزان المرض وأوجاعه وآلامه بصبرٍ وبِفَرَحٍ وبرضى الأمر الذى جاء فى الإنجيل بلسان بطرس ويعقوب الرسولان "أَنْتُمْ الَّذِينَ بِقُوَّةِ اللَّهِ مَحْرُوسُونَ، بِإِيمَانٍ، لِخَلَاصٍ مُسْتَعَدٍّ أَنْ يُعْلَنَ فِي الزَّمَانِ الْأَخِيرِ. الَّذِي بِهِ تَبْتَهِجُونَ، مَعَ أَتْكُمْ الْآنَ - إِنْ كَانَ يَجِبُ - تُحْرَثُونَ يَسِيرًا بِتَجَارِبٍ مُتَنَوِّعَةٍ، لِكَيْ تَكُونَ تَرْكِيَّةُ إِيْمَانِكُمْ، وَهِيَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي، مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ بِالنَّارِ، تُوجَدُ لِلْمَدْحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ،" (١ بط ٥ : ١ - ٧)، "طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَحْتَمِلُ التَّجَرِبَةَ، لِأَنَّهُ إِذَا تَرَكَى يَنَالُ «إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ" (يع ١ : ١٢).

٤ { الدافع المؤدى بالإنسان للاستسلام لليد الحانية التى لله الذى سمح ببعض الأمراض } لِكَيْ مَا يَغْرِسُ دَاخِلَ الْإِنْسَانِ رُوحَ الصَّبْرِ (مت ١٠ : ٢٢)، (رو ٥ : ٣ - ٤)، وَالرَّجَاءُ (١كو ١٥ : ١٩)، (رو ٥ : ٣ - ٤)، لِيُطْفِقَ قَائِلًا مَعَ الرَّسُولِ "أَفْتَخِرُ بِالْحَرَى بِضَعْفَاتِي لِكَيْ تَحِلَّ عَلَى قُوَّةِ الْمَسِيحِ" (٢كو ١٢ : ٩) ثِقَةً مِنْهُ أَنَّ اللَّهَ يَهَبُهُ صَبْرًا وَرَجَاءً وَلَا يَتْرَكُهُ بَلْ إِنَّهُ يَتَدَخَّلُ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ تَمَامًا مُظْهِرًا لَهُ الْمُنْقَذَ مِنَ التَّجَرِبَةِ وَالْمَخْرَجَ مِنَ الْأَلَمِ

لأنه لا يترك عصا الخُطاة تستقر على نصيب الصديقين لكى لا يمد الصديقون أيديهم إلى الإثم (مز ١٢٥ : ٣). قال الأب أنتوني كونيارييس {توجد أوقاتٌ عندما نبذل فيها كل ما يُمكننا ولا يوجد شئ آخر يُمكن أن يُعمل، توجد فقط الصلاة وبدلاً من الشك والتوتر يلزم أن نذهب نحن لِيأتى الله حيثُ نسترخى ونضع كل ثقتنا فى الله ونتركه ليتولّى الأمر}. وقال أيزنهاور فى وصفه لإحدى المصاعب الحربيّة التى واجهته {يوجد وقت تكون قد نفذت فيه كل ملكات العقل، واستخدمت كل مُحكَّ وكل مُحاولاتك واجتهاداتك وكل فطنتك ومع ذلك تفشل، حينها تُوقن أن كل الأمور قد صارت فى يد الله وهُناك عليك أن تتركها}.

على أن المرض لا يهب الإنسان صبراً وتزكيةً ورجاءً لا يخزي فقط بل وإنما يمنحه أيضاً اليقينيّة التامة بضبط الله لكافة الأكوان الذى يُمثّل منها جسده المُسجّى مريضاً جزءً لا يتعدّى حتى أصغر نقطة يُمكن أن تُرى^(٢١٩)، ومن ثمَّ يلقى اتكاله على يسوع الذى تُعوّض نعمته كافة أمراضه "تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لَأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تَكْمُلُ" (٢كو ١٢ : ٩) الأمر الذى يؤول به للإيمان الشديد بعدم نسيان الله لأى إنسان كإعلانه الذى قال فيه "هل تنسى المرأة رضيعها حتى لا ترحم ابن بطنها، حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك" (إش ٤٩ : ١٥). قال أحدهم {لا يوجد عند يسوع شخصٌ ضائعٌ فى وسط زحمة الحياة، لا يوجد من هو ضائع فى خِصَم العالم المُزدحم، إن محبة يسوع نهائيّة لكل نفس بشريّة، كل شخص هو ابنٌ خاصٌّ لله}.

٥ {الفرصة} لمُشاركة الرب فى آلامه^(٢٢٠) تحقيقاً لقول الرسول "لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه مُتَسَبِّهاً بموته" (فى ٣ : ١٠) وَتَمَثُّلاً بِالرُّسُلِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمْ مَار لَوْعَا الْإِنْجِيلِي "وَأَمَّا هُمْ فَذَهَبُوا فَرَجِينِ مِنْ أَمَامِ الْمَجْمَعِ لِأَنَّهُمْ حُسِبُوا مُسْتَأْهِلِينَ أَنْ يَهَانُوا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ" (أع ٥ : ٤١)، ولا يغيب عن بال إنسان أن قبول الألم من أجل آخر يؤكّد بدرجة لا ينفع معها

شَكُّ أو تَشَكُّكُ محبة شديدة يَكُنْهَا ذاك المُحْتَمَل لِلألم للآخر لأنه "ليس لأحد حُب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" (يو ١٥ : ١٣)، هكذا وبنفس الحال فإن قبول الإنسان للألم من أجل المسيح الذى قبل الألم فى جسده من أجل أحبائه (يو ٣ : ١٦ - ١٧) مع أنهم كانوا بعد خُطاة (رو ٥ : ٦ - ٨) يؤكّد بدرجة كبيرة المحبة الشديدة التى يَكُنْهَا ذاك الإنسان للمسيح.

٦} الفرصة لمشاركة الآخرين فى أمراضهم وأتعايبهم الأمر عينه الذى يلهب الإنسان تعزيةً وفرحاً وحُباً مُشابهةً بيسوع المسيح الذى يتضايق فى كل ضيق المتضايقين (إش ٦٣ : ٩)، ومن ثَمَّ يمتلئ الإنسان شفقةً ورحمةً على مثل هؤلاء ناسياً أتعابه وأمراضه فيُحسِن إلى نفسه (أم ١١ : ١٧)، وينال الطوبى (أم ١٤ : ٢١)، ويحظى بالعفو والمغفرة (أم ١٦ : ٦)، وينال البركة (أم ٢٢ : ٩)، وأخيراً يصير مُمَجِّداً لله (أم ١٤ : ٣١) الذى أعطاه بمرضه الفرصة التى بها يُدرك عِظَم المحبة الكاملة التى فيها ينشغل عن راحته ساعياً لإراحة الآخرين تلك المحبة عينها التى عندما أدركها بولس الرسول طفق حزناً على أنسابه بالجسد راجياً أن يشاركهم أتعايبهم وضيقاتهم "إِنَّ لِي حُزْناً عَظِيماً وَوَجَعاً فِي قَلْبِي لَا يَنْقَطِعُ! فَإِنِّي كُنْتُ أَوْدُ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُوماً مِنَ الْمَسِيحِ لِأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ الْجَسَدِ" (رو ٩ : ٢ - ٣)، بل وكان أيضاً فى حزنٍ عميقٍ من أجل جميع الذين لم تُضئ لهم إنارة إنجيل مجد المسيح (٢كو ٤ : ٤) فقال "إِنِّي إِذْ كُنْتُ حُزْناً مِنَ الْجَمِيعِ اسْتَعْبَدْتُ نَفْسِي لِلْجَمِيعِ لِأَرْبَحَ الْأَكْثَرِينَ. فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيْهُودِيٍّ لِأَرْبَحَ الْيَهُودَ وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لِأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ وَلِلَّذِينَ بِلَا نَامُوسٍ كَأَنِّي بِلَا نَامُوسٍ - مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِلَا نَامُوسٍ لِلَّهِ بَلْ تَحْتَ نَامُوسٍ لِلْمَسِيحِ - لِأَرْبَحَ الَّذِينَ بِلَا نَامُوسٍ. صِرْتُ لِلضُّعَفَاءِ كَضَعِيفٍ لِأَرْبَحَ الضُّعَفَاءَ. صِرْتُ لِلْكَلِّ كُلِّ شَيْءٍ لِأَخْلَصَ

عَلَى كُلِّ حَالٍ قَوْمًا. وَهَذَا أَنَا أَفْعَلُهُ لِأَجْلِ الْإِنْجِيلِ لِأَكُونَ شَرِيكًا فِيهِ" (١كو ٩: ١٩-٢٣).

على أن هذه الفرصة لا تهب الإنسان شفقةً ورحمةً فقط على الآخرين بل إنها تهبه أيضاً صبراً على احتمال أتعابه وأمراضه التي رأى أعظم منها بما لا يُقاس على غيره، فيمتلئ يقيناً بمدى حكمة الرب الذي يسمح لكل إنسان بما ويتناسب وقدرة احتماله ومن ثمَّ يُعطيه المنفذ والمخرج لأنه "أمين وعادل لا يدعكم تُجربون فوق ما تحتملون بل إنه يجعل المنفذ مع التجربة حتى تحتملوا" (١كو ١٠: ١٣)، فتجربة أيوب مع أنها بدت تفوق قدرة احتماله - حتى أنه دخل في مُخاصمة ومُلاعبة مع الله قائلاً "قَدْ طَرَحَنِي فِي الْوَحْلِ فَأَشْبَهْتُ التُّرَابَ وَالرَّمَادَ. إِلَيْكَ أَصْرُحُ فَمَا تَسْتَجِيبُ لِي. أَقُومُ فَمَا تَنْتَبِهْ إِلَيَّ" (أى ٣٠: ١٩-٢٠) - إلا أنها كانت من وجهة نظر الله وحسب حكمة تدبيره مُناسبة ومُلائمة له - أى لأيوب - تماماً لتأديبه ولتهذيب نفسه المُنتَفِخة ببرها وبكمالها، ومرض بولس الرسول الذي كان له سبباً للازدراء - الأمر الذي أعلن عنه في قوله "وَلَكِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي بِضَعْفِ الْجَسَدِ بَشَرْتُكُمْ فِي الْأَوَّلِ. وَتَجَرَّبَتِي اللَّيِّ فِي جَسَدِي لَمْ تَزِدُوا بِهَا وَلَا كَرِهْتُمُوهَا، بَلْ كَمَلَاكِ مِنَ اللَّهِ قَبِلْتُمُونِي، كَالْمَسِيحِ يَسُوعَ" (غل ٤: ١٣-١٤) والذي طلب لأجله ثلاثه مرَّات أن يُفارقه "مِنْ جِهَةٍ هَذَا تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَنْ يُفَارِقَنِي" (٢كو ١٢: ٨) مما ويدل بالحق إنه، أى المرض، إنما كان يُتعب جسده ونفسه - كان من وجهة النظر العامة وربما من وجهة نظره هو غير مُحتملٍ إلا أنه كان من وجهة النظر الإلهية تأديباً له ولجأماً بقيه من الارتفاع والانتفاخ بفراط الإعانات "وَلَيْلًا أَرْتَفَعَ بِفَرَطِ الْإِعْلَانَاتِ، أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي الْجَسَدِ، مَلَكَ الشَّيْطَانِ، لِيَلْطِمَنِي لَيْلًا أَرْتَفَعَ" (٢كو ١٢: ٧)، وحينما أدرك هذه الحكمة الإلهية طفق يُسرُّ بالأمراض والضعفات قائلاً "إِذْ لِكَ أَسْرُ بِالضَّعْفَاتِ وَالسَّتَائِمِ وَالضَّرُورَاتِ وَالْإِضْطِهَادَاتِ وَالضَّيِّقَاتِ لِأَجْلِ الْمَسِيحِ. لِأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ

فَحَيِّنِذِ أَنَا قَوِيٌّ" (٢كو ١٢ : ١٠)، "أفتخر بالحرى بضعفاتي لكى تحل على قوة المسيح" (٢كو ١٢ : ٩).

٧ { الوسيلة الفريدة لنوال الخلاص^(٢٢١) كقول بولس الرسول "غَيْرَ مُخَوِّفِينَ بِشَيْءٍ مِنَ الْمُقَاوِمِينَ"^(٢٢٢)، الأَمْرُ الَّذِي هُوَ لَهُمْ بَيِّنَةٌ لِلْهَلَاكِ، وَأَمَّا لَكُمْ فَلِلْخَلَاصِ، وَذَلِكَ مِنَ اللَّهِ. " (فى ١ : ٢٨) ليس لأن ذاك المرض مُجَرَّدُ يُوُولٍ بِالْإِنْسَانِ لِلْخَلَاصِ! لَكِنَّهُ يَلْفَتُ انتباهه - أى الإنسان المريض - لِطَرَفَاتِ يَسُوعَ "ها أنذا واقف على الباب وأقرع" (رؤ ٣ : ٢٠) الذى يستخدم "قَضِيبَ النَّاسِ وَضَرِيَاتِ بَنَى آدَمَ" (٢صم ٧ : ١٤) لِيَجْذِبَ انتباه الإنسان لكى ما يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ فَيَخْلُصَ "التفتوا إلى واخلصوا يا جميع أقاصى الأرض" (إش ٤٥ : ٢٢).

٨ { الأهلية لنوال المجد استناداً للإعلان الإلهى الذى يوضح أن نوال المجد الأبدى هو مُرْتَبِطٌ رَتْباً وثيقاً بقبول الألم من أجل الرب (رو ٨ : ١٧ - ١٨)، لذا فقبول آلام المرض بِشُكْرٍ وبِفرح يؤهِّلُ للمجد الذى يزداد بمقدار ازدياد قبول الإنسان لمرضه بِفرحٍ وبِشُكْرٍ وبِصَبْرٍ تحقيقاً للقانون السمائى الذى يُنصُّ على أن "تجماً يمتاز عن نجم فى المجد" (١كو ١٥ : ٤١)، على أن هذا الإعلان الإلهى الذى قال فيه بولس الرسول "إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضاً مَعَهُ فَإِنِّى أَحْسِبُ أَنَّ آلامَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لَا تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا" (رو ٨ : ١٧ - ١٨) إِنَّمَا يُعَدُّ إِعْلَاناً شَامِلاً لِكافةِ أنواعِ الآلامِ وليس قصراً على آلامِ المرضِ وحدها.

٩ { الهدف الإلهى الذى قصده الله من خلقه الإنسان على صورته وشبهه ألا وهو الالتصاق التام والدائم به الأمر الذى أعلن عنه فى ملء الزمان حينما قال "لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداً، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ فِىَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِىَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا

أَحْبَبْتَنِي" (يو ١٧ : ٢١-٢٣) وأوضح وسيلته في قوله "مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ" (يو ٦ : ٥٦)، فإن كان المريض يشعر بِحاجته المُلحّة - وربما شبه الدائمة - للطبيب الأرضي فكم وكم تكون حاجته للرب يسوع الطبيب الحقيقي الكُلّي المحبة والرحمة والحنان والذي يسمح بهذا المرض أو ذاك لكي ما يجتذب الإنسان للالتصاق الدائم به تحقيقاً لوعده الإلهي الذي فيه يدعو المُتعبين والثقيلي الأحمال للإتيان إليه والالتصاق به ومن ثَمَّ يَهَبُهُم السعادة والراحة.

+ العيوب الخلقية^(٢٢٣)

متى أدرك المسيحي الفرح بِخلاص الرب الذي أهله لِتَوَقُّع استعلان السماء والأرض الجديدتين (رؤ ٢١ : ٢)، والذي صَيَّرَهُ أَهلاً لِاستيطان المكان الذي يسكنه الله مع الناس (رؤ ٢١ : ٣) لِيَمْسَح كل دمه من عيونهم (رؤ ٢١ : ٤) يجتاز غُمة هذه الضيقة رجاءً مِنْهُ فِي القيامة بِجسدٍ مُمَجَّدٍ فِي ملء القامة والصِّحة والعافية خلَوْاً من العاهات والعيوب البدنية والجسدية^(٢٢٤) التي اعترت الجسد البشري من جرّاء الفساد الذي داخل الطبيعة البشرية بسبب الخطية الأولى لأبونا في الفردوس الأمر الذي أعلنه مار بولس الرسول في قوله "هُوَذَا سِرٌّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لَا تَرْتَدُّ كُلُّنَا وَلَكِنَّا كُلُّنَا نَتَغَيَّرُ فِي لَحْظَةٍ فِي طَرَفَةِ عَيْنٍ عِنْدَ الْبُوقِ الْأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ فَيَقَامُ الْأَمْوَاتُ عِدِمِي فَسَادٍ وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ. لِأَنَّ هَذَا الْفَاسِدَ لَا بَدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ وَهَذَا الْمَائِتُ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ. وَمَتَى لَيْسَ هَذَا الْفَاسِدُ عَدَمَ فَسَادٍ وَلَيْسَ هَذَا الْمَائِتُ عَدَمَ مَوْتٍ فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ: «ابْنُلَعْ الْمَوْتَ إِلَى غَلَبَةٍ" (١كو ١٥ : ٥١-٥٤)، وثَقَّةً مِنْهُ فِي سُرْعَةِ زوال هذه الحياة بِأَتْعَابِهَا، فَكُلَّمَا مَرَّتْ الْأَيَّامُ اقْتَرَبَتْ الْأَبَدِيَّةُ بِأَفْرَاحِهَا وبأَمْجَادِهَا التي سَتَبْدَأُ فِي اللَّحْظَةِ عَيْنِهَا التي فيها يظهر الرب على

السحاب لِيُغَيِّرَ شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخَضِّعَ لِنَفْسِهِ كل شَيْءٍ (فى ٣ : ٢١).

ذلك الأمر عينه يغرس بل وَيُقَوِّى داخله شعور الغربة الذى اختبره الأخيار والأبرار (عب ١١ : ١٣) فاجتازوا أيامهم المملّنة أُنْعَاباً وأحزاناً شاعرين بِقصرها آمِلين فى سُرْعَة انتهائها وزوالها كيُعقوب الذى قال لفرعون "أَيَّامُ سِنِي غُرْبَتِي مِئَةٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً. قَلِيلَةٌ وَرَدِيَّةٌ كَانَتْ أَيَّامُ سِنِي حَيَاتِي وَلَمْ تَبْلُغْ إِلَى أَيَّامِ سِنِي حَيَاةِ آبَائِي فِي أَيَّامِ غُرْبَتِهِمْ" (تك ٤٧ : ٩)، وكأيوب الذى قال "أَيَّامِي أَسْرَعُ مِنْ عَدَاءٍ، تَفَرُّ وَلَا تَرَى خَيْرًا" (أى ٩ : ٢٥)، "لأننا نحن من أَمَسْ وَلَا نَعْلَمُ لَأَنَّ أَيَّامَنَا عَلَى الْأَرْضِ ظِلٌّ" (أى ٨ : ٩)، "إِذَا مَضَتْ سِنُونُ قَلِيلَةٍ أَسْلُكُ فِي طَرِيقٍ لَا أَعُودُ مِنْهَا" (أى ١٦ : ٢٢)، "أَلَيْسَتْ أَيَّامِي قَلِيلَةً؟ انْزُكْ! كُفَّ عَنِّي فَأَبْتَسِمُ قَلِيلًا" (أى ١٠ : ٢٠).

ومع أننا لا نغفل أو بالحرى لا نتجاهل الحُزن الناتج عن هذه التجربة، إلا أن الكتاب أوضح أن حُزناً يختلف عن آخر، لذا فالمُتَّقِلُ بمثل هذا الألم لزم عليه أن يجتهد لكى ما يُحوِّل الحُزن الذى بحسب مشيئة العالم والذى اعتراه مُنشأً له موتاً إلى آخر بحسب مشيئة الله يُوَهِّله لِتُوبَةٍ بِلَا نَدَامَةٍ (٢كو ٧ : ١٠)، فعلى مِثَال ما قاله الرسول "فَإِنَّهُ هُوَذَا حُزْنُكُمْ هَذَا عَيْنُهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللَّهِ، كَمْ أَنْشَأْتُ فِيكُمْ مِنَ الْإِجْتِهَادِ، بَلْ مِنْ الْإِحْتِجَاجِ، بَلْ مِنْ الْغَيْظِ، بَلْ مِنَ الْخَوْفِ، بَلْ مِنَ الشَّوْقِ، بَلْ مِنَ الْغَيْرَةِ، بَلْ مِنَ الْإِنْتِقَامِ. فِي كُلِّ شَيْءٍ أَظْهَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ أَنَّكُمْ أَتْرِيَاءُ فِي هَذَا الْأَمْرِ" (٢كو ٧ : ١١) يظهر جلياً أن الامتلاء إلى كل ملء الله لا يتوقف على أى ظرف من ظروف الحياة، فليس من الضرورى أن يكون الإنسان بصحة جيدة، أو أن يكون غنياً أو ذكياً أو فى مستوى محدد من الحياة لأن المسيح الذى هو فرح الإنسان يسكن قلبه بالإيمان والصلاة والأسرار المقدسة، فهما كانت الظروف التى تُحيط بالإنسان فى الحياة فهو يستطيع أن يختبر ملء فرح الله،

ومن هُنا يتضح بيّناً أن أية أحزان أرضيّة تؤول بمنّ يجتازها لاجتهاد أكبر يستزيد به شوقه ليسوع حيث الأبدية السعيدة التي لا عيب فيها ولا فساد.

* فالذى لم يهبه الله نعمة البصر يكفيه أن يسوع أحب أن يحميه من رؤية الشر، الذى لكثرت بردت محبة الكثيرين، لئلا يصير كلوط الذى "كَانَ بِالنَّظَرِ وَالسَّمْعِ وَهُوَ سَاكِنٌ بَيْنَهُمْ (شعب سدوم) يُعَذِّبُ يَوْمًا فَيَوْمًا نَفْسَهُ الْبَارَّةَ بِالْأَفْعَالِ الْإِثْمِيَّةِ" (٢بط ٢: ٨)، وكداود الذى بنظرة خاطئة واحدة سقط فى الزنى والمكر والغش والقتل (٢صم ١١: ٤)، وكأمنون الذى أتعبته عيناه الشهوانيتان لِثامار (٢صم ١٣: ١) فسقط فى الزنا الأمر الذى أغضب أبسالوم أخاها فقتله (٢صم ١٣: ٣٧) وأحزن داود أبيه فبكى عليه أياماً كثيرة "وَنَاحَ دَاوُدُ عَلَى ابْنِهِ الْإِثْمِيَّةَ كُلَّهَا" (٢صم ١٣: ٣٧).

ثمّ معروف أن الذى لم ينعم عليه الله بهذه العطية يُبقي له بصيرة فطرية داخلية تمنحه القدرة على تمييز الأمور المحيطة به، هذا فضلاً إلى بصيرة روحية يُميّز بها الخير والشر بأكثر مما يعمل غيره، كالعلامة ديديموس الضرير الذى تولى إدارة مدرسة الإسكندرية اللاهوتية فى أوج مجدها والذى فقد بصره فى الرابعة من عمره فلم يتعلّم القراءة، الأمر الذى لم يمنعه عن المثابرة والاجتهاد بسبب ولعه بالعلم فاخترع الحروف البارزة بالنحت ليقراها بإصبعه^(٢٢٥)، ثمّ أن ما يعتبره البعض عائفاً (أى فقدان البصر) ومانعاً لدرس العلوم الكنسية وتعلّم الوصايا الإنجيلية لم يمنعه هو من أن يحفظ الكتاب المقدس والتعاليم الكنسية عن ظهر قلب، وأن ينبغى فى النحو والبيان والفلسفة والمنطق والرياضة والموسيقى حتى أن القديس جيروم شهد عنه قائلاً لتعلم الهندسة أيضاً التى تحتاج إلى النظر أكثر من غيرها فكان أعجوبة كل ناظر إليه، ولغزارة علمه وتقواه صار معلّماً لكثيرين من آباء الكنيسة العظام منهم القديسين غريغوريوس النزينزي وجيروم وروفينوس وبالاديوس، وقد عزّاه القديس أنطونيوس على بصيرته الروحية التى منحها له

الله عوض بصره فقال {إنني متعجب لحزنك على فقدانك ما تشترك فيه مع أحقر الحيوانات كواسطة للإحساس إذ ليس لديها ما تحس به غير البصر (المحسوس)، ولا تفرح متعزياً لأن الله وهبك بصيرة أخرى لا يهبها تقدس اسمه إلا لمحبيه. أعطاك عينين كأعين الملائكة تُبصر بهما الروحانيات، بل وبهما تدرك الله نفسه، ويسطع نوره أمامك، فيزيل كل ظلام في قلبك}، وهكذا تعزى القديس بهذا القول كل أيام حياته.

* والذي لم يهبه الرب القدرة على السمع يكفيه أن يسوع لم يرد له أن يسمع كلاماً مضيقاً للوقت "أَلَعَلَّ الْحَكِيمَ يُجِيبُ عَنْ مَعْرِفَةٍ بَاطِلَةٍ وَيَمْلَأُ بَطْنَهُ مِنْ رِيحٍ شَرْقِيَّةٍ فَيَحْتَجَّ بِكَلَامٍ لَا يُفِيدُ وَبِأَحَادِيثَ لَا يَنْتَفِعُ بِهَا" (أى ١٥ : ٢ - ٣)، "هَلْ مِنْ نِهَايَةِ لِكَلَامٍ فَارِغٍ. أَوْ مَاذَا يُهَيِّجُكَ حَتَّى تُجَاوِبَ؟" (أى ١٦ : ٣)، "إِنَّ أَيُّوبَ يَتَكَلَّمُ بِلَا مَعْرِفَةٍ وَكَلَامُهُ لَيْسَ بِتَعَقُّلٍ" (أى ٣٤ : ٣٥)، "فِي كُلِّ تَعَبٍ مَنَفَعَةٌ وَكَلَامُ الشَّفَقَتَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَى الْفَقْرِ" (أم ١٤ : ٢٣)، ولا كلمات التجاديف "لأن اسم الله يُجَدِّفُ عليه بسببكم بين الأمم" (رو ٢ : ٢٤)، والافتراءات (أبط ٢ : ١٢) والتعدييات (عب ٢ : ٢)، ولا كلمات الغش والخداع "مَوَازِينُ غِشٍّ مَكْرُهُهُ الرَّبُّ وَالْوَزْنُ الصَّحِيحُ رِضَاءُ" (أم ١١ : ١)، "مَنْ يُعْطَى بُغْضَةً بِمَكْرٍ يَكْشِفُ خُبْنَهُ بَيْنَ الْجَمَاعَةِ" (أم ٢٦ : ٢٦)، "الْمُلْتَوِي الْقَلْبُ لَا يَجِدُ خَيْرًا وَالْمُنْقَلَبُ اللِّسَانُ يَقَعُ فِي السُّوءِ" (أم ١٧ : ٢٠)، "مِعْيَارٌ فَمِعْيَارٌ مِكْيَالٌ فَمِكْيَالٌ كِلَاهُمَا مَكْرُهُهُ عِنْدَ الرَّبِّ" (أم ٢٠ : ١٠)، "رَدِيءٌ رَدِيءٌ يَقُولُ الْمُشْتَرِي وَإِذَا ذَهَبَ فَحِينَنِيذٍ يَفْتَحِرُ" (أم ٢٠ : ١٤)، ولا كلمات السفه والنميمة التي تُهَيِّجُ الْخِصَامَ "بِعَدَمِ الْحَطَبِ تَنْطَفِئُ النَّارُ وَحَيْثُ لَا نَمَامَ يَهْدَأُ الْخِصَامُ" (أم ٢٦ : ٢٠) وتستثير المنازعة "قَحَمٌ لِلْجَمْرِ وَحَطَبٌ لِلنَّارِ هَكَذَا الرَّجُلُ الْمُخَاصِمُ لِتَهْيِيجِ النَّزَاعِ" (أم ٢٦ : ٢١) وتُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَصْدِقَاءِ "رَجُلٌ الْأَكَاذِبِ يُطْلِقُ الْخُصُومَةَ وَالنَّمَامَ يُفَرِّقُ الْأَصْدِقَاءَ." (أم ١٦ : ٢٨)، لَكِنَّهُ أَبْقَى لَهُ فَقَطِ الْأُذُنَ الرُّوحِيَّةَ السَّمَائِيَّةَ الَّتِي بَهَا يَسْتَمِعُ لَطِرَقَاتِ الرُّوحِ عَلَى بَابِ قَلْبِهِ تِلْكَ الَّتِي لَمَّا سَمِعَهَا شَاوَلَ الطَّرْسُوسَى بِلَا عِظَاتٍ امْتَلَأَ

شوقاً ونازاً ألهمت قلبه بمحبة المسيح فطفق يَتَعَنَّى "أَنِّي مُسْتَعِدٌّ لَيْسَ أَنْ أُزِيْطَ فَقَطْ بَلْ أَنْ أَمُوتَ أَيْضاً فِي أُورُشَلِيمَ لِأَجْلِ اسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ" (أع ٢١: ١٣)، ويقول "مَا كَانَ لِي رِيحاً فَهَذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نَفَايَةً لِكَيْ أَرْبِحَ الْمَسِيحَ وَأُوجِدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ، الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ" (فى ٣: ٧-٩).

* والذى لم يهبه الرب يسوع القدرة على الكلام يكفيه أنه لم يرد له أن يتكلم كلمات الأرضيين التى يشترك معه فيها حتى الكائنات غير العاقلة كُلِّ بِلْغَتُهُ التى يفهمها وبطريقته التى خُلِقَ عليها، ولم يرد له أن يصير عُرْضَةً لِلْكَلِمَاتِ الْبَطَالَةِ التى قد تتسبب فى دينونته "كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يُعطون عنها حساباً يوم الدين لأنك بكلامت تتبرر وبكلامك تُدان" (مت ١٢: ٣٧)، ولا لِخَطَايَا اللِّسَانِ الْمُخْتَلَفَةِ (يع ٣: ٥-١٠) التى سقط فيها أيوب فعاتبه أليفاز التيماني قائلاً "لَأَنَّ فَمَكَ يُذِيعُ إِثْمَكَ وَتَخْتَارُ لِسَانَ الْمُحْتَالِينَ. إِنَّ فَمَكَ يَسْتَذْنِبُكَ لَا أَنَا وَشَفَتَاكَ تَشْهَدَانِ عَلَيْكَ" (أى ١٥: ٥-٦) وَعَنَفُهُ صوفر النعماني فى قوله "إِنْ حَلَا فِي فَمِهِ الشَّرُّ وَأَخْفَاهُ تَحْتَ لِسَانِهِ" (أى ٢٠: ١٢)، ولأجل ذلك أوصى مار يعقوب الرسول بضرورة الإبطاء فى الكلام (يع ١: ١٩) الذى يكون له فى كثير من الأحيان الأثر السيء على الآخرين الأمر الذى قال عنه الأب أنتونى كونياريس {تَمَعَّنْ لحظة فى المدى الذى يبلغه تأثير كلمات الوالدين على أولادهم، فالمرأة التى تقول لابنتها التى تبكى يوم وفاة والدها [إن أباك مات لأنك لم تكونى بنتاً طيبة]، إن مثل هذه الكلمات التى تُطمر وتستنقر فى نفس الفتاة سوف تجعلها طيلة حياتها تعيسة بالإحساس بهذه الجريمة المريعة أنها السبب فى موت أبيها وإحساسها بالجريمة يجعلها تتغرب كل يوم فى حياتها بل وقد يقودها إلى مرض عقلى}.

* أمّا الذى لم يهبه الرب عقلاً سليماً فحتماً هو الذى يُدبّر له كافة احتياجاته كأب كُلِّى المحبة أمر بها كوصيّة تؤول بمن يُتِمّها للحياة الأبدية "بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إن كان لكم حُبُّ بعضِكُم لبعض" (يو ١٣: ٣٥)، "وَعَرَفْنَهُمْ اسْمَكَ وَسَأَعْرِفُهُمْ، لِيَكُونَ فِيهِمْ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ، وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ". (يو ١٧: ٢٦)، وها هو يُتِمّمها مع ابن له فى حاجة إليه، وكأب كُلِّى الرحمة أوصى تابعيه بها "الرَّجُلُ الرَّحِيمُ يُحْسِنُ إِلَى نَفْسِهِ وَالْقَاسِي يُكْذِرُ لَحْمَهُ" (أم ١١: ١٧)، "إِفْتَحْ فَمَكَ لِأَجْلِ الْأَخْرَسِ فِي دَعْوَى كُلِّ يَتِيمٍ. إِفْتَحْ فَمَكَ. اقْضِ بِالْعَدْلِ وَحَامِ عَنِ الْفَقِيرِ وَالْمَسْكِينِ" (أم ٣١: ٨ - ٩)، وها هو أيضاً يُنْقِذها ويُتِمّمها مع من هو مُحتاج لرحمته ولحنانه.

فإن كان الرب يهذى طريق الإنسان الكامل جسدياً وعقلياً "مِنَ الرَّبِّ خَطَوَاتُ الرَّجُلِ. أمّا الإنسان فَكَيْفَ يَفْهَمُ طَرِيقَهُ؟" (أم ٢٠: ٢٤)، "عرفت يا رب أنه ليس لإنسان يمشي، ليس لإنسان يمشي أن يهدي خطواته" (أر ١٠: ٢٣)، ويهدي أفكار الملوك وأحكامهم وقلوبهم "قَلْبُ الْمَلِكِ فِي يَدِ الرَّبِّ كَجَدَاوِلٍ مِيَاهٍ حَيْثُمَا شَاءَ يُمِيلُهُ" (أم ٢١: ١)، مع أن الأولين لهم القدرة النسبية على تدبّر احتياجاتهم وحاجاتهم الأمر الذى يسري أيضاً على الآخرين - أى الملوك - فبالأولى هو يُجب أن يُدبّر كافة احتياجات الإنسان المُتعب المُحتاج إليه وخاصة وهو نفسه - أى الرب - بحكمته الشديدة البعيدة عن الفحص والاستقصاء قد أحب أن يوجده ويخلقه على هذا الوضع لكى ما يُفرحه ويُلدّذ نفسه داخلياً بمشاعر الأبوة الكاملة والحنان الكامل التى يغدقها عليه دون إعلانٍ أو إظهارٍ حتى لأقرب الناس إليه. قال أحدهم {الرب يسوع المسيح يُخاطب ويتواصل مع مَنْ فى مثل هذا التعب العقلى بطريقة سرّية قلبية وبكلمات إلهية نارية تلهبه شوقاً كالتى سمعها مار بولس الرسول فى السماء الثالثة فلم يقدر على وصفها اللهم إلا بكلمات قليلة قال فيها "لا يُنطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلّم بها" (٢كو ١٢: ٤).

ولا يغيب عن بال إنسان أن مشاعر الحنان التى لأبٍ أو لأمٍّ نحو ابن فى مثل هذه الظروف لا تُقاس بملء قياس بمشاعر حنان يسوع المسيح التى يغدقها عليه بلا كيل إذ هو خالقٌ له وجابلٌ من العدم ومُدبِّرٌ لكافة احتياجاته وحاجاته وساهِرٌ على راحته والذى لا يُمكن أن ينساه حتى وإن نساه أقرب مَنْ له "هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها، حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك" (إش ٤٩ : ١٥)، ولو أنَّ أباً أو أمّاً تَشَكَّكا فى عِظَم مشاعر الحنان الإلهية التى لا تُقاس بملء قياس بما عندهم فليقرأوا ما جاء فى (٢مل ٦ : ٢٤ - ٢٩) عن المرأة التى طبخت وليدها وأكلته أيام المجاعة، أو ما جاء فى (لو ١٢ : ٤٩ - ٥٢) عن انقسام الآباء والأمهات على أولادهم، بل وليقرأوا ما جاء فى قصص الشُّهداء الذين قُدموا للذبح بيد آبائهم وأمهاتهم بسبب خروجهم عن مُعتقداتهم، وكل هذا لكى ما يوقنوا أن الإنسان لربما يُضحي بأقرب من له فى حال الخطر، الأمر الذى تتباين درجته من واحد لآخر، فمنهم مَنْ يظهرها سريعا ومنهم من يُخفيها بل بالحرى لا يُدرك وجودها عنده إلا فى لحظة معينة يتضح له فيها ما قاله النبى عن خِداع القلب "القلب أخذع من كل شئ وهو نجيس مَنْ يعرفه" (إر ١٧ : ٩).

* والذى لم يُنعم عليه الله الكلِّي الحكمة بنعمة الإنجاب يكفيه إدراك أنه من المبادئ الإلهية التى بها يُحبُّ الله التعامل مع البشر مبدأ التعويض، بمعنى أن من لم يهبه الله مزية التمتع بغريزة الأبوة والأمومة فلهو - أى الله - يُعوضه أضعافاً عما فوته - أى الله - عليه بكامل علمه وجزيل حكمته، منها أنه يهبه مشاعر محبة وحنان ربما أنه لا يهبها لآخرين لهم أبناءٌ وهكذا تسمو وترهف مشاعره وعواطفه تجاه الجميع أقارباً كانوا أو أصدقاء أو حتى غرباء وأعداء، وهكذا فبحكمة إذ يوجه طاقة المحبة والحنان التى وهبها له الله فى طريقها السليم ينفع كثيرين بها بأكثر مما كان ليفعل لو كان له أولادٌ يتعبونه ويكفرون بأبوته وبمشاعر محبته وحنانه.

وهذا من ناحية، أما من الناحية الأخرى فإن الله يهب نعمته في مؤازرته للبشر بما يوازي بل ويفيض عما نقصهم من إحساناته، بمعنى أن من لم يُمنح نعمة الإنجاب لحكمة لدى الله - ربما لنُدركها جميعاً في الأبدية - سينال حتماً تعزيةً بنفس القدر الذي كان من المقدر له أن يناله متى كان له أولادٌ بل وبأكثر من حيث أن الله لا يُعطى بكيل بل بما يفيض عن حاجة الإنسان بحسب قُدرة احتماله.

ومِمَّا يُؤكِّد أن الإنجاب لهو مُجرد غريزة منحها الله للإنسان ليتمتع بها وبالتالي فهو بحكمته وبحنانه متى منعها عن واحدٍ فهو كَفِيلٌ بأن يعوضه عنها، ومن حيث أنه لا يعطى بكيل فهو بالتالى متى عَوَّضَ فهو يعوض أضعافاً مثلاً أنه قال "وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بَيْتاً أَوْ إِخْوَةً أَوْ إِخْوَاتٍ أَوْ أَباً أَوْ أُمّاً أَوْ امْرَأَةً أَوْ أَوْلَاداً أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذْ مِئَّةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ" (مت ١٩: ٢٩)، إن كثيرين يتنازلون - محبةً في اسم الله القدوس - عن بعضٍ من هذه الغرائز كيفما يُعطيه - أى الله - أن يحتملوا، فالبعض حسب اختيارهم ومسلك دعوتهم يتنازلون عن حقهم الطبيعي في التزاوج - الذى يُعدُّ غريزةً طبيعياً وأساسيةً منحها الله للإنسان - طمعاً في حياةٍ تعبديةٍ صافيةٍ لا تعوقها الانشغالات الأسرية والاجتماعية، وآخرون تَغَلَّبُوا على غريزة محبة الحياة الحاضرة وتفضيل الراحة على الألم فأسلموا أجسادهم للهزة والجلد والحرق والألم بأشد آلات وأدوات التعذيب عندما طُلِبَ إليهم أن يجحدوا مسيحهم القدوس، وغيرهم تركوا ذوبهم للاختلاء بقصد العبادة وهم فى ذلك قد تَغَلَّبُوا على غريزة البنوة، والله لم يَتَخَلَّ عنهم ولا عن آبائهم فمنحهم تعزيةً يشهد بها كل من جاز مثل هذا الاختبار، وغيرهم تركوا أيضاً ذوبهم لكن خروجاً عن طاعتهم عندما أرادوا ان يثنونهم عن اقتبال الإيمان بالرب يسوع المسيح، وبنفس الحال وعلى الجانب الآخر فأبَاء مثل هؤلاء قد جحدوا العواطف والمشاعر والغرائز الأبوية الطبيعية التى منحها إياهم الله فطلبوا قتل أبنائهم وبناتهم عندما انقسموا عليهم وخالفوا دينهم وفى هذا قال السيد المسيح "جِئْتُ لِأُلْقِيَ نَاراً عَلَى الْأَرْضِ، فَمَاذَا أُرِيدُ لَوْ اضْطَرَمَّتْ؟ وَلِي صِبْغَةٌ

أَصْطَبِعُهَا، وَكَيْفَ أَنْحَصِرُ حَتَّى تُكْمَلَ؟ أَنْتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لِأُعْطِيَ سَلَامًا عَلَى الْأَرْضِ؟ كَلَّا، أَقُولُ لَكُمْ: بَلِ انْقِسَامًا. لِأَنَّهُ يَكُونُ مِنَ الْآنَ خَمْسَةٌ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مُنْقَسِمِينَ: ثَلَاثَةٌ عَلَى اثْنَيْنِ، وَاثْنَانِ عَلَى ثَلَاثَةٍ. يَنْقَسِمُ الْأَبُ عَلَى الْإِبْنِ، وَالْإِبْنُ عَلَى الْأَبِ وَالْأُمُّ عَلَى الْبِنْتِ، وَالْبِنْتُ عَلَى الْأُمِّ، وَالْحَمَاءُ عَلَى كَنَنَتِهَا، وَالْكَنَنَةُ عَلَى حَمَاتِهَا». (لو ١٢ ك ٤٩-٥٣).

وكلٌّ من هؤلاء بدوا لو أنهم قد جحدوا الغرائز الطبيعية التي منحها إياهم الله وغرسها في قلوبهم ودواخلهم في حين أنه - أى الله - قد منحهم تعزيةً فائقةً عَوَّضَتْ ما قد نقصهم وفاتهم، مثال ذلك القديسة الشهيدة يوليطة التي رأت بأم عينها استشهاد طفلها قرياقوس البالغ من العمر ثلاثة سنوات ففرحت إذ رآته يموت على إيمانه المسيحى، والقديسة الشهيدة رفقة التي كانت تحثُ أبناءها على الثبات أمام التعذيب والموت وهكذا رأتهم يحتملون صنوف التعذيب والآلامات إلى أن ذبحوا على رجليها، فهل من أحدٍ ينكر أن الله قد آزرهما بنعمته حتى احتملتا - مع ما لذيهما من غريزة ومشاعر الأمومة الحانية - رؤية أولادهما تقطع أعضاؤهم وتسال دماؤهم وتُقطع رؤوسهم أمام أمهات أعينهما، والمعروف أن الأم لا تقدر أن ترى فى وليدها مجرد جرحٍ سطحيّ.

نخلص إذن مما سبق أن الله القدوس الكلّي الحكمة قد يهب إنساناً نعمة تعوّض ما فاتته من غرائز طبيعية منعها - أى الله - عنه بحكمته لخيرهِ ولفائدته مثلما أنه قد وهب كثيرين نعمةً بها تغلبوا على غريزة الأبوة والأمومة التي سبق وأن منحها للإنسان.

كافة هذه التجارب وغيرها قد أجملها أبونا متى المسكين فى قوله {حينما يُدخلنا الله فى تجربة - أى يسمح لنا بها - يَتَشَفَّعَ المسيح فينا حتى لا يفنى إيماننا، إذا دخلنا التجربة لا يُمكن أن يسمح الله أن تفصلنا عنه، مهما كانت خسائر التجربة فالرب يُعَوِّضُ عن كل خسارة، وحياة أيوب تشهد بذلك، الله أحياناً يسمح بأن يسوق الشيطان

علينا بالتجربة لِنَتَعَلَّمَ الاتضاع، الله لما يُرْسِل علينا الآلام مهما كانت صعبة فهي ليست تجربة بل تمحيص لإيماننا وتزكية لصبرنا، الآلام بالنسبة للمسيحي هي نوع من طعامه اليومي لأنها مُربحة لِحَيَاتِهِ "إننا موضوعون لهذا" (١ تس ٣: ٣). القديس بولس صُلِّي ثلاثة مرات أن تُرْفَعَ عنه التجربة فكان رد الله "تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل" (٢ كو ١٢: ٩).

تنويه لابد منه

"بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً" (يو ١٥: ٥)

استناد المسيحي على الوعد الإلهي القائل "بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً" (يو ١٥: ٥) هو ما يهبه القُدرة لإدراك معنى الخلاص الذى قَدَّمَهُ الرب للإنسان على خشبة الصليب من ناحية، وللفرح الدائم تحت أية ظروف يواجه فيها أحد قُضبان الحياة وضربات بنى آدم^(٢٢٦) من ناحية أخرى، أمّا لو حاول المسيحي إدراك هذا المعنى الذى للخلاص المجانى لكي ما يَبْلُغ لِمَراحِل الفرح الدائم تحت أية أتعاب أو ضيقات بدون معونة الرب، أو أنه حاول أن يَتَعَدَّى مرحلة إدراك الخلاص^(٢٢٧) لِمَرحلة الفرح الدائم تحت أية أتعاب أو ضيقات فحتماً سيفشل إذ أن السِّلْسَل الطَّبِيعِي يبدأ بإدراك المسيحي لِمَعْنَى الخلاص استناداً على قوة الرب ومن ثَمَّ يَنال الأفراح تحت أية ظروف أو أتعاب رجاءً فى حياة أفضل كإعلانه القائل "أما أنا فقد أَتَيْت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل" (يو ١٠: ١٠) آخذين فى الاعتبار أن الأفضليّة التى قصدها المسيح للإنسان لا تصف إحدى العطايا والهبات الأرضيّة بل تَخُصُّ الحياة الأبديّة السعيدة.

٣} تغيير الصورة التى فرضناها على المسيحية^(٢٢٨)

مِمَّا لاشك فيه أن إدراك المسيحي لبهجة خلاص الله من ناحية وتلذذه ببسوع واهب الخلاص من ناحية أخرى لا يقف به فقط عند حد الفرح المقدس الذى يؤول به للتمتع بأفراح الرب فى كافة الظروف تحقيقاً لوصية الرسول "إَفْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ وَأَقُولُ أَيْضاً أَفْرَحُوا" (فى ٤ : ٤)، "إَفْرَحُوا كُلَّ حِينٍ" (١ تس ٥ : ١٦)، "الْأَمْرُ الَّذِي لِأَجْلِهِ نُصَلِّي أَيْضاً كُلَّ حِينٍ مِنْ جِهَتِكُمْ: أَنْ يُؤَهِّلَكُمْ إِلَهَنَا لِلدَّعْوَةِ، وَيُكَمِّلَ كُلَّ مَسَرَّةِ الصَّلَاحِ وَعَمَلِ الْإِيمَانِ بِقُوَّةٍ" (٢ تس ١ : ١١)، "وَكَتَبْتُ لَكُمْ هَذَا عَيْنُهُ حَتَّى إِذَا جِئْتُ لَا يَكُونُ لِي حُزْنٌ مِنَ الَّذِينَ كَانَ يَجِبُ أَنْ أَفْرَحَ بِهِمْ، وَاثِقاً بِجَمِيعِكُمْ أَنَّ فَرَحِي هُوَ فَرَحُ جَمِيعِكُمْ" (٢ كو ٢ : ٣)، لكنه يمتد به أيضاً - أى بالمسيحي - لإتمام ولتحقيق ما لم يقدر عليه قبلاً - رغم محاولاته العديدة لذلك - ألا وهو تغيير صورة الكآبة^(٢٢٩) التى فرضها على مسيحه وعلى مسيحيتة:

- **أمام غير المؤمنين^(٢٣٠)** الذين رأوه حزيناً مهموماً بل ومكتئباً مع أنه نال الخلاص الثمين (١ بط ١ : ٨ - ١٠) الذى لم ينالوه، واختبر فى يسوع الأبوة الحقيقية التى لم يختبرونها مع أنهم حال دعوة الرب لهم (مت ٨ : ١٠ - ١١) بمناخس الروح التى عمل بها مع شاول يستجيبون بقوة وبغيرة حسنة فيصيرون كمن قال عنهم النبي "لَيْسَ فِيهِمْ رَازِحٌ وَلَا عَاثِرٌ. لَا يَنْعَسُونَ وَلَا يَنَامُونَ وَلَا تَنَحَّلُ حُرْمٌ أَحْقَائِهِمْ وَلَا تَنْقَطِعُ سُبُورُ أَحْدِيَّتِهِمْ. الَّذِينَ سَهَامُهُمْ مَسْنُونَةٌ وَجَمِيعُ قِسْبِهِمْ مَمْدُودَةٌ. حَوَافِرُ خَيْلِهِمْ تُحْسَبُ كَالصَّوَانِ وَبَكَرَاتُهُمْ كَالرُّوْبَعَةِ لَهُمْ رَمَجَرَةٌ كَاللَّبَوَةِ وَيُزْمَجِرُونَ كَالشَّيْلِ وَيَهْرُونَ وَيُمْسِكُونَ الْفَرِيسَةَ وَيَسْتَخْلِصُونَهَا وَلَا مُنْقَذَ" (إش ٥ : ٢٧ - ٢٩) بعدما كانوا فى أحزان التيه والخوف من النهاية المرعبة والمحتومة والتى وجبَ عليهم قبلاً بحسب مُعتقدهم اجتيازها أبراراً كانوا أم أشراراً.

- **أمام المؤمنين** الذين لم يرونه فقط حزينا مُكتئباً، لكن أيضاً مُتشككاً فى قوة فداء الرب وخلصه ذاك الذى قدمه له على خشبة الصليب المقدسة بل ومُشككاً فى خطة الرب الأزليّة ليعتق الإنسان من ظلمة الموت، وذلك لتفسيره الخاطئ^(٢٣١) لبعض الآيات الكتابيّة التى توجب عليه الحذر الدائم والسهر الروحى المُستمر وتُلزمه بأن يسلك فى خوف طالما كان فى الجسد "سيروا زمان غربتكم بخوف" (ابط ١ : ١٧)، "تمموا خلاصكم بخوف ورعدة" (فى ٢ : ١٢) لنلا يهلك بعدما أرشد كثيرين (أى ٤ : ٣ - ٥)، ولنلا ينخدع بحيل الشيطان وإغراءاته (١ كو ١٠ : ١٢)، ولنلا يسلك فى حُرّيّة غاشة وخادعة (ابط ٢ : ١٦).

مخافة الله

على أن هذا الخوف الذى أوصى به الكتاب المُقدّس ليس هو خوف العبد من عقاب سيده لكن خوف الابن لنلا يجرح مشاعر أبيه الذى يُحبه، خاصّة وأن فيه ثقةً كاملة بالرب (أم ١٤ : ٢٦)، وحافزاً قوياً للحيدان عن الشر (أم ١٤ : ٢٧) وفرصةً لنوال المُكافأة (أم ١٣ : ١٣) والكرامة (أم ٢٢ : ٤).

إذن تفسير المسيحي الخاطئ لبعض الآيات الكتابيّة الداعية لنفع ولِفائدة الكآبة الدائمة والمُحفّزة على السلوك بخوف - كما فى (جا ٧ : ٢ - ٤) - والذى به يُعلّل حُزنه وكآبته - مع أن هذا الحُزن يرجع لعدم إدراكه لأفراح قيامة الرب ولِبهجة خلاصه - هو ما يُعثر الآخرين من داخل الإيمان فى إيماننا الارثوذكسى المُستقيم فلا يفترون تبعاً للقانون القائل إن لكل فعل رد فعل مُساوٍ له فى المقدار ومُضادٍ له فى الاتجاه إلا أن يُبالغون فى التأكيد على مجانية الخلاص الذى لا يحتاج من المسيحي إلى جهاد يقيه من

خداع الشياطين من ناحية ويثبت بل ويؤكد مقدار محبته ليسوع الذى أحب أن يهبه الخلاص مجاناً من ناحية أخرى.

مثل هذا الفرح الأرثوذكسى بقيامه الرب نجده مثلاً عند أعضاء الكنيسة اليونانية من حيث أنهم فى عيد القيامة لا يجلسون على سفوح التلال الباردة أو فى مقابر مظلمة انتظاراً لشروق الشمس، إنما يركضون عبر الشوارع والميادين صارخين (المسيح قام)، فيرفع الناس نوافذهم ويفتحون أبوابهم فجأة ليصرخوا هم أيضاً (بالحقيقه قام)، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يمتد أيضاً إلى بعض من طقوسهم الخدمية فى عيد القيامة والتي فيها ما يسمّى بطقس الضحك وفيه يقولون (دعونا الآن نضحك، دعونا نعبد الله بالضحك سوياً)، الأمر الذى يُعبّر عن فرح لا تُقَدَّر بأعظم يوم فى تاريخ البشرية المريّة وغير المريّة. قيل عن امرأة مريضة بالسرطان أنها كتبت قبل انتقالها مباشرة تقول {السرطان انتشر فى كبدى، وليس هنالك أمل كثير، سوف أتألم لترك عائلتى، لكنى أضحك فى صباح عيد القيامة، أضحك لأن المسيح يحيا وكذلك سأحيا أنا حياة أفضل بكثير مما عشته من قبل}{(٢٣٣)}.

٤ { احتمال نقص الأشياء الضرورية(٢٣٣) }

إدراك المسيحى لإخلاص الرب يسوع الذى بدأ بالإستعداد خوفاً من لقائه فألهمه الروح غيرةً واجتهاداً ومن ثمّ اشتياقاً لهذا اللقاء يهبه أيضاً احتمال نقص الأشياء والاحتياجات الضرورية أو بالحرى التى تبدو من وجهة نظره ضرورية فى حين أنها تُسبب له ضرراً؛ قال القديس يوحنا ذهبى الفم {الطفل يصيح ويحتج ويغضب ليأخذ السكين! ومحبة الأبوين تأبى إعطائه إياها}؛ بل وموتاً "هناك طرق تبدو للإنسان مُستقيمة وعاقبتها الموت" (أم ١٤ : ١٢) لذلك قال مار يعقوب الرسول "تطلبون ولستم تأخذون لأنكم

تطلبون ردياً" (يع ٤ : ٣)، ومتى فرح المسيحي بهذا الخلاص لا يعد يكثرث لفقر هو يُقاسيه ثقةً منه في الوعد الإلهي الذي أعلن أن "الْقَلِيلُ مَعَ مَخَافَةِ الرَّبِّ خَيْرٌ مِنْ كَثْرِ عَظِيمٍ مَعَ هَمٍّ" (أم ١٥ : ١٦)، ولا لِعَوَازٍ يجتاز فيه إيماناً راسخاً منه بحكمة الله الذي يُدبِّر حياة الإنسان واحتياجاته حال استجاب ما يطلبه أو لم يستجبه، قال القديس يوحنا ذهبي الفم {إذا أخذنا ما نطلبه أو لم نأخذهُ يجب أن نبقى في الصلاة، ليتنا نشكر ليس فقط حينما نأخذ ولكن حينما لا نأخذ أيضاً، لأننا لا نعرف ما هو الصالح لنا بل الله، لذا فيجب أن نعتبر الأخذ وعدم الأخذ نعمة مُتعادلة ونشكر الله من أجل هذه وتلك}.

أمثلة تُبين حكمة الله من عدم الاستجابة

فعدم استجابة الله لتوسلات يوسف لإخوته عندما باعوه للاسماعيليين "وَقَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «حَقًّا إِنَّا مُدْنِبُونَ إِلَى أَخِينَا الَّذِي رَأَيْنَا ضَيْقَهُ نَفْسِهِ لَمَّا اسْتَرْحَمَنَا وَلَمْ نَسْمَعْ. لِذَلِكَ جَاءَتْ عَلَيْنَا هَذِهِ الضَّيْقَةُ" (تك ٤٢ : ٢١) كانت هي عينها ما يؤكد صلاح الله الكلّي الحكمة والمعرفة والذي قصد بعدم تخليصه من إخوته أن يُخلّص به كافة الأرض التي واجهت المجاعة الشديدة فجاءت إليه كوزيرٍ مُوكِّلٍ على أرض مصر لِيطْعِمها "وَكَانَ الْجُوعُ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الْأَرْضِ. وَفَتَحَ يُوسُفُ جَمِيعَ مَا فِيهِ طَعَامٌ وَبَاعَ لِلْمِصْرِيِّينَ. وَاشْتَدَّ الْجُوعُ فِي أَرْضِ مِصْرَ. وَجَاءَتْ كُلُّ الْأَرْضِ إِلَى مِصْرَ إِلَى يُوسُفَ لِنَشْتَرِيَ قَمْحًا لِأَنَّ الْجُوعَ كَانَ شَدِيدًا فِي كُلِّ الْأَرْضِ" (تك ٤١ : ٥٦ - ٥٧)، وهكذا فعدم استجابة توسل يوسف لرئيس الخبازين بأن يرفع ظلمه إلى فرعون "وَأَيْمًا إِذَا ذَكَرْتَنِي عِنْدَكَ حِينَمَا يَصِيرُ لَكَ خَيْرٌ تَصْنَعُ إِلَيَّ إِحْسَانًا وَتَذَكِّرُنِي لِفِرْعَوْنَ وَتُخْرِجُنِي مِنْ هَذَا الْبَيْتِ. لِأَنِّي قَدْ سُرِفْتُ مِنْ أَرْضِ الْعِبْرَانِيِّينَ. وَهَذَا أَيْضًا لَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا حَتَّى وَضَعُونِي فِي السِّجْنِ" (تك ٤٠ : ١٤ - ١٥) عُدَّت في حد ذاتها استجابة إنما تُظهر مدى صلاحه وحكمته في تعيين وقتٍ

لخروجه يكون مُلَازِماً لِحلم فرعون الذى عَبَّرَهُ له - أى فَسَّرَهُ - فَصِيْرُهُ على كل أرض مصر والياً وحاكماً، الأمر الذى آل به لِعَتق إخوته وأبيه، بل والأرض كلها، من قسوة المجاعة وسطوتها (تك ٤٥: ٧).

إذن خلاص الرب هو ما يهب الإنسان تعزيةً لاحتمال نقص الأشياء والاحتياجات الأرضية التى تصل لحد الضرورة الملحة ثقةً منه أن الله يهبه فقط ما يحتاج إليه لصالحه ولخيره^(٢٣٤) لذلك قال النبى "أَبْعُدْ عَنِّي البَاطِلَ وَالْكَذِبَ. لَا تُعْطِنِي فَقْراً وَلَا غِنًى. أَطْعِمْنِي خُبْزَ فَرِيضَتِي لِيَلَّا أَشْبَعَ وَأَكْفُرَ وَأَقُولَ: «مَنْ هُوَ الرَّبُّ؟» أَوْ لِيَلَّا أَفْتَقِرَ وَأَسْرِقَ وَأَتَّخِذَ اسْمَ إِلَهِى بَاطِلاً" (أم ٣٠: ٨ - ٩).

٥ { احتمال التجارب التى بسبب الإيمان^(٢٣٥)

فرح المسيح بِخلاص الرب الذى أَهَّلَهُ للنعيم الأبدى حيثُ الأفراح السرمديّة التى لم يقدر الرسول الكَلِّى الحكمة والبلاغة على وصفها فاكتفى بقوله أنه فى الفردوس "سَمِعَ كَلِمَاتٍ لَا يُنْطَقُ بِهَا، وَلَا يَسُوعُ لِإنسان أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا" (٢كو ١٢: ٣ - ٤)، هو ما يهبه احتمال التجارب التى بسبب قبوله لإيمان يسوع المسيح الذى اختاره من قبل تأسيس العالم لكى ما يكون قديساً وبلا لوم أمامه فى المحبة (أف ١: ٤) والذى سبق فَعَيْنُهُ للتبني لِنَفْسِهِ حسب مسرة مشيئته لِمَدح مجد نعمته التى أنعم بها عليه (أف ١: ٥) والذى أعلن عن حتمية هذه التجارب فى قوله "أَنَا قَدْ أُعْطِيتُهُمْ كَلَامَكَ، وَالْعَالَمُ أَبْغَضَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ، كَمَا أَنِّي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ" (يو ١٧: ١٤)، "إِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُبْغِضُكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أَبْغَضَنِي قَبْلَكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ خَاصَّتَهُ. وَلَكِنْ لِأَنَّهُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ، بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ مِنَ الْعَالَمِ، لِذَلِكَ يُبْغِضُكُمْ الْعَالَمُ. أَذْكُرُوا الْكَلَامَ الَّذِي قُلْتُهُ

لَكُمْ: لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ. إِنْ كَانُوا قَدْ اضْطَهَدُونِي فَسَيَضْطَهُدُونَكُمْ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ حَفِظُوا كَلَامِي فَسَيَحْفَظُونَ كَلَامَكُمْ" (يو ١٥ : ١٨ - ٢٠).

المسيحي ليس من هذا العالم

فالمسيحي مدعو من الرب بألا يصير من هذا العالم (يو ٥ : ١٩) وبألا يُشاكل أهل هذا الدهر (رو ١٢ : ٢) الذين أعماهم الشيطان لئلا تضئ لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذى هو صورة الله (٢ كو ٤ : ٤)، وبألا يخضع لرئيس سلطان الهواء (أف ٢ : ٢) الذى تَسَلَّطَ على جميع ممالك العالم ومجدها (مت ٤ : ٨)، لذلك وُضِعَ عليه - أى على المسيحي - أن يصير فى مواجهةٍ دائمةٍ مع رئيس هذا العالم (يو ١٢ : ٣١)، وفى صِراعٍ مُسْتَمِرٍّ مع تابعيه الذين أتعبهم جداً وأمرهم اختيار الرب لِيَبْشِرَ تحت الآلام مثلهم لِسُكْنَى السموات ولاستيطان الملكوت حيثُ المسكن الدائم لله مع شعبه ومُختاريه "لا تخف أيها القطيع الصغير فإن أباكم قد سَرَّ أن يُعْطِيَكُمْ الملكوت" (لو ١٢ : ٣٢). قال القديس مار إسحق السريانى {لا يستطيع أحد احتمال الضيقات والصبر عليها بدون تَدَمُّرٍ إلا إذا كانت له أمانة فى مواعيد الله التى يعتبرها أثمن من جسده وأشرف من صحته وراحته}.

فمتى سلك المسيحي فى اشتياقٍ دائمٍ لِلِقَاءِ الرب الذى خَلَّصَهُ إنما يجد دافعاً وحافِزاً لِمُواجهةِ آلامِ استماعِ الأخبار السيئة الناتجة عن أحداث الاضطهادات (مز ١١٢ : ٦-٧)، ولِمُواجهةِ الآلام الجسدية التى قد يسمح بها الله لِتَرْكِيَةِ إيمان مُحتمليها (ابط ٢ : ٢٠)، وآلامِ التَّركِ والتَّخَلَّى المؤقَّت من الله الأمر الذى يَسْتَحِثُّه بِأَكْثَرِ لَلاتصاق به والالتكال الكُلِّى عليه (أى ٢٣ : ١٠)، وآلامِ الخزي والعار (مت ٥ : ١٠ - ١١)، وآلامِ الهزء (١ كو ٤ : ١٢ - ١٣)، والافتراء (ابط ٢ : ١٢)، والظُّلم (جا ٨ : ١١)، وآلامِ البُغْضَةِ والنظرة الحاقِدة المُطَارِدَة له فى كل مكان (مت ٢٤ : ٩)، (يو ١٥ : ١٩) (٢٣٦).

كل هذه الآلام وغيرها مُضاعفةً قد وُضِعَتْ لِتَابِعِي الرب لاجتيازها، ولا يوجد ما يُعطى واحداً منهم الحافز لهذا الاجتياز إلا فرحه الدائم والمُستمر بخلص الرب الذى قدمه له مجاناً على خشبة الصليب المقدسة والذى لا يأتى - أى هذا الفرح - إلا مروراً بكافة الدرجات والمراحل التى سبق وذكرناها بدءاً من الاستعداد خوفاً من الموت والعقاب وما إليه من اجتهدٍ واشتياقٍ مُتَدَرِّجٍ يؤول بمن فيه لِكَمَالٍ يهب تَلَذُّذاً وفرحاً بالخلص الذى هو هدف المسيحية ونتيجتها! قال القديس يوحنا الدرجى {ذو الإيمان الحق ليس هو الذى يفكر أن كل شئ مُمكن لدى الله بل الذى يرى وجوب قبول كل شئ من الله}.

٦ {احتمال ضيقات آخر الأيام

خلص المسيح الذى وهبه للإنسان لا يُعطيه فقط ثباتاً فى مواجهة الآلام والمُضايقات التى بسبب الإيمان، لكنه يهبه أيضاً الرجاء لاجتياز ضيقات الأيام الأخيرة، تلك التى ستكون:

- بسبب مقاومة الوحش لكل تابعى الرب كما فى قول مار يوحنا الإنجيلى "ثُمَّ وَقَفْتُ عَلَى رَمْلِ الْبَحْرِ، فَرَأَيْتُ وَحْشاً طَالِعاً مِنَ الْبَحْرِ لَهُ سَبْعَةُ رُؤُوسٍ وَعَشْرَةُ قُرُونٍ، وَعَلَى قُرُونِهِ عَشْرَةُ تَبَاجَانٍ، وَعَلَى رُؤُوسِهِ اسْمٌ تَجْدِيفٍ. وَالْوَحْشُ الَّذِي رَأَيْتُهُ كَانَ شَبَهَ نَمْرٍ، وَقَوَائِمُهُ كَقَوَائِمِ دَبٍّ، وَفَمُهُ كَفَمِ أَسَدٍ. وَأَعْطَاهُ النَّتْنُ قُدْرَتَهُ وَعَرْشَهُ وَسُلْطَاناً عَظِيماً" (رؤ ١٣: ١-٢)، وهكذا كما فى (رؤ ١٣: ٣-٨)، (رؤ ١٣: ١١-١٣).

- بسبب غلبة الوحش لكثيرين ممن اختارهم الرب وأفرزهم من بطون أمهاتهم لكنهم لم يصبروا إلى المنتهى "لأنَّهُ يَكُونُ حِينئِذٍ ضَيْقٌ عَظِيمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مِنْذُ ابْتِدَاءِ

العالم إلى الآن وَلَنْ يَكُونَ. وَلَوْ لَمْ تُقَصِّرْ تِلْكَ الْأَيَّامُ لَمْ يَخْلُصْ جَسَدٌ. وَلَكِنْ لِأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ تُقَصِّرُ تِلْكَ الْأَيَّامُ" (مت ٢٤ : ٢١ - ٢٢).

- بسبب مُعَايِنَةِ مُعَاصِرِيْ تِلْكَ الْفَتْرَةِ لِلضَّلَالَةِ الْكُبْرَى الَّتِي سَتَعُمُ كَثِيرِينَ وَالتِّي سَتَجْعَلُهُمْ يَسْجُدُونَ لِلْوَحْشِ عَوَضَ اللَّهِ مُبْتَهِجِينَ بِالْآيَاتِ الَّتِي سَيَصْنَعُهَا (رؤ ١٣ : ١٤) مُنْسَاقِينَ وَرَاءَ شَهَوَاتِ الْعَالَمِ (١ يو ٢ : ١٦) فَرَحِينَ بِسَمَةِ الْوَحْشِ الَّتِي قَبَلُوهَا مِنْهُ لِيَصِيرَ لَهُمْ حَقُّ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ (رؤ ١٣ : ١٦ - ١٧).

- بسبب مُعَايِنَتِهِمْ لِتَجَاسُرِ الْوَحْشِ وَقَتْلِهِ لِمَنْ كَانَ لَهُمَا السُّلْطَانُ فِي أَيَّامِ نُبُوَّتِهِمَا أَنْ يَغْلِقَا السَّمَاءَ فَلَا تُمَطِّرَ (رؤ ١١ : ٦ - ٧).

- بسبب مُعَايِنَتِهِمْ لِزَرْعِ السَّلَامِ مِنَ الْأَرْضِ كَمَا فِي قَوْلِ مَارِ يُوْحَنَّا الْحَبِيبِ "وَلَمَّا فَتَحَ الْحَتَمَ الثَّانِي، سَمِعْتُ الْحَيَوَانَ الثَّانِي قَائِلًا: «هَلُمَّ وَانْظُرْ! «فَخَرَجَ فَرَسٌ آخَرُ أَحْمَرٌ، وَلِلْجَالِسِ عَلَيْهِ أُعْطِيَ أَنْ يَنْزِعَ السَّلَامَ مِنَ الْأَرْضِ، وَأَنْ يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأُعْطِيَ سَيْفًا عَظِيمًا" (رؤ ٦ : ٣ - ٤) ذَلِكَ الَّذِي سَيَبْلُغُ أَوْجَ شِدَّتِهِ وَقَتْمَا يَظْهَرُ الدِّجَالُ عَلَى الْأَرْضِ.

- بسبب رُؤْيَيْهِمْ لِلْأَحْدَاثِ الْكُونِيَّةِ الْمُخِيفَةِ وَالتِّي سَتَتَزَامَنُ مَعَ اقْتِرَابِ الْأَيَّامِ الْآخِرَةِ كَالْبَرْدِ وَالنَّارِ وَالْدَمِ "ثُمَّ إِنَّ السَّبْعَةَ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ مَعَهُمُ السَّبْعَةُ الْأَبْوَاقُ تَهَيَّأُوا لِكَيْ يُبَوِّقُوا. فَبَوَّقَ الْمَلَاكُ الْأَوَّلُ، فَحَدَّثَ بَرْدٌ وَنَارٌ مَخْلُوطَانِ بِدَمٍ، وَأُلْقِيَا إِلَى الْأَرْضِ، فَاحْتَرَقَ ثُلُثُ الْأَشْجَارِ وَاحْتَرَقَ كُلُّ عُشْبٍ أَخْضَرَ" (رؤ ٨ : ٦ - ٧)، وَكَالْبُرُوقِ وَالرَّعُودِ وَالزَّلَازِلِ "ثُمَّ سَكَبَ الْمَلَاكُ السَّابِعُ جَامَهُ عَلَى الْهَوَاءِ، فَخَرَجَ صَوْتُ عَظِيمٍ مِنْ هَيْكَلِ السَّمَاءِ مِنَ الْعَرْشِ قَائِلًا: «قَدْ تَمَّ! «فَحَدَّثَتْ أَصْوَاتٌ وَرُعُودٌ وَبُرُوقٌ. وَحَدَّثَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ لَمْ يَحْدُثْ مِثْلُهَا مُنْذُ صَارَ النَّاسُ عَلَى الْأَرْضِ، زَلْزَلَةٌ بِمِقْدَارِهَا عَظِيمَةٌ هَكَذَا" (رؤ ١٦ : ١٧ - ١٨) (٢٣٧).

٧} إدراك المسيحي لرسالته

{إن الأناجيل الأربعة تحكى لنا كيف أن يسوع بدأ فى تسجيل أسماء الأشخاص وأعدادهم لينجز بهم مقاصد وأدوار، إنه أتى تجاه صيادين عاديين جهلة وضعفاء تقوح منهم رائحة السمك وهم يخطبون الشباك وقال لهم [اتبعوني، فسوف أجعلكم صيادين للناس] وللحال تركوا الشباك وتبعوه، لمثل هذه الأسماء الأصلية نحن ندين لانتشار المسيحية إلى اليوم، يوجد على الأقل شئ مشترك مع أولئك التلاميذ الإثني عشر، أن يسوع يوجه لنا نفس الدعوة التى بسطها إلى أولئك الإثني عشر [اتبعنى] (٢٣٨).

{مَنْ مِنَّا سوف يتبع المسيح اليوم ليعلن حقيقة للعالم المُتَعَطِّش إلى الحب؟ حب المسيح ليعلن رسالة غفرانه وصفحه إلى عالم يموت ويهلك بالجريمة والإثم، مَنْ مِنَّا سوف يتبعه ليعلن صراحة الأخطاء الموجودة فى المجتمع، وليعترض على الشر ليثبت ويعلن الحق وليحمي المُتَأَلِّمين؟} (٢٣٩).

حقاً ان إدراك المسيحي لفرح خلاص المسيح يهبه الانتباه لرسالته التى طالما أغفلها مُنحصرًا حول نفسه ألا وهى خلاص الآخرين تلك الرسالة التى دعاه الرب لها ضمناً حينما أوصى تلاميذه قائلاً "اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليفة كلها" (مر ١٦ : ١٥)، "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨ : ١٩)، وحينما أشار إلى أن صيرورته من تابعيه إنما هو مرتبط ارتباطاً كلياً بشهادته لاسمه أمام الآخرين سعيًا وراء خلاصهم الأبدى "بهذا يتمجد أبي: أن تأثوا بِثَمَرِ كَثِيرٍ فَتَكُونُوا تَلَامِيذِي" (يو ١٥ : ٨).

عند نهاية الحرب العالمية الثانية وصل فيلق من الجنود الأمريكيين إلى كنيسة دمرتها القنابل فوجدوا تمثالاً للمسيح وقد تحطم، فجمعوا أغلب أجزائه ولصقوها معاً إلا اليدين فلم يجدونها فى أى مكان، وأخيراً وضع أحد الجنود لافتة بجوار تمثال المسيح الذى تم

إصلاحه جزئياً وكتب عليها [ليست له يد ولكن أياديكم]، وقد ألهمت تلك الحادثة الشاعرة جونسون فليمنت فكتبت تقول {ليست للمسيح أيدي وإنما أيدينا لتُجري أعماله اليوم، ليست له أقدام ولكن أقدامنا لتَقود الناس إلى طريقه، ليس له لسان وإنما ألسنتنا لنقول للناس كيف مات، ليس له ساعد يتكى عليه لكنه يعتمد علينا لكي تُحضر الناس إليه}.

هكذا وحينما يدرك المسيحي عظمة هذا الخلاص المُقدّم من يسوع للبشرية لا يطفق مُنحصرًا حول نفسه إمّا لحرية غاشة ينجرف معها في تيار الخطية والهلاك "كأحرار، وَلَيْسَ كَالَّذِينَ الْحُرِّيَّةُ عِنْدَهُمْ سُتْرَةٌ لِلشَّرِّ، بَلْ كَعَبِيدِ اللَّهِ" (١بط ٢: ١٦)، أو لأنانية عدم الاكتراث بأتعاب الآخرين في بعدهم عن يسوع^(٢٤٠) بل يصير مُلتهباً ومُشتعلًا حميةً وغيرَةً على مَنْ فاتهم التمتع بهذا الخلاص الثمين "الْحَمِيَّةُ أَخَذَتْني بِسَبَبِ الْأَشْرَارِ تَارِكِي شَرِيعَتِكَ" (مز ١١٩: ٥٣)، "رَأَيْتُ الْعَادِرِينَ وَمَقَتُ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَحْفَظُوا كَلِمَتَكَ" (مز ١١٩: ١٥٨) فيطفق مُشتهياً للسعى وراء كل أحد لكي^(٢٤١) ما يُعلن له عن محبة المسيح التي أظهرها للعالم كله "لَأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ" (يو ٣: ١٦)، وعن خلاصه العجيب الذي قدّمه للبشرية على خشبة الصليب المقدسة بكامل إرادته. قال أحدهم {عندما اعتمدنا ومُسيحنا بالميرون فإن علامة الصليب قد وُضِعَت على أيدينا وباقي أعضاء جسمنا بدهن المسحة، وبهذا العمل فإن أيادينا قد كُرِّسَت لِخدمة المسيح، لقد أصبحنا أعضاء في جسم المسيح، وإن كانت الكنيسة تُدعى جسد المسيح، فإنما لأنها بالضبط الجسد الذي يعمل من خلاله المسيح اليوم في العالم كله، وبالمعمودية فإننا نصير أعضاء الكنيسة، وهذا يعني أنه بعد المعمودية فإن أيادينا تصبح أيادي المسيح، إنها الأيدي التي بها يجب أن يعمل المسيح في العالم كله}. وقال القديس يوحنا ذهبي الفم {المسيح رأس الجسد، ولكن ما نفع الرأس بدون عَيْن، بدون أذن، بدون رجل، بدون يد}.

كيفية العمل الكرازى لـإخلاص الآخرين^(٢٤٢)

تحكي أسطورة كيف أن المسيح إذ عاد إلى السماء بعد قيامته المجيدة وعلى يديه علامات تقدّم إليه أحد الملائكة ليسأله [لابد أنك قاسيت آلاماً مُبرحةً من الناس على الأرض!] فأجابه يسوع [نعم حدث] فسأله الملاك [ولكن هل أدرك الجميع ما صنّعه لهم؟] فأجاب يسوع [لا، ليس بعد ولكن جماعة قليلة فى فلسطين]، فسأله الملاك [ولكن هل من مُخطّط قد دبّرتَه ليعلم الجميع ما صنّعه لأجلهم؟] فأجابه يسوع [قد طلبت من التلاميذ أن يكون هذا عملهم، أن يُكلّموا الآخرين بشأني، والآخرين يَقتصّون على غيرهم وهكذا حتى يعلم العالم كله كم قاسيتُ لأجل خلاصه] ولكن الملاك تَطَلّع فى هلع وقال [ولكن التلاميذ كثيراً ما خذلوك، فماذا لو أخفقوا عن توصيل قصة حُبّك! ماذا بعد؟ ألم تُعدّ خطأً أخرى؟] وكانت إجابة الرب [لا توجد لدى خِطّ أخرى، إني مُعتمد عليهم تماماً]. وقال الأب أنتونى كونياريى {إن الله يبحث عن أيدي يستخدمها، وحتى إلى اليوم فإنه يظل يحمل الصليب، صليب المحبة، صليب الاهتمام بأولئك الذين يعيشون فى الظلام، الخُطاة، الفقراء المُتألّمين، الأرياء، الخُبثاء، المحرومين، المدوسين، إنه ينظر إلينا، إلى أيادينا لِتُساعدَهُ فى رفع الصليب}.

نفهم من قصة شفاء الرب يسوع لِمجنون كورة الجديين الذى طلب إليه أن يتبعه فأجيب طلبه بالرفض "وَلَمَّا دَخَلَ السَّفِينَةَ طَلَبَ إِلَيْهِ الَّذِي كَانَ مَجْنُوناً أَنْ يَكُونَ مَعَهُ فَلَمْ يَدَعْهُ يَسُوعُ، بَلْ قَالَ لَهُ: «إِذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ وَإِلَى أَهْلِكَ، وَأَخْبِرْهُمْ كَمَا صَنَعَ الرَّبُّ بِكَ وَرَحِمَكَ». فَمَضَى وَابْتَدَأَ يُنَادِي فِي الْعَشْرِ الْمُدُنِ كَمَا صَنَعَ بِهِ يَسُوعُ. فَتَعَجَّبَ الْجَمِيعُ" (مر ٥: ١٨ - ٢٠) إن العمل الكرازى الذى أوصى به الرب التلاميذ (مر ١٦: ١٥)، (مت ٢٨: ١٩ - ٢٠) والذى يهدف لإخلاص الآخرين ونشر بشرى الإنجيل فى العالم كله لا يقتصر فقط على تحمّل أعباء الأسفار الطويلة المُضنيّة والخِطرة من أجل الشهادة للرب

تحقيقاً لإعلانه الإلهي الذي قال فيه "لَكِنَّكُمْ سَتَتَّالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ وَتَكُونُونَ لِي شُهُوداً فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَفْصَى الْأَرْضِ" (أع ١: ٨)، ولا يقتصر أيضاً على نوال الألقاب الرسولية التي تُوثَّق عمل الكرازة لأنه "أَعْطَى الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلًا، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضَ مُبَشِّرِينَ، وَالْبَعْضَ رُعَاةً وَمُعَلِّمِينَ، لِأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقَدِيسِينَ، لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِإِنْبِيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ"، (أف ٤: ١١ - ١٢)، "فَوَضَعَ اللَّهُ أَنْاسًا فِي الْكَنِيسَةِ: أَوَّلًا رُسُلًا ثَانِيًا أَنْبِيَاءَ ثَالِثًا مُعَلِّمِينَ ثُمَّ قَوَّاتٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ أَعُونًا نَدَابِيرَ وَأَنْوَاعَ أَلْسِنَةٍ" (١كو ١٢: ٢٨) مما ويدل على تباين الأعمال الكرازية والخدمية كلٍ بِحَسَبِ طاقته وقُدرة احتماله وموهبته، لكنّه - أى العمل الكرازي - إنما يكون أيضاً بأنواع طرق كثيرة ومُختلفة أشار إليها الإنجيل من حيثُ أنها تتناسب وحال وظروف كل مكان وزمان وُجِدَ فيه المسيحي المُلتَهَب لِخِلاص الآخرين منها:

* أن يكون إيجابياً

يقول العالم (بوير Bouyer) عن الإيجابية التي تحلّى بها القديس أثناسيوس الرسولي في اهتمامه الدؤوب بخلاص الجميع {لقد كان لأثناسيوس روحٌ كنسيّةٌ عاليةٌ جداً، وهذا أفضل ما يُفسّر لنا تصرفاته، فإن كان لم يرتضِ بأن يكف ولا للحظة واحدة عن الجهاد من أجل العقيدة، ولم يرضَ أن يحتفظ بإيمانه لنفسه، تاركاً الآخرين يتوّحّلون كما يشاءون في اللاهوت الأنطاكي الشائك، فالسبب في ذلك أن الحياة المسيحية كانت بالأساس في نظره [حياة كنسية] فكان من العبث في نظره أن يدّعى أحد بأنه يُنمّي حياته الروحية الفردية ويترك بقيّة الكنيسة تتعثر، فإن كُنّا نجد عنده الحياة الروحية الداخلية تتوافق بالتمام مع "الاهتمام بجميع الكنائس" فالسبب في ذلك هو اقتناعه العميق بأن حياة الكنيسة ليست شيئاً خارجاً بالنسبة لحياة الإنسان المسيحي خاصة^(٢٤)}، {فأول من تقلّد

المهام الأسقفية صار يبذل نفسه بلا حساب في كنيسته المصرية المتسعة، وفي فتره وجيزة وضع الله عليه "الاهتمام بجميع الكنائس" بحسب قول الرسول، فالحق الذى كان يعيشه كان يدفعه بقوة جارفة أن يُسلّمه لغيره ويجعل الآخرين يتمتعون به معه، كان لا يحتمل أن تكون النفوس المؤكّلة إليه محرومة من هذا الحق، وكلما كان يتقدم فى الحياة كلما كانت تزداد فيه هذه الغيرة الملحة أن يُسلّم إيمانه الكامل لكل من دُعِيَ باسم المسيح^(٢٤٤).

مِمَّا لا شك فيه أن المسيحي بإيجابيته فى عدم التهاون مع الشر يُكرز لاسم المسيح أمام الآخرين، الذين اعتادوا على الشر حتى صاروا يُقاومون مَنْ لا يتبع نهجهم وسلوكهم "الَّذِينَ إِذْ عَرَفُوا حُكْمَ اللَّهِ أَنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ يَسْتَوْجِبُونَ الْمَوْتَ لَا يَفْعَلُونَهَا فَقَطْ بَلْ أَيْضًا يُسْرُونَ بِالَّذِينَ يَعْمَلُونَ!" (رو ١: ٣٢)، "لَا يُخَسِّرُكُمْ أَحَدٌ الْجِعَالَةَ، رَاغِبًا فِي التَّوَاضُّعِ وَعِبَادَةِ الْمَلَائِكَةِ، مُتَدَاخِلًا فِي مَا لَمْ يَنْظُرْهُ، مُنْتَفِخًا بَاطِلًا مِنْ قَبْلِ ذَهْنِهِ" (كو ٢: ١٨)، ومن ثَمَّ يجتذبهم لإدراك الخلاص بشهادته للحق الذى لم يتعلّمونه قبلاً بسبب عدم معرفتهم ليسوع المسيح الذى أعلن أنه "الطريق والحق والحياة" (يو ١٤: ٦). تقول قصة تدلُّ على مدى إيجابية المسيحية فى الدفاع عن الحق والشهادة له {كان شخصٌ مسيحيٌّ ينتظر فى الصف ليحجز لنفسه مكاناً فى فندق كبير فى مدينة نيويورك وكان أمامه مباشرةً شخص أسود اللون حسن الزى ومُنَقَّفٌ، ولما وصل هذا الزنجى إلى مكتب الحجز فإنه سأل المسؤول عن غرفة فأجابه [لا يوجد، جميع الحجرات مشغولة]، وبدون أن يفتح فاه بكلمة فإن هذا الشاب الزنجى عاد إلى طريقه، ولما جاء دور الشخص الأبيض وسأل نفس السؤال [هل من حجرة خاوية؟] أجابه المسؤول للتو [نعم، بأى درجة تُريد أن تُقيم؟] عند هذا استدعى الشخص الأبيض الشاب المُلوّن الذى كان فى طريقه إلى الساحة خارجاً وناداه [عُد من فضلك، إن الغرفات ليست كلها مشغولة لأنه أعطانى حالاً غرفة]، ثُمَّ تَحَوَّلَ إلى المسؤول وقال له بهدوء لكن بصرامة [أتريد أن أقاضيك؟ إنى مُستعد

لتقديمك للقضاء الآن] فأجاب الوكيل بسرعة وهو يعتذر [حسناً هناك حُجرة له]]. وتحكى قصة أُخرى تُعَلِّن عن وجوب سعى المسيحي الدائم للزود عن الحق {ذهب راهب مسيحي اسمه تليماخوس إلى روما وهناك جدّ فى طريقه إلى مُباريات المُصارعة، حيث كان يتعارك المُصارعون حتى الموت، بينما كان المُشاهدون يزأرون بِشهوة الدماء، تجمهر ذات مرّة ثمانون ألف مُتفرّج لرؤية مُصارعة بطلين حتى النهاية، ارتعب تليماخوس من المشهد وقال [أليس هؤلاء الذين يتقاتلون أولاد لله؟ أليس هؤلاء المُتفرّجون المُتعطّشون للدماء يُشجّعون على جرائم القتل؟] ثمّ أنه وثب من مقعده وتوجّه إلى حلبة المُصارعة ووقف بين المُتصارعين وهو يصرخ [هذا خطأ، إنه ضد شريعة الله]، فدفعوه بالقوة إلى خارج ولكنه عاد لِتوه وسط غضب المُتفرجين الذين بدأوا برميهِ بالحجارة حتى سقط قتيلًا فى حلبة المُصارعة، فحدث صمت وسكوت للتو، وتحقق المُتفرّجون ممّا حدث، لقد أُرِدَى تليماخوس قتيلًا! القديس مات، لقد حدث شئ غريب فى روما هذا اليوم، لم تعد هناك مُصارعة دموية فيما بعد، وحدث هذا كله بسبب راهب مجهول يُسمّى تليماخوس وقف فى الحلبة يعترض أمام العالم كله بخصوص أمر هو يعلم أنه ضد شريعة الله}.

* أن يُنذِر

إيجابية المسيحي فى الشهادته للحق أمام الآخرين سعيًا وراء خلاصهم تمنحه الهيبة من جرّاء قوة الروح المُتكلّم بلسانه لكى ما يُحذّر ويُنذِر (كو ٣: ١٦)، (١٤: ٥) (١٤: ٥) من يَحِيدون عن الطريق المُستقيم، تلك التحذيرات والإنذارات التى ينهاجها مع المُتوانين واللاهين تكون لهم بِمثابة المناخس التى تطرق باب قلوبهم فتجذبهم من طرقهم الرديئة للتوبة بقوة الروح العامل فيها والذى عمل قبلاً فى داود النبى بعدما أخطأ فندم باكيًا تائبًا مُعترفًا، وفى شاول الطرسوسى فالتهب ندمًا وألمًا طفق معهما يقول "لَا تَكُفُّ سَمِعْتُمْ بِسِيرَتِي

قَبْلًا فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ، أَنِّي كُنْتُ أَضْطَهُدُ كَنِيْسَةَ اللَّهِ بِإِفْرَاطٍ وَأَتْلِفُهَا. وَكُنْتُ أَتَقَدَّمُ فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ عَلَى كَثِيرِينَ مِنْ أَثْرَابِي فِي جِنْسِي، إِذْ كُنْتُ أَوْفَرُ غَيْرَةً فِي تَقْلِيدَاتِ آبَائِي" (غل ١: ١٣-١٤).

* أَنْ يُؤَدَّبَ

إِجَابِيَّةُ الْمَسِيحِيِّ فِي الشَّهَادَةِ لِلْحَقِّ أَمَامَ الْآخَرِينَ سَعِيًّا وَرَاءَ خَلَاصِهِمْ تَمْنَحُهُ أَيْضًا الْهَيْبَةُ لِكَيْ مَا يُؤَدَّبَ الْمُخْطِئُ بِأَنْ يَسِنَّ عَلَيْهِ عَقُوبَاتٌ وَتَأْدِيبَاتٌ تَمَامًا كَمَا أَوْصَى مَار بُولُسُ الرَّسُولُ تَلْمِيزَهُ تِيْمُوثَاوُسَ بِضُرُورَةٍ أَنْ يُؤَدَّبَ الْمُقَاوِمِينَ "وَعَبْدُ الرَّبِّ لَا يَجِبُ أَنْ يُخَاصِمَ، بَلْ يَكُونُ مُتَرْفَقًا بِالْجَمِيعِ، صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ، صَبُورًا عَلَى الْمَشَقَّاتِ، مُؤَدِّبًا بِالْوَدَاعَةِ الْمُقَاوِمِينَ، عَسَى أَنْ يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ تَوْبَةً لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، فَيَسْتَقْفُوا مِنْ فَحْشِ إِبْلِيسَ إِذْ قَدْ اقْتَنَصَهُمْ لِإِرَادَتِهِ" (٢٢ تى ٢: ٢٤-٢٥)، لَكِنْ بَرُوحُ الْوَدَاعَةِ، الْأَمْرُ الَّذِي يَجْتَذِبُهُمُ لِلْخَلَاصِ كَمَا يَتَضَحُّ مِنْ قَوْلِهِ بَعْدَهَا مُبَاشَرَةً "فَيَسْتَقْفُوا مِنْ فَحْشِ إِبْلِيسَ إِذْ قَدْ اقْتَنَصَهُمْ لِإِرَادَتِهِ" (٢٢ تى ٢: ٢٦).

فَائِدَةُ التَّأْدِيبِ عَلَى الْمُؤَدَّبِ وَغَيْرِهِ

التَّأْدِيبُ يَعْمَلُ عَمَلَ اللَّجَامِ الَّذِي يُقَيِّدُ الْخَاطِئَ عَنِ الْإِسْتِرَادَةِ فِي خَطَايَاهُ وَشُرُورِهِ وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا أَوْصَى اللَّهُ الْآبَاءَ بِتَّأْدِيبِ أَبْنَائِهِمْ (أَم ١٩: ١٨)، (أَم ٢٢: ٦)، وَمَا أَوْصَى الْأَبْنَاءَ بِقَبُولِ تَأْدِيبَاتِ آبَائِهِمْ (أَم ١: ٨)، (أَم ١٣: ١)، وَمَا وَصَفَ رَافِضَهُ - أَيْ التَّأْدِيبَ - بِالضَّلَالِ (أَم ١٠: ١٧)، وَبِالْبِلَادَةِ (أَم ١٢: ١)، وَبِالْفَقْرِ وَالْهَوَانِ (أَم ١٣: ١٨)، وَبِالْحِمَاقَةِ (أَم ١٥: ٥).

على أنَّ فوائد التأديب تنصبّ أيضاً وتؤول بالنفع والفائدة على الآخرين الذين لمّا يروا المُخطئ يؤدّب ويُعاقب يلجمون أنفسهم^(٢٤٥) الأمر عينه الذى جاء فى سفر العدد واصفاً خوف الشعب وتوقيره لموسى وهرون بعدما ابتلعت الأرض قورح ودathan وأبيرام (عدد ١٦: ٣٢ - ٣٤)، وجاء أيضاً فى سفر الأعمال بلسان مار لوقا الإنجيلي فى قصة حنانيا وسفيرة (أع ٥: ٥)، (أع ٥: ١١).

* أن يسلك حسناً

مما لا شك فيه أن سلوك المسيحي الحسن غير مُشاكلٍ لأهل هذا العالم (رو ١٢: ٢) مُتَّبِعاً لِوَصِيَّةِ الرَّبِّ "فَلْيُضِئِ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت ٥: ١٦)، وَلِوَصِيَّةِ الرَّسُولِ "أَنْ تَكُونَ سِيرَتُكُمْ بَيْنَ الْأُمَمِ حَسَنَةً، لِكَيْ يَكُونُوا فِي مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ كَفَاعِلِي شَرٍّ يُمَجِّدُونَ اللَّهَ فِي يَوْمِ الْإِفْتِقَادِ، مِنْ أَجْلِ أَعْمَالِكُمُ الْحَسَنَةِ الَّتِي يُلَاحِظُونَهَا" (١بط ٢: ١٢) هو من بين ما يُكرز لاسم الرب بطريقة عملية ثلاثية كافة المسيحيين كلِّ فى موضعه ومكانه بدون الحاجة إلى الأسفار الكرازية والرحلات التبشيرية التى يحتج الكثيرون بعدم قُدرتهم على إتمامها وإتيانها عملاً بالوصية الإلهية الأمرة بالكراسة باسم يسوع.

ونلاحظ أن الإعلان المُستخدمان فى الآية الأولى والثانية لا يُشيران بحال من الأحوال إلى الكلام والعظات الرنانة، ففى الآية الأولى "فَلْيُضِئِ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت ٥: ١٦) إنما أوضح الرب أن مُجَرَّدَ رؤية الآخرين لنور المسيحيين النابع من امتلائهم بنور الوصية هو ما يُكرز لهم باسمه، وهكذا ففى الآية الثانية "أَنْ تَكُونَ سِيرَتُكُمْ بَيْنَ الْأُمَمِ حَسَنَةً، لِكَيْ يَكُونُوا فِي مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ كَفَاعِلِي شَرٍّ يُمَجِّدُونَ اللَّهَ فِي يَوْمِ الْإِفْتِقَادِ، مِنْ أَجْلِ أَعْمَالِكُمُ الْحَسَنَةَ

الَّتِي يُلَاحِظُونَهَا" (١بط ٢: ١٢) أوضح الرسول أن ملاحظة الآخرين المُفترين لأعمال المسيحي الحسنة المُجَرَّدة من الكلمات البليغة العميقة هو ما يعمل العمل الكرازي الشفهي لـ خلاص الرب ذاك الذى يروونه عملياً كنتيجة طبيعية لسلوك المسيحي الحسن.

* أن يُصَلِّي

قال أحد الآباء {لقد شختُ ودنوتُ من الموت وأنا أكتبُ هذه الحقيقة حُباً بالناس الذين يتألم قلبي لأجلهم، ولو كان بوسعي إنقاذ إنسان واحد أَصَلَّيْتُ لأجله إلى الأبد، ولكن نفسي تتألم لأجل العالم كله، فأُصَلِّي وأبكي لأجل جميع الناس ليتوبوا ويعترفوا بالله حتى يحيوا فى المحبة وينالوا حرية أولاد الله، إن رغبتى الوحيدة هى أن أُصَلِّي لأجل الآخرين كما أُصلي لأجل نفسي}، وقال أيضاً {يحسُن أن نعرف كنه خدمة المسيحي وطريقة مُساعدته للعالم، فالمسيحي يُصلي لأجل العالم وهذه هى خدمته الرئيسة، إن يسوع يُعطيه المحبة بالروح القدس فتشعر نفسه بشفقة دائمة لأجل الناس لأن الكثيرين منهم لا يسعون لأجل خلاص نفوسهم}، وأخيراً قال {إذا حَلَّتْ نعمة الروح القدس فى قلب إنسان ولو بقدر ضئيل فهو يبكي لأجل جميع الناس وبالأكثر يشفق على الذين يجهلون الله ويُقاومونه فيُصلي لأجلهم ليل نهار لكى ما يهتدوا إلى الله ويعترفوا به}.

صلاة المسيحي من أجل العالم بِكُلِّ محتاجيه ومُعوزيه وخاطئيه ومردوليه تجتذب إليه أيضاً من نار المحبة الإلهية فتحصره وتُحاصره ليطلق مُلتهباً فى غيرته شاعراً بحجم المسؤولية الإلهية المُلقاة على عاتقه من حيث السعى الحثيث لإبلاغ العالم بالخلاص، الأمر الذى إذ يَتَعَدَّر عليه إتمامه عملياً يلتجئ إليه بالصلاة ويحسن السيرة إيماناً وثقةً منه بقول الله "إذ صِرْتَ عَزِيزاً فِي عَيْنِي مُكْرَماً وَأَنَا قَدْ أَحْبَبْتُكَ. أُعْطِي أَنَساً عَوْضَكَ وَشَعُوباً عَوْضَ نَفْسِكَ" (إش ٤٣: ٤)، "طُوفُوا فِي شَوَارِعِ أُورُشَلِيمَ وَانْظُرُوا وَاعْرِفُوا وَفَتَّشُوا

فِي سَاحَاتِهَا. هَلْ تَجِدُونَ إِنْسَانًا أَوْ يُوجَدُ عَامِلٌ بِالْعَدْلِ طَالِبُ الْحَقِّ فَأَصْفَحَ عَنْهَا؟" (أر ٥ : ١).

* الصلاة على المُنتقلين

لا نغفل من نتائج إدراك المسيحي لفرح خلاص المسيح الذي قَدَّمه له مجاناً على خشبة الصليب المقدسة أن نتطرق إلى هذه النقطة التي يتجاهلها كثيرون ألا وهي دوره في الشفاعة من أجل المُنتقلين عسى يغفر المسيح سهواتهم التي نتجت عن ضعف طبيعتهم البشرية والتي لأجلها يُصَلِّي الكاهن في أوشية الراقدين قائلاً {لأنه لا يكون موت لعبيدك بل هو انتقال، وإن كان قد لحقهم تَوَانٍ أو تفريطٌ كبشر وقد لبسوا جسداً وسكنوا في هذا العالم، فأنت كصالح ومُحب للبشر اللهم تفضل واغفر لهم} (٢٤٦) الأمر عينه الذي يتضح من قول مار بولس الرسول "وَالَا فَمَآذَا يَصْنَعُ الَّذِينَ يَعْتَمِدُونَ مِنْ أَجْلِ الْأَمْوَاتِ؟ إِنْ كَانَ الْأَمْوَاتُ لَا يَقُومُونَ الْبَيْتَةُ فَلَمَآذَا يَعْتَمِدُونَ مِنْ أَجْلِ الْأَمْوَاتِ؟" (١كو ١٥ : ٢٩) حيثُ أن مُصطلح الاعتماد من أجل الأموات يجئ هنا بمعنى قبول الألم - أى بتقديم الصدقات والأصوام والصلوات من أجل الأموات -، ثُمَّ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ عينه يتضح أيضاً من طلبه لأنسيفورس بالرحمة في يوم الدينونة "لِيُعْطِيَ الرَّبُّ رَحْمَةً لِبَيْتِ أَنْيْسِيفُورُسَ، لِأَنَّهُ مِرَاراً كَثِيرَةً أَرَاخَنِي وَلَمْ يَخْجَلْ بِسِلْسِلَتِي، بَلْ لَمَّا كَانَ فِي رُومِيَّةَ طَلَبَنِي بِأَوْفَرِ اجْتِهَادٍ فَوَجَدَنِي. لِيُعْطِيهِ الرَّبُّ أَنْ يَجِدَ رَحْمَةً مِنَ الرَّبِّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَكُلُّ مَا كَانَ يَخْدُمُ فِي أَفْسُسَ أَنْتَ تَعْرِفُهُ جَيِّدًا" (٢تى ١ : ١٦ - ١٨) مع أنه - أى أنسيفوروس - كان قد انتقل من الحياة الدنيا الأمر الذي يؤكدُه طلب بولس الرسول الرحمة لأهل بيته الأحياء من قبله (٢تى ١ : ١٦) هذا إلى جانب أنه لم يذكره في سلامه الختامى لهم "سَلِّمْ عَلَى فِرْسَكَا وَأَكِيلَا وَبَيْتِ أَنْيْسِيفُورُسَ. أَرَأْسْتُسُ بَقِيَ فِي كُورِنْثُوسَ. وَأَمَّا ثَرْوَفِيمُسُ فَتَرَكْتُهُ فِي مِيلِيْسَسَ

مَرِيضاً. بَادِرْ أَنْ تَجِيءَ قَبْلَ الشِّتَاءِ. يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَفْبُولُسُ وَبُودِيسُ وَلِينُسُ وَكَلَفْدِيَّةُ وَالْإِخْوَةُ جَمِيعاً. الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ مَعَ رُوحِكَ. النِّعْمَةُ مَعَكُمْ. آمِينَ" (٢تى ٤: ١٩ - ٢٢) مع أنه ذكر خدمته الجليلة له من حيث أنه أراحه ولم يخل بلسلسته وبحث عنه بأوفر اجتهد في رومية حتى وجده (٢تى ١٦١ - ١٨).

†

عجيب حقاً وعظيم هو هذا التدرُّج البديع^(٢٤٧) الذى للحياة الروحية والتي تُشابه السلم الذى بدأ المسيح أولى خطواته مُتَعَصِّباً خائفاً بل ومُرتعداً من النهاية المريعة التي تنتظره في تلك اللحظة المخوفة جداً ثم انتهى إلى أنه لم يعد يطيق رؤية أناسٍ وقد فاتهم عمل يسوع المسيح الخلاصي فيطفق يُبَشِّرُهُمْ بِكافة الطرق التي تجتذبهم للتمتع بهذا الخلاص العجيب، وإذ تشتعل روحه غيرَةً وحميةً حتى على الذين انتقلوا من الحياة الدنيا عسى يكونوا قد سهوا وذَلُّوا في واحدةٍ أو أكثر من السهوات التي ليست للموت "إِنْ رَأَى أَحَدٌ أَخَاهُ يُخْطِئُ خَطِيئَةً لَيْسَتْ لِلْمَوْتِ، يَطْلُبُ، فَيُعْطِيهِ حَيَاةً لِلَّذِينَ يُخْطِئُونَ لَيْسَ لِلْمَوْتِ. تُوْجَدُ خَطِيئَةٌ لِلْمَوْتِ. لَيْسَ لِأَجْلِ هَذِهِ أَقُولُ أَنْ يُطْلَبَ. كُلُّ إِنْسَانٍ هُوَ خَطِيئَةٌ، وَتُوْجَدُ خَطِيئَةٌ لَيْسَتْ لِلْمَوْتِ" (١يو ٥: ١٦ - ١٧) يمضى مُقَدِّماً لأجلهم الصلوات والطلبات والأعمال الخيرة لكى ما يشملهم برحمته وحنانه المسيح الكلي الرحمة والحنان والذى قال بالروح بلسان حزقيا الملك "لَأَنَّهُ بِرُجُوعِكُمْ إِلَى الرَّبِّ يَجْدُ إِخْوَتَكُمْ وَبَنُوكُمْ رَحْمَةً أَمَامَ الَّذِينَ يَسْبُونَهُمْ فَيَرْجِعُونَ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُكُمْ حَنَّانٌ وَرَحِيمٌ وَلَا يُحَوِّلُ وَجْهَهُ عَنْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِ" (٢أخ ٣٠: ٩).

†

الباب الحادى عشر

حُجَج عدم الإستعداد

عجب العُجاب فى الطريق الروحي ليس فيمن لم يتدرَّجوا فيه ولا حتى فيمن لم يبدأونه على الإطلاق إذ أن الأولين مع الآخرين قد يستجيبون لمناخس الروح ولطِرقات الرب على أبواب قلوبهم فيطفقون نادمين تائبين باكين على ما فاتهم من بركاتٍ ونِعَمٍ، لكنه - أى العجب - يُعرَى للأسباب التى يعتنرون بها فى عدم استعدادهم والتى لا تزد فى تفاوتها عن تلك التى قدمها العبد الكسلان لسيده "ثُمَّ جَاءَ أَيْضاً الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنََةَ الْوَاحِدَةَ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، عَرَفْتُ أَنَّكَ إِنْسَانٌ قَاسٍ، تَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ تَزْرَعْ، وَتَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَبْذُرْ. فَخِفْتُ وَمَضَيْتُ وَأَخْفَيْتُ وَزَنْتُكَ فِي الْأَرْضِ. هُوَذَا الَّذِي لَكَ " (مت ٢٥: ٢٤-٢٥) عندما رآه غير أمينٍ فيما اتئمنه عليه (مت ٢٥: ١٥) ومن ثَمَّ يصيرون أهلاً لنفس العتاب "أَيُّهَا الْعَبْدُ الشَّرِيرُ وَالْكَسَلَانُ، عَرَفْتَ أَنِّي أَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ أَزْرَعْ، وَأَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ أَبْذُرْ، فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَضَعَ فِضَّتِي عِنْدَ الصَّيَارِفَةِ، فَعِنْدَ مَجِيئِي كُنْتُ أَخْذُ الَّذِي لِي مَعَ رَبًّا." (مت ٢٥: ٢٦-٢٧) ولنفس العقاب "فَخُذُوا مِنْهُ الْوَزْنََةَ وَأَعْطُوهَا لِلَّذِي لَهُ الْعَشْرُ وَزَنَاتٍ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ يُعْطَى، فَيَزِدَادُ وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ. وَالْعَبْدُ الْبَطَالُ اطْرَحُوهُ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ، هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الْأَسْنَانِ" (مت ٢٥: ٢٨-٣٠)، ومن تلك الحُجج:

حُجَجٌ بسبب الوقت

* الانشغالات المختلفة^(٢٤٨)

عرف هنرى فورد شخصاً هدفه الوحيد فى الحياة أن يكتنز المال، فأحضر ذات يوم للرجل صُرَّةً، فلما فتحها وجد داخلها نظارة ولكن بدلاً من العدستين وجد مُلصقاً فى دائرتى النظارة دولارين فضيين، ثم سأل السيد هنرى صديقه أن يلبس النظارة، ففعل ذلك، فسأله [الآن أخبرنى ماذا تبصر؟] فأجابه الصديق [إننى لا أبصر شيئاً]، فقال له السيد فورد [لقد كانت هذه الدولارات حاجزه للرؤيا، وأردت أن أعلمك أنه إذا كان هدفك فى الحياة هو الدولارات فقط فإنك سوف تعمى عن أن تبصر قيماً أخرى للحياة، لا يمكن للمال أن يشتريها]]. وقال كاتب يدعى تيليكي {يُمكننا أن نختار الهدف الخطأ فى الحياة، يُمكننا أن نصعد الجبل الخطأ ونصل إلى القمة الخاطئة، وفى الدينونة الأخيرة سوف نجد مكتوباً على هامش حياتنا بالحبر الأحمر [لقد أخطأت الهدف]].

منطقية هذه الحُجَّة

هذه الحُجَّة الأكثر شيوعاً وشهرةً تتراءى لكثيرين بمنطقيتها وبمصادقيتها - من وجهة نظرهم - حتى أنها تدفع بهم دفعاً للابتعاد بل بالحرى للتلاهي عن الاستعداد لأهم لحظة قد يواجهها إنسان ما خلال حياته الأرضية، تماماً كالغنى الغبى الذى ألزمته منطقية هدم مخازنه وبناء أخرى تكفي الخصب الذى جاءه (لو ١٢ : ١٦) بأن ينشغل عن الاستعداد للحظة موته تلك التى جاءت سريعاً جداً (لو ١٢ : ٢٠)، وكالآخر الذى ألزمه منطق تقديم الواجب الاجتماعى من جهة دفن أبيه "يَا سَيِّدُ، ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلًا وَأُذْفِنَ أَبِي" (لو ٩ : ٥٩) بالانشغال عن الاستجابة لدعوة يسوع له بتبعيته، وأخيراً كالذى ألزمته منطقية إعطاء الأولوية للعلاقات الجسدية بالانشغال عن دعوة الرب له "وَقَالَ آخَرُ أَيْضًا:

«أَتُبْعُكَ يَا سَيِّدُ، وَلَكِنْ ائْذِنْ لِي أَوَّلًا أَنْ أُودَعَ الذِّينَ فِي بَيْتِي». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللَّهِ» (لو ٩: ٦١-٦٢). قال أحدهم {لا يوجد مكانٌ ليسوع في العالم الذى خلقه، هُناك مكانٌ للفانيات، أمّا الواحد الذى يملك إلى الأبد فلا يوجد له اليوم مكان، إنه يواصل القرع لكنه يسمع منك القول [لا يوجد مكان]}.

بُطْلان هذه الحُجّة من الأمثلة الإنجيليّة

الذى يحتج بأن انشغالاته المختلفة التى تعوق استعدادده للقاء الرب هى بسبب وجوده فى العالم الذى فرض عليه أن "يثمر ويكثر ويملأ الأرض ويخضعها" (تك ١: ٢٨) وأن يكّد ويتعب ليأكل خُبْزُهُ بعرق وجهه الأمر الذى جاء نِتاجاً لِخَطِيئَةِ آدَمَ وحواء فى الفردوس (تك ٣: ١٧ - ١٩) تُخْزِيهِ أمثلة أبرار الكتاب المُقدس وقديسيه من الذين لم تشغلهم اهتمامات العالم والتزاماته عن الاستعداد للقاء الرب، فآدَمُ كان مُرتبطاً بانشغالات الزواج (تك ٤: ١) والإنجاب (تك ٤: ١ - ٢)، (تك ٤: ٢٥) وريابات الكد والتعب فى عمل الأرض وفلاحتها ليأكل منها (تك ٣: ١٩) ومع ذلك لم تشغله هذه الاهتمامات وتلك الرباطات عن الالتصاق بالله من خلال ذبائح دائمة أتمّها وعلمّها لأبنائه (تك ٤: ٣-٤)، (تك ٤: ٢٦)، ونوح كان مُرتبطاً بإعالة زوجة (تك ٧: ٧) وأولاد (تك ٦: ١٠)، ولم يعوقه هذا الارتباط بالانشغال عن عبادته التى صيرته باراً فى عيني الرب "وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنِي الرَّبِّ. هَذِهِ مَوَالِيدُ نُوحٍ: كَانَ نُوحٌ رَجُلًا بَارًا كَامِلًا فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللَّهِ" (تك ٦: ٨-٩)، وإبراهيم كانت له مُقتنيات ونفوس كثيرة (تك ١٢: ٥) وكان غنياً جداً فى المواشى والفضة والذهب (تك ١٣: ٢)، بل ومن كثرة أملاكه لم تحتمله الأرض ليسكن بجوار لوط "وَلُوطُ السَّائِرُ مَعَ أَبْرَامَ كَانَ لَهُ أَيْضًا غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَخَيْلٌ. وَلَمْ

تَحْتَمِلُهُمَا الْأَرْضُ أَنْ يَسْكُنَا مَعًا إِذْ كَانَتْ أُمْلَاكُهُمَا كَثِيرَةً فَلَمْ يَقْدِرَا أَنْ يَسْكُنَا مَعًا" (تك ١٣: ٥-٦)، ومع ذلك لم تمنعه ثروته وغناه عن الالتصاق بالله حتى أنه دُعي خليل الله "فَتَرَى أَنَّ الْإِيمَانَ عَمَلٌ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَبِالْأَعْمَالِ أَكْمِلَ الْإِيمَانُ، وَتَمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «فَأَمَّنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بَرًّا» وَدُعِيَ خَلِيلَ اللَّهِ" (يع ٢: ٢٢-٢٣)، وموسى كانت له الحياة التي كان من المفترض لها - كفكر الكثيرين - أن تشغله عن الله، فقد كانت له زوجة (خر ٢: ٢١) وأبناء (خر ٢: ٢٢)، (خر ١٨: ٢-٣) هذا إلى جانب ثقل ومسؤولية قيادة الشعب الصلب الرقبة (خر ٣٢: ٩)، ومع ذلك لم تشغله أي من ارتباطاته عن عبادته تلك التي دُعي من خلالها كليم الله وصديقه (عدد ١٢: ٤-٨)، (خر ٣٣: ١١)، وداود كانت له انشغالات الزوجات (اصم ١٨: ٢٧)، (اصم ٢٥: ٣٩)، (اصم ١١: ١٤) والأبناء (اصم ٥: ١٤-١٦)، ومع ذلك لم تشغله هذه الارتباطات عن السعى الدؤوب ليبلل كل يوم فراشه بدموعه (مز ٦: ٦) - إِمَّا ضيقاً "لِكَلِمَاتِي أَصْنَعُ يَا رَبُّ. تَأْمَلْ صُرَاخِي. اسْمَعْ لَصَوْتِ دُعَائِي يَا مَلِكِي وَالْهَي لِأَنِّي إِلَيْكَ أَصْلِي" (مز ٥: ١-٢)، "عُدْ يَا رَبُّ. نَجِّ نَفْسِي. خَلِّصْنِي مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ. لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْمَوْتِ ذِكْرُكَ. فِي الْهَالِيَةِ مَنْ يَحْمَدُكَ؟" (مز ٦: ٤-٥) أو تَدُلُّلاً "اغْسِلْنِي كَثِيرًا مِنْ إِنْمِي وَمِنْ خَطِيئَتِي طَهِّرْنِي. لِأَنِّي عَارِفٌ بِمَعَاصِيٍّ وَخَطِيئَتِي أَمَامِي دَائِمًا" (مز ٥١: ٢-٣) أو فرحاً وسروراً "جَعَلْتَ سُرُورًا فِي قَلْبِي أَعْظَمَ مِنْ سُرُورِهِمْ إِذْ كَثُرَتْ حِنْطَتُهُمْ وَخَمْرُهُمْ" (مز ٤: ٧)، "أَنَا اضْطَجَعْتُ وَنِمْتُ. اسْتَيْقَظْتُ لِأَنَّ الرَّبَّ يَعْضُدُنِي. لَا أَخَافُ مِنْ رِبَوَاتِ الشُّعُوبِ الْمُصْطَفِينَ عَلَيَّ مِنْ حَوْلِي" (مز ٣: ٥-٦)، "وَيَفْرَحُ جَمِيعُ الْمُتَكَلِّينَ عَلَيْكَ. إِلَى الْأَبَدِ يَهْتَفُونَ وَتُظَلِّلُهُمْ. وَيَبْتَهِجُ بِكَ مُجِبُّو اسْمِكَ" (مز ٥: ١١) - لكي ما تكون له الدالة القوية مع الله تلك التي أعلن عنها الله نفسه في قوله "وجدت داود بن يسي رجلاً حسب قلبي الذي سيصنع كل مشيئتي" (أع ١٣: ٢٢).

بُطلان هذه الحُجّة من الوصايا الكتابيّة

الذين لازلوا لم يستعدوا بعد للحظة لقاء ربهم فى الدينونة المُخيفة^(٢٤٩) التى ستكون فى اليوم الأخير^(٢٥٠) الرهيب^(٢٥١) مُحْتَجِّينَ بِانْشَغالاتِ العالم التى فرضت عليهم ألا ينتبهوا من غفلتهم للانْشغال بالاستعداد لأهم لحظة يواجهونها على الإطلاق ستخزيهم يومها وصية الرسول بولس التى طالما دعتهم لإدراك أن وجودهم بالعالم واستخدامهم لما فيه لا يعنى الانشغال به لتصير له الأولوية والأفضلية العظمى "قَأْوُلُ هَذَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: الْوَقْتُ مُنْذُ الْآنَ مُقْصَرٌّ لِكَيْ يَكُونَ الَّذِينَ لَهُمْ نِسَاءٌ كَأَن لَيْسَ لَهُمْ وَالَّذِينَ يَبْكُونَ كَأَنَّهُمْ لَا يَبْكُونَ وَالَّذِينَ يَفْرَحُونَ كَأَنَّهُمْ لَا يَفْرَحُونَ وَالَّذِينَ يَسْتَرْشِدُونَ كَأَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ هَذَا الْعَالَمَ كَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَعْمِلُونَهُ. لِأَنَّ هَيْئَةَ هَذَا الْعَالَمِ تَزُولُ" (١كو ٧: ٢٩ - ٣١)، ولو ذاك - أى لو أن الانشغال بالعالم لزاماً على مَنْ فيه - لما قال بعدها "قَأْرِيدُ أَنْ تَكُونُوا بِلَا هَمٍّ^(٢٥٢). غَيْرَ الْمُتَزَوِّجِ يَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ كَيْفَ يُرْضِي الرَّبَّ وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُ فَيَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ يُرْضِي امْرَأَتَهُ. إِنَّ بَيْنَ الزَّوْجَةِ وَالْعَذْرَاءِ فَرْقًا: غَيْرَ الْمُتَزَوِّجَةِ تَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ لِتَكُونَ مُقَدَّسَةً جَسَدًا وَرُوحًا. وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجَةُ فَتَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ تُرْضِي رَجُلَهَا" (١كو ٧: ٣٢ - ٣٤)، وكأنه كان يدعو لعدم الدخول فى مُفاضلة وموازنة بين ترك العالم لعدم الانشغال به وبين الوجود فيه وقبول الانشغال به، لأن الذى يترك العالم لئلا يشغله سينشغل خارجاً عنه بأشياء أُخرى كثيرة لم يكن لِيُظَنُّ أنها لِنِقاهاستها ستشغله يوماً، ونفس الأمر الذى يُوَكِّدُ أن وجود الإنسان بالعالم ليس دافعاً أو عُذراً للانْشغال به أوضحه الرب فى مُناجاته للآب "لست أسألك أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير" (يو ١٧: ١٥) فلو كان الانشغال بالعالم مرتبطاً بالوجود فيه لطلب الرب يسوع من الآب أن يأخذ تابعيه منه - أى من العالم - لئلا ينشغلوا به فينجرفون وراءه للهلاك الأبدى.

وجوب عدم الانشغال حتى بالأمور الروحية

على أن الرب لم يُحذّر فقط من الانشغال بالأمور العالميّة لكنه أشار أيضاً إلى ضرورة الانتباه لئلا يتحوّل انشغال الإنسان من الأمور العالميّة إلى الأمور الروحية ولذلك عندما فرح الرُّسل السبعون بخضوع الشياطين لهم "فَرَجَعَ السَّبْعُونَ بِفَرَحٍ قَائِلِينَ: «يَا رَبُّ، حَتَّى الشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا بِاسْمِكَ!»" (لو ١٠: ١٧) أوضح لهم أن فرحهم الحقيقي يجب أن يكون لصيرورة أسمائهم مكتوبة في السموات (لو ١٠: ١٨ - ٢٠)، الأمر عينه الذي أشار إليه الجامعة في قوله "وَوَجَّهْتُ قَلْبِي لِمَعْرِفَةِ الْحِكْمَةِ وَلِمَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ وَالْجَهْلِ. فَعَرَفْتُ أَنَّ هَذَا أَيْضاً قَبْضُ الرِّيحِ. لِأَنَّ فِي كَثْرَةِ الْحِكْمَةِ كَثْرَةُ الْغَمِّ وَالَّذِي يَزِيدُ عِلْماً يَزِيدُ حُزْناً" (جا ١: ١٧ - ١٨). قال الأب موسى ليوحنا كاسيان عن بعض خداعات الشيطان التي بها يُحاول خداع الإنسان حتى بالأمور الروحية لِيُحاول الشيطان أن يخدعنا بالترزيف، كأن يحثنا على الانشغال ببعض أعمال الرحمة (بطريقة غير سليمة) وهو بهذا يظهر كأنه يتكلّم بفكر الآباء الحقيقي، فيقودنا إلى الرذيلة في شكل الفضيلة، فيخدعنا بالأصوام المفرطة أو المُستَحيلة أو الأسهار الطويلة أو الصلوات الزائدة عن الحد، وبهذا يجذبنا إلى نهاية سيئة، وقد يغويها بأن نُسلم أنفسنا إلى الاعتناء بالآخرين والافتقاد الروحي، وهو بهذا يخلعنا عن وجودنا الحقيقي في الدير ولينزع عنا سر الهدوء المُلزم لنا{.

ليس لإنسان عُذر في انشغالاته

أمّا الذين نسوا بل بالأكثر تناسوا أن الإنسان لن يشبع بالغنى الذي ينشغل بالوصول إليه (أم ٢٣: ٤) لأنه يُسبّب له الغم (جا ٢: ٢٢ - ٢٣)، والضرر (جا ٥: ١٣ - ١٥)، والمرارة (أى ٢٠: ١٤)، والسقوط (أم ١١: ٢٨)، ولأنه - أى هذا الغنى - لا يدوم له إلى

الأبد (جا ٣: ٢٢)، (أى ٣٠: ١٥)، فليس لهم أيضاً عُذْر فيما هُمْ مُنْشَغِلُونَ به لأنهم أُخْبِرُوا فى الكتاب المُقَدَّس بِأَمْثَلَةٍ عَمَلِيَّةٍ لَمْ يَكُنُوا فى انْشِغَالٍ دُؤُوبٍ لِلْبَحْثِ عَنِ الْغِنَى وَالْكَرَامَةِ ثُمَّ وَبَعْدَمَا بَلَّغُوا دَرَجَاتٍ عَالِيَةً لَمْ وَلَنْ يَبْلُغَهَا غَيْرُهُمْ اِكْتَشَفُوا أَنَّ الْكُلَّ بَاطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ وَلَا مَنَفَعَةٌ تَحْتَ الشَّمْسِ (جا ١: ١١)، كَسَلِيمَانِ الَّذِى لَمْ يَصِلْ آخِرَ غَيْرِهِ لِمَا كَانَ فِيهِ مِنْ غِنَى وَكَرَامَةٍ (جا ٢: ١ - ١٠)، وَمَعَ ذَلِكَ أَقَرَّ أَنَّ كُلَّ الْأَعْمَالِ الَّتِى عَمَلَهَا تَحْتَ الشَّمْسِ كَانَتْ بَاطِلَةً وَقَبْضُ الرِّيحِ (جا ١: ١٤)^(٢٥٤)، بَلْ وَطَفِقَ أَيْضاً يَعْلَمُ أَنَّهُ "لَيْسَ ذِكْرٌ لِلْحَكِيمِ وَلَا لِلْجَاهِلِ إِلَى الْأَبَدِ. كَمَا مُنْذُ زَمَانٍ كَذَا الْأَيَّامُ الْآتِيَّةُ: الْكُلُّ يُنْسَى. وَكَيْفَ يَمُوتُ الْحَكِيمُ؟ كَالْجَاهِلِ" (جا ٢: ١٦) وَأَنَّ "الْمَوْلَعَ بِالْكَسْبِ يُكْذَّرُ بِنَيْتِهِ" (أم ١٥: ٢٧).

فلو وجد الإنسان فى نفسه رغبة لا يُمكن أن يُشْبِعَهَا أى مما فى هذا العالم، فإن التفسير الأكثر احتمالاً هو أنه - أى الإنسان - خُلِقَ مِنْ أَجْلِ عَالَمٍ آخَرَ، إِنْ كَانَتْ كُلُّ الْمُتَمَتِّعِ الدُّنْيَوِيَّةِ لَا يُمكنهَا أَنْ تُشْبِعَهُ فَهَذَا لَا يُثَبِّتُ أَنَّ الْكَوْنَ خَدَّاعٌ بَلْ وَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَحْتَرِسَ، فَمِنْ نَاحِيَةٍ لَا يَحْتَقِرُ تِلْكَ النِّعَمَ الْأَرْضِيَّةَ وَإِلَّا لَكَانَ غَيْرَ شَاكِرٍ لِلَّهِ عَلَيْهَا، وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى لَا يَجِبُ أَنْ يَنْخَدِعَ بِهَا إِذْ هِىَ مُجَرَّدُ نَسْخَةٍ أَوْ صَدَى وَصُورَةٍ مِنَ الشَّيْءِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِى هُوَ الْأَبَدِيَّةُ الْمُفْرِحَةُ، يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُبْقِيَ فِي نَفْسِهِ الرِّغْبَةَ وَالِاشْتِيَاقَ لِوَطْنِهِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِى لَنْ يَجِدَهُ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ، لَا يَجِبُ أَيْضاً أَنْ يَتْرَكَ هَذِهِ الرِّغْبَةَ تُهْمَلُ وَتُنْقَلُ بِالْأَشْغَالِ، يَجِبُ أَنْ يَجْعَلَ الْأَبَدِيَّةَ الْهَدَفَ الرَّئِيسَى لِلْحَيَاةِ فَيَسْعَى نَحْوَ وَطْنِهِ السَّمَاوِيِّ بَلْ وَيُسَاعِدُ الْآخَرِينَ عَلَى ذَلِكَ أَيْضاً^(٢٥٥).

* عَدَمُ الشُّعُورِ بِالْوَقْتِ وَضِيَاعُ الْعُمْرِ^(٢٥٦)

حقاً إِنْ عَدَمَ شُعُورُ الْإِنْسَانِ بِالْوَقْتِ الَّذِى وَهَبَهُ اللَّهُ وَبِالْعُمْرِ الَّذِى أَعْطَاهُ إِيَّاهُ مِنْ الْأَسْبَابِ الَّتِى تَجْعَلُهُ - أى الإنسان - بَعِيداً عَنِ الْاِسْتِعْدَادِ تَرَقُّباً لِنَتَاكِ اللَّحْظَةِ الَّتِى سَيَلْقَى

فيها إلهه. قال أحدهم {إن الجحيم الحقيقي في النهاية سيكون هو بالتأكيد أن الرب يسوع كان واقفاً على باب قلبى طوال حياتى بينما أنا لم أدعه للدخول}، مثل هذا وغيره لم يفتح ليسوع طوال حياته ظناً منه أن الوقت كثير والعمر طويل فطفق يؤجل فتح الباب إلى أن أتته اللحظة التى لا ينفع فيها اعتذار ولا ندمٌ والتى أعلن الكتاب أنها تبغت الإنسان "صَوْتُ رُغُوبٍ فِي أذُنَيْهِ. فِي سَاعَةِ سَلَامٍ يَأْتِيهِ الْمُخَرَّبُ" (أى ١٥ : ٢١)، "لَأَنَّهُ حِينَما يَقُولُونَ: «سَلَامٌ وَأَمَانٌ» حِينَئِذٍ يُفَاجِئُهُمْ هَلَاكٌ بَغْتَةً، كَالْمَخَاضِ لِلْحَبْلِى، فَلَا يَنْجُونَ" (١ تس ٥ : ٣)، "يَقْضُونَ أَيَّامَهُمْ بِالْخَيْرِ. فِي لَحْظَةٍ يَهْبِطُونَ إِلَى الْهَابِيَةِ" (أى ٢١ : ١٣)، "لِلْأَجْلِ ذَلِكَ بَغْتَةً تُفَاجِئُهُ بَلِيَّتُهُ. فِي لَحْظَةٍ يَنْكَسِرُ وَلَا شِفَاءَ" (أم ٦ : ١٥) قاطعة آماله وأحلامه بالعمر الطويل المديد والوقت الكثير الطويل.

ليس لإنسان عُذْرٌ فى إضاعته لوقته

وكما أنه ليس لإنسان عُذْرٌ فى انشغالاته من حيث رؤيته عملياً لاختبارات الآباء الذين سبقوه، فليس له عُذْرٌ أيضاً فى إضاعته للوقت لأن الكتاب أعلن مراراً عن وجوب استثماره واستغلاله، فاليشع النبى عاتب تلميذه جيحزى لما أضاع وقتاً فى السعى وراء نَعْمَان السريانى طمعاً فى الكسب المادى الأرضي إذ قال له "أَلَمْ يَذْهَبْ قَلْبِي حِينَ رَجَعَ الرَّجُلُ مِنْ مَرْكَبَتِهِ لِلِقَائِكَ؟ أَهُوَ وَفَتٌ لَأَخْذِ الْفُضَّةِ وَلَأَخْذِ ثِيَابٍ وَزَيْنُونٍ وَكُرُومٍ وَغَنَمٍ وَبَقَرٍ وَعَبِيدٍ وَجَوَارٍ؟" (٢ مل ٥ : ٢٦)، ونحميا أرسل لسنبلط ولجثم العربى يُخْبِرُهُمَا أنه لا يقبل أن يُضيع وقتاً - بنزوله للقاءهما - إنما قد يستغلّه فى بناء سور أورشليم (نح ٦ : ٣) (٢٥٧)، والنبى فى المزمور أعلن أنه يستغل الوقت الذى منحه إياه الرب لحفظ وصاياه "أَسْرَعْتُ وَلَمْ أَتَوَانَ لِحِفْظِ وَصَايَاكَ" (مز ١١٩ : ٦٠)، وسليمان الحكيم أوصى بضرورة استغلال الإنسان لفرصة الوقت الممنوح له مُنذُ شبابه "أذكر خالقك فى أيام شبابك" (جا

١٢ : ١) لئلا إذا بغتته السنوات بسرعتها لا يقوى فى شيخوخته على أعمال التوبة مُنطبقاً عليه قول الرب لحزقيال النبى "هُوَذَا حِينْ كَانَ صَحِيحاً لَمْ يَكُنْ يَصْلُحْ لِعَمَلٍ مَا، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ لَا يَصْلُحْ بَعْدُ لِعَمَلٍ إِذْ أَكَلَتْهُ النَّارُ فَاحْتَرَقَ؟" (حز ١٥ : ٥)، والرب نفسه حينما دعا بطرس واندراوس لم يُضيع وقتاً فى كلماتٍ بلاغيّةٍ بل بادرهما بقوله "هَلُمَّ وَرَأْيِي فَأَجْعَلْكُمَا صَيَّادِي النَّاسِ" (مت ٤ : ١٩)، وهما بالتبعية لم يُضيعا وقتاً فى الاستفسارات والأسئلة بل "لِلْوَقْتِ تَرَكَا الشَّبَاكَ وَتَبِعَاهُ" (مت ٤ : ٢٠)، بنفس الحال أوصى حنانيا شاول بضرورة استغلال الفرصة التى أبقاها له الرب للتوبة إذ قال له "لِمَاذَا نَتَوَانَى؟ فَمَ وَعَتَمِدْ وَاغْسِلْ خَطَايَاكَ دَاعِياً بِاسْمِ الرَّبِّ" (أع ٢٢ : ١٦)، ودادود لم يُضيع وقت التوبة إذ أتاه ناثان النبى بل اعترف قائلاً "أَخْطَأْتُ إِلَى الرَّبِّ" (٢ صم ١٢ : ١٣)، وبطرس لم يُضيع الوقت حينما أنكر الرب لكنه استغل سريعاً فرصة التوبة التى قدمها له - أى الرب - بنظرته الحانية (لو ٢٢ : ٦١) فبكى بكاءً مُراً (لو ٢٢ : ٦٢).

اللحظة الأخيرة من بين ما ليس فى نطاق حُرِيّةِ إرادة الإنسان

فلئن كانت للإنسان حُرِيّةُ الإرادة فى الاختيار بين الخير والشر "قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَهَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِتَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ" (تث ٣٠ : ١٩)، وفى الاستماع لصوت الله أو تجاهله "إِنْ شِئْتُمْ وَسَمِعْتُمْ تَأْكُلُونَ خَيْرَ الْأَرْضِ. وَإِنْ أَبَيْتُمْ وَتَمَرَّدْتُمْ تُؤْكَلُونَ بِالسَّيْفِ. لِأَنَّ فَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ" (إش ١ : ١٩ - ٢٠)، وفى الإيمان به أو إنكاره "ان لم تؤمنوا فلا تؤمنوا"، فليس هو سيداً للوقت الذى جعله الرب فى سلطانه وحده "لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الْأَزْمَنَةَ وَالْأَوْقَاتِ الَّتِي جَعَلَهَا الْآبُ فِي سُلْطَانِهِ" (أع ١ : ٧)، ولا للعُمر الذى هو بيده لأنه "إله أرواح كل البشر" (عد ١٦ : ٢٢)، ولذلك وجب عليه - أى على الإنسان - ألا يُضيع فرصة الوقت الذى أتاحه له الله ليستعد للقائه على السحاب.

قال الكاتب (ايريك هوفر Eric Hoffer) {يُحَكِّمَ علينا بالموت عند الولادة، والحياة ما هي إلا رحلة فى حافلة إلى مكان الاعدام، كل كفاحنا وتنافسنا يكون حول المقاعد فى الحافلة، إلا أن الرحلة تنتهى قبل أن ندرك ذلك}.

* تأخر العلامات التى تسبق المجئ الثانى

من الأشياء التى يعتمد عليها البعض فى عدم استعدادهم لتلك اللحظة هو ظَنُّهُمْ الخاطئ بتأخر العلامات التى أعلن الرب عن سبقها لمجيئه الثانى ولسان حالهم يقول "أَيِّنْ هُوَ مَوْعِدُ مَجِيئِهِ؟ لَأَنَّهُ مِنْ حِينَ رَقَدَ الْآبَاءُ كُلُّ شَيْءٍ بَاقٍ هَكَذَا مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ" (٢بط ٣: ٤)، "قَدْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَخَابَتْ كُلُّ رُؤْيَا" (حز ١٢: ٢٢)، وتكالهم الباطل على عدم إتيان إنسان الخطيئة الذى أعلن عنه مار بولس الرسول لأهل تسالونيكي (٢تس ٢: ٣ - ٤)، ومع أن هذا الاتكال عينه قد يدحضه ما أعلنه مار يوحنا الحبيب عن إمكانية اعتبار أن كل من لا يعترف بتجسد الرب هو ضِدٌّ للمسيح^(٢٥٨) "أَيُّهَا الْأَوْلَادُ هِيَ السَّاعَةُ الْأَخِيرَةُ. وَكَمَا سَمِعْتُمْ أَنَّ ضِدَّ الْمَسِيحِ يَأْتِي، قَدْ صَارَ الْآنَ أَضْدَادًا لِلْمَسِيحِ كَثِيرُونَ. مِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّهَا السَّاعَةُ الْأَخِيرَةُ" (١يو ٢: ١٨)، إلا أن الإقرار بصِحَّة وبحقيقة إتيان ضد المسيح فى آخر الأيام لا يعنى تأجيل الإنسان لاستعداده لحين هذا الظهور لأنه لو لم يستعد فى أيام الراحة واليسر والرحب حيثُ الشيطان مُقَيِّدٌ (رؤ ٢٠: ٢) فكيف حاله سيستعد فى وقت الضيق الذى أعلن الرب إنه لم ولن يكون مثله على الأرض منذُ ابتداء الخليفة وإلى نهايتها؟! بل لربما ينطبق عليه وقتها ما قيل عن طفقوا مُقَسِّين قلوبهم عن التوبة حتى مع مُعَايِنَتِهِمْ لِلأحداث المُرعبة التى لآخر الأيام "ثُمَّ سَكَبَ الْمَلَائِكَةُ الرَّابِعُ جَامَهُ عَلَى الشَّمْسِ فَأُعْطِيَتْ أَنْ تُحْرِقَ النَّاسَ بِنَارٍ، فَاحْتَرَقَ النَّاسُ احْتِرَاقًا عَظِيمًا، وَجَدَفُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى هَذِهِ الضَّرَبَاتِ، وَلَمْ يَتُوبُوا لِيُعْطَوْهُ مَجْدًا" (رؤ ١٦: ٨ - ٩)،

"ثُمَّ سَكَبَ الْمَلَأُ الْخَامِسُ جَامَهُ عَلَى عَرْشِ الْوَحْشِ، فَصَارَتْ مَمْلَكَتُهُ مُظْلِمَةً. وَكَانُوا يَعْضُونَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ مِنَ الْوَجَعِ. وَجَدُّوا عَلَى إِلَهِ السَّمَاءِ مِنْ أَوْجَاعِهِمْ وَمِنْ قُرُوحِهِمْ، وَلَمْ يَتُوبُوا عَنْ أَعْمَالِهِمْ" (رؤ ١٦: ١٠-١١). قال أحدهم {ما أجهل الذى يؤجل عمل اليوم إلى الغد، إن أهل نينوى يُعطون درساً بليغاً للمتغافلين، فإنهم حينما سمعوا الإنذار بهلاك مدينتهم بعد أربعين يوماً لم يقولوا [لنصبر حتى آخر يوم وحينئذ نتوب] بل أسرعوا بالتوبة، فمن يترك نفسه خاطئاً على أمل التوبة بعد حين أشبه بمن يحاول الرقص على فم هوة عميقة، أو بمن يريد أن يجرب فعل السم فيشرب منه قليلاً، أو بمن يدوس على الشوك ليعرف مقدار ألمه، كثيرون يُخاطرون باللعب والانغماس فى الملذات وهو على باب القبر وعلى فم الهاوية}.

بدء تحقق نبوات إنتهاء الأيام

مثل هؤلاء المعتمدين على بطلان النبوات وكذب كل رؤيا (حز ١٢: ٢٢) سوف تخزيهم نبوات الرب عن الأحداث المترامنة وآخر الأيام تلك التى قال عنها "انظروا! لا يضلِّكم أحد. فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: أَنَا هُوَ الْمَسِيحُ! وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ. وَسَوْفَ تَسْمَعُونَ بِحُرُوبٍ وَأَخْبَارِ حُرُوبٍ. أَنْظُرُوا، لَا تَرْتَاعُوا. لِأَنَّهُ لَا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ كُلُّهَا، وَلَكِنْ لَيْسَ الْمُنْتَهَى بَعْدُ. لِأَنَّهُ نَقُومُ أُمَّةً عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةً عَلَى مَمْلَكَةٍ، وَتَكُونُ مَجَاعَاتٌ وَأُوبَةُ زَلَزَلٍ فِي أَمَاكِنَ. وَلَكِنْ هَذِهِ كُلُّهَا مُبْتَدَأُ الْأَوْجَاعِ. حِينَئِذٍ يُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى ضَيْقٍ وَيَقْتُلُونَكُمْ، وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ لِأَجْلِ اسْمِي. وَحِينَئِذٍ يَعْثُرُ كَثِيرُونَ وَيُسَلِّمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُبْغِضُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَيَقُومُ أَنْبِيَاءُ كَذِبَةٍ كَثِيرُونَ وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ. وَلَكثَرَةُ الْإِثْمِ تَبْرُدُ مَحَبَّةُ الْكَثِيرِينَ. وَلَكِنْ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ. وَيُكْرَزُ بِبَشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هَذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الْأُمَمِ. ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى" (مت ٢٤: ٤-١٤) لأن

كثيراً منها - إن لم يكن أغلبها - قد تحقق ولا يزال يتحقق مُنذُ سنوات قريبة وبعيدة، فالمُضِلُّون الذين أتوا باسم المسيح كانوا ولا يزالون كثيرين، والحروب ليست كثيرة فحسب لكنها تعددت وتتنوع في وسائلها وأسلحتها حتى صارت أشدَّ فتكاً مما كانت عليه، وأخبارها صارت تملأ الصُحف والمجلات والنشرات الإخبارية حتى أنه لا يكاد يخلو يومٌ لا يُسمع فيه عن قيام أمة على غيرها ومملكة على أخرى، الأمر الذي تَعَدَّى إلى حد قيام أفراد الأمة الواحدة بل والبيت الواحد على بعضهم البعض.

هذه الحروب الطاحنة تودّي لما أشار إليه الرب عندما تكلّم عن المجاعات التي صارت تملأ الكرة الأرضية من مشارقها إلى مغاربها ومن شمالها إلى جنوبها، والأوبئة التي جاءت نتاج لأنواع الأسلحة البيولوجية والنووية والذرية المختلفة والتي تَقْنِنُ العقل البشري في اختراعها وابتكارها، أمّا عن أحداث الاضطهاد التي بسبب الإيمان والتي أشار إليها الرب حينما قال "حِينَئِذٍ يُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى ضَيْقٍ وَيَقْتُلُونَكُمْ، وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ لِأَجْلِ اسْمِي" (مت ٢٤: ٩) فهي موجودة منذ صعود الرب جسدياً إلى السماء، وقد بلغت إحدى فترات ذروتها في عصر الاستشهاد حتى اعتبرها كثيرون أنها الضيقة العظمى التي أنبأ عنها الرب في الإنجيل، وهي لا تزال مُستمرةً بأنواعٍ وطرائقٍ مُختلفةٍ ومُتباينةٍ منها الاضطهادات المعنوية كالبُغضة التي يكنّها أبناء العالم لأبناء الله في كل مكان وزمان، وكالمهانة والتعيير اللذان يواجهانهما لأجل اسم الرب، وكالافتراء الذي يُفترى به عليهم لتبعيتهم له، ومنها أيضاً الاضطهادات الجسدية التي تكون من حيث عدم قبول المؤمنين لإنكار الإيمان، الأمر الذي جاء في قول الرب "لَا تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلَكِنَّ النَّفْسَ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ" (مت ١٠: ٢٨)، ولا يخفى عن أحدٍ إن كل هذه الآلامات أدّت في بعض الأحيان لبرود محبة الكثيرين ولتَشَكُّك آخرين وعثرتهم في الإيمان إذ مالوا للطريق الواسع الرحب.

ثُمَّ ولا ينكر عاقلٌ أن هذه الأيام التى سهل فيها الانتقال والسفر لأقصى الأرض فى ساعاتٍ محدودةٍ وتيسَّر فيها التقاء الأفكار والآراء عن طريق شبكة المعلومات الدوليَّة - التى ساعدت على تَفَتُّح العقول الحجرية التى كانت قبلاً رافضةً للنقاش المنطقى القويم فيما يختص بالأُمور الدينيَّة - أدَّت إلى ما أنبأ عنه الرب بخصوص انتشار بشارَةِ الإنجيل لأقصى المسكونة حيث وصلت إلى القبائل البربرية فى إفريقيا وحتى بلاد الإسكيمو فى المناطق ذات البحار المتجمدة هذا فضلاً عما ورد فى آخر إحصاء يُفيد أن بليون نسمة فى العالم قد وصلت إليهم دعوة الخلاص وأن نحو ٨٠ مليون إنجيل يُوزَّع سنوياً مُترجماً إلى ألفين لهجة ولغة، فأية حُجَّة لِمَثَل هؤلاء المُقسَّمين قلوبهم والمُتكلِّين على تأخر العلامات التى تُنبئ بمجئ الرب القدوس على السحاب، وها هى حادثة أمام الأعين الروحية الحكيمة، يقبلها الذين من خارج الإيمان (كو ٤ : ٥) فيأتون من الحظائر البعيدة لحظيرة الراعى الأعظم والأوحد يسوع المسيح (يو ١٠ : ١٦) مُغتصبين الملكوت (مت ١١ : ١٢) مُتكلِّين فى حِضن إبراهيم (لو ١٦ : ٢٢) بل وعلى صدر الرب نفسه لكى ما يمسح كل دمة من عيونهم التى طالما أعمأها الشيطان عن اقتبال الحق، لكن لما دعاهم الرب قبلوا دعوته فصاروا "لَيْسَ فِيهِمْ رَازِحٌ وَلَا عَائِرٌ. لَا يَنَعْسُونَ وَلَا يَنَامُونَ وَلَا تَتَحَلَّ حُرْمٌ أَحْقَانِهِمْ وَلَا تَتَقَطَّعُ سُيُورُ أَحْذِيَّتِهِمْ. الَّذِينَ سِهَامُهُمْ مَسْنُونَةٌ وَجَمِيعُ قَسِيَّتِهِمْ مَمْدُودَةٌ. حَوَافِرُ خَيْلِهِمْ تُحْسَبُ كَالصَّوَانِ وَبَكَرَاتُهُمْ كَالرُّوْبَعَةِ. لَهُمْ زَمْجَرَةٌ كَاللَّبَوَةِ وَيُرْمَجُرُونَ كَالشُّبْلِ وَيَهْرُونَ وَيُمْسِكُونَ الْفَرِيَسَةَ وَيَسْتَخْلِصُونَهَا وَلَا مُنْقَذَ. يَهْرُونَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ كَهَدِيرِ الْبَحْرِ. فَإِنْ نُظِرَ إِلَى الْأَرْضِ فَهَؤُذَا ظِلَامٌ الضِّيقِ وَالثُّرَى قَدْ أَظْلَمَ بِسُحْبِهَا." (إش ٥ : ٢٧ - ٣٠)، فى لِفَرحتهم وعزائهم ويا لِعَصَّة حلق المسيح^(٢٥٩) وقد رأى كل هؤلاء قبلوا بقوة شديدة وبغيرة عظيمة إلى الإيمان باسمه فى حين أن أبناء الإيمان الذين كان يُفترض لهم أن يرثوا الملكوت لم يصبحوا فى درجة ثانيةٍ مِنْهُ فحسب بل طُرِحوا أيضاً إلى الظُلْمة الخارجيّة المؤبَّدة.

حُجَجٌ بِسَبَبِ فَهْمِ خَاطِي

* الاتكال على تنفيذ وصية واحدة

الأولون كانوا فى انشغال عن الاستعداد للحظة لقائهم بربهم، أما هؤلاء فهم فى ثقة تامة وكاملة أنهم على الطريق القويم والإيمان الصادق "هناك طرق تبدو لإنسان مُستقيمة وعاقبتها الموت" (أم ١٤: ١٢)، "كل طرق الإنسان نقيّة فى عيني نفسه والرب وازن الأرواح" (أم ١٦: ٢) بتنفيذهم أو بالحرى بتركيزهم على إتمام وصية واحدة فقط من وصايا الرب والسعى باجتهاد للمضى قدماً فيها للوصول لأعلى درجات كمالها.

تنفيذ وصية واحدة يفتقر إلى المنطق

وإننا لو أخذنا بِحُجَّةِ هؤلاء لوجدناها تفتقر إلى المنطق السليم والحكمة العالمية التى لأهل هذا العالم، لأن الذى يُركّز على تنفيذ وصية واحدة دوناً عن كافة الوصايا لو دَلَّ فى هذه الوصية الواحدة لأية أسباب لصار حتماً فى انفصالٍ كاملٍ مع يسوع الذى كان مُلتصقاً به من خلال هذه الوصية الواحدة، وهذا يُشابه طالباً اجتهد فى الدرس والحفظ والتحصيل لفصلٍ أو بابٍ واحدٍ من الكتاب رجاءً منه أنه ينال النجاح عن طريق حفظه لهذا الدرس الواحد الذى حفظه، فلما أتاها الامتحان ولم يجد فيه البسيط الذى حفظه جيداً لم يصبه النجاح الذى وثق فى الحصول عليه قبلاً! أما لو حفظ الإنسان كافة وصايا الرب فى الكتاب فلو دَلَّ فى واحدة منها لَقَدَر بسهولة أن يُقدِّم عنها توبة صادقة استناداً على قوة الحق الذى فى بقيتها والذى يجتذبه بسهولة لإتمام ما لم يعد يُتممه، كداود الذى حفظ كافة الوصايا الإلهية "حِينَئِذٍ لَا أُخْزَى إِذَا نَظَرْتُ إِلَى كُلِّ وَصَايَاكَ" (مز ١١٩: ٦)، "هَذَا صَارَ لِي لِأَنِّي حَفَظْتُ وَصَايَاكَ" (مز ١١٩: ٥٦)، "لِأَجْلِ ذَلِكَ حَسِبْتُ كُلَّ وَصَايَاكَ

فِي كُلِّ شَيْءٍ مُسْتَقِيمَةً. كُلُّ طَرِيقٍ كَذِبٌ أَبْغَضْتُ" (مز ١١٩ : ١٢٨) فَلَمَّا أَخْطَأَ فِي وَاحِدَةٍ
مِنْهَا اجْتَنَبَهُ الْحَقُّ الَّذِي فِي بَقِيَّتِهَا لِيَرْجِعَ تَائِباً نَادِماً بَاكِياً يَقُولُ "أَخْطَأْتُ إِلَى الرَّبِّ" (٢ صم
١٢ : ١٣)، "تَذَكَّرْتُ أَيَّامَ الْقَدَمِ. لَهَجْتُ بِكُلِّ أَعْمَالِكَ. بِصَنَائِعِ يَدَيْكَ أَتَأَمَّلُ" (مز ١٤٣ : ٥).

تَفْذِيزُ وَصِيَّةٍ وَاحِدَةٍ يُخَالِفُ تَعْلِيمَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ

هَذَا مِنْ نَاحِيَةٍ، أَمَّا مِنْ النَاحِيَةِ الْآخَرَى فحفظ الإنسان لوصية واحدة لا يعفه من
عقوبة عدم إتمام بقيتها، ودليلنا على ذلك أن الوصايا الإنجيلية نفسها تأمر وتوصي
بوجوب إتمام كافة الوصايا والحرص على تنفيذ كل منها، الأمر عينه الذي جاء في
وصية مار يوحنا الإنجيلي "وَبِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّنا قَدْ عَرَفْنَاهُ: إِنْ حَفِظْنَا وَصَايَاهُ. مَنْ قَالَ قَدْ
عَرَفْتُهُ وَهُوَ لَا يَحْفَظُ وَصَايَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ وَلَيْسَ الْحَقُّ فِيهِ" (١ يو ٢ : ٣ - ٤)، "بِهَذَا نَعْرِفُ
أَنَّنا نُحِبُّ أَوْلَادَ اللَّهِ: إِذَا أَحْبَبْنَا اللَّهَ وَحَفِظْنَا وَصَايَاهُ إِنَّ هَذِهِ هِيَ مَحَبَّةُ اللَّهِ: أَنْ نَحْفَظَ
وَصَايَاهُ. وَوَصَايَاهُ لَيْسَتْ ثَقِيلَةً" (١ يو ٥ : ٢ - ٣). وجاء أيضاً قائله الملاك ليوحنا
الحبيب "هَنا صَبْرُ الْقِدِّيسِينَ. هَنا الَّذِينَ يَحْفَظُونَ وَصَايَا اللَّهِ وَإِيمَانُ يَسُوعَ" (رؤ ١٤ : ١٢)
وفيما قاله الرب نفسه في موعظته على الجبل تلك التي علّم فيها بضرورة التركيز على
كافة الوصايا كعدم البُغْضة (مت ٥ : ٢٢) وأهمية مغفرة الإنسان للمُخْطِئِينَ إِلَيْهِ بِلِ
وَمُصَالَحَتِهِ لَهُمْ (مت ٥ : ٢٣)، ولزوم ضبط الإنسان لعينيه لكي لا يسقط في الزنا (مت
٥ : ٢٧ - ٣٠) وعدم المُرْءاة - أى الرياء - في الصلاة (مت ٦ : ٥ - ٨) وعدم التباهي
لا بالصدقات (مت ٦ : ١ - ٤) ولا بالصوم (مت ٦ : ١٦ - ١٨)، وعدم الادانة (مت ٧ :
١) وضرورة اللجاجة في الصلاة (مت ٧ : ٧ - ١٢) والاجتهاد فيها وفي غيرها من
الفضائل (مت ٧ : ١٣ - ١٤)، وهكذا لم يعلن في أى موضع منها أو من غيرها على
جواز التركيز على وصية واحدة دون غيرها.

"البر" فى تطويب الجِيع والعِطاش له يُفهم بإتمام كل الوصايا

هذا الأمر الخاص بأهمية إتمام الإنسان لكافة الوصايا الكتابية أعلنه الرب أيضاً عندما أعطى الطوبى للجِيع والعطاش إلى البر (مت ٥: ٦) وللمطرودين من أجله (مت ٥: ١٠) ولا يقول عاقلٌ إن الإنسان بإتمامه لوصية واحدة دون غيرها يصل لحاله من البر طوب الرب المتعطشين إليها والمطرودين لأجلها.

تنفيذ وصية واحدة يُخالف تعليم العهد القديم

ثمَّ أن نفس هذا الأمر الخاص بوجوب حفظ الإنسان لكافة الوصايا الإنجيلية يمتد إلينا من قديم عهد الله مع اليهود الأمر الذى يتضح من قول الجامعة "لِيَكُنِ الرَّبُّ إِلَهَنَا مَعَنَا كَمَا كَانَ مَعَ آبَائِنَا فَلَا يَتْرُكْنَا وَلَا يَرْفُضُنَا. لِيَمِيلَ بِقُلُوبِنَا إِلَيْهِ لِنَسِيرَ فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ وَنَحْفَظَ وَصَايَاهُ وَفَرَائِضَهُ وَأَحْكَامَهُ الَّتِي أَوْصَى بِهَا آبَاؤُنَا" (١مل ٨: ٥٧-٥٨) ومن قول الملك يوشيا "إذْهَبُوا اسْأَلُوا الرَّبَّ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ مَنْ بَقِيَ مِنْ إِسْرَائِيلَ وَيَهُودَا عَنْ كَلَامِ السَّفَرِ الَّذِي وَجَدَ لِأَنَّهُ عَظِيمٌ غَضَبُ الرَّبِّ الَّذِي انْسَكَبَ عَلَيْنَا مِنْ أَجْلِ أَنْ أَبَاؤَنَا لَمْ يَحْفَظُوا كَلَامَ الرَّبِّ لِيَعْمَلُوا حَسَبَ كُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي هَذَا السَّفَرِ" (٢أخ ٣٤: ٢١)، ومن قول النبی فی المزامیر "بِاللّهِ نَفْتَخِرُ الْيَوْمَ كُلَّهُ وَاسْمُكَ نَحْمَدُ إِلَى الدَّهْرِ. سِلَاحَهُ" (مز ٤٤: ٨) ومن قول الله "إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ لِسَوْتِ الرَّبِّ إِلَهِكَ وَتَصْنَعُ الْحَقَّ فِي عَيْنَيْهِ وَتَصْغَى إِلَى وَصَايَاهُ وَتَحْفَظُ جَمِيعَ فَرَائِضِهِ فَمَرْضَاً مَا مِمَّا وَضَعْتُهُ عَلَى الْمَصْرِيبِينَ لَا أَضَعُ عَلَيْكَ. فَإِنِّي أَنَا الرَّبُّ شَافِيكَ" (خر ١٥: ٢٦).

الدعوة للكمال لا تتناسب والتعليم بحفظ وصية واحدة

مما لاشك فيه أن دعوة المسيح للإنسان للكمال "كونوا كاملين كما أن أباكم في السماء هو كامل" (مت ٥ : ٤٨) تلغى كافة مُحاولات الإنسان لاقناع نفسه بجواز التركيز على وصية واحدة من الوصايا الإلهية لأنه أية وصية تقدر أن تصل بمُتممها لحالة الكمال الذى قصده الرب للإنسان؟! الأمر عينه الذى يتضح من دعوة الرسول للتمثل بقداسة الرب "بَلْ نَظِيرَ الْفُؤُوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً قَدِيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ" (١بط ١ : ١٥)، فأية وصية واحدة تقدر أن تصل بمُتممها إلى حالة القداسة التى يُتشبه فيها بالرب هذا فى حال لم يُذَلَّ فيها أبداً؟!

وإذ يتضح أن الرسول قصد من المسيحي السعي للتمثل بقداسة الرب فى كل عمل كالكلمات المقدسة والسيرة المقدسة والأفكار المقدسة لزالَت كل شكوك تُحيط بالإنسان مُقنعة إياه بالتركيز على وصية واحدة لأن الكلام المقدس يستدعى منه أن يُدَقَّق فى كلماته - وهذه وصية - وأن يجتهد فى إتمامها - وهذه أخرى -، والسيرة المقدسة تقتضى منه أيضاً إثبات بعض الأعمال التى تصل به لِقَداسة السيرة وهكذا فالأفكار المقدسة تحتاج منه لِدَقِيق واجتهاد ومن ثَمَّ إيمان وصلاة وتذلل أمام الرب وكُلِّ منها يقتضى منه إتمام وصية تتألف معاً جميعها لتصل به للقداسة التى يبتغيها والتى تُشابه نسبياً قداسة الرب، وليس من المنطقى أن الإنسان بإتمامه لوصية واحدة يقدر أن يصل لهذه المِشابهة لِقَداسة الرب!

فكرة خاطئة

الذين يحتجون بجواز الاكتفاء بحفظ وصية واحدة من وصايا الرب يتكلمون على سير حياة بعض القديسين ممن ظهر حفظهم لوصية واحدة وشُهرتهم بها كالأنبا أرسانيوس

الذى اشتهر بحِفْظِه للصمت وكالأنبا موسى الأسود الذى اشتهر بِمحبَةِ الغرباء وإضافتهم وكالقديس عبد المسيح المناهرى الذى اشتهر بالسعي وراء المهانة والقديس عبد المسيح الحبشى الذى اشتهر بالنسك، ونحن ببساطة نقول أن تَمَيَّز أحد القديسين فى إحدى الوصايا لا يعنى عدم إِتِمَامِه للوصايا الأخرى الأمر الذى أعلنه الرب فى قوله "فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِهِ الْوَصَايَا الصَّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هَكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهَذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ" (مت ٥ : ١٩) وكشف عنه مار يعقوب الرسول لَمَّا قال "مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَامُوسِ وَإِنَّمَا عَثِرَ فِي وَاحِدَةٍ فَقَدْ صَارَ مُجْرِمًا فِي الْكُلِّ" (يع ٢ : ١٠).

*الالتكال على محبة الله

إن كان البعض يَتَكَلَّونَ على تنفيذهم لِوَصِيَّةٍ وَاحِدَةٍ فَهَؤُلَاءِ يُتَمَمُّونَ أَغْلِبُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ جَمِيعُهَا لَكِنْ بَتَوَانٍ غَيْرِ مُقَدَّمِينَ عَنْهُ تَوْبَةً بَلْ مُتَكَلِّينَ فِيهِ عَلَى الْمَحَبَةِ الْقَوِيَّةِ لِلْمَسِيحِ الَّذِي لَا يَشَاءُ مَوْتَ الْخَاطِئِ مِثْلَ أَنْ يَرْجِعَ وَيَحْيَا^(٢٦٠) وَالَّذِي "يُرِيدُ أَنْ الْجَمِيعَ يَخْلُصُونَ وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يَقْبَلُونَ" (١تى ٢ : ٤) نَاسِينَ بَلْ بِالْحَرَى مُتَنَاسِينَ أَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ تَتَلَقَّى الْمَحَبَّةَ وَالْعَدْلَ مِنْ نَاحِيَةِ الرَّحْمَةِ وَالْحَقِّ مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى "الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ النَّقِيَّانِ. الْبِرُّ وَالسَّلَامُ تَلَاثَمَا. الْحَقُّ مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُتُ وَالْبِرُّ مِنَ السَّمَاءِ يَطْلُعُ" (مز ٨٥ : ١٠ - ١١)،

أمثلة من تلازم محبة المسيح وعدله

فَمَحَبَّةُ اللَّهِ الَّتِي اقْتَضَتْ مِنْهُ أَنْ يَخْلُقَ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ وَشَبِيهِهِ (تك ١ : ٢٧) لَمْ تَلْغِ عَدْلَهُ عِنْدَمَا أَخْطَأَ فَحُكِمَ عَلَيْهِ بِالطَّرْدِ مِنَ الْجَنَّةِ (تك ٣ : ٢٤)، وَمَحَبَّتُهُ الَّتِي اقْتَضَتْ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَكُلَّ جَنْدِهَا "بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَوَاتُ وَبِنَسْمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا"

(مز ٣٣: ٦) لم تلغ عدله في الحُكم على الملائكة الساقطين بالهلاك الأبدى "لأنَّهُ إِن كَانَ الله لَمْ يُشْفِقْ عَلَى مَلَائِكَةٍ قَدْ أَخْطَأُوا، بَلْ فِي سَلَاسِلِ الظَّلَامِ طَرَحَهُمْ فِي جَهَنَّمَ، وَسَلَّمَهُمْ مَحْرُوسِينَ لِلْقَضَاءِ"، (٢بط ٢: ٤)، ومحبته التي جعلته يُطيل أناته على من كثر شرورهم وخطاياهم "وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الْإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارٍ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شَرِيرٌ كُلُّ يَوْمٍ" (تك ٦: ٥) لم تلغ عدله الذي به حكم عليهم بالهلاك "فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمَلَ الْإِنْسَانِ فِي الْأَرْضِ وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. فَقَالَ الرَّبُّ: «أُمَحُو عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ الْإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ: الْإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمٍ وَدَبَابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ. لِأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ»". (تك ٦: ٦ - ٧)، ومحبته التي جعلته يَخْصُ بنى إسرائيل بأبوته ورعايته لم تلغ عدله الذي فيه حكم على العصاة منهم بالموت "فَأُرِيدُ أَنْ أَذْكُرْكُمْ، وَلَوْ عَلِمْتُمْ هَذَا مَرَّةً، أَنَّ الرَّبَّ بَعْدَمَا خَلَصَ الشَّعْبَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، أَهْلَكَ أَيْضاً الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا" (يه ٥)، وهكذا فمحبته التي أظهرها للإنسان في ملء الزمان بأخذه لجسد بشري من خلاله أتم فيه حُكم الموت الصادر عليه - أى على الإنسان - لم تلغ عدله بأن يعطى الويل لِمَنْ أَصْرُوا على عدم قبوله "وَيْلٌ لَكَ يَا كُورَزِينَ! وَيْلٌ لَكَ يَا بَيْتَ صَيْدَا! لِأَنَّهُ لَوْ صُنِعَتْ فِي صُورَ وَصَيْدَاءَ الْقَوَاتِ الْمُصْنُوعَةُ فِيكُمْ، لَتَابَتَا قَدِيمًا جَالِسَتَيْنِ فِي الْمُسُوحِ وَالرَّمَادِ. وَلَكِنَّ صُورَ وَصَيْدَاءَ يَكُونُ لهُمَا فِي الدِّينِ حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالًا مِمَّا لَكُمْ. وَأَنْتِ يَا كَفَرَنَّاخُومُ الْمُرْتَفِعَةُ إِلَى السَّمَاءِ! سَتُهْبَطِينَ إِلَى الْهَاطِوَةِ" (لو ١٠: ١٣ - ١٥) "ابن الإنسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يُسَلَّم بن الإنسان، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد" (مر ١٤: ٢١).

رأس الحكمة مخافة الرب

على أَنَّ الرب ولكى ما يلفت انتباه الإنسان إلى عدم التوكّل بل بالحرى التواكل على محبته المُجَرَّدَة من عدله^(٢١١) جعل من خوف الإنسان له الدرجة الأساسيّة التى عليها يبنى أولى خطواته فى طريقه الروحى الطويل، بل وأوضح له أَنَّ فى الخوف ثقةً شديدة به (أم ١٤ : ٢٦) ويَغْضَةُ للشر (أم ٨ : ١٣)، وَحِكْمَةً (أى ٣٧ : ٢٤)، وَغْنَى (أم ٢٢ : ٤) وفرصةً لنوال المُكَافَأَةِ (أم ١٣ : ١٣) واقتناصاً لرأفات الرب (مز ١٠٣ : ١٣).

إذن لا يجب على المسيحي أن يتواكل على محبة المسيح القويّة لأنه هو نفسه من حَذَّر من عاقبة التواكل عليها بلسان مار بولس الرسول الذى قال "أَمْ تَسْتَهِينُ بِغِنَى لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطَوَّلِ أُنَاتِهِ غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللَّهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى النُّوبَةِ؟ وَلَكِنَّكَ مِنْ أَجْلِ قَسَاوَتِكَ وَقَلْبِكَ غَيْرِ التَّائِبِ تَذَخَّرْ لِنَفْسِكَ غَضَباً فِي يَوْمِ الْغَضَبِ وَاسْتِعْلَانِ دَيْئُونَةِ اللَّهِ الْعَادِلَةِ الَّذِي سَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ" (رو ٢ : ٤ - ٦)، وكما أنه فى محبته أعطى الوزنات لعبيده لكى ما يتاجروا بها (لو ١٩ : ١١) ففى عدله عاقب الذى لم يكن أميناً فيما أعطاه (لو ١٩ : ٢٢).

حُجَجٌ بسبب سلوكٍ خاطئ

* العادة الروتينيّة

قال أحدهم {لقد تَحَوَّلَ العالم إلى طريقة أكثر دهاءً لِلتَّخَلُّصِ من يسوع حتى ولو أظهر أنه يعبد، لقد وضعه على مذبح عالٍ بأشكال كثيرة الثمن وبزينته الفاخرة، ثُمَّ عمل له سياجاً هُناك، لقد قال العالم له [أَمْكُثْ هُناك، هذا هو المكان المناسب لك، أَمْكُثْ هُناك وعندما يأتى يوم الأحد سوف أَعْبُدُكَ]}، وقال الأب أنتونى كونياريى {توجد طُرُقٌ مُتَعَدِّدَةٌ ومُهَدَّبَةٌ لِحَبْسِ يسوع فى الداخل، أحياناً نعملها أثناء طقوس خدمة الكنيسة،

فَتُصْبِحُ الخدمة قوقعة تتسحب الكنيسة إليها فاقدة كل اتصال بالعالم، نحن نَجِدُ المسيح في خدمة طقس الكنيسة ونتركه هُناك، نحن لا نأخذه معنا إلى العالم}.

مِمَّا لاشك فيه أن الغيرة والحمية للاستعداد لِشَيْءٍ تتوقف على مدى إدراك الإنسان لقيمة هذا الشئ، لذلك لَمَّا لا يدرك المسيحي قيمة الخلاص الذى قدمه له المسيح على الصليب المقدس ينغمس تبعاً فى عبادة روتينية تحرمه من الاستعداد بل بالحرى لا تجعل لاستعداده - من وجهة نظره - معنى وجدوى فيصير بلا روح (حب ٢ : ١٩)، وبلا ثمر (يو ١٥ : ٢) فتعثره البيبوسة (رؤ ١٤ : ١٥).

الفريسيّة مثال للروتينية

مثل هؤلاء يُشابهون الفريسيين فى روتينية عبادتهم "قَائِي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكُتْبَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ" (مت ٥ : ٢٠)، تلك الروتينية التى جعلتهم يكتفون بالألقاب العالمية "وَيُحِبُّونَ الْمُتَكَبَّرَ الْأَوَّلَ فِي الْوَلَائِمِ، وَالْمَجَالِسِ الْأُولَى فِي الْمَجَامِعِ، وَالتَّحِيَّاتِ فِي الْأَسْوَاقِ، وَأَنْ يَدْعُوَهُمُ النَّاسُ: سَيِّدِي سَيِّدِي" (مت ٢٣ : ٦ - ٧)، والأُمُجَادِ الْأَرْضِيَّةِ "وَكُلَّ أَعْمَالِهِمْ يَعْمَلُونَهَا لِكَيْ تَنْظُرَهُمُ النَّاسُ: فَيَعْرِضُونَ عَصَائِبَهُمْ وَيُعْظَمُونَ أَهْدَابَ ثِيَابِهِمْ"، (مت ٢٣ : ٥)، فلم يدركوا الهدف من كل هذه الاجتهادات والعبادات ألا وهو التَّعَرُّفُ على شخص المسيح الذى ينتظرونه مُنذ القديم الأمر الذى يتضح من عتاب مار بولس الرسول لهم "لَأَنَّ السَّاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ وَرُؤُسَاءَهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا هَذَا. وَأَقْوَالُ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي تَقْرَأُ كُلَّ سَبْتٍ تَمِّمُوهَا إِذْ حَكَمُوا عَلَيْهِ" (أع ١٣ : ٢٧).

مظاهر العبادة الروتينية

مثل هؤلاء المشابهين للفريسيين فى روتينية عبادتهم تجدهم مُصلّين مُكتفين بإتمامهم لوصية الرب بوجوب الصلاة غير مُدركين لقوتها وفعاليتها، تجدهم مُقدمين مما عندهم صدقة مُكتفين بتنفيذهم لوصية كتابية غير شاعرين بمحبة المسيح التى كان من المُفترض لها أن تتسكب داخل قلوبهم وأفئدتهم بالعطف على مَنْ فى احتياج وعوز، تجدهم مُتكلمين عن الرب لكن غير شاعرين بقوته ومحبته الأمر الذى ينحرف بهم لسلوك خاطئ ينطبق عليهم معه قول الرسول "يعترفون أنهم يعرفون الله لكنهم بالأعمال ينكرونه" (تيطس ١: ١٦)، تجدهم مُداومين على صلوات الكنيسة وأعيادها ومُناسباتها لكن غير مُدركين لقيمتها، تجدهم غافرين لمن أخطأوا إليهم - بصعوبة - مُكتفين بإتمامهم لوصية مُجرّدة غير شاعرين بقوة الروح الحال فيها والتى تلهب الشخص محبةً ليسوع الذى أحب أن يغفر لكل إنسان كافة زلاته عن طريق إعطائه الوصية البسيطة بمغفرته هو نفسه للآخرين "إن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر أبوكم السماوى لكم زلاتكم" (مت ٥: ٢٠)، تجدهم مُجادلين فى عقائد الكنيسة وطقوسها لكن غير مُدركين لأهمية تقية ضمائرهم وسلوكياتهم وألفاظهم لئلا ينطبق عليهم قول الرب "كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سيعطون عنها حساباً يوم الدين، لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تُدان" (مت ١٢: ٣٧). قال الأب أنتونى كونياريىس {إن وُجد اليوم مَنْ يعتقدون أن الله ميت^(٢٦٢) فهل نلومهم نحن المسيحيون، أما يُمكن أن نكون نحن الذين دفنّا المسيح فى كنائسنا، فى عقائدنا، فى قُداساتنا، فى أيقوناتنا، فى كُتُبنا المُقدسة؟ لقد خبأنا نور المسيح تحت مكيال وجعلنا العالم يُصدّق أن الظلام هو الحقيقة الوحيدة}، وقال أيضاً {يوجد اليوم عدد هائل من المسيحيين يتركون المسيح داخل سياج مُغلق داخل الكنيسة، ويرفضون أن يأخذوه

معهم خارجاً ليشغل معهم، والنتيجة هو أن ما يحدث فى الكنيسة لمدة ساعة ورُبَّ صباح يوم الأحد يكون مُختلفاً تماماً عما يحدث فى العمل بقيَّة الأسبوع}.

العبادة الروتينِيَّة خدعة من الشيطان

مثل هؤلاء يخدعهم الشيطان بإتمام أنواع العبادات المُختلفة فيُقَدِّمون الذبائح لكن بلا رحمة ناسين قول الرب "إنى أريد رحمة لا ذبيحة" (مت ٩: ١٣) ويُقدِّمونها أيضاً بلا عدل ولا حق مُتناسين قول الجامعة "فِعْلُ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ أَفْضَلُ عِنْدَ الرَّبِّ مِنَ الذَّبِيحَةِ" (أم ٢١: ٣)، ويُتممون كافة الوصايا لكن بلا اشتياق لها ولا لِمُعْطِيهَا ومن هنا يصلُّون ولا يستجيبهم الرب "فَحِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيَكُمْ أَسْتُرْ عَيْنِي عَنْكُمْ وَإِنْ كَثُرْتُمْ الصَّلَاةَ لَا أَسْمَعُ. أَيْدِيَكُمْ مَلَأَتْ دَمًا" (إش ١: ١٥) ويعتكفون ولايقبل اعتكافهم، ويُعيدون غير مُدركين لقيمة العيد ولِقوة من يُعيدون له "رُؤُوسُ شُهُورِكُمْ وَأَعْيَادُكُمْ بَعْضَتُهَا نَفْسِي. صَارَتْ عَلَيَّ ثِقْلًا. مَلَأْتُ حِمْلَهَا" (إش ١: ١٤).

هكذا فإن عدم اختبار المسيحي لِقوة الروح العامل فى الوصِيَّة وفى كافة أشكال العبادة يؤوِّل به للعبادة الروتينِيَّة^(٢٦٣) التى تكتفى بالشكل الخارجى فقط والتى لا تؤوِّل به لِِدَافِعٍ يُصَيِّرُهُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ دَائِمٍ لِلِقَاءِ الرَّبِّ عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ.

بعض من أعراض روتينِيَّة العبادة

+ الفتور واللامبالاة

هذه الروتينِيَّة التى تحرم المسيحي من لِقَاءِ إِلَهِهِ تَوَوَّلَ بِهِ لَمَّا قَدْ يُلْغَى دَاخِلُهُ كُلَّ رَجَاءٍ بِلِ الْحَرِيِّ كُلِّ رَغْبَةٍ فِى الْاجْتِهَادِ لِهَذَا الْاسْتِعْدَادِ إِذْ يَصِيرُ فِى فَتُورٍ قَاتِلٍ يَأْتِى عَلَى مَا بَقِىَ عِنْدَهُ مِنْ رَغْبَةٍ فِى الْاسْتِعْدَادِ، وَفِى لَامُبَالَاةٍ بِكَافَةِ الْوَصَايَا الَّتِى سَبَقَ وَجَرَّدَهَا لَهُ

الشیطان من قوتها وفعاليتها ليصبح كمن قال عنهم الرسول "لَهُمْ صُورَةُ النَّفْثَى وَلَكِنَّهُمْ مُنْكَرُونَ قُوَّتَهَا" (٢٠: ٣) ومن ثم يطفق خانعاً خاضعاً لحيل الشيطان بعدد جدوى إبداء أية محاولة ليكون مستعداً لينطبق عليه قول الكذاب" (يو ٨: ٤٤) بعدم جدوى إبداء أية محاولة ليكون مستعداً لينطبق عليه قول الملائكة في سفر زكريا "قَدْ جُلْنَا فِي الْأَرْضِ وَإِذَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مُسْتَرِيحَةٌ وَسَاكِئَةٌ" (زك ١: ١١)، وطبعاً هي ليست مستريحة كونها صارت تتبع الرب مريح التعابى، لكنها مستريحة من عدم الاجتهاد للدخول من الباب الضيق الذى أعلن الرب عن لزوم العبور منه للملكوت. قال الأب دانيال ليوحنا كاسيان عن مثل هذا الفتور واللامبالاة {الإنسان الفاتر أردأ من الآخر الجسدانى لأن الأخير لهو أكثر استعداداً للتوبة والوصول إلى المرتفعات عن ذلك الذى يعمل بفتور من غير أن يسير فى طريق الكمال حسب ما ترشده القوانين مُرتداً فى لحظة عن نيران النشاط الروحى}.

+ الاستسلام

من الأعراض الأخرى التى تُسببها روتينية العبادة فُتْبَعِ الإنسان عن كل رغبة للاستعداد الدائم هى الاستسلام الكامل لحيل الشيطان بعدم جدوى التوبة وعدم فعاليتها^(٢٦٤) من ناحية وعدم قدرة الرب - أو عدم رغبته - فى اجتذابه إليها من ناحية أخرى، ومن هنا يصير فى استسلامٍ كاملٍ لأخطاءٍ يعملها ولشهوةٍ ينغمس بها غير مُستعدٍّ للاعتراف الشجاع باحتياجه لنوال الخلاص منها من ناحيته ومُتَشَكِّكاً فى قدرة الرب - أو حتى رغبته - على مؤازرته فى الاجتهاد للتغلب عليها من ناحية أخرى، كمثال إنسان واقع تحت واحدةٍ من الشهوات أو العادات ولكن مع أنه لا يُبرر نفسه فيها بل يشعر تمام الشعور بخطأه إلا أنه لاستسلامه الخاضع لما هو فيه لا يقوى على البدء فى

الاجتهاد بقوة الرب للتغلب على هذه الشهوة أو العادة شكاً منه في احتمالية نجاحه في التغلب عليها.

+ الشعور غير السوي بالاتضاع

من الأعراض التي تُسببها روتينية العبادة فتمنع الإنسان عن الاستعداد الدائم هي شعوره غير السوي بالاتضاع^(٢٦٥) فيطفق مُتَكَلِّماً لِكُلِّ مَنْ يراه عن عدم استحقاقه لِسُكْنَى السموات حيثُ الله والملائكة والقديسون وكافة الأبرار، ومن تكراره لهذه الأقوال ولتلك الأفكار يصير مُقتنعاً تمام الاقتناع بأنه لِفِرط اتضاعه لا يستحق الحياة الأبدية^(٢٦٦)، أما هذا المخدوع فلو عرف مقدار العذاب - كما شرحنا قبلاً - الذي يُلاقيه غير المُستَحِق للحياة الأبدية لَطَفَق مُجْتَهِداً كل الاجتهاد لِكى لا يصير إلى هذا العذاب من ناحية ولأدرك أن وصية المسيح للإنسان بالاتضاع "كل من يرفع نفسه يتضع ومن وضع نفسه يرتفع" (مت ١٨: ٤) لا تعنى بحال من الأحوال أن يتمنى العذاب الأبدى رغبة منه في إتمام هذا الاتضاع من ناحية أخرى.

*الشعور بكبرياء وببر ذاتي

كما كان كبرياء الشيطان "وَأَنْتَ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: أَصْعَدُ إِلَى السَّمَاوَاتِ. أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ اللَّهِ وَأَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ الْاجْتِمَاعِ فِي أَقَاصِي الشَّمَالِ. أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ" (إش ١٤: ١٣-١٤) سبباً لِكى ما ينحط إلى الهاوية (إش ١٤: ١٥-١٧)، هكذا يكون كبرياء الإنسان المُعتد بِبِرِّهِ الذاتى وبِحُكْمَتِهِ (أم ٢٦: ١٢)، (أم ١٠: ٨) سبباً لِكى ما لا يدرك حاجته للاستعداد لتلك اللحظة المرهوبة.

هذا الإنسان يشعر أنه غنى وقد استغنى ولا حاجة له إلى شئ "لَأَنْكَ تَقُولُ: إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدْ اسْتَعْنَيْتُ، وَلَا حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ، وَلَسْتُ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَيْسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعُرْيَانٌ" (رؤ ٣: ١٧)، وهو لا يكتفى بعدم سعيه للاستعداد لكنه أيضاً يفتخر بأعماله الصالحة كإنقاذه للمسكين (أى ٢٩: ١٢)، وإيوائه للغريب (أى ٣١: ٣٢)، وموآزرته للفقير (أى ٣١: ١٩ - ٢٠)، ومعونته لليتيم (أى ٣١: ١٧ - ١٨) ناسياً بل بالأحرى مُتناسياً أنه مثل الجميع فى حاجة ماسة للتوبة "إِذَا أَخْطَأُوا إِلَيْكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانٌ لَا يَخْطِئُ" (١مل ٨: ٤٦) "قَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: «لَيْسَ إِلَهٌ». فَسَدُوا وَرَجِسُوا رَجَاسَةً. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلَاحًا. اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ أَشْرَفَ عَلَى بَنِي الْبَشَرِ لِيَنْظُرَ: هَلْ مِنْ فَاهِمٍ طَالِبِ اللَّهِ؟ كُلُّهُمْ قَدْ ارْتَدُّوا مَعًا فَسَدُوا لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلَاحًا لَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ" (مز ٥٣: ١-٣) التى توَهَّله ليصير مُسْتَعِدًّا لِلِقَاءِ إِلَهِهِ.

اتكال مثل هذا الإنسان على بَرِّهِ الذاتى لا يجعله يتضرَّع^(٢٦٧) لله عسى يغفر له الخطايا والزلات التى ليست بأقل من أن تسقطه وتحدره بعيداً جداً عن طريق الملكوت وقد أسقطت قبله كثيرين من عِظام الإيمان وأبرار الكتاب، ومن ثَمَّ لا يعد يشعر بشئ فى ذاته (١كو ٤: ٤) مما قد يصيب بنى البشر من ضعفات وزلاتٍ ناسياً أنه واقعٌ تحت الآلام وارِثٌ لحُكم الموت بسبب الخطية التى اجتازت إليه من آدم، وبالأجمال لا يعد يشعر مثل بقية البشر بِحاجته للانسحاق وللتذلل تحت يدى الله الذى يؤدَّب بقضيب الناس وبضربات بنى آدم - لكى ما يجتذب الإنسان للالتصاق به - ومن ثَمَّ يزداد ابتعاداً وانفصالاً عنه، وبدلاً من أن يتضع فيقول مع مَنْ سألوا يوحنا "يَا مُعَلِّمُ، ماذا نفعل ؟" (لو ٣: ١٢) يزداد كبرياءً فينغلق باب قلبه نهائياً أمام إشارات يسوع له بضعفه ومن ثَمَّ بِحاجته للتوبة.

عجيب أن مثل هذا الشخص عندما يُخطئ لا يندم مُنسحقاً في التراب عسى يرفع الله وجهه ويقبل توبته لكنه يُبرّر نفسه لئلا يُحسب ضعيفاً في أعين الناس بل وفي عيني نفسه، الأمر الذي يؤول به إلى:

التصميم والعناد على نفس الأفكار

لينطبق عليه قول الرب "لَأَنَّ قَلْبَ هَذَا الشَّعْبِ قَدْ غَلُظَ، وَأَذَانُهُمْ قَدْ ثَقُلَ سَمَاعُهَا. وَغَمَضُوا عُيُونَهُمْ لئلا يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ، وَيَسْمَعُوا بِأَذَانِهِمْ، وَيَفْهَمُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَيَرْجِعُوا فَأَشْفِيَهُمْ" (مت ١٣: ١٥) فيصير في عِناده كهيرودس الذي لم يُخطئ فقط باتخاذهِ لزوجَةِ أخيه زوجةً له لكنه أيضاً أضاف على خطاياهِ إِمساكَ يوحنا وحبسه "أَمَّا هِيرُودُسُ رَئِيسُ الرُّبْعِ فَإِذْ تَوَبَّخَ مِنْهُ لِسَبَبِ هِيرُودِيَّا امْرَأَةِ فِيلِبُّسَ أَخِيهِ، وَلِسَبَبِ جَمِيعِ الشُّرُورِ الَّتِي كَانَ هِيرُودُسُ يَفْعَلُهَا، زَادَ هَذَا أَيْضاً عَلَى الْجَمِيعِ أَنَّهُ حَبَسَ يُوْحَنَّا فِي السَّجْنِ" (لو ٣: ١٩-٢٠)، وكآخاب الذي لم يُخطئ فقط بنفس خطايا يربعام الذي جعل إسرائيل يُخطئ لكنه أزداد أيضاً خطاياهُ باتخاذهِ لإيزابيل زوجةً له (١مل ١٦: ٣١)، وكالذين قال عنهم إبراهيم للغنى الغبى مُبَيِّناً قساوتهم وعِنادهم "إِنْ كَانُوا لَا يَسْمَعُونَ مِنْ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءِ وَلَا إِنْ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَمْوَاتِ يُصَدِّقُونَ" (لو ١٦: ٣١)، وكآسا الذي لم يطلب الرب رغم اشتداد مرضه (٢أخ ١٦: ١٢)، وأخيراً كَمَنْ لم يتوبوا حتى مع مُعَايِنَتِهِم للأحداث الكونية الصعبة التي لآخر الأيام "ثُمَّ سَكَبَ الْمَلَاكُ الرَّابِعُ جَامَهُ عَلَى الشَّمْسِ فَأُعْطِيَتْ أَنْ تُحْرِقَ النَّاسَ بِنَارٍ، فَاحْتَرَقَ النَّاسُ احْتِرَاقاً عَظِيماً، وَجَدُّوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى هَذِهِ الضَّرَرَاتِ، وَلَمْ يَتُوبُوا لِيُعْطَوْهُ مَجْداً" (رؤ ١٦: ٨ - ٩)، "ثُمَّ سَكَبَ الْمَلَاكُ الْخَامِسُ جَامَهُ عَلَى عَرْشِ الْوَحْشِ، فَصَارَتْ مَمْلَكَتُهُ مُظْلِمَةً. وَكَانُوا يَعْضُونَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ مِنْ

الْوَجَعِ. وَجَدُّوْا عَلَى إِلَهِ السَّمَاءِ مِنْ أَوْجَاعِهِمْ وَمِنْ قُرُوحِهِمْ، وَلَمْ يَنْبُؤُوا عَنْ أَعْمَالِهِمْ" (رؤ ١٦: ١٠ - ١١).

التصميم والعناد قد يتخلَّل كافة أسباب عدم الإستعداد

على أن هذا التصميم وذلك العناد الذى يصير إليه الإنسان الشاعر ببرّه الذاتى ينطبق أيضاً على كافة الأسباب التى ذكرناها، فالمُنشغل باهتمامات العالم قد يُصمَّم أيضاً ويُعانَد على عدم إبطال هذه الانشغالات، والذى لا يشعر بالعمر ولا بضياغ الوقت قد يُصمَّم أيضاً على عدم افتدائه واستغلاله له، والمُنْتَظَر لعلامات المجئ الثانى قد يطفق مُصمِّماً على أفكاره الخاطئة، وهكذا فالمتكل على تنفيذ وصيّة واحدة دون بقيتها أو المتكل على محبة المسيح وهكذا المكتفى بعبادته الروتينية قد يصمَّم أيضاً ويُعانَد على نفس أفكاره الخاطئة غير مُدركٍ أن "هناك طُرُق تبدو للإنسان مُستقيمة وعاقبتها الموت" (أم ١٤: ١٢) ومن ثمَّ ينال الخزي فى تلك اللحظة المرهبة والمخوفة عندما يكتشف أن طريقه لم تكن نقيّة فى عيني الله لكن فقط فى عيني نفسه المُعتدّة ببرّها وبذاتها (أم ١٦: ٢٥).

†

خاتمة

ربما كانت هذه الكلمات ثقلاً (٢كو ١٠: ١٠) وهماً على آذان القارئ لِعَدَمِ بلاغتها ولانعدام زخرفتها، لكنها من جهتنا كانت مسرة قلب لأنها عَبَّرَتْ عن عاطفة جياشة مُلْتَهَبَةً حمية وغيره على خلاص الجميع تماماً كالتى كانت عند مار بولس العظيم فى الرُّسُل والكارزين فقال "أَيُّهَا الإِخْوَةُ إِنَّ مَسَرَّةَ قَلْبِي وَطَلَبَتِي إِلَى اللَّهِ لِأَجْلِ إِسْرَائِيلَ هِيَ لِلْخَلَاصِ" (رو ١٠: ١)، ومع أننا لم نشعر ولو لِلْحَيَظَةِ بِقُوَّةِ ما كَتَبْنَاهُ لَهُ "لِعَمَلِ كُتُبٍ كَثِيرَةٍ لَا نِهَائِيَّةٍ وَالذُّرُسُ الْكَثِيرُ تَعَبٌ لِلْجَسَدِ" (جا ١٢: ١٢) إِلَّا أَنَّ دَعَوَاتِنَا الْمُسْتَمِرَّةَ لِيُؤَاوِرَ الرَّبُّ بِرُوحِهِ الْقُدُوسِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمُتَوَاضِعَةِ كَانَتْ لَهَا أَشَدُّ الْأَثَرِ لِكَى مَا نُكْمِلُ مَا بَدَأْنَاهُ مِنْ حَيْثُ أَنَا حَاولْنَا أَنْ نُرَسِّخَ دَاخِلَ الْأُذْهَانِ الدَّافِعَ لِلانْتِبَاهِ لِلْحِظَةِ الْمَوْتِ الْفُجَائِيَّةِ تِلْكَ الَّتِي يَتَحَدَّدُ مَعَهَا مُصِيرُ الْإِنْسَانِ الْأَبَدِيِّ إِمَّا فَرَحاً وَمَجْداً فِي الْأَبَدِيَّةِ السَّعِيدَةِ أَوْ عَذَاباً وَالْمَا فِي الْجَحِيمِ الْأَبَدِيِّ، وَقَدْ أَسْهَبْنَا فِي بَعْضِ أَجْزَاءِ الْكِتَابِ فِي وَصْفِ طَبِيعَةِ الْعَذَابَاتِ وَأَنْوَاعِهَا الْمُخْتَلَفَةِ لَا بِقَصْدِ التَّخْوِيفِ بَلْ لِلإِنْدَارِ عَلَى أَسَاسِ مَا أَعْلَنَهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ مِنْ حَيْثُ أَنَّ الْإِنْتِهَارَ يُؤْثَرُ فِي الْحَكِيمِ أَكْثَرَ مِنَ الْجُلْدَاتِ لِظَهْرِ الْجَاهِلِ "الْإِنْتِهَارُ يُؤْثَرُ فِي الْحَكِيمِ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ جُلْدَةٍ فِي الْجَاهِلِ" (أم ١٧: ١٠)، وَأَنَّ التَّأْدِيبَ لَا يُمِيتُ لَكِنَّهُ يُنْقِذُ مِنَ الْمَوْتِ "لَا تَمْنَعِ التَّأْدِيبَ عَنِ الْوَلَدِ لِأَنَّكَ إِنْ ضَرَبْتَهُ بِعَصَا لَا يَمُوتُ. تَضْرِبُهُ أَنْتَ بِعَصَا فَتُنْقِذُ نَفْسَهُ مِنَ الْهَلَاكِ" (أم ٢٣: ١٣ - ١٤).

†

هوامش الكتاب

١} لفظة قبطى عُدَّت لقب يُنَعَت به المسيحى والمُسلم لأنها تُشتَق من الكلمة التى استخدمها الفراعنة للدلالة على (مصر) وهى (ها كا بتاح) بمعنى (بيت روح فتاح) حيث أن فتاح هو الإله الخالق عند الفراعنة وهو ما تناقلناه فى ثقافتنا الشعبية إذ نقول (يا فتاح يا عليم)، فلَمَّا دَخَلَ اليونانيون مصر استبدلوا هذه الحروف بما يُقابلها فى الأبجدية اليونانية فصارت (أى جي بتوس) وبعدما غزا العرب مصر تَحَرَّفَت ال (چ) المُعَطَّش - كما فى الصعيدية - إلى الحرف (ق) فصارت (قبط) ومنها اشتُقَّت الكلمة القبطية Coptic واللفظة الإنجليزية Egypt. (كتاب دراما الصليب - نيافة الأنبا مكاريوس الأسقف العام).

٢} "صَنَعَ الْكُلَّ حَسَنًا فِي وَفْتِهِ وَأَيْضًا جَعَلَ الْأَبَدِيَّةَ فِي قُلُوبِهِم الَّتِي بِلَاهَا لَا يَدْرِكُ الْإِنْسَانُ الْعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُهُ اللَّهُ مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النَّهَايَةِ" (جا ٣: ١١).

٣} ربما أن تلك اللحظة هى ما تُعرف فى مُصطلحاتنا الأرضية بسكرات الموت التى تكون وليدة استعداد الروح لانتقالها لوسط لم تعتاد عليه، تماماً مثلما يبكى الطفل حال خروجه من رحم أمه من حيث تعرُّضه لوسط مُضئ تغمره أشعة الشمس تحت الحمراء، وقد ورد فى بعضٍ من قصص القديسين وسير الرُهبان الأبرار أنهم حال انتقالهم يتهلل وجههم بالفرح والابتهاج دليلاً على إتيان بعض الأرواح البارة أو الملائكة لاستلام أرواحهم، ومنهم من يشعّ وجهه بضوءٍ شديدٍ يتحاكى عنه من يُجاورونهم على أسرة الموت يسألونهم عما يرونه ويشعرون به، وعلى العكس يكون حال بطالى السيرة فيمتنع

وجههم وترتعب أوصالهم استعداداً للقاء الملاك المنوط باستلام أرواحهم وإيداعها في جُهم.

٤ { اللهم إلا من بعض الحالات الفردية القليلة جداً والتي سمح فيها الله لبعض من البشر بمفارقة أرواحهم لأجسادهم للحظات أو لساعات.

٥ { من إحدى صلوات الأجيبة المقدسة، والأجيبة لفظة تُشتق من الكلمة القبطية $\alpha\chi\pi$ ومعناها (ساعة)، ومنها كلمة (أجيبة) التي أطلقت على كتاب ساعات الصلوات السبع.

٦ { يشترك الإنسان مع سائر الكائنات الحية في وجود جسد له نفس، والنفس هي الريح الذي يُخرجه من أنفه ومن فمه بما يُعرف بحركة الشهيق والزفير وبمعنى آخر هي ما يحيا به الجسد حيوانياً كان أو نباتياً أو بشرياً، وهي - أى النفس - في العبرية (نفس)، لكنه - أى الإنسان - يمتاز عن الكائنات النباتية والحيوانية بالروح التي حباه الله بها فأكسبه صفات وخصائص عن سائر المخلوقات من حيث كون الروح عاقلة ومُبدعة وخالدة، ومن هنا نفهم أن الله خلق الإنسان على شبهه وصورته من حيث روحه لا من حيث جسده، وبالعكس في ملء الزمان لما أراد الله أن يتجسد اتخذ جسداً مُشابهاً للإنسان.

ما بين الروح $\piνεῦμα$ والنفس $\psiυχη$ في الإنسان

يستحيل البت أو الفصل حقاً ما بين روح الإنسان $\piνεῦμα$ ونفسه $\psiυχη$ فكثيراً ما يستخدم الكتاب المقدس الكلمتين فيحل أحدهما محل الأخرى.

الموت

فلو كان الموت هو نتيجة مفارقة الروح للجسد لأن "الجسد بدون روح ميت" (يع ٢: ٢٦) ὥσπερ γὰρ τὸ σῶμα χωρὶς πνεύματος νεκρόν ἐστιν, οὕτως καὶ ἡ πίστις χωρὶς ἔργων νεκρά ἐστιν. له - أى للجسد - كقول بولس الرسول "لَا تَضْطَرِّبُوا! لَأَنَّ نَفْسَهُ فِيهِ" (أع ٢٠: ١٠) Μὴ θορυβεῖσθε· ἡ γὰρ ψυχὴ αὐτοῦ ἐν αὐτῷ ἐστιν. رؤياه "ثُمَّ سَكَبَ الْمَلَاكُ الثَّانِي جَامَهُ عَلَى الْبَحْرِ، فَصَارَ دَمًا كَدَمٍ مَيِّتٍ. وَكُلُّ نَفْسٍ حَيَّةٍ مَاتَتْ فِي الْبَحْرِ" (رؤ ١٦: ٣) Καὶ ὁ δεύτερος ἐξέχεεν τὴν φιάλην αὐτοῦ εἰς τὴν θάλασσαν, καὶ ἐγένετο αἷμα ὡς νεκροῦ, καὶ πᾶσα ψυχὴ ζῶης ἀπέθανεν τὰ ἐν τῇ θαλάσῃ.

مشاعر وانفعالات

ولو أن مشاعر الإنسان وانفعالاته تتركز في روح الإنسان - كقول الكتاب عن الرب "شعر يسوع بروحه πνεῦμα"، "تنهّد بروحه πνεῦμα"، "تهلل يسوع بالروح πνεῦμα"، "انزعج بالروح πνεῦμα"، "اضطرب بالروح πνεῦμα" - فإنها أيضاً مُتركزة في نفسه - كقول الرب "نفسى ψυχὴ قد اضطربت"، "نفسى ψυχὴ حزينة جداً حتّى الموت".

الشهوات المُحاربة للنفس

وكما أن الشهوات تُحارب الروح كقول بولس الرسول "الجسد يشتهي ضد الروح πνεῦμα والروح πνεῦμα ضد الجسد" (غل ٥: ١٧)، فهي أيضاً تُحارب النفس كقول بطرس الرسول "أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ كَغُرَبَاءَ وَنُزَلَاءَ أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الشَّهَوَاتِ

Ἀγαπητοί, παρακαλῶ ὥς (ἁβτ ۲: ۱۱) ἡ ἰσḁدیة الّتی تُحَارِبُ النّفسَ " παροίκους καὶ παρεπιδήμους ἀπέχεσθαι τῶν σαρκικῶν ἐπιθυμιῶν αἵτινες στρατεύονται κατὰ τῆς ψυχῆς:

الخلاص

وكما أن الخلاص يكون للروح كقول بولس الرسول "أَنْ يُسَلَّمَ مِثْلُ هَذَا لِلشَّيْطَانِ لِهَلَاكِ الْجَسَدِ لِكَيْ تَخْلُصَ الرُّوحُ فِي يَوْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ" (۱ كو ۵: ۵) παραδοῦναι τὸν τοιοῦτον τῷ σατανᾷ εἰς ὄλεθρον τῆς σαρκός, ἵνα τὸ πνεῦμα σωθῇ ἐν τῇ ἡμέρᾳ τοῦ κυρίου. إِيْمَانِكُمْ خَلَّاصَ النُّفُوسِ " (ἁβτ ۱: ۹) κομιζόμενοι τὸ τέλος τῆς πίστεως [ὑμῶν] σωτηρίαν ψυχῶν.

الكتاب يوضح وجود ثلاثة عناصر في الإنسان (الروح | النفس | الجسد)

ومع أن التمايز بين النفس والروح في الكتاب المقدس قد لا يبدو واضحاً في كثير من الأحيان إلا أن الكتاب قد كشف في بعض مواضعه عن وجود ثلاثة عناصر في الإنسان (نفس اجسد الروح) كما في تسبحة العذراء مريم "تَعْظُمُ نَفْسِي الرَّبَّ، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللّهِ مُخَلِّصِي" (لو ۱: ۴۶ - ۴۷) Μεγαλύνει ἡ ψυχὴ καὶ εἶπεν Μαριάμ· μου τὸν κύριον, وَلْتَحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلَا لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (۱ تس ۵: ۲۳) Αὐτὸς δὲ ὁ θεὸς τῆς εἰρήνης ἀγιασάι ὑμᾶς ὁλοτελεῖς, καὶ ὁλόκληρον ὑμῶν τὸ πνεῦμα καὶ ἡ ψυχὴ καὶ τὸ σῶμα ἀμέμπτως ἐν

وهكذا كقوله τῇ παρουσίᾳ τοῦ κυρίου ἡμῶν Ἰησοῦ Χριστοῦ τηρηθείη. "لَأَنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفَرِّقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمَخَاحِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقُلُوبِ وَنِيَّاتِهِ" (عب ٤ : ١٢) Ζῶν γὰρ ὁ λόγος τοῦ θεοῦ καὶ ἐνεργῆς καὶ τομώτερος ὑπὲρ πᾶσαν μάχαιραν δίστομον καὶ διϊκνούμενος ἄχρι μερισμοῦ ψυχῆς καὶ πνεύματος, ἄρμων τε καὶ μυελῶν, καὶ κριτικὸς ἐνθυμήσεων καὶ ἐννοιῶν καρδίας· "هُؤْلَاءِ هُمْ الْمُعْتَزِلُونَ بِأَنْفُسِهِمْ، نَفْسَانِيُّونَ لَا رُوحَ لَهُمْ" (يه ١٩) Οὗτοί εἰσιν οἱ ἀποδιορίζοντες, ψυχικοί, πνεῦμα μὴ ἔχοντες.

(*) انقسم فلاسفة اليونان إلى فريقين الأول يؤيد فكرة أن الإنسان كائن ثنائي له نفس وجسد، والثاني يرجح فكرة أن الإنسان مُكوّن من نفس وجسد وروح، وما يُلخّص هذا الجدل أن الروح الإنسانية هي العنصر السامي من النفس البشرية، وأن الطبيعة الإنسانية تتكون من النفس والجسد) [من كتاب مُعجم المُصطلحات الكنسيّة الراهب القس أنثاسيوس المقارى].

تداخل الكلمات المُعبّرة عن معنى روح، ونفس

على أن تداخل معنى الروح والنفس في الإنسان يمتد أيضاً إلى الكلمات المُعبّرة عنهما فالكلمة اليونانية πνεῦμα قد تعني (روح)، وقد تُستخدم أيضاً بمعنى (نفس)، وهكذا فقد تأتى بمعنى (رياح) كما في قول الرب لنيقوديموس "الرَّيْحُ تَهْبُ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لَكِنَّكَ لَا تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلَا إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هَكَذَا كُلُّ مَنْ وَلَدَ مِنَ الرُّوحِ". (يو ٣ : ٨) τὸ πνεῦμα ὅπου θέλει πνεῖ καὶ τὴν φωνὴν αὐτοῦ

ἀκούεις, ἀλλ' οὐκ οἶδας πόθεν ἔρχεται καὶ ποῦ ὑπάγει· οὕτως
ἐστὶν πᾶς ὁ γεγεννημένος ἐκ τοῦ πνεύματος.

{٧} أى هذا الضعف وذاك المرض.

{٨} قال أحد الآباء {لا يمكن أن يحدث لى شئ دون أن يكون الله قد فحصه أولاً وباركه
لنفعى وخيري، كل شئ يجب أن يعبر عليه قبل أن يصل إليّ ويرتطم بي}.

{٩} أحداثٌ تعرّض فيها بعض المسيحيين للقتل.

{١٠} لذلك نُصَلِّي في الأجيبة المُقدَّسة وتحديداً في قطع الغروب فنقول داعين العذراء
مريم {الكل إثم بحرص ونشاط فعلتُ ولكل خطية بشوق واجتهاد ارتكبتُ ولكل عذاب
وحُكم استوجبتُ فهيئي لى أسباب التوبة أيتها السيدة العذراء فأليكِ أتضرّع وبكِ استشفع
وإياكِ أدعو أن تُساعديني لئلا أُحزى، وعند مُفارقة نفسى من جسدى احضرى عندى
ولمؤامرة الأعداء اهزمنى ولأبواب الجحيم اغلقى لئلا يبتلعوا نفسي يا عروسة بلا عيب
للختن الحقيقي}.

{١١} أى شئ زائد عن الحاجة وغير ضرورى.

{١٢} فى مخافة الرب حيدان عن الشر كقول الحكيم "مَخَافَةُ الرَّبِّ يَنْبُوعُ حَيَاةٍ لِلْحَيْدَانِ عَنْ
أَشْرَاكِ الْمَوْتِ" (أم ١٤ : ٢٧)، وهكذا ففيها ثقة فى وعود الرب الذى أوصى بضرورة

مخافته كقول الجامعة "فِي مَخَافَةِ الرَّبِّ ثِقَّةٌ شَدِيدَةٌ وَيَكُونُ لِابْنِهِ مَلْجَأٌ" (أم ١٤ : ٢٦)، فيها أيضاً تواضع ومسكنة "مَخَافَةُ الرَّبِّ أَدَبٌ حِكْمَةٌ وَقِيلَ الْكَرَامَةُ التَّوَاضُّعُ" (أم ١٥ : ٣٣)، وفيها حكمة بل هي بدايتها كقول المزمور "رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ" (مز ١١١ : ١٠).

١٣ { كيوحنا الدرجى الذى قال فى كتابه [السُّلْمُ إِلَى السَّمَاءِ] (كما أن الحاجة إلى الخبز تفوق الحاجة إلى سائر الأغذية كذلك فإن الحاجة إلى الاهتمام بذكر الموت تفوق الحاجة إلى سائر الأعمال الروحية).

١٤ { أى المُتَشَغِلِينَ به وباهتماماته وشهواته الزائلة.

١٥ { أى غير المُتَشَغِلِينَ به حتى وإن كانوا يعيشون فيه كقول الرسول بولس "وَالَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ هَذَا الْعَالَمَ كَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَعْمِلُونَهُ. لِأَنَّ هَيْئَةَ هَذَا الْعَالَمِ تَزُولُ" (١كو ٧ : ٣١).

١٦ { أى موت أحد الأقرباء أو الأحباب.

١٧ { كبولس الرسول الذى قال "لِي اشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونُ مَعَ الْمَسِيحِ. ذَلِكَ أَفْضَلُ جِدًّا" (فى ١ : ٢٣).

١٨} كقول أحد الآباء {إن من يتوق إلى ساعة الموت كل يوم هو قديس}. [كتاب (السُّلم إلى السماء) - القديس يوحنا الدرجي].

١٩} قال أحد الآباء {إن كل من حوى في نفسه ذكر الموت لا يستطيع أن يُخطئ}، وقال الحكيم يشوع بن سيراخ "تَذَكَّرْ أَوَاخِرَكَ فلن تعود تُخطئ إلى الدهر" (ابن سيراخ ٧: ٤٠). وهكذا قال أحد الرهبان الأقباط {بعد أن غرست في قلبي ذكر الموت أردت مرة أن أعزّي جسدي الطيني قليلاً بدافع الراحة فمنعني ذكر الموت عن هذا منع قاضٍ صارم}، [كتاب (السُّلم إلى السماء) - القديس يوحنا الدرجي].

٢٠} كقول القديس يوحنا الدرجي {كما أن لُجة البحر لا حد لها ولا نهاية كذلك فإن تذكر الموت يؤول بالطهارة وبالسيره الحسنه لا إلى فساد}.

٢١} كقوله أيضاً {إن ذكر الموت الواضح المُستمر يقطع تناول الأطعمة ومتى انقطعت الأطعمة بالالتضاع انقطعت معها الأهواء}.

٢٢} قال أحدهم {إنه يتعذّر علينا أن نعبر يومنا ببر وتقوى إن لم نحسبه اليوم الأخير من عُمرنا}، [كتاب (السُّلم إلى السماء) - القديس يوحنا الدرجي].

٢٣} بُغِضَتْهُمْ لَئِكَ اللَّحْظَةُ رَغْمَ تَقْوَاهُمْ وَرَغْمَ أَنَّهُمْ نَظَرُوا مَوَاعِيدَ اللَّهِ مِنْ بَعِيدٍ وَصَدَقُوهَا آمَنُوا بِهَا وَحَيَّوْهَا - كقول الرسول "فِي الْإِيمَانِ مَاتَ هَؤُلَاءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا

المواعيد، بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها، وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض" (عب ١١: ١٣) - مدعاها أن أرواحهم كانت تظل حبيسة الهاوية التي تسلط عليها إبليس بسيادته وبسلطانه إلى أن أتم السيد المسيح فداءه للبشرية على الصليب ومن ثم نزل إلى أقسام الأرض السفلى ليعتق الأرواح البارة من الأسر وينقلهم إلى الفردوس كقول مار بطرس الرسول "مَمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُحْيًى فِي الرُّوحِ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا ذَهَبَ فَكَّرَزَ لِلْأَرْوَاحِ الَّتِي فِي السَّجْنِ" (١بط ٣: ١٨ - ١٩) وكقول الرسول بولس "لِذَلِكَ يَقُولُ: «إِذْ صَعِدَ إِلَى الْعَلَاءِ سَبَى سَبْيًا وَأَعْطَى النَّاسَ عَطَايَا». وَأَمَّا أَنَّهُ «صَعِدَ»، فَمَا هُوَ إِلَّا إِنَّهُ نَزَلَ أَيْضًا أَوَّلًا إِلَى أَقْسَامِ الْأَرْضِ السُّفْلَى. الَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضًا فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلَأَ الْكُلَّ" (أف ٤: ٨ - ١٠) وهكذا كما نقول أيضاً في إِبصاليات وذوكصولوجيات القيامة والخماسين المقدسة بقوته أبطل الموت وجعل الحياة تُضَى لنا وهو أيضاً الذى مضى إلى الأماكن التى أسفل الأرض. بوابو الجحيم رأوه وخافوا وأهلك طلاقات الموت فلم تستطع أن تمسكه. سحق الأبواب النحاس وكسر المتاريس الحديد وأخرج مُختاربه بفرح وتهليل.}

٢٤} رغم أنه عاش كثيراً كما يتضح من قول الكتاب عنه "وَعَاشَ أَيُّوبُ بَعْدَ هَذَا مِئَةً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَرَأَى بَنِيهِ وَبَنِي بَنِيهِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَجْيَالٍ. ثُمَّ مَاتَ أَيُّوبُ شَيْخًا وَشَبَعَانَ الْأَيَّامِ". (أى ٤٢: ١٦ - ١٧).

٢٥} ربما كانت قسوة التجربة هي فقط من وجهة نظرتنا البشرية المحدودة لأن الله أمين وعادل لا يجعل للإنسان تجربة بأكثر مما يحتمل لنلا "يمد الصديقون أيديهم إلى الإثم" (مز ١٢٥: ٣)، بل إنه يجعل للإنسان المنفذ مع التجربة لكي ما يغلب فيركى.

{٢٦} قبل الفداء.

{٢٧} كما نقول في مرد ثيئوطوكية يوم الجمعة {هو أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له}.

{٢٨} أى لحظة مفارقة أرواحهم لأجسادهم.

{٢٩} تحكى قصة أن امرأة ذهبت إلى قمة المبنى الإمبراطوري وكان ارتفاعه مائة طابق وطابقين بعد المائة، ثُمَّ نظرت منه إلى أرصفة المشاة وإذا بالناس كالنمل فى قياسهم قالت {إننى أتصور أن هذا هو مفهوم الناس عن الله أنه ينظر إليهم من فوق كالنمل}.

{٣٠} للشيطان آلات بشرية يُروّضها ومن ثَمَّ يستخدمها لإتمام أغراضه وشروعه، وفى بعض الأحيان إن لم يكن أغلبها يُضفي من قوته عليهم ليجتذب البشر للإيمان بقوتهم وبسلطانهم فيتبعونهم، وهو ما يتضح من قول الكتاب عن سيمون الساحر "وَكَانَ قَبْلًا فِي الْمَدِينَةِ رَجُلٌ اسْمُهُ سِيمُونُ يَسْتَعْمِلُ السَّحَرَ وَيُدْهَشُ شَعْبَ السَّامِرَةِ قَائِلًا: «إِنَّهُ شَيْءٌ عَظِيمٌ!». وَكَانَ الْجَمِيعُ يَتَّبِعُونَهُ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ قَائِلِينَ: «هَذَا هُوَ قُوَّةُ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ». وَكَانُوا يَتَّبِعُونَهُ لِكُونِهِمْ قَدْ ائْدَهَشُوا زَمَانًا طَوِيلًا بِسِحْرِهِ" (أع ٨: ٩ - ١١).

{٣١} ربما ليس هو هيجاناً من شاول بقدر ما هى غيرة شديدة رآها الله حسنة لكن ليست حسب المعرفة فأدار دفتها عنده - أى عند شاول - إلى طريقها السليم.

{٣٢} قال أحد المُلجدين - هو أوغسط كومتى - {الله رحل دون عودة}.

{٣٣} قارن قول الكتاب "فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايَيْنَ: «أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟» فَقَالَ: «لَا أَعْلَمُ! أَحَارِسُ أَنَا لِأَخِي؟» فَقَالَ: «مَاذَا فَعَلْتَ؟ صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الْأَرْضِ. فَإِلَّا نَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي فَتَحْتَ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ! مَتَى عَمِلْتَ الْأَرْضَ لَا تَعُودُ تُعْطِيكَ قُوَّتَهَا. تَأْيِهَا وَهَارِباً تَكُونُ فِي الْأَرْضِ». فَقَالَ قَايَيْنُ لِلرَّبِّ: «ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحْتَمَلَ. إِنَّكَ قَدْ طَرَدْتَنِي الْيَوْمَ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ وَمِنْ وَجْهِكَ أَخْتَفِي وَأَكُونُ تَائِهاً وَهَارِباً فِي الْأَرْضِ فَيَكُونُ كُلُّ مَنْ وَجَدَنِي يَقْتُلُنِي». فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «لِذَلِكَ كُلُّ مَنْ قَتَلَ قَايَيْنَ فَسَبْعَةَ أَضْعَافٍ يُنْتَقَمُ مِنْهُ». وَجَعَلَ الرَّبُّ لِقَايَيْنَ عَلَامةً لِكَيْ لَا يَقْتُلَهُ كُلُّ مَنْ وَجَدَهُ" (تك ٤ : ٩ - ١٥).

{٣٤} قد يحدث أن يتشكك الإنسان في قدرته على احتمال الضيقات التي تؤهله للملكوت - حتى قبل أن تأتته - فيطيق فاتراً مُستسلماً لأمباليّاً، والحقيقة أن الرب يهب القوة مع التجربة والمنفذ مع الامتحان للاحتمال، وقد رأينا واختبرنا عملياً كيف أن الشخص الذي كان قبلاً مُتَشَكِّكاً في قدرته على الاحتمال حالما تأتته التجربة والضيقة يشعر بتعزية تتبع من داخله ومن ثم لا يجد للحزن والضيقة مكاناً.

{٣٥} قال عنها أليهو صديق أيوب "أَمَّا فُجَارُ الْقُلُوبِ فَيَذْخَرُونَ غَضَباً. لَا يَسْتَعِيشُونَ إِذَا هُوَ قَبْدَهُمْ. تَمُوتُ نَفْسُهُمْ فِي الصَّبَا وَحَيَاتُهُمْ بَيْنَ الْمَأْبُونِينَ" (أى ٣٦ : ١٣ - ١٤)، وهكذا

وصف بها إستفانوس اليهود فقال "يَا فُسَاةَ الرَّقَابِ وَغَيْرَ الْمُخْتُونِينَ بِالْقُلُوبِ وَالْأَذَانِ أَنْتُمْ دَائِمًا تُقَاوِمُونَ الرُّوحَ الْقُدُسَ. كَمَا كَانَ آبَاؤُكُمْ كَذَلِكَ أَنْتُمْ" (أع ٧: ٥١).

{٣٦} من وجهة نظره وهو أمرٌ سمعناه من كثيرين.

{٣٧} كلمة (عالم) جاءت في المُصطلحات الرهبانية بمعنى (كل ما هو ليس ديراً)، على أن ما نرفضه أن يُلقَّب عامة المسيحيين بالعلمانيين، الأمر الذي أصبح شائعاً جداً ومُنْتَشِراً، لأن لفظة (علماني) تُشير إلى الارتباط بالعالم وبشهوته وانشغالاته وهو ما لا يُفترض على المسيحي أن يكون، راهباً كان أم غير راهبٍ، وما نقوله عن عامة المسيحيين نقوله أيضاً عن الكهنة المتزوجين والذين تفرقةً لهم عن الكهنة من الرهبان لازمهم لقب (كاهن علماني) والأفضل أن يتغيَّر لقبهم إلى (كاهن مُتزوج يخدم بالعالم).

{٣٨} نفس الأمر أشار إليه السيد المسيح في قوله للفريسيين "أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَراً وَأُنْثَى؟ وَقَالَ: مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الْإِثْنَانِ جَسَداً وَاحِداً. إِذَا لَيْسَ بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لَا يَفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ" (مت ١٩: ٤-٦)، ونلاحظ من قول المسيح أن الله هو من ذكر تلك العبارة وليس النبي موسى الأمر الذي أعطى لهذا النوع من الحياة الشرعية والقدسية صيرته في ملء الزمان سرّاً كنسياً يهيمن عليه الله بالروح القدس فيجعل من الزوجين شخصاً واحداً.

{٣٩} نلاحظ أن الرسول يتكلَّم عن خبرة شخصية جازها بنفسه بدون الأتعاب والانشغالات المختلفة للحياة الزوجية (١ كو ٧: ٢٨)، وليس عن أمرٍ إلهي يُحرِّم الزواج، خصوصاً

وأن الله قد أرسى قواعد هذا الطريق وحدد مفهوم العلاقة بين الرجل والمرأة من حيث أن المرأة صارت مُعيناً للرجل، وكونها مُعيناً له أمرٌ لا يضعها في المرتبة الثانية بعده بل على قِدم المساواة معه.

٤٠ { كقول مار بولس الرسول عن المسيح "أَخْضَعْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ. لِأَنَّهُ إِذْ أَخْضَعَ الْكُلَّ لَهُ لَمْ يَنْزُكْ شَيْئاً غَيْرَ خَاضِعٍ لَهُ عَلَى أَنَّنَا الْآنَ لَسْنَا نَرَى الْكُلَّ بَعْدَ مُخْضَعاً لَهُ. وَلَكِنَّ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلَائِكَةِ، يَسُوعَ، نَرَاهُ مُكَلَّلاً بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ أَجْلِ أَلَمِ الْمَوْتِ، لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ الْمَوْتَ لِأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ" (عب ٢ : ٨ - ٩).

٤١ { كقول مار بولس الرسول "فَإِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ أَنْ تَجْهَلُوا هَذَا السِّرَّ لِيَلَّا تَكُونُوا عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ حُكَمَاءَ. أَنَّ الْقِسَاوَةَ قَدْ حَصَلَتْ جُزئياً لِإِسْرَائِيلَ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ مِلْؤُ الْأُمَمِ" (رو ١١ : ٢٥).

٤٢ { كما أعلن مار بطرس الرسول في مجمع أورشليم الأول "أَيُّهَا الرِّجَالُ الْإِخْوَةُ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْذُ أَيَّامٍ قَدِيمَةٍ اخْتَارَ اللَّهُ بَيْنَنَا أَنَّهُ بِقَمِي يَسْمَعُ الْأُمَمُ كَلِمَةَ الْإِنْجِيلِ وَيُؤْمِنُونَ. وَاللَّهُ الْعَارِفُ الْقُلُوبَ شَهِدَ لَهُمْ مُعْطِياً لَهُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا لَنَا أَيْضاً. وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِشَيْءٍ إِذْ طَهَّرَ بِالْإِيمَانِ قُلُوبَهُمْ. فَالآنَ لِمَازَا تُجَرَّبُونَ اللَّهُ بِوَضْعِ نِيرٍ عَلَى عُنُقِ التَّلَامِيذِ لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا وَلَا نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ؟" (أع ١٥ : ٧ - ١٠).

٤٣ { طوعاً كان أو جبراً.

{٤٤} نفس الأمر الخاص بعاقبة حفظ الإنسان لوصايا الرب أوضحه النبي فى قوله "يَا رَبُّ مَنْ يَنْزِلُ فِي مَسْكَنِكَ؟ مَنْ يَسْكُنُ فِي جَبَلٍ قُدْسِكَ؟ السَّالِكُ بِالْكَمَالِ وَالْعَامِلُ الْحَقَّ وَالْمُتَكَلِّمُ بِالصِّدْقِ فِي قَلْبِهِ. الَّذِي لَا يَشِي بِلسَانِهِ وَلَا يَصْنَعُ شَرًّا بِصَاحِبِهِ وَلَا يَحْمِلُ تَعْيِيرًا عَلَى قَرِيبِهِ. وَالرَّذِيلُ مُحْتَقَرٌ فِي عَيْنَيْهِ وَيُكْرِمُ خَائِفِي الرَّبِّ. يَحْلِفُ لِلضَّرَرِ وَلَا يُغَيِّرُ. فَضَّتُهُ لَا يُعْطِيهَا بِالرَّيَا وَلَا يَأْخُذُ الرَّشَوَةَ عَلَى الْبَرِيِّءِ. الَّذِي يَصْنَعُ هَذَا لَا يَتَزَعَّزَعُ إِلَى الدَّهْرِ" (مز ١٥: ١ - ٥).

{٤٥} لا تُفَرِّقْ بين الوصايا الإنجيليّة وبين الفضائل المسيحيّة إلّا تفرقةً ذهنيّة موضوعيّة، فإتمام الوصايا الإنجيليّة هو السبيل للتخلّي بالفضائل المسيحيّة، وهكذا فالتخلّي بالفضائل المسيحيّة مدعاة حفظ الإنسان للوصيّة وعمله بها.

{٤٦} حتى الراهب يُعْطَى أيضاً ممّا له للمُحتاجين، بل وقد سبق وأعطى كل ما كان له محبةً للرب الذى من أجله ترك كل الأشياء حاسباً إياها نفاية، والمعروف فى التدبير الرهبانى أن الراهب يشتغل بيديه ثم يبيع ما يشتغله ليوفّر احتياجاته البسيطة من الطعام واللباس وليتصدّق بالباقي على الفقراء والمُحتاجين.

{٤٧} قيل عن الأنبا سيرايبون إنه مضى مرّة إلى الاسكندريّة فوجد فى السوق إنساناً مسكيناً عُرياناً فقال لنفسه {كيف وأن الذى يُقال عنه إنه راهبٌ صبورٌ وعمالٌ يكون لابساً لثوبٍ وهذا المسكين عُريانٌ، حقاً إن هذا هو المسيح والبرد يؤلمه}، وبشجاعة تعرّى من الثوب الذى يلبسه مُبادراً إلى ذاك المسكين مُعطياً له الثوب، وإذ جلس وهو عُريان مُمسكاً

بإنجيله، اتفق أن مرَّ واحدٌ من معارفه فقال له {يا أبانا سيرايمون من عزّاك؟} فأشار إلى الإنجيل وقال {هذا هو الذى عزّاني} .

{٤٨} بديهى أنه كان بينهم متزوجون، ومع ذلك فيوصيهم بضرورة الصلاة من أجل أنفسهم ومن أجله لكى ما يُنجح الله خدمته وكرازته.

{٤٩} قيل أنه جبل (حرمون) المعروف بجبل (الشيخ) حيث يرتفع ارتفاعاً شاهقاً عن سطح البحر - حوالى ٩١٠٠ م - مما ويُعطى فرصة أكثر للاختلاء وإظهار الرب لبصيصٍ من مجده من دون أن يلحظه إنسان، على أن بعض الآباء وعلى رأسهم القديس كيرلس الأورشليمي يرون أن جبل التجلي هو جبل (تابور) - يبلغ ارتفاعه حوالى ١٨٦٦ م فوق سطح البحر - كما جاء فى صلوات الكنيسة القبطية والبيزنطية لجمعة الآلام العظيمة، وإذ هو بعيدٌ عن الأنظار فهو أيضاً يسمح بفرصة مناسبة للاختلاء بعيداً عن بقية التلاميذ الذين لم يختارهم الرب لمُعانة التجلي، والتجلي لُغويّاً معناه (ظهر) أو (انكشف) ومنه تسمّى سفر الرؤيا بـ (الجليان) بمعنى (الإعلان والإظهار)، أما البشيران متى ومرقس فاستخدما فى حادثة التجلي الفعل μεταμορφόω الذى يدل على تغيُّر أو تحوُّلٍ فى الهيئة والصورة.

{٥٠} هو الدكتور النفساني النمساوى فيكتور فرانكل.

{٥١} هو (لودفيغ فيوريباخ).

{٥٢} أشار النبي في المزمور إلى نفس الشئ فقال "الكَاسِي السَّمَاوَاتِ سَحَاباً الْمُهِيّئِ لِلْأَرْضِ مَطَرًا الْمُنْبِتِ الْجِبَالَ عُشْبًا الْمُعْطِي لِلْبَهَائِمِ طَعَامَهَا لِفِرَاحِ الْغُرَبَانِ الَّتِي تَصْرُخُ" (مز ١٤٧: ٨-٩).

{٥٣} بعض الأنواع من السلاحف تُعَدُّ من البرمائيات لأنها تجمع في قدرتها على التكيف في المعيشة ما بين المياه والأرض، لكن بعضها لا يعيش إلا على الأرض، ولهذا أوردناها ضمن ما يعتنى به الله ويُدبَّر تفاصيل معيشته من بين حيوانات الأرض وبهائمها.

{٥٤} نبات عُشْبِي.

{٥٥} أى جعل لها خواصاً وأحاسيس ومشاعرَ بدرجة تُعوِّضُ نقصَ صفة النطق عندها.

{٥٦} يقصِد رائحتها.

{٥٧} راجع كتاب [أنا معك] - المؤلف.

{٥٨} رأينا عياناً أمثلة كثيرة لمُعاندين ومُقاومين إذ نخستهم يد الله الحانية قبلوا الإيمان بقوة عظيمة، وإذ أشرق عليهم نور الحُب الإلهي صاروا في عُمق طفقوا معه يطلبون الشهادة لاسم الرب بفرح وبشوق عجيب قد لا يُضاهيهم فيه مسيحي قَبْلَ الإيمان منذ نعومة أظفاره.

{٥٩} أى رحمته للأمم بعدما رفضه لليهود كقوله "فَإِنَّهُ كَمَا كُنْتُمْ أَنْتُمْ مَرَّةً لَا تُطِيعُونَ اللَّهَ وَلَكِنَّ الْآنَ رُحِمْتُمْ بِعِصْيَانٍ هَؤُلَاءِ هَكَذَا هَؤُلَاءِ أَيْضاً الْآنَ لَمْ يُطِيعُوا لِكَيْ يُرَحِّمُوا هُمْ أَيْضاً بِرَحْمَتِكُمْ. لِأَنَّ اللَّهَ أَغْلَقَ عَلَى الْجَمِيعِ مَعاً فِي الْعِصْيَانِ لِكَيْ يَرْحَمَ الْجَمِيعَ" (رو ١١: ٣٠-٣٢).

{٦٠} مع أن الله كاملٌ فى حكمته وقد جاء لِيُعْطِينَا البصيرة لنعرف الحق (١يو ٥: ٢٠) إلا أنه لم يهبنا الفُدرة لكى ما نُدرك كل الحكمة والمعرفة إنما فقط ما يَخُصُّنا وما يسمح لنا به حسب قُدرة احتمالنا وفهمنا كقوله لنيقوديموس "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّنَا إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ بِمَا نَعْلَمُ وَنَشْهَدُ بِمَا رَأَيْنَا، وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَنَّا شَهَادَتَنَا. إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمْ الْأَرْضِيَّاتِ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ، فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ إِنْ قُلْتُ لَكُمْ السَّمَاوِيَّاتِ؟" (يو ٣: ١١-١٢)، وكقوله للتلاميذ "لى كثير لأقوله لكم لكنكم لا تستطيعون أن تحتملوا الآن" (يو ١٦: ١٢)، وأخيراً كقوله لبطرس الرسول "لَسْتُ تَعْلَمُ أَنْتَ الْآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلَكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ" (يو ١٣: ٧).

{٦١} لا نقول (نؤكد) بل (نُقَرِّبُ) لأن عدم إدراكنا لحكمة الله لا يلغى وجودها بل بالحرى يُبَيِّنُ مدى كمالها وجليلاتها على كافة الخلائق العاقلة وغير العاقلة.

{٦٢} من كتاب (سما جديدة وأرض جديدة) ١ للآب كرنيليوس المقارى.

{٦٣} للفظه تقليد معنيان لُغَوِيَّانِ الأول من (قَلَدَ) بمعنى (يُحاكي) أى ما يعملُه الإنسان بقصد أن يُحاكي غيره، وفى الإنجليزية يُسْتَخْدَمُ لنفس المعنى الفعل imitate، وفى

اليونانية يُسْتخدَم الفعل μιμέομαι ومنه تُشتَق كلمة μίμημα بمعنى (نسخة ١ صورة ١ مثال ١ نموذج)، أما الثاني فيأتى بمعنى (تعليم) حيثُ يُشتَق من القلادة التى تُعلَق فى العنق، وكأن من يؤمنون بالتقليد يتخذون من أقوال من سبقوهم وتعاليمهم قلادة يُعلّقونها فى أعناقهم، وكلمة التقليد فى اليونانية هى παράδοσις حيثُ تنقسم إلى مقطعين الأول παρά بمعنى (من وإلى)، والثاني δοσις بمعنى (عطية) فيكون بالتالى معنى الكلمة بكلاً مقطعيها (عطية تنتقل من يد إلى يد).

٦٤} تقول قِصّة {سألت طفلة أباهما عما إن أمكنها أن تنزل إليه فى قاع الكهف فأجابها {ممكن}، وعندما همّت بالنزول أبصرت السُلّم وقد سُحب فقالت {لا يمكننى الهبوط لأنه لا يوجد سُلّم}، فقال لها والدها {إلى بنفسك وسوف ألتقطك، ها ذراعي مفتوحتان على اتساعهما}، وإذ كانت للطفلة ثقة بوالدها فإنها قفزت بلا تردد فى الظلام فأمسك بها أبوها بأمان بين ذراعيه}.

٦٥} من هُنا نفهم الآيات التى يظهر فيها الله جالباً للشر على البشر ومنها "وَأَجْعَلُ الْعِيلَامِيِّينَ يَرْتَعِبُونَ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ وَأَمَامَ طَالِبِي نَفْسِهِمْ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ شَرّاً حُمُو غَضَبِي يَقُولُ الرَّبُّ. وَأُرْسِلُ وَرَاءَهُمُ السَّيْفَ حَتَّى أَفْنِيَهُمْ" (أر ٤٩ : ٣٧)، "هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَنَذَا جَالِبٌ شَرّاً عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ وَعَلَى سُكَّانِهِ جَمِيعَ اللَّعَنَاتِ الْمَكْتُوبَةِ فِي السِّفْرِ الَّذِي قَرَأُوهُ أَمَامَ مَلِكِ يَهُوذَا" (أخ ٣٤ : ٢٤)، "اسْمَعِي أَيْتُهَا الْأَرْضُ: هَنَذَا جَالِبٌ شَرّاً عَلَى هَذَا الشَّعْبِ ثَمَرَ أَفْكَارِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَصْنَعُوا لِكَلَامِي وَشَرِيعَتِي رَفَضُوهَا" (أر ٦ : ١٩)، "وَيَسْطَ الْمَلَائِكَةُ يَدَهُ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِيُهْلِكَهَا، فَذِمَّ الرَّبُّ عَنِ الشَّرِّ وَقَالَ لِلْمَلَائِكَةِ الْمُهِلِّكِ الشَّعْبَ: «كَفَى! الْآنَ زِدْ يَدَكَ». وَكَانَ مَلَائِكَةُ الرَّبِّ عِنْدَ بَيْدَرِ أُرُونَةِ الْيَبُوسِيِّ" (صم ٢٤ : ١٦)،

والمعنى الذى يُفهم ممّا سبق من آيات أن الله الكلّي الرحمة والمحبة للبشر والذى لا يشاء موت الخاطئ مثل أن يرجع ويحيا لا يأتى بالشر أو يجلبه بل يسمح به لرافضيه والمبتعدين عنه ليجتذبهم لطلبه، ومن هنا دُعِيَ جالباً للشر.

{٦٦} قال القديس بوليكاربوس {فليكن ما يكون لأن المسيح معنا من أول يوم إلى آخر يوم من حياتنا}.

{٦٧} من بين ما يُعبّر عن هذا الاشتياق قول الترتيلة:
متى أشاهد الحمل ... يا لشوقى لىذا الحمل
قلبى امتلاً حُباً كمل مجداً لىذا الحمل

{٦٨} القديس غريغوريوس الكبير.

{٦٩} كتاب (حياة الصلاة الارثوذكسيّة) ١ الأب متى المسكين

{٧٠} كتاب (القديس أغسطينوس، حياته، أقواله) - القمص أغسطينوس البرموسى.

{٧١} كتاب (الشيخ الروحانى يوحنا سابا، حياته، أقواله) - القمص أغسطينوس البرموسى.

٧٢} كِتَاب (الشيخ الروحاني يوحنا سابا، حياته، أقواله) - القمص أغسطينوس البرموسى.

٧٣} {ما هذا الصمت الرهيب الذى يُخَيِّم على الأرض فى ذلك اليوم، صمت شديد وهدوء قاتل، الصمت الشديد لأن الملك نائم، الأرض تخشَعَتْ وهدأت لأن الإله المُتَجَسِّد رَقَدَ بالجسد وأقام الذين رقدوا مُنذ بداية الدهر، مات الإله بالجسد فارتعد الجحيم، رقد الإله قليلاً فأنهَضَ الذين فى الجحيم.

أيها المُخَالِفُونَ أين الاضطرابات والأصوات والضجّة التى أُثِرَتْ ضد المسيح؟ أين الجماهير والجنود والفرق والأسلحة؟ أين الملوك والكهنة والقضاة؟ أين المشاعل المُتَقَدَّة والسيوف والصرخات المدويّة؟ أين الجماهير المُزْمَجِرَة والحُرَّاس غير المُحتَشَمِينَ؟ لقد ثَبَّتَ أن كل ما دَبَّرَوه كان باطلاً ولا نتيجة له، لقد ارتطموا بحجر الزاوية - أى المسيح - فتحطَّمُوا، ضربوا الصخرة الصلبة فتلاشوا كتلاشى الأمواج عندما ترتطم بالصخور، دَقُّوا على السندان الصلب فَتَشَنَّتُوا إلى أجزاء مُتَفَرِّقَة، رفعوا حجر الحياة على الخشبة فتدحرج عليهم وقتلهم، قَيَّدُوا الإله العظيم فكانوا كمن يُريدون تقييد شمشون الجبَّار فكك المسيح الرِباطات الأزلِيَّة وعَتَقَ الغُرباء والمُخالفين، وُضِعَ المسيح فى باطن الأرض فكان كالشمس التى تغيب وبالتالي نزل على اليهود ظلام حالك}. [ميمر عن نزول السيد المسيح الى الهاوية].

٧٤} كانت الشريعة تنصّ على محبة القريب، لكنّ الكتبة والفريسيين أضافوا عليها أن يبغض اليهودي عدوّه كواحدٍ من أشياء كثيرة أضافوها مثلاًما يتضح من قول الرب "حِينَئِذٍ جَاءَ إِلَى يَسُوعَ كَتَبَةٌ وَفَرِيسِيُّونَ الَّذِينَ مِنْ أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: لِمَاذَا يَتَعَدَّى تَلَامِيذُكَ تَقْلِيدَ

الشُّيُوخَ فَإِنَّهُمْ لَا يَغْسِلُونَ أَيْدِيَهُمْ حِينَمَا يَأْكُلُونَ خُبْزًا؟ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ أَيْضًا، لِمَاذَا تَتَّعَدُونَ وَصِيَّةَ اللَّهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ؟ فَإِنَّ اللَّهَ أَوْصَى قَائِلًا: أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَمَنْ يَشْتِمِ أَبًا أَوْ أُمًّا، فَلَيَمُتْ مَوْتًا. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَقُولُونَ: مَنْ قَالَ لِأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ: قُرْبَانٌ هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِّي. فَلَا يُكْرِمُ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ. فَقَدْ أَبْطَلْتُمْ وَصِيَّةَ اللَّهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ! يَا مُرَاوُونَ! حَسَنًا تَنْبَأُ عَنْكُمْ إِشْعِيَاءُ قَائِلًا: يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هَذَا الشَّعْبُ بِفَمِهِ، وَيُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَغِدٌ عَنِّي بَعِيدًا. وَبَاطِلًا يَعْْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعْلَمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ" (مت ١٥ : ١ - ٩).

٧٥} لم يكن المسيح يستعفي من الصليب لأنه أعلن مراراً إنه أتى لهذا الغرض عينه، لكنه بدافع إنسانيته كان يستعفي من عذابات وآلامات هذه عددها منها النفسية وتتمثل في تخلي الجميع عنه وخيانة أحد تلاميذه له، وإنكار آخر لمعرفته، ومنها الجسدية تتمثل في آلامات وعذابات الجلد وإكليل الشوك والمسامير والصلب وهكذا روحية تتمثل في حمله لخطايا البشرية جمعاء في جسده على الخشبة مع أنه القدوس الذي بلا عيب ولا دنس.

٧٦} كِتَاب (المسيح، حياته، أعماله) - الأب متى المسكين.

٧٧} الأنبا شنوده رئيس المتوحدين - من كِتَاب ترتيب أسبوع البسخة المقدسة.

٧٨} مما يُحكى عنه في هذا الصدد قصة اهتداء الأمير الواضح بن الرجاء وقد اختار لنفسه اسم "بولس"، لأنه صار شبيهًا ببولس الرسول من جهة اختياره للإيمان بعد مقاومته له. ذلك لأنه كان قد اشترك في قتل مسيحي وإذ ذهب ليحجَّ ضلَّ الطريق في عودته وصار في قلق شديد وحيرة، فإذ به يرى فارسًا يظهر له فطمأنه وأخذه على جواده خلفه

ووجد نفسه بعد دقائق في فناءٍ فسيحٍ. هناك نام الواضح بعد أن اطمأن أنه داخل كنيسة، إذ رأى "القناديل" موقدة أمام أيقونات القديسين. وفي الصباح المبكر إذ دخل بواب الكنيسة كعادته لينظفها رأى الواضح فظنه لصاً، وأراد أن يستغيث غير أن الواضح روى له قصته. وإذ رأى أيقونة الشهيد أبي سيفين عرف أنه هو الذي ظهر له، وأنه جاء به إلى كنيسته ببابلون. التقي بكاهنٍ شيخ وأصرَّ أن ينال المعمودية ويسمى بولس. وقد تعرَّض لمتاعب كثيرة لكن الرب أنقذه. ثم ذهب إلى برية شبيهة وترهب بدير القديس مقاريوس الكبير. ولمّا علم والده طفق يشتكى عليه للولاة والأمرأ وشرع يحبسه في جُبٍّ مانعاً عنه الطعام والشراب حتى الموت وبعد آلامات هذه عددها نجا منه بأعجوبة وذهب إلى كنيسة الأمير تادرس ببلدة صدفا، وصار يخدم هناك لمدة عامين بكل أمانة حتى تتيج ودفن في مقبرة وجدت داخل الكنيسة. (كتاب قاموس آباء الكنيسة وقديسيها ١ القمص تادرس يعقوب ملطى).

٧٩} مات المسيح الرب عنا لكي ما نحيا معه إلى الأبد لأنه إن لم يكن الرب قد شارك البشرية في آلامها فكيف يُخلَّص الإنسان لأن الموت سقط تحت أقدام المسيح وانهزم وهو مسبي مضطرب، والجحيم مع قوته رجع إلى خلف لمّا سمع صوت الرب يُنادى الأنفس قائلاً "أخرجوا من وثاقكم أيُّها الجالسون في الظلمة وظلال الموت" البابا أثناسيوس الرسولي [من كتاب (القديس أثناسيوس الرسولي) - الأب متى المسكين]

٨٠} كما تشكك إبراهيم للحبيطة في وعد الله بإعطائه نسلًا فقال له عن إسماعيل "ليت إسماعيل يعيش أمامك" (تك ١٧: ١٨)، أى ليتك تُثم عهدك مع إسماعيل إذ لا رجاء لا في نسل غيره كما أعلنت لى.

{٨١} راجع كتاب [أنا معك] - المؤلف.

{٨٢} فلأزواج قال بلسان رُسُلِهِ "كَذَلِكَ أَيُّهَا الرِّجَالُ كُونُوا سَاكِنِينَ بِحَسَبِ الْفِطْنَةِ مَعَ الْإِنَاءِ النِّسَائِيِّ كَالْأَضْعَفِ، مُعْطِينَ إِيَّاهُنَّ كَرَامَةً كَالْوَارِثَاتِ أَيْضاً مَعَكُمْ نِعْمَةَ الْحَيَاةِ، لِكَيْ لَا تُعَاقَ صَلَوَاتُكُمْ" (ابط ٣: ٧)، "أَيُّهَا الرِّجَالُ، احْبُوا نِسَاءَكُمْ، وَلَا تَكُونُوا فُسَاءَةً عَلَيْهِنَّ" (كو ٣: ١٩)، وللزوجات قال "أَيُّهَا النِّسَاءُ، اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا يَلِيقُ فِي الرَّبِّ" (كو ٣: ١٨)، "وَكَذَلِكَ أَنَّ النِّسَاءَ يُزَيَّنْنَ ذَوَاتِهِنَّ بِلِبَاسِ الْحِشْمَةِ مَعَ وَرَعٍ وَتَعَقُّلٍ، لَا بِضَفَائِرٍ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ لَالِيٍّ أَوْ مَلَاسٍ كَثِيرَةٍ الثَّمَنِ، بَلْ كَمَا يَلِيقُ بِنِسَاءٍ مُتَعَاهِدَاتٍ بِتَقْوَى اللَّهِ بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ. لِنَتَعَلَّمَ الْمَرْأَةُ سُكُوتٍ فِي كُلِّ خُضُوعٍ. وَلَكِنْ لَسْتُ آذِنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُعَلَّمَ وَلَا تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ، بَلْ تَكُونُ فِي سُكُوتٍ"، (١تى ٢: ٩-١٢)، وللأولاد قال "أَيُّهَا الْأَوْلَادُ، أَطِيعُوا وَالِدَيْكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ لِأَنَّ هَذَا مَرْضِيٌّ فِي الرَّبِّ" (كو ٣: ٢٠)، وللأغنياء قال "أَيُّهَا السَّادَةُ، قَدِّمُوا لِلْعَبِيدِ الْعَدْلَ وَالْمُسَاوَاةَ، عَالِمِينَ أَنَّ لَكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً سَيِّدًا فِي السَّمَاوَاتِ" (كو ٤: ١)، "أَوْصِ الْأَغْنِيَاءَ فِي الدَّهْرِ الْحَاضِرِ أَنْ لَا يَسْتَكْبِرُوا، وَلَا يُلْفُوا رَجَاءَهُمْ عَلَى غَيْرِ يَقِينِيَّةِ الْغِنَى، بَلْ عَلَى اللَّهِ الْحَيِّ الَّذِي يَمْنَحُنَا كُلَّ شَيْءٍ بِغِنَى لِلتَّمَنُّعِ" (١تى ٦: ١٧)، وللعبيد قال "أَيُّهَا الْعَبِيدُ، أَطِيعُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ سَادَتَكُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ، لَا بِخِدْمَةِ الْعَيْنِ كَمَا يُرْضِي النَّاسَ، بَلْ بِبَسَاطَةِ الْقَلْبِ، خَائِفِينَ الرَّبِّ" (كو ٣: ٢٢)، "جَمِيعُ الَّذِينَ هُمْ عِبِيدٌ تَحْتَ نِيرٍ فَلْيَحْسِبُوا سَادَتَهُمْ مُسْتَحَقِّينَ كُلِّ إِكْرَامٍ، لِئَلَّا يُفْتَرَى عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَتَعْلِيمِهِ. وَالَّذِينَ لَهُمْ سَادَةٌ مُؤْمِنُونَ لَا يَسْتَهْيِئُوا بِهِمْ لِأَنَّهُمْ إِخْوَةٌ، بَلْ لِيَخْدِمُوهُمْ أَكْثَرَ، لِأَنَّ الَّذِينَ يَتَشَارَكُونَ فِي الْفَائِدَةِ هُمْ مُؤْمِنُونَ وَمَحْبُوبُونَ" (١تى ٦: ١-٢)، وللمتبتلين قال "ما دُعِيَ كل واحد فيه فليلبث في ذلك مع الله" (١كو ٧)، وللمتزوجين أمرهم ألا يكونوا في

هَمْ بَل طَوَّبَ الرَّجُلَ حِينَما يَهْتَمُّ فِيمَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ يُرْضِي امْرَأَتَهُ، وبِالْمَثَلِ طَوَّبَ الْمَرْأَةَ حِينَما تَهْتَمُّ كَيْفَ تُرْضِي رَجُلَهَا "فَأَرِيدُ أَنْ تَكُونُوا بِلَا هَمٍّ. غَيْرُ الْمُتَزَوِّجِ يَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ كَيْفَ يُرْضِي الرَّبَّ وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُ فَيَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ يُرْضِي امْرَأَتَهُ. إِنَّ بَيْنَ الزَّوْجَةِ وَالْعَذْرَاءِ فَرْقًا: غَيْرُ الْمُتَزَوِّجَةِ تَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ لِتَكُونَ مُقَدَّسَةً جَسَدًا وَرُوحًا. وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجَةُ فَتَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ تُرْضِي رَجُلَهَا" (١كو ٧: ٣٢ - ٣٤).

٨٣} يُقصد بالسهر هُنا السهر الروحي وقد تكرر في الكتاب حوالي ٢٠ مرّة نظراً لأهميته العظمى في جعل الإنسان يَقْظاً مُسْتَعِدّاً حَذِراً ضد أية خطيئة أو تهاون يَحِيدُ به رويداً رويداً عن الطريق الضيق المؤدّي للملكوت.

٨٤} قارن قول الكتاب في (لو ٧: ٥٠)، (لو ١٩: ٩)، (يو ٨: ١١).

٨٥} ذلك لأن كل وصاياه مُتَرابطة معاً تُشكّل الإنسان وتُقَوِّمه في طريق الملكوت ومن هُنا جاء قول النبي في المزامير "أَنْتَ أَوْصَيْتَ بِوَصَايَاكَ أَنْ تُحْفَظَ تَمَاماً. لَيْتَ طُرُقِي تُثَبَّتْ فِي حِفْظِ فَرَائِضِكَ. حِينَئِذٍ لَا أَخْزَى إِذَا نَظَرْتُ إِلَى كُلِّ وَصَايَاكَ" (مز ١١٩: ٤-٦)، "بِشَفَتِي حَسَبْتُ كُلَّ أَحْكَامِ فَمِكَ. بِطَرِيقِ شَهَادَاتِكَ فَرِحْتُ كَمَا عَلَى كُلِّ الْغِنَى. بِوَصَايَاكَ أَلْهَجُ وَالْأَحْظُ سُبُوكَ. بِفَرَائِضِكَ أَتَلَذَّذُ. لَا أُنْسَى كَلَامَكَ." (مز ١١٩: ١٣-١٦).

٨٦} من صلوات القداَس.

٨٧} يُصَلِّي الكاهن في القُداس الإلهي {يُعْطَى عَنَّا خَلاصاً وَغُفْراناً لِلخَطايا وَحياةً أَبديَّة لمن يتناول منه}.

٨٨} الآلام النفسيَّة مدعاها ترك الجميع له وخيانة واحدٍ من أَخصَّائه وإنكار آخر عَدَّة من أختياره بالإضافة إلى جحد اليهود لرسالته وعدم إدراكهم لحقيقة لاهوته وسعيهم الحثيث لِقْتله الأمر الذي كتبه مار يوحنا الحبيب بالروح في افتتاحيَّة إنجيله "كَانَ فِي العَالَمِ، وَكُونا العَالَمِ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ العَالَمُ. إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ" (يو ١ : ١٠-١١)، وهكذا فالآلام الروحيَّة رَجَعَتْ إلى حملة وهو القدوس الذي بلا عيب ولا دنس لِخطايا البشريَّة جمعاء مُنْذُ بدء الخليقة وحتى نهايتها، أمَّا الآلام الجسديَّة فإنما كانت بسبب آلام الجلد والمسامير وإكليل الشوك والعطش.

٨٩} ليست إرادة الابن من دون إرادة الآب في إتمام عمل الفداء، لَكِنَّ الابن في طلبه للآب بأن يُجيز عنه هذه الكأس فإنما لأنّه - أى الابن - كان يتكلَّم بدافع ناسوته المُقَدِّم على احتمال آلام نفسيَّة وروحيَّة وجسديَّة هذا عددها، وهذا من ناحية، أمَّا عن الناحية الأُخرى فهذا الطلب عِنه يُجيب على من قالوا إن آلام الرب كانت وهميَّة لا صحيحة لها بمعنى أن اللاهوت حجب عن الناسوت أية آلام، والحقيقة إن اللاهوت لم يحجب أو يمنع الآلام عن الناسوت إنما أزره في احتمالها لئلا يموت الابن من جرَّاء العذابات من دون الصليب فيبطل عمل الفداء الذي دَبَّر له الله مُنْذُ آدم وحواء أن يَتِمَّ بالصليب، فلا عجب إذن في سُرعة موت المسيح بالجسد على الصليب إذ كان قد أصابه انفجارٌ قلبيٌّ من جرَّاء احتمالهِ لآلام هذه عددها مع أن المصلوب كان يستمر حيًّا على الصليب يومين أو ثلاثة حتى تتمزَّق أوردة وشرابين القلب فيموت.

٩٠ { من كتاب [رسائل الأب متى المسكين] - الأب متى المسكين.

٩١ { وهذا ما يوضحه وصيته للإنسان باللحاجة في الصلاة "وَقَالَ لَهُمْ أَيضاً مَثَلًا فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلَا يُمَلَّ" (لو ١٨ : ١) ، "أَفَلَا يُنْصِفُ اللَّهُ مُخْتَارِيهِ، الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَارًا وَلَيْلًا، وَهُوَ مُتَمَهِّلٌ عَلَيْهِمْ؟ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُنْصِفُهُمْ سَرِيعًا!" (لو ١٨ : ٧ - ٨) مع أنه يعرف احتياجاته وطلباته وأعوازه (مت ٦ : ٨) من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد أوصى بعدم تكرار الكلام باطلاً.

٩٢ { كتاب [سماء جديدة وأرض جديدة ١ الأب كرنيليوس المقارى].

٩٣ { تماماً كما قال أحد المُلحدين - هو فريدريك نيشته - {الله ميت} ، وكما قال آخر - هو أوغسط كومتى - {لا شك أن الله رحل بلا عودة}.

٩٤ { إبصاليّة يوم السبت.

٩٥ { {لِيَفْحَصَ كُلٌّ مِنَّا ذَاتَهُ قَبْلَ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ لِكَيْ لَا تَكُونَ لَهُ دِينُونَةُ} ١ القديس يوحنا ذهبي الفم.

٩٦ { القطعة الأولى من تحليل صلاة باكر من الأجبية المقدّسة.

٩٧} كما أن الشيطان يُحاول خِداع الراهب، فهو أيضاً يسعى لِخِداع سائر المؤمنين ببعض الانشغالات التي تلهيهم عن مُحاسبتهم لأنفسهم ومن ثمَّ يحيدون كثيراً وبعيداً عن الطريق المُستقيم الذي للملكوت الأبدي.

٩٨} قال أحدهم {يُمكنني أن أسمعهُ وهو يقول للكثيرين الذين سيَدَّعون الجهل في ذلك اليوم {ألم تروا وتختبروا محبتي الباذلة كل يوم جُمعة عظيمة طوال فترة حياتكم؟ ألم تسمعوني أتحدَّث عن القيامة كل عام في عيد القيامة طوال حياتكم؟ ولو لم تكونوا في الكنيسة في هذه المُناسبات فقد كان لابد أن تكونوا هناك، لذلك لا تقولوا إنكم لم تعرفوا}.

٩٩} الذي يَبْعُثُ داخلنا فُقدان الرجاء به والخوف والقلق من الأحداث المُختلفة والميل إلى الهروب.

١٠٠} لأنه أحبنا وأسلم ذاته لأجلنا وخلصنا ووهبنا الحياة وبرعانا ويحمينا.

١٠١} بالثبات فيه والاجتهاد ومُحاسبة النفس.

١٠٢} يوم الرب الذي نقصده هو يوم الدينونة أو اليوم الذي تُفارق فيه الروح للجسد كقول بطرس الرسول في سفر الأعمال "بَلْ هَذَا مَا قِيلَ بِبُيُوتِ النَّبِيِّ. يَقُولُ اللَّهُ: وَيَكُونُ فِي الْأَيَّامِ الْآخِرَةِ أَنِّي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ فَيَتَّبِعُ بِنُوكُمْ وَيَنَاطِكُمْ وَيَرَى شَبَابَكُمْ رُؤًى وَيَحْلُمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلَامًا. وَعَلَى عِبِيدِي أَيْضًا وَإِمَائِي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ فَيَتَّبِعُونَ. وَأُعْطِي عَجَائِبَ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَآيَاتٍ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ أَسْفَلٍ: دَمًا وَنَارًا

وَبُخَارٍ دُخَانٍ. تَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إِلَى ظُلْمَةٍ وَالْقَمَرُ إِلَى دَمٍ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمِ
ο ἥλιος μεταστραφήσεται εἰς σκότος καὶ ἡ σελήνη εἰς αἷμα, الشَّهِيرُ
(أع ٢ : ١٦ - ٢٠).
πρὶν ἔλθεῖν ἡμέραν κυρίου τὴν μεγάλην καὶ ἐπιφανῇ.

{١٠٣} {لقد سبق ورأينا عن يمين الجالس على العرش سيفراً مختوماً، أما هنا ففي يده سفرٌ
صغيرٌ مفتوحٌ (رؤ ١٠ : ٢)، صغير لأن الدينونة صارت قريبة على الأبواب ولم تبقَ إلا
نبوات قليلة لم تتحقق بعد، والمشقات والآلام التي لا زال المؤمنون يُكابِدونها إنما هي إلى
زمن قصير فقط}، [كتاب (سماء جديدة وأرض جديدة) ١ أبونا كرنيليوس المقارى].

{١٠٤} {يو ٣ : ١٤}، {يو ٢ : ١}.

{١٠٥} {حز ٣٠ : ٣}.

{١٠٦} {يو ٢ : ١}.

{١٠٧} {لعل الاهتمام المتزايد في أيامنا الحاضرة بتفسير النبوات الواردة في سفر الرؤيا،
وكثرة الشروحات المُقدَّمة عنه أخيراً من العلامات التي تؤكِّد الشعور المُتنامي لدى
الدارسين بأننا حقاً في الزمان الأخير}، [كتاب (سماء جديدة وأرض جديدة) ١ أبونا
كرنيليوس المقارى].

{١٠٨} القداس الإلهي.

{١٠٩} نلاحظ اقتران معنى الفجائية في أغلب إعلانات الكتاب بوقت (نصف الليل).

{١١٠} توفّعها لا بمعنى سعي الإنسان لتخمين موعدها وإنما تعنى السلوك باستعداد دائم توفّعاً لإتيانها في أية لحظة.

{١١١} نذكر على سبيل المثال لا الحصر إنه في يوم ٢٨/١٠/١٩٩٢ تجمع بعض من أعضاء الكنيسة المعمدانية في مصر بمقرهم بشارع الخلفاوى بشبرا مصر وتواجدوا بالفناء وصعدوا فوق سطح مبنى الكنيسة وقضوا اليوم بأكمله هناك في انتظار المجئ الثاني واختطفاهم إلى السماء، وبعضهم خلع ملابسه حتى لا تكون عائقاً له عن الاختطاف، وكان منظرًا مُخزياً عاينه سُكان المنطقة المُحيطة بهم، ولما انقضى الموعد الذى حدده دون أن يحدث شئ انصرفوا بخزي عظيم، ولم تكن تلك المرة الأولى التى انزلق فيها أولئك إلى ضلالة تحديد موعد اليوم الأخير، فلقد سبق لهم وأن تجمعوا في نفس الموضع فوق سطح كنيستهم بشارع الخلفاوى مُنتظرين نهاية العالم في موعد حدده من قبل إنه يوم ١٩٨٤/٤/٤، وحينذاك أيضاً خلعوا ملابسهم وجلبوا نفس العار على أنفسهم وعلى غيرهم معهم بسبب مُناقضتهم لإعلان المسيح القائل بكل تأكيد "وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ، إِلَّا أَبِي وَحْدَهُ" (مت ٢٤: ٣٦). / لمزيد من التفاصيل راجع كتاب (موعد المجئ الثاني) للقس شنوده ماهر إسحق.

{١١٢} راجع كتاب [ثعالب صغيرة/ الجزء الأول] - المؤلف،

١١٣} لا يَظُنُّ إنسانٌ أن الإِبن كان على جهل بتلك الساعة لَمَّا قال "وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الْإِبْنُ، إِلَّا الْآبُ." (مر ١٣: ٣٢) حاشا، بل ولأنه في عِظَمِ اتضاعه كان قد أخلَى ذاته من مجد الإِلهية وبهائها آخِذاً صورة عبد مُطيعاً بل ومُريداً أن يقبل الهُزء والعار بل والموت من أجل خلاص البشر الذين أحبهم إلى المُنتهى، فكان من الاتضاع أيضاً بحيث أنه أغفل حقّه في الإعلان عنها أو بالحرى في الظهور أمام البشر وكأنه يُعرفها وهذا من ناحية، أمّا من الناحية الأُخرى فكان قد عزم أن يُنهي عن التلاميذ أية مُحاولَة جديدة لتكرار نفس السؤال إمّا له وهو في الجسد أو حتى لغيره بعدما يُفارقهم إلى السماء ولسان حاله في هذا يُشابه مُعلِّم يسأله تلاميذه عن أسئلة الامتحان القادم وإذ يُجيبهم بعدم معرفته لها مع أنه عينه من وضعها فمن ناحيته أنهى عنهم مُحاولات جديدة لسؤاله ومن ناحيتهم أدركوا أنه لا يكذب بل يعفي نفسه من الإعلان عنها من حيث أنه لا يريد ولا يبغي إخبارهم.

١١٤} {ربما تكَلَّمَت الرعود (رؤ ١٠: ٤) عن أحداث مُتعلِّقة بالزمان الأخير، أو ربما فيها إعلان عن اسم الدجّال وموعد مجيئه، لكن لا جدوى من مُحاولَة كشف ما أخفته السماء مؤقتاً، ومن المؤكّد أن هذا نافع لخلاصنا وخيرنا، إذاً لِنَسْكُتْ عن مُحاولَة معرفة أمر لا تُريدُنا السماء أن نعرفه}، [كِتَاب (سماء جديدة وأرض جديدة) / أبونا كرنيليوس المقارى].

١١٥} يقول أبونا تادرس يعقوب ملطى في شرحه لتلك الآية {إذ زاغ الإنسان إلى الشر أعلن الله أن روحه لا يدين في الإنسان إلى الأبد، أي لا يستقر فيه مادام يسلك في

الشر، وأن أيامه تقصر إلي مائة وعشرين عاماً، وقد تحقق ذلك بالتدريج بعد الطوفان، وإن كان قد سمح للبعض أن يعيشوا أكثر من مائة وعشرين لكنهم بلا حيوية. وربما قصد بالمائة وعشرين عاماً الفترة التي فيها أُنذر نوح الناس حتى دخل الفلك}.

{١١٦} تحليل صلاة باكر.

{١١٧} نفس الصلاة.

{١١٨} لعل أقرب مثال ما جاء في القصة الثالثة للبابا شنودة بعنوان (حدث في تلك الليلة) إذ حاول الشيطان أن يلهي الأسقف عن الخدمة للتفرغ لخلاص نفسه قبل مرور الأسبوع الذي منحه إياه الله كطلبه.

{١١٩} {الدموع الناتجة عن ذكر الموت تُؤدّ الخوف، وإذا وَلَدَ الخوف الاطمئنان أشرق الفرح، وإذا هدا هذا الفرح واستمر ثابتاً أزهرت زهرة الحب المُقدّس} / القديس يوحنا الدرجى.

{١٢٠} أى يوم الدينونة، أو اليوم الذى فيه تُفارق روح الإنسان المُتَهاون جسده إلى مكان انتظارها فى الجحيم.

{١٢١} {مخافة الموت خاصية طبيعِيّة نجمت عن المعصية} / القديس يوحنا الدرجى.

١٢٢} قال هوميروس {حياة الإنسان أشبه شئ بورق الشجر الذى لا يدوم أكثر من فصل سنوى}، وقال أحد القديسين {إنه لا عدو الأسد ولا طيران الباشق ولا مروق السهم فى الهواء يُعبّر أتم تعبير عن قصد هذه الحياة وزوالها}.

١٢٣} أى لغير المُستعد لتلك اللحظة.

١٢٤} {علينا أن نُدرك أن العقاب هو ضربة من الله للتأديبات بسبب الخطيئة، أما التجربة فهي من الشيطان} / أبونا كرنيليوس المقارى.

١٢٥} ألا وهو اجتذابه للتوبة.

١٢٦} القطعة الأولى لصلاة باكر / الأجبية المقدسة.

١٢٧} كما يتضح جلياً من قبوله لشفاعة إبراهيم لإنقاذ سدوم وعمورة من أجل عشرة أبرار يُحتمل وجودهم فيها (تك ١٨ : ٢٣ - ٣٢)، ومن قبوله أيضاً لشفاعة موسى من أجل الشعب الخاطئ (خر ٣٢ : ١٤) والصلب الرقبة (خر ٣٢ : ٩)، وهكذا كما يتضح من مرثاته لأورشليم "يا أورشليم! يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرّة أردت أن أجمع أولئك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا" (لو ١٣ : ٣٤).

١٢٨} على أن أتعاب وأمراض الإنسان الأرضية في بعض الأحيان تكون لتهذيبه وتقويم طريقه وتمحيص أساليبه وتركيبه إيمانه ومن ثم اختبار لمدى محبته للرب الذي من أجله يصبر ويحتمل ويشكر على رجاء انتهائها بعد فترة زمنية طالت أم قصرت لينال بعدها أكاليل الصبر والاحتمال والشكر، أما هناك فالعقوبة تكون نتيجة لحكم مؤبد لا ينتهى ولا يُستأنف.

١٢٩} أبونا كرنيليوس المقارى.

١٣٠} نعتبر البكاء والظلمة من العذابات الجسدية لأن لكليهما آثاراً على أعضاء الإنسان وصحته من حيث أن الغدد الصماء ليست لها قنوات تصب فيها هرموناتا وإفرازاتها بل تصبها مباشرة في الدم، ومن هنا فإن انفعال الإنسان بالحزن والغم يُعكّر دمه بما ينصب فيه من هرمونات تؤدي إلى موت الخلايا وضعف البدن وهزال الأعضاء مما ويتضح بأجلى بيان على لون الوجه وحركات اليدين والرجلين حتى ولو حاول الإنسان إخفاء حزنه وضيقه وهو ما أشار إليه النبي في قوله عما يؤثّر به انفعال الحزن على العظام "يَا رَبُّ لَا تُؤْخِزْنِي بِغَضَبِكَ وَلَا تُؤَدِّبْنِي بِغَيْظِكَ. ارْحَمْنِي يَا رَبُّ لِأَنِّي ضَعِيفٌ. اشفني يَا رَبُّ لِأَنَّ عِظَامِي قَدْ رَجَفَتْ وَنَفْسِي قَدْ ارْتَاعَتْ جِدًّا. وَأَنْتَ يَا رَبُّ فَحَتَّى مَتَى" (مز ٦: ١ - ٣) "كَأَلْمَاءٍ انْسَكَبْتُ. انْفَصَلْتُ كُلُّ عِظَامِي. صَارَ قَلْبِي كَالشَّمْعِ. قَدْ ذَابَ فِي وَسْطِ أَمْعَائِي" (مز ٢٢: ١٤) "ارْحَمْنِي يَا رَبُّ لِأَنِّي فِي ضَيْقٍ. خَسَفْتُ مِنَ الْغَمِّ عَيْنِي. نَفْسِي وَبَطْنِي. لِأَنَّ حَيَاتِي قَدْ فَنِيَتْ بِالْحُزْنِ وَسَنِينِي بِالتَّهْدِيدِ. ضَعَفْتُ بِشَقَاوَتِي فُوتِي وَبَلَيْتُ عِظَامِي" (مز ٣١: ٩ - ١٠) "لَمَّا سَكَتُ بَلَيْتُ عِظَامِي مِنْ زَفِيرِي الْيَوْمَ كُلُّهُ لِأَنَّ يَدَكَ ثَقُلَتْ عَلَيَّ نَهَارًا وَلَيْلًا. تَحَوَّلَتْ رُطُوبَتِي إِلَى يَبُوسَةِ الْقَيْظِ" (مز ٣٢: ٣ - ٤) "لَيْسَتْ فِي جَسَدِي صِحَّةٌ مِنْ

جَهة غَضَبِكَ. لَيْسَتْ فِي عِظَامِي سَلَامَةٌ مِنْ جَهَةِ خَطِيئَتِي" (مز ٣٨: ٣) "أَقُولُ لِلَّهِ صَخْرَتِي: «لِمَاذَا نَسِيتَنِي؟ لِمَاذَا أَذْهَبُ حَزِيناً مِنْ مُضَايَقَةِ الْعَدُوِّ؟" بِسَخْقٍ فِي عِظَامِي عَبَّرَنِي مُضَايِقِي بِقَوْلِهِمْ لِي كُلَّ يَوْمٍ: «أَيْنَ إِلَهُكَ؟" (مز ٤٢: ٩ - ١٠) "تَحْجُبُ وَجْهَكَ عَنِّي فِي يَوْمِ ضَيْقِي. أَمَلٌ إِلَيَّ أَذْنُكَ فِي يَوْمِ أَدْعُوكَ. اسْتَجِبْ لِي سَرِيعاً. لِأَنَّ أَيَّامِي قَدْ فَنِيَتْ فِي دُخَانٍ وَعِظَامِي مِثْلُ وَقِيدٍ قَدْ يَبَسَتْ." (مز ١٠٢: ٢ - ٣)، وما قُلْنَاهُ عَلَى الْعِظَامِ نَقُولُهُ عَلَى حَاسَةِ الْبَصَرِ الَّتِي حَتَمًا تَتَوَثَّرُ سَلْبًا عَلَى الْجَسَدِ حَالِ أَصْبَحْتَ غَيْرَ قَادِرَةٍ عَلَى الْإِبْصَارِ، الْأَمْرَ الَّذِي يُوَكِّدُهُ قَوْلُ الْوَحْيِ "يَا رَبُّ أَمَامَكَ كُلُّ تَأَوُّهِي وَتَتَهَّدِي لَيْسَ بِمَسْتُورٍ عَنكَ. قَلْبِي خَافِقٌ. قُوَّتِي فَارَقْتَنِي وَتَوَرُّ عَيْنِي أَيْضًا لَيْسَ مَعِي" (مز ٣٨: ٩ - ١٠) "فلما قصدتُ معرفةَ هذا إذْ هو تعب في عيني" (مز ٧٣: ١٦).

١٣١} نَقْصِدُ طَبْعاً الْمُتَوَانِينَ الَّذِينَ طَفَقُوا طَوَالَ حَيَاتِهِمْ مُقْسِيْنَ قُلُوبَهُمْ مُجْدِفِينَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ مِنْ حَيْثُ عَدَمُ رَغْبَتِهِمْ فِي التَّوْبَةِ نَهَائِيًّا حَتَّى حَالِ لَحْظَةٍ مَوْتِهِمْ، وَمِمَّا يُذَكِّرُ عَنِ الْإِمْبَرَاطُورِ يُولْيَانُوسِ الْجَاوِدِ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ الْمُحَارِبِينَ لِدِينِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ حَالِ مَوْتِهِ فِي إِحْدَى الْحُرُوبِ أَخَذَ مِنْ دَمِهِ وَأَلْقَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ قَائِلًا {لَقَدْ غَلَبْتَنِي أَيُّهَا الْجَلِيلِيُّ}.

١٣٢} لَذا نَطْلُبُ فِي قِطْعِ صَلَاةِ الْغُرُوبِ مِنَ الْأَجْبِيَةِ الْمُقَدَّسَةِ شَفَاعَةَ الْعِذْرَاءِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ فَنَقُولُ {عِنْدَ مُفَارَقَةِ نَفْسِي مِنْ جَسَدِي أَحْضِرِي عِنْدِي وَلِمَوَامَرَةِ الْأَعْدَاءِ اهْزَمِي وَلِأَبْوَابِ الْجَحِيمِ أَغْلِقِي لئَلَّا يَبْتَغُوا نَفْسِي يَا عُرُوسَ بَلَا عَيْبٍ لِلخَتَنِ الْحَقِيقِيِّ}.

١٣٣} كَمَا كَانَ - أَيْ الضَّمِيرُ - مُرْشِدًا وَمُعِينًا لِيُوسُفَ الصَّدِيقِ فَلَمْ يُخْطِئْ (تَكَ ٣٩: ١٢).

١٣٤} حتى ولو بنية صادقة كما نقول في إِبصاليّة الصوم الكبير {وأيضاً يعقوب إسرائيل من أجل نواياه الصادقة}.

١٣٥} قصدنا أن نُميّز ما بين الخوف الذى يعتري الإنسان لحظة موته مباشرة والخوف الذى يتملّكه من جرّاء مثوله أمام الديان العادل إمّا يوم الدينونة أو بأى شكل من الأشكال حال انتظار روحه فى مكان انتظارها قبل الديونة العامة، آخذين فى الاعتبار أن هذا التمييز لهو من الناحية الذهنية التوضيحية وليس الفعلية إذ لا فارق ولا فاصل ما بين موت الجسد وخروج الروح منه وما بين انطلاقها إمّا إلى الفردوس أو إلى الجحيم إنتظاراً لليوم الأخير.

١٣٦} من كتاب (سماء جديدة وأرض جديدة) / أبونا كرنيليوس المقارى.

١٣٧} لا يقول قائلٌ ولا يظن ظانٌ أن قُرب العلامات الخاصة بمجئ الرب تجعل المتوانين اللاهين يتوبون ودليلنا على ذلك ما جاء فى سفر الرؤيا "وَأَمَّا بَقِيَّةُ النَّاسِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا بِهَذِهِ الضَّرَبَاتِ فَلَمْ يَتُوبُوا عَنْ أَعْمَالِ أَيْدِيهِمْ، حَتَّى لَا يَسْجُدُوا لِلشَّيَاطِينِ وَأَصْنَامِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَالْحَجَرِ وَالْخَشَبِ الَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُبْصَرَ وَلَا تَسْمَعَ وَلَا تَمْشِيَ، وَلَا تَأْبُو عَنْ قَتْلِهِمْ وَلَا عَنْ سَحْرِهِمْ وَلَا عَنْ زِنَاهُمْ وَلَا عَنْ سِرْقَتِهِمْ" (رؤ ٩ : ٢٠ - ٢١)، "ثُمَّ سَكَبَ الْمَلَأُ الرَّابِعُ جَامَهُ عَلَى الشَّمْسِ فَأَعْطِيَتْ أَنْ تُحْرِقَ النَّاسَ بِنَارٍ، فَاحْتَرَقَ النَّاسُ اخْتِرَافاً عَظِيماً، وَجَدُّوْا عَلَى اسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى هَذِهِ الضَّرَبَاتِ، وَلَمْ يَتُوبُوا لِيُعْطُوهُ مَجْداً. ثُمَّ سَكَبَ الْمَلَأُ الْخَامِسُ جَامَهُ عَلَى عَرْشِ الْوَحْشِ، فَصَارَتْ مَمْلَكَتُهُ

مُظْلَمَةً. وَكَانُوا يَعْضُونَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ مِنَ الْوَجَعِ. وَجَدَفُوا عَلَى إِلَهِ السَّمَاءِ مِنْ أَوْجَاعِهِمْ وَمِنْ فُرُوجِهِمْ، وَلَمْ يَتُوبُوا عَنْ أَعْمَالِهِمْ" (رؤ ١٦: ٨ - ١١).

١٣٨} نقول في طرح الساعة التاسعة لليلة الاثنين من البصخة المقدسة {لما فرغ الرب أن يسأل تلاميذه في طريق قيصرية فيلبس ابتداءً يقول لهم علانية من أجل الذي سيحصل له في أورشليم، أنه ينبغي أن يكمل المكتوب أن ابن الإنسان ينال آلاماً كثيرة ويُرذل من الكتب ومن بعد الآلام التي سيلقاها يقوم من بين الأموات في اليوم الثالث، هذا هو الحجر الذي رذله البنائون كقول الكتب فسيسقط عليهم غضبه العظيم ويهشمهم الرجز، هو يصب الخزي على وجوههم لأنهم جازوا الإحسان بالإساءة}.

١٣٩} قال الأنبا شنوده رئيس المتوحدين عن عدم نفع الندم للخطيئ المُقَدِّم على استماع الحكم الأخير والعاقل {أقول هذا الكلام ولا أتركه، لا تظنوا أنه بعد عزل التين من الحنطة يحصل الخطاة على راحة، وأقول لكم شهادة الكتب أما الملائكة ورؤساؤهم فإنهم يصمتون جميعاً، وكذلك القديسون أيضاً، ويكون حكم الله قولاً تاماً فاصلاً في اليوم الذي يُفَرَز فيه الأشرار من بين الأخيار، وقت أن يُلْقَى الأشرار في أتون النار المُتَقَدَّة، هل الله كالבشر حتى يجعل له مُشِيرًا أو جليساً ليسأله؟ ما هو الذي ينسأه الله ليُجيب به آخر أو يسأله عن كلمة إلا هذا القول الواحد [يا ديان الحق، أحكامك عادلة أيها المُعطي كل واحد حسب أعماله]}.

١٤٠} مُجَرَّد الاشتياق لا يكفي الإنسان بل يلزمه الإيمان أيضاً والاجتهاد، فهيرودس يقول عنه الكتاب أنه اشتاق لرؤية يسوع ولكنه لما رآه استهزأ به.

١٤١} كما يقول الكاهن فى القداس الإلهى (اشترك فى العمل مع عبيدك)، الأمر الذى يؤيده قول مار بولس الرسول "ليس الغارس شيئاً ولا الساقى بل الله الذى يُنمّى" (١ كو ٣: ٧)، ولعلنا هنا نتذكّر المثل اليونانى القائل (الله يعمل مع مَنْ يعمل)، والآخر الأثيوبى القائل (الإنسان يبدأ والله يُنجز).

١٤٢} راجع كتاب [أنا معك] - المؤلف.

١٤٣} وصفها الرب فى قوله "إِنْ كَانَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظُلَامًا فَالظُّلَامُ كَمْ يَكُونُ" (مت ٦: ٢٣).

١٤٤} عَبَّرَ عَنْهُ دَاوُدُ فِي قَوْلِهِ لِسُلَيْمَانَ "فَإِذَا طَلَبْتَهُ يُوجَدُ مِنْكَ، وَإِذَا تَرَكْتَهُ يَرُفُضُكَ إِلَى الْأَبَدِ" (١ أخ ٢٨: ٩).

١٤٥} يَقْصِدُ الْأَحْدَاثَ الْكُونِيَّةَ الْأَخِيرَةَ الَّتِي تُصَاحِبُ مَجِئَ الرَّبِّ.

١٤٦} كَخَوْفِ وَالِدِي الْمَوْلُودِ أَعْمَى مِنَ الْإِقْرَارِ بِعَمَلِ الْمَسِيحِ الْعَجِيبِ وَالْمُعْجَزِيِّ مَعَ ابْنَيْهَا لئلا يُطْرَدَا مِنَ الْمَجْمَعِ، الْأَمْرُ الَّذِي ذَكَرَهُ الْبَشِيرُ يُوْحَنَّا الْإِنْجِيلِي فِي قَوْلِهِ "أَجَابَهُمْ أَبَوَاهُ وَقَالَ: «نَعْلَمُ أَنَّ هَذَا ابْنُنَا، وَأَنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى. وَأَمَّا كَيْفَ يُبْصِرُ الْآنَ فَلَا نَعْلَمُ. أَوْ مَنْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ فَلَا نَعْلَمُ. هُوَ كَامِلُ السِّنِّ. اسْأَلُوهُ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنْ نَفْسِهِ». قَالَ أَبَوَاهُ هَذَا لِأَنَّهُمَا

كَانَا يَخَافَانِ مِنَ الْيَهُودِ، لِأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا قَدْ تَعَاهَدُوا أَنَّهُ إِنْ اعْتَرَفَ أَحَدٌ بِأَنَّهُ الْمَسِيحُ يُخْرَجُ مِنَ الْمَجْمَعِ" (يو ٩ : ٢٢).

١٤٧} قال الأسقف الحبيس ثيؤفان في إحدى عِظاته للراهبات {الآن وفي حياتنا الأرضية يحترمننا الرجال والنساء إذ ينظرون إلينا على أننا حقاً نُمثِّل ما يحمله إسكيمننا من معانٍ، ولهم الحق في ذلك لأن الفضيلة يجب أن تُحترم حتى ولو افترض الناس وجودها فينا فرضاً، هُم لا يرون ما بداخل قلوبنا، غير أن هذا ليختفي فقط لِفَترَةٍ من الزمن في الحياة الأرضية، أمّا في الأبدية فكل شئ ينكشف ويتعرّى، كم يكون خزينا عند ذاك؟ عندما يظهر أمام كل أحد يعرفنا الآن أن قلوبنا لم تُكن متوافقة مع إسكيمننا، كم يجب أن نحتمل توبيخاتهم قائلين لنا [كُنّا نظنكُنّ مُتواضعات ولكن ظهر أنكن مُتكبرات ومُحبات للمجد الباطل، كُنّا نظنكُنّ مُتحررات في قلوبكن وأفكاركن من الأهواء والشهوات، وها أنتن مُتهَمات بعدم ضبط عيونكن وأفكاركن، كُنّا نظنكُنّ مواظبات على الصوم وها أنتن مُتهَمات بالنهم، كُنّا نظنكُنّ مواظبات على الصلاة باستمرار وظهر كسلكن ونومكن، كُنّا نعتقد أنكن صبورات وظهر دمدمتكن وتذمركن، كُنّا نظنكُنّ غير مُحبات للعالم أو أى شئ عالمي وها أنتن مُتهَمات بمحبة العالم]، فكيف حالنا نحتمل تلك التعبيرات والاتهامات؟!}

١٤٨} قال أحدهم {مما يَزِد رُعب الخاطيء وقت موته تَعَلَّق قلبه بالخيرات التى له، فالموت بالنسبه له هو الحد الفاصل بينه وبين أولاده وأهله وأصحابه ومِلذَّاته، إنه حينئذ لا يسعه إلا أن يصرخ [ما أمرَ الموت]}.

١٤٩} قال أحدهم {المُشْرِف على الموت إذا رأى أهله حوله باكين، يُشَجِّعُهُم على السلوك الصالح الذى يُنْجِيهِم من الموت الأبدى، فإبراهيم وإسحق ويعقوب حين دنوا من موتهم وشعروا به لم يرتعبوا بل كانوا يستحضرون أولادهم ويُباركونهم ويُظهرون كأنهم لم يكونوا يتوقَّعون شيئاً جديداً يحل بهم، ويوسف وهو فى النزع قال لإخوته بثبات "أنا أموت ولكن الله سيفتدكم ويُصعدكم من هذه الأرض" (تك ٥٠: ٢٤) وموسى حين أخبره الله أنه سيموت لم يخف بل أوصى إسرائيل بوصية الرب، وقال أيضاً {من يستطيع أن يصف مقدار فرح الإنسان الصالح وقت الموت عندما يعلم أن ساعة جهاده وتجاربه قد انتهت، إن السلام الذى يملأ قلب المؤمنين حال موتهم يجعل أسرَّتَهُم وثيرة لينة كريش النعام فلا يُمكن أن تُشاهد فى الأعراس ولا فى ولائم الأعياد ولا بين الذين أدركوا ساعة النجاح أناساً مُبتهجين مثل المرضى المؤمنين، إن سلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ أذهانهم وأفكارهم}.

١٥٠} فضلاً عما هدف إليه الرب من استثارة الإنسان للاجتهاد والابتعاد عن الكسل والتوانى فهو لا يقصد التشجيع على الربا الاستهلاكى الذى منعه وحرَّمته وصاياه الإلهية "يَا رَبُّ مَنْ يَنْزِلُ فِي مَسْكَنِكَ؟ مَنْ يَسْكُنُ فِي جَبَلِ قُدْسِكَ؟ السَّالِكُ بِالْكَمَالِ وَالْعَامِلُ الْحَقَّ وَالْمُتَكَلِّمُ بِالصِّدْقِ فِي قَلْبِهِ. الَّذِي لَا يَشِي بِلِسَانِهِ وَلَا يَصْنَعُ شَرًّا بِصَاحِبِهِ وَلَا يَحْمِلُ تَغْيِيرًا عَلَى قَرِيبِهِ. وَالرَّذِيلُ مُحْتَقَرٌ فِي عَيْنَيْهِ وَيُكْرِمُ خَائِفِي الرَّبِّ. يَحْلِفُ لِلضَّرَرِ وَلَا يَغَيِّرُ. فَضْئُهُ لَا يُعْطِيهَا بِالرِّبَا وَلَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ عَلَى الْبَرِيِّءِ. الَّذِي يَصْنَعُ هَذَا لَا يَتَرَعَّزُ إِلَى الدَّهْرِ" (مز ١٥: ١ - ٥)، "لا تُقْرِضْ أَخَاكَ بِرِبَاٍ رِبَاٍ فَضَّةٍ أَوْ رِبَاٍ طَعَامٍ أَوْ رِبَاٍ شَيْءٍ مَا مِمَّا يُقْرِضُ بِرِبَاٍ" (تث ٢٣: ١٩)، ذلك لأن المسيحية تُفَرِّق بين نوعين من الربا، الربا الاستهلاكى الذى تمنعه وتحرمه إذ يُنْقَلُ به الفقير المحتاج والمُقْرِضُ لِقَوْتِهِ اليومي "إِنْ أَقْرِضْتَ فَضَّةً

لِشَعْبِي الْفَقِيرِ الَّذِي عِنْدَكَ فَلَا تَكُنْ لَهُ كَالْمُرَابِي. لَا تَضَعُوا عَلَيْهِ رِيًّا" (خر ٢٢: ٢٥)،
"الْمُكْتَبِرُ مَالَهُ بِالرِّيَا وَالْمُرَابِحَةِ فَلِمَنْ يَرْحَمُ الْفُقَرَاءَ يَجْمَعُهُ!" (أم ٢٨: ٨) ومن ثَمَّ لَا يَقْدِرُ أَنْ
يُرْجِعَهُ أَوْ يُوَفِّيهِ فَيَصْغُرَ فِي نَفْسِهِ وَفِي عَيْنِ أَخِيهِ، والربا الإنتاجي الذي تسمح به إذ يكون
فائضاً عن الإنسان وزائداً عن حاجته فلا يُثَقَّلَ به حال رده إذ يكون ناتجاً عن
المشروعات الاستثمارية التي أوجبت الفائدة والريح لجميع الأطراف.

١٥١ { أَى أَن الْكَلَامَ الْإِجَابِي الْمُصْلَحَ بِمِلْحٍ مِنْ أَجْلِ الْبِنَاءِ وَالَّذِي يَعْكُسُ شَخْصِيَّةَ
وَسُلُوكِ أَبْنَاءِ اللَّهِ هُوَ مَا يَدْفَعُ السَّائِلَ لِيَسْأَلَ وَمِنْ ثَمَّ يُجَابُ إِلَى طَلْبِهِ وَسْوَالِهِ بِمَا وَيُكْرَزُ
بِاسْمِ الْمَسِيحِ مِنْ نَاحِيَةٍ وَيُؤَكَّدُ مَبْدَأُ الْإِجَابِيَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى.

١٥٢ { كَقَوْلِ الرَّبِّ لِلتَّلَامِيذِ "لِي كَثِيرٍ لِأَقُولَهُ لَكُمْ لَكُنْكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الْآنَ"
(يو ١٦: ١٢).

١٥٣ { أَى الْعِبَادَةِ بِدَافِعِ الْخَوْفِ مِنْ حَتْمِيَّةِ الْمَوْتِ وَمِنْ الْعَذَابِ وَمِنْ التَّأْثِيرِ عَلَى الْأَحْبَاءِ.

١٥٤ { الْأَمْرُ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ الْكِتَابُ فِي قَوْلِهِ "فَأَجَابُوا مَلَكَ الرَّبِّ الْوَاقِفِ بَيْنَ الْأَسْرِ: قَدْ
جُلْنَا فِي الْأَرْضِ وَإِذَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مُسْتَرِيحَةٌ وَسَاكِئَةٌ" (زك ١: ١١).

١٥٥ { صَعُوبَةُ الْوَصِيَّةِ تَكُونُ فَقَطْ عَلَى السَّاعِي إِلَيْهَا بِقُوَّتِهِ الشَّخْصِيَّةِ اتِّكَالاً عَلَى بَرِّهِ
الذَّاتِي.

{١٥٦} كقول أبونا متى المسكين {كُل وصيّة بها قوة تقدر أن تُدافع عن الحق الذى فيها}.

{١٥٧} أى عشرته.

{١٥٨} كان الرب يُدرك تماماً إيمان الأبرص القوي بقدرته على شِفائه، الأمر الذى ينطبق على كافة الحالات التى سأل فيها الطالبين للشفاء عن إيمانهم.

{١٥٩} قالت إحدى الداخلات الجُدد للإيمان {يسوع المسيح هو الوحيد الذى وقتما أو حيثما تطلبه تجده متاحاً غير مشغولاً}.

{١٦٠} {خُذَام المسيح لهم حماية خاصة منه ولا يستطيع أحد أن يؤذِيهم حتى ينتهوا من عملهم على الأرض ويُتَمَمُوا خدمتهم وشهادتهم بالطريقة التى يُريدها هو لأنه مكتوب "قَلَمْ يَدْعُ إِنْسَاناً يَظْلِمُهُمْ بَلْ وَيَخْ مُلُوكاً مِنْ أَجْلِهِمْ قَائِلاً: لَا تَمَسُّوا مُسَحَّائِي وَلَا تُسَبِّحُوا إِلَى أَنْبِيَائِي" (مز ١٠٥: ١٤ - ١٥)} / أبونا كرنيليوس المقارى.

{١٦١} راجع كتابنا (أنا معك).

{١٦٢} {مَنْ يُصَدِّقْ أَنْ تِلْكَ النَفْسُ الْمُتَعَفِّئَةُ - يَقْصِدُ السَامِرِيَّةَ - تَتَقَلَّبُ بِهَذِهِ السَّرْعَةِ إِلَى تَائِبَةٍ تَطْلُبُ مَكَاناً أَمِيناً تَتَعَبَّدُ فِيهِ، مَكَاناً يَسْمَعُ فِيهِ اللَّهُ صَوْتَهَا وَيَقْبَلُ دُمُوعَهَا وَنَدَامَتَهَا، أَمْرٌ لَا يَشْغُلُ بَالِ الْأَتْقِيَاءِ، وَلَكِنْ فِي حَضْرَةِ الْمَسِيحِ يَصِيرُ الْخَاطِئُ تَقِيّاً وَالْمَرِيضُ الْكَسِيحُ

صحيحاً مُعافاً يحمل سريره ويذهب إلى بيته} ١ [كتاب (المسيح حياته أعماله) / الأب متى المسكين].

١٦٣} يُذكر عن القديس أغناطيوس إنه أقتيد من سورية إلى روما ليُلقى فريسة للوحوش الكاسرة فخشي أن ترفق به الوحوش كما تراءفت على غيره من الشهداء فقال {ليت الوحوش تزداد نهماً فإن أسنانها ليست إلا كرحى فإنها إن طحنت القمح لا تقنيه بل تُصيرُهُ دقيقاً، فلتسحقني لأصير قُرصاً نقيّاً مُعدّاً للسماء}، وجاء عن القديس بوليكرابوس تلميذ مار يوحنا الرسول أنه حينما وضعوه في نار الاستشهاد ربطوه بوثق فقال لهم {دعوني من هذا الوثاق فإن من وهبني قوة على الإتيان إلى النار يُعطيني أيضاً صبراً على احتمال اللهب}، وجاء عن أحد آباء الرهينة أنه حال احتضاره اجتمع حوله الرهبان باكين أما هو فكان مسروراً وإذ سألوه عن سبب فرحه أجابهم {لماذا تكون مع أنكم تُشاهدونني مُنطلقاً إلى دار النعيم والراحة}، وأخيراً جاء في أخبار القديسين أن صياداً وجد أحد السائحين يُرتّل حال احتضاره ترتيلاً شجياً بنغمةٍ مطربةٍ فاقترب منه سائلاً {كيف وإن رجلاً مثلك في ساعة الموت وفي حال الندامة والتعاسة يُرثم بمثل هذا الترنيم الحلو؟} فأجابه السائح {اعلم يا أخي أن ليس بيني وبين إلهي سوى هذا الحائط (وأشار إلى جسده) فَكَلَّمَا أَرَاهُ مائلاً إلى السقوط أعلم أنه قد دنى وقت تركي لزمان غربتي واقترابي من إلهي لأتمتع به}.

١٦٤} أى سلطان المسيح المُطلق على الكون والطبيعة وسائر الأحداث وتفاصيل الحياة.

١٦٥} الأب أنتوني كونيارييس.

١٦٦} قال الأب كرنيليوس المقارى {الزمان قد قَرُبَ جداً، هوذا يسوع يقرع على قلوبنا بالإشارات بكلمة الله أو بالتجارب المتنوعة، أو بموت أحد الأحباء أو بكلمة وعظ، أو بمُعاملات المحبة، ها هو يسوع المسيح المُحب يبحث ويطلب ويُفَتِّش، ولن ينفُتِح باب القلب للمسيح إلا من الداخل، حينئذ نتمتع بالصدقة الطويلة والعميقة معه وتصبح بيننا وبينه شركة وعشرة}، وقال أيضاً {أعمال الله تتم فى وقتها المُحدد بالساعة وليس باليوم والشهر والسنة فقط، إن فَكَّ الملائكة فى (رؤ ٩: ١٥) مُحدَّد بزمان البوق السادس، أى بعد أن يفشل عمل الأبواق السابقة فى جذب الناس إلى التوبة، وإذا استنفذت كل وسائل التنبيه، يُحكَم بموت البعض كتحذير أشد وضوحاً للآخرين}.

١٦٧} تماماً كيُعقوب ويوحنا اللذان لَمَّا لم تقبل السامرة الرب طلبا إليه أن يسمح بنزول نار من السماء لِتُحرقها مع أن هو عينه - أى يوحنا الرسول - كان من ذهب إليهم لِعمادهم عقب قبولهم الإيمان بيد فيلبس المُبشِّر (أع ٨: ٥).

١٦٨} كلمة "أقرع" هنا تأتى بما يُفيد معنى المُثابرة.

١٦٩} الأب متى المسكين.

١٧٠} من خلال صِفاته ومُعاملاته معه (أبوتُهُ | حنانه | قُربُهُ | حمايته | مَغْفِرَتُهُ | سُلْطَانُهُ | مُبَادِرَتُهُ | مُثَابِرَتُهُ).

{١٧١} لِشَخْصِ الرَّبِّ.

{١٧٢} نَقُولُ فِي طَرَحِ السَّاعَةِ الْأُولَى لِلَّيْلَةِ الْاِثْنَيْنِ مِنَ الْبَصْخَةِ الْمُقَدَّسَةِ {إِذَا أَزْهَرَ الْقَمَرَ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ وَأَشْرَقَتْ أَشْعَتُهُ عَلَى الْأَرْضِ يَصِيرُ سَائِرُ النَّاسِ فِي اسْتِثْيَاقِ مُسْتَهْيِينَ أَنْ يَرَوْا بِهَاءَهُ فَكَمْ بِالْحَرَى يَكُونُ مَجْدُ الْمَسِيحِ إِلَيْنَا شَمْسُ الْبَرِّ!}.

{١٧٣} لَيْتِنَا نَتَخَيَّلُ مَعاً مَدَى جَلَالِ وَرَهْبَةِ هَذَا الْمَشْهَدِ الَّذِي يَنْجَلِي بِأَكْثَرِ حَالِ إِدْرَاكِنَا أَنْ مَجْدَ بَهَاءِ مَلَائِكَةٍ وَاحِدَةٍ نَزَلَ عَلَى الْأَرْضِ أَضَاءَهَا كُلُّهَا (رؤ ١٨ : ١)!

{١٧٤} حَتَّى أَنْ بُولِسَ الرَّسُولَ لَمَّا اخْتُطِفَ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَصِفَ لَذَّتَهَا وَرَوْعَتَهَا - مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا لِيَصِفَ لَمَحَةً بَسِيطَةً جَدًّا مِمَّا أَرَاهُ اللَّهُ - فَقَالَ "إِنَّهُ لَا يُوَافِقُنِي أَنْ أَفْتَخِرَ. فَإِنِّي آتِي إِلَى مَنَاطِرِ الرَّبِّ وَإِعْلَانَاتِهِ. أَعْرِفُ إِنْسَانًا فِي الْمَسِيحِ قَبْلَ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةً. أَفِي الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ، أَمْ خَارِجَ الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. اللَّهُ يَعْلَمُ. اخْتُطِفَ هَذَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ. وَأَعْرِفُ هَذَا الْإِنْسَانَ. أَفِي الْجَسَدِ أَمْ خَارِجَ الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. اللَّهُ يَعْلَمُ. أَنَّهُ اخْتُطِفَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ، وَسَمِعَ كَلِمَاتٍ لَا يُنْطَقُ بِهَا، وَلَا يَسُوعُ لِنَاسٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا" (٢كو ١٢ : ١ - ٤).

{١٧٥} لَعَلَّنَا نَتَذَكَّرُ هُنَا مَا قُلْنَاهُ عَنْ مُكَافَاتِ الْمَسِيحِ الْأَرْضِيَّةِ وَالَّتِي أَبْقَاهَا لِلْإِنْسَانِ لَكِي مَا يَسْتَحِثُّهُ لِلْمُضِيِّ قَدَمًا فِي الطَّرِيقِ الضَّيِّقِ الْكَرْبِ.

{١٧٦} أَبُونَا كَرْنِيلْيُوسُ الْمَقَارَى.

١٧٧} {يا له من امتياز، قديماً كان الأنبياء يتطلعون ليروا من خارج، أما يوحنا فسمَحَ له أن يدخل إلى داخل ويرى مُستقبل الكنيسة المجيدة كنهاية لِصراعها مع الشر، إنها دعوة للسمو، والذي يدخل إلى هذا الباب المفتوح ليس شخصٌ واحدٌ بل المؤمنون جميعاً في شخص المسيح} / أبونا كرنيليوس المقارى فى شرحه ل (رؤ ٤ : ١).

١٧٨} {كمار يوحنا الحبيب الذى قال "لَمَّا قَالَ يَسُوعُ هَذَا اضْطَرَبَ بِالرُّوحِ، وَشَهِدَ وَقَالَ: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ سَيُسَلِّمُنِي!». فَكَانَ التَّلَامِيذُ يَنْظُرُونَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَهُمْ مُحْتَارُونَ فِي مَنْ قَالَ عَنْهُ. وَكَانَ مُتَكِنًا فِي حِضْنِ يَسُوعَ وَاحِدٌ مِنَ تَلَامِيذِهِ، كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ" (يو ١٣ : ٢١ - ٢٣)، وقال أيضاً "فَالْتَقَتَ بُطْرُسُ وَنَظَرَ التَّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ يَتَّبِعُهُ، وَهُوَ أَيْضًا الَّذِي اتَّكَأَ عَلَى صَدْرِهِ وَقَتَ الْعِشَاءِ، وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، مَنْ هُوَ الَّذِي يُسَلِّمُكَ؟" (يو ٢١ : ٢٠).

١٧٩} {هذه هى السعادة العُظمى، وهذا هو الأمل المُرتقب. الحفل الذى ارتجَّت له السماء (رؤ ١٩ : ٩) مُتهلِّلة فرحة، أما الحفل فدُعِيَ عشاءً لأنه يجى فى نهاية نهار الحياة، بعد أن نحتمل ثقل النهار وحرّه، إنه بمثابة الأجر الذى يُعطى للأجير فى نهاية يومه، وفيها ننال بركة الموعد المُرتجى والمُشتهى جداً "وَهَا أَنَا آتِي سَرِيعًا وَأُجْرَتِي مَعِيَ لِأَجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ" (رؤ ٢٢ : ١٢) / أبونا كرنيليوس المقارى.

١٨٠} {أى زائدة بمعنى بلا قيمة.

{١٨١} أحد المُلحدِين.

{١٨٢} {لَسْنَا نَشْتَهِي شَيْئاً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ الرَّبُّ يَسُوعَ فَيَجِدَنَا مُسْتَعِدِينَ وَيَأْخُذَنَا مَعَهُ، وَيَمْتَلِئُ قَلْبَ يُوْحَنَّا الْحَبِيبِ بِالنَّشْوَةِ الرُّوحِيَّةِ (رؤ ٢٢: ٢٠) وَتَذُوبَ نَفْسِهِ شَوْقاً وَتُحَاوَلَ عَيْنَاهُ أَنْ تَخْتَرِقَ السَّحْبَ فَيَقُولَ فِي نَشْوَةِ الْحُبِّ "أَمِينَ تَعَالِ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ"، وَيَأْخُذُهَا مِنْ كَلِمَةِ مُحِبَّةٍ لَدَيْهِ "تَعَالِ"، قَالَهَا كُلُّ مَنْ نُوْحَ وَمُوسَى لَشَعْبِهِمْ كَدَعْوَةٍ شَخْصِيَّةٍ حَارَّةٍ لِكُلِّ أَحَدٍ بِأَنَّ الرُّوحَ الَّذِي يَجْذِبُ النَّاسَ لِلْمَسِيحِ لِلخَّلَاصِ قَدْ أَعَدَّ الْعَالَمَ لِمُجِيئِهِ كَمَلِكِ الْمُلُوكِ، وَالْآنَ يَقُولُ لَهُ [تَعَالِ، أَنْزِلْ إِنَّا مُسْتَعِدُونَ لَكَ]، وَالْعُرُوسُ الْمُشْتَاقَّةُ أَيْضاً تُضَيِّفُ صِيحَتَهَا لِلخُورَسِ الْعُلُوى قَائِلَةً "تَعَالِ!" وَنَحْنُ بِمَلَاءِ الْقَلْبِ وَالْفَمِ نَقُولُ "أَمِينَ تَعَالِ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ" / أَبُونَا كَرْنِيلْيُوسُ الْمُقَارَى فِي شَرْحِهِ لَ (رؤ ٢٢: ٢٠).

{١٨٣} قَالَ أَحَدُ الْقَدِيسِينَ {أَحْذَرُوا أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ فُرْصَةٌ لِلخَّلَاصِ مِنْ ذَلِكَ الْعَذَابِ الْعَظِيمِ إِلَّا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الْقَصِيرَةِ وَأَمَّا بَعْدُهَا فَلَنْ تُلْقَى عَلَيْكُمْ خُطْبٌ وَلَا عِظَاتٌ وَلَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَحَلٌ لِقَبُولِ التَّوْبَةِ وَلَوْ كَانَتْ بِالدَّمْعِ وَالتَّهْنِئَاتِ، فَفَكَّرُوا فِي قِصَرِ الْحَيَاةِ وَفِي أَنَّكُمْ رُبَّمَا تُفَارِقُونَهَا بَعْدَ سَنَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ شَهْرٍ وَاحِدٍ أَوْ يَوْمٍ وَاحِدٍ أَوْ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ، وَاعْمَلُوا حَالاً لِلخَّلَاصِ مِنْ ذَلِكَ الشَّقَاءِ الْأَبَدِيِّ، تَأَمَّلُوا وَانظُرُوا فِي شَفَقَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَحَبَّتِهِ لَكُمْ فَإِنَّهُ يَحْتَنِّكُمْ وَيَسْأَلُكُمْ بِكُلِّ لَيْلٍ وَرَفَقٍ أَنْ تَهْرَبُوا مِنْ تِلْكَ الْأَهْوَالِ قَائِلًا "تَوْبُوا وَارْجِعُوا عَنْ كُلِّ مَعَاصِيكُمْ، وَلَا يَكُنْ لَكُمْ الْإِثْمُ مَهْلَكَةً. اطْرَحُوا عَنْكُمْ كُلَّ مَعَاصِيكُمْ الَّتِي عَصَيْتُمْ بِهَا، وَاعْمَلُوا لِأَنْفُسِكُمْ قُلُوباً جَدِيداً وَرُوحاً جَدِيدَةً. فَلِمَاذَا تَمُوتُونَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ لِأَنِّي لَا أَسَرُّ بِمَوْتِ مَنْ يَمُوتُ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. فَارْجِعُوا وَاحْيُوا" (حز ١٨: ٣٠-٣٢).

١٨٤} نقول فى طرح الساعة السادسة لليلة الخميس من البصخة المقدسة {الشعوب الغربية قبلت وصاياه وصارت له شعباً مُجتمعاً، أما خاصته فلم تقبله بل أحبوا الظلمة}.

١٨٥} قال أحد الآباء {نعم أصبح الأمم هم شعب الله المُختار بعد رفض اليهود، فيا لها من خسارة جسيمة لذلك يُحذرنّا الرب من خطر الإهمال والتفريط فيصير الإكليل لآخر}.

١٨٦} {ضعوا أنفسكم ذهنيّاً عند باب العرس وتخيّلوا ماذا يحدث إذا سمعتم كلمة "لا أعرفكم" / القديس ابيفانيوس.

١٨٧} كناية عن الاستعداد الدائم.

١٨٨} مثله فى الطبيعة المُمجّدة وليس مثله فى الطبيعة الإلهية.

١٨٩} قال الأنبا ساويرس {أيها الإخوة ها أنا أذكركم الآن من أجل الصوت الذى سيكون على الخطاة والذين يكفرون بناموس ووصايا الحياة، لأنه قال ابتعدوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبديّة، فأى عزاء ينتظره هؤلاء مرّة أخرى وهم فى وادى البكاء حيث تكون الدموع الشديدة التى بلا عزاء؟}.

١٩٠} ليتنا نتخيّل ذهنيّاً عند هذه النقطة تحديداً حالة ومشاعر الإنسان غير المُستعد.

{١٩١} قال القديس الأنبا مقاريوس الكبير كنايةً عن حلاوة وتعزيات الطريق الروحي رغم طوله {البئر عميقة لكن ماءها عذب}.

{١٩٢} {لا توسّعوا لأنفسكم طريق الحياة بل اختاروا الأضيّق والأقل دائماً} / الأب متى المسكين.

{١٩٣} هو (بروس بارتون).

{١٩٤} أى محبته للمال.

{١٩٥} من هنا نرى أن نظرة خاطئة واحدة تُحرّك الجسد بالشهوة فيتحرّك الدم وكافة الأعضاء ومن ثمّ يزداد إفراز الهرمونات وإفرازات الغدد الصماء حتى يُكَمِّل الجسد شهوته.

{١٩٦} أى كبير السن.

{١٩٧} راجع كتابنا (ثعالب صغيرة) / الجزء الأول.

{١٩٨} قال القديس مكاريوس الكبير {نحن الذين نرغب أن نحيا الحياة المسيحية بكل إخلاص وأمانة ينبغي قبل كل شئ آخر أن نجتهد بكل قوتنا فى تربية الملكة المُمَيَّزة والمُفَرِّزة فى النفس (أى ملكة التمييز والإفراز)، حتى إذا حصلنا على إحساس دقيق

وإدراك للفرق بين الخير والشر وصرنا دائماً مُميّزين الأشياء الغريبة التي اختلطت بالطبيعة النقية بشكل غير طبيعي، فإنه يُمكننا أن نسلّك باستقامة وبلا عثرة، وباستعمال قوه التمييز هذه كأنها عين يمكننا أن نحفظ أنفسنا أحراراً من أي ارتباط أو اتحاد مع إحياءات الخطيئة}.

{١٩٩} قال الأب سيرينيوس ليوحنا كاسيان عن جواز ضبط الإنسان لأفكاره {إذا ما جاهدنا كبشر ضد الإغراءات والخطايا، تصير هذه تحت سلطاننا ووفقاً لإرادتنا، فنُحارب أهواء جسدنا وأفكاره ونُهلكها ونأسر حشد خطايانا تحت سلطاننا، ونطرّد من صدورنا الضيوف المرعبين، وذلك بالقوة التي لنا بصليب ربنا، فنتمتّع بالنصرة الدائمة}.

{٢٠٠} أبونا كرنيليوس المقارى.

{٢٠١} لذلك لم نتطرق لأية تفاصيل، إذ أن الموضوع يتطلّب استجابة عملية لبلوغ ذلك الكمال.

{٢٠٢} راجع ما كُتبَ فى الباب الثانى تحت عنوان (المسيح ضابط الكل ◀ ضابطٌ لحياة الإنسان ◀ يضبط انفعالاته).

{٢٠٣} قال الأب تادرس فى حديثه ليوحنا كاسيان {لا يظن أحدُ بأن إنساناً ما يُزلّ وينزل دُفعة واحدة، إنما هو ينحدر إلى سقطة ميئوس منها إما عن طريق خداعه منذ البداية أثناء تدرّبه ببداية خاطئة، أو يُزلّ من حالته الروحية تدريجياً خلال فترة طويلة بسبب

الإهمال العقلي، فتزداد الأخطاء قليلاً قليلاً لأن "قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح" (أم ١٦ : ١٨)، وهذا يُشبه المنزل الذى لا يسقط دُفعة واحدة بل يحدث بعض الخلل فى الأساس لفترة طويلة، أو يحدث نتيجة إهمال ساكنيه لمدة طويلة فيحدث بعض الشرخ أو الخلل وبعد هذا تنهار الحوائط المُحصَّنة تدريجياً.

{٢٠٤} حتى ولو لم تكن تلك الكرازة للعالم كله بمعناها الحرفي الذى يتطلب بعموم المعنى السفر للمدن والأقاليم والقارات كما عمل الرُّسل، بل الأمر يقتضى فقط السلوك بحكمة أمام غير المؤمنين إظهاراً لنور الوصية ونور الرب ومجده فى الإنجيل كُلِّ فى مكانه، الأمر الذى يؤول بالآخرين لملاحظة الأعمال الحسنة التى من واقع تعاليم الإنجيل والتى لم يعتادونها ولم يألّفونها عندهم ومن ثَمَّ يُمجّدون الله من أجلها مؤمنين بقوته وبحق إيمانه وتجسده وصلبيه وقيامته.

{٢٠٥} راجع نُقطة (السبب الحقيقى للاستعداد / الباب السابع).

{٢٠٦} هو الكسندر شميمين.

{٢٠٧} مما لا شك فيه إن هذا الهتاف وذاك الترنم يُعبّران عن فرحٍ شديدٍ بالرب.

For the life of the word p ٢٤ national student Christian {٢٠٨
federation, New York ny-١٩٦٣ Reprinted by svs press Crestwood
n,y٢٠٠٠

{٢٠٩} الأب أنتوني كونياريس.

{٢١٠} كتبت إحدى المُتَنصِّرات مُعَبَّرَةً عن هذا الفرح الذى لِنِوال الخلاص {كم هو عظيم حُبِّكَ، أتمنى أن يعرف ذلك الجميع، كم هو عظيم حُبِّكَ لَنَا، إن عرفوا ذلك لن يكون هُناكَ شخصٌ واحدٌ حزيناً على وجه الأرض}.

{٢١١} فصلنا ما بين تحقيق الخلاص وغُفران الخطايا لهو فصلٌ ذهنيٌّ لا أكثر، مثلما أن فصلنا بين الأَقانيم الثلاثة يكون من الناحية الذهنية وليست الزمنية ولا الجوهرية.

{٢١٢} {الأساس العميق للرجاء والفرح اللذان يُمَيِّزان الأرثوذكسية ويخترقان كل عبادتها هو القيامة، القيامة هي مركز العبادة الأرثوذكسية، القيامة هي انفجار الفرح، نفس الفرح الذى شعر به التلاميذ عندما رأوا المُخلص القائم، القيامة هي انفجار الفرح الكوني على نصرة الحياة بعد الحزن الساحق على الموت} / الأب انتوني كونياريس.

{٢١٣} لِيُلاحِظ القارئ التَّنَرُّجَ البديع فى خطوات الطريق الروحي الذى بدأ بالاستعداد لِمُجَرَّد الخوف من العذاب الأبدي وانتهى بنا حال هذه النُقطة بالفرح الدائم تحت أية ظروف قد يواجهها الإنسان خلال حياته الأرضية.

{٢١٤} كان هذا الفكر سائداً عند الأقدمين بوجه عام كما يتضح من قول بلدد الشوحي لأَيُّوب عن خطايا أبنائه التى سببت لهم الموت "إِذْ أَخْطَأَ إِلَيْهِ بَنُوكَ دَفَعَهُمْ إِلَى يَدِ

مَعْصِيَتِهِمْ" (أى ٨: ٤)، ومن قول صوفر النعمانى الذى أوضح إن بلايا أيوب وأمراضه نتجت عن خطاياه "إِنْ أَعَدَدْتَ أَنْتَ قَلْبَكَ وَبَسَطْتَ إِلَيْهِ يَدَيْكَ. إِنْ أُبْعَدْتَ الْإِثْمَ الَّذِي فِي يَدِكَ وَلَا يَسْكُنُ الظُّلْمُ فِي خَيْمَتِكَ حِينَئِذٍ تَرْفَعُ وَجْهَكَ بِلاَ عَيْبٍ وَتَكُونُ ثَابِتاً وَلَا تَخَافُ." (أى ١١: ١٣ - ١٥)، ومن قول أليفاز التيمانى الذى أعلن أن خطايا أيوب هى التى وقفت تشتكيه أمام الله "أَلَيْسَ شَرُّكَ عَظِيماً وَأَثَامُكَ لَا نِهَايَةَ لَهَا!" (أى ٢٢: ٥)، بل ومن أيوب نفسه الذى قال "لَأَنَّكَ كَتَبْتَ عَلَيَّ أُمُوراً مَرَّةً وَوَرَّثْتَنِي آثَامَ صِبَايَ" (أى ١٣: ٢٦)، "مَعْصِيَتِي مَخْتُومٌ عَلَيْهَا فِي صُورَةٍ وَتَلَفُّقٍ عَلَيَّ فَوْقَ إِثْمِي" (أى ١٤: ١٧)، "اللَّهُ يَخْزِنُ إِثْمَهُ لِنَبِيهِ. لِيُجَازِيَهُ نَفْسَهُ فَيَعْلَمَ" (أى ٢١: ١٩)، وعند اليهود بوجه خاص كما يتضح من قول التلاميذ للرب عن الأعمى "يَا مُعَلِّمُ، مَنْ أَخْطَأَ: هَذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟" (يو ٩: ٢)، ومن قول الفريسيين له "فِي الْخَطَايَا وُلِدْتَ أَنْتَ بِجُمْلَتِكَ، وَأَنْتَ تَعْلَمُنَا" (يو ٩: ٣٤).

٢١٥} لا يُعَدُّ هذا دليلاً عاماً على أن أمراض الإنسان تكون دائماً نتيجةً لخطاياه، ذلك لأن خطاة كثيرين أصحاء وأبراراً كثيرين مرضى.

٢١٦} ربما يتضح نفس الأمر من قول بولس الرسول "كان لنا فى أنفسنا حُكْم الموت لكى لا نكون مُتَكَلِّينَ عَلَى أَنْفُسِنَا" (٢كو ١: ٩).

٢١٧} انظر المُلْحَق فى آخر الكتاب تحت عنوان (توضيح).

٢١٨} {لِلشَّيْطَانِ سُلْطَانٌ أَنْ يُجَرِّبَ وَيُحَارِبَ الْإِنْسَانَ وَيُضْرِبُهُ بِسِمَاحٍ مِنَ اللَّهِ لَتَرْكِيَةِ إِيْمَانٍ وَأَعْمَالٍ مُخْتَارِيهِ} / الأب متى المسكين.

{٢١٩} {إن رؤية ربنا القائم، ملك الخليقة، هي التي تُعطي لكل مؤمن مسيحي شجاعة، ثقة، جرأة، رجاء وإيمان لا يُمكن لأى إنسان أن يحوزه، فرويتنا له سيداً حياً وحاكماً وضابطاً يجعلنا نحتمل أى شئ لأننا نعلم أن الرُعب أو الألم الحاضر ليس هو شيئاً نهائياً، إن ربنا سوف يهبنا النصره الخالدة} / الأب أنتوني كونياريس.

{٢٢٠} انظر الملحق فى آخر الكتاب تحت عنوان (توضيح).

{٢٢١} انظر الملحق فى آخر الكتاب تحت عنوان (توضيح).

{٢٢٢} لَعَلَّنَا فى هذا الصدد نعتبر المرض من ضمن المُقاومين إذ أنه قد يُشكِّك الإنسان فى محبة الله له وفى تدبيره لكافة تفاصيل حياته ودقائقها.

{٢٢٣} سأل القديس يوحنا كاسيان الأب تادرس {لماذا يسمح الله بالتجارب؟} فأجابه {هذا السؤال غالباً ما يتردد فى أذهان من ليس لهم إيمان عظيم ومعرفة حاسبين أن مكافأة القديسين تُمنح لهم فى هذه الفترة القصيرة من الحياة الزائلة، أما نحن فقد وضعنا رجاءنا فى المسيح لا فى هذه الحياة لئلا نصير كقول الرسول "أشقى جميع الناس" (١كو ١٥: ١٩)، فالله لا يمنع التجارب عن المستقيمين، ولا يُكافئ فى هذا العالم الصالحين بأمور نافعة والأشرار بأمور شريرة، فإن قلنا هذا نسقط فى العقاب مع من ذكرهم صفنيا النبى "، الْفَائِلِينَ فِي قُلُوبِهِمْ: إِنَّ الرَّبَّ لَا يُحْسِنُ وَلَا يُسِيءُ" (صف ١: ١٢)، أو على الأقل نصير بين المُجدين على الله الفائلين "كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ الشَّرَّ فَهُوَ صَالِحٌ فِي عَيْنِي الرَّبِّ وَهُوَ يُسَرُّ

بِهِمْ" (ملا ٢: ١٧)، ونسقط في التجديف الذى وصفه النبى هكذا "عِبَادَةُ اللّهِ بَاطِلَةٌ وَمَا الْمُنْفَعَةُ مِنْ أَتْنَا حَفِظْنَا شَعَائِرَهُ وَأَتْنَا سَلَكْنَا بِالْحُزْنِ قُدَّامَ رَبِّ الْجُنُودِ؟ وَالْآنَ نَحْنُ مُطَوَّبُونَ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَأَيْضاً فَاعِلُو الشَّرِّ يُبْنُونَ. بَلْ جَرَّبُوا اللّهِ وَنَجَّوْا" (ملا ٣: ١٤ - ١٥).

٢٢٤} يرى آباء الكنيسة أن الجسد المُمَجَّد سيقوم فى ملء الصحة وريعان القوة والنضارة خالياً من العيوب والأمراض، يقول الأنبا غريغوريوس المُتَنَبِّح {جسد القيامة سيكون فى القامة اللائقة من حيث الطول والعرض والسمنة والنحافة، لأن هذه اختلافات عرضية لأسباب وراثية أو هرمونية بسبب صحة الوالدين البدنية والنفسية والعصبية أثناء الحمل أو ما قبل الحمل}.

٢٢٥} بهذا سبق برايل بخمسة عشر قرناً في استخدام الحروف البارزة للعميان.

٢٢٦} كقول الله لداود عن سليمان "ان تَعَوَّجْ أَوْدَبُهُ بِقَضِيبِ الْحَيَاةِ وَبِضَرِيَاتِ بَنَى آدَمَ لَكِنْ رَحِمَتِي لَا تُزَرِّعُ مِنْهُ".

٢٢٧} التى سبق وتكلّمنا عنها تدريجياً من بداية الموضوع.

٢٢٨} {لقد اخترعنا دين كآبة، لقد فعلنا ذلك بإعادة تكوين الله على صورتنا، لكوننا لا نحب الله كثيراً، نعتقد أنه لا يحبنا، ولكوننا لا نهتم به كثيراً، نتخيل أنه لا يهتم بنا، ولكوننا لسنا سعداء جداً معه، نستنتج أنه ليس سعيداً جداً معنا} / أنتونى كونياريس.

{٢٢٩} قال أحدهم {من بين الاتهامات الموجهة للمسيحية ما يلي: يمشى الكثير من المسيحيين كما لو كان عندهم داء المرارة، أن تكون مع بعض المسيحيين مثل أن تكون في مؤتمر الحانوتيّة، المسيحي هو الشخص الذى يقول أنه يؤمن بالله غير أنه لا يبدو عليه التمتع بذلك، المسيحيون لديهم جرعة دينيّة بما يكفي لإعطائهم مشاعر غير مُريحة عند عدم الذهاب للكنيسة، لكن ليس بما فيه الكفاية لإعطائهم الفرح عندما يذهبون}.

{٢٣٠} كان الفيلسوف المُلحد نيشته فى إحدى الفترات على مقربةٍ من أن يصير مسيحياً، فقد ذهب ليعيش مع مجموعة من المسيحيين المُعتبرين أتقياء جداً فقط ليرى ما هو حال المسيحيين، لكن التجربة فشلت إذ قال {يجب أن يبدو على هؤلاء المسيحيين أنهم مفديون - أى نالوا الفداء - من وجهة نظرهم ومُعتقدهم أكثر بكثير مما هم عليه الآن قبل أن يؤمن بالمسيحية!}.

{٢٣١} راجع كتابنا (ثعالب صغيرة / الجزء الأول).

{٢٣٢} أنتونى كونياريس.

{٢٣٣} {كان الفقراء والمساكين والحزاني هم أقرب الناس إلى قلب يسوع، لأنهم كانوا أكثر الناس احتياجاً إليه وإلى العزاء} / G.Papini

{أبسط تعليم يُمكن أن نستخلصه من مجموعة التطويبات بحسب إنجيل ق. لوقا أنها مسألة موازنة بين ميراث أرضى وميراث سماوى، فكل المؤمنين بالمسيح الذين حرّمهم العالم والبشريّة الظالمة ووجود الرؤساء من حق ميراثهم فى الأرض، من راحة وسعادة

وأمان وهناء وعدل وسلام يُعطيهم المسيح ميراثاً مجانياً من لدنه فى ملكوته، فإن كان شحاذو الأرض ومطرودو العالم وفقراؤه ومساكينه ليس لهم ما ينتظرونه فى الأرض فلهم ما لله فى المسيح، وقد ألقوا بأنفسهم على القدير وصرخوا "حقى عند الرب" (إش ٤٩: ٤) / أنتونى كونياريس.

٢٣٤} لَعَلَّنَا نَذْكُرْ هُنَا قِصَّةَ تُبَيَّنْ مَدَى حِكْمَةِ اللَّهِ الَّذِى قَسَمَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مَقْدَارًا مِنَ الرِّزْقِ والكسب فقد حدث ذات يوم أن ذهب القمص دانيال إلى المدينة لبيع السلال التي صنعها بيديه، فأبصر إنساناً اسمه أولوجيوس كان يقطع حجارة كل يوم بغير ط زهب، فيقتات منه باليسير ويطعم الفقراء بالباقي ولم يكن يدخر شيئاً. فلما أبصر القديس ذلك استحسّن سيرته وطلب من الله أن يعطيه مالاً ليزداد في عمل الخير والرحمة، وسمع له الله. وجد أولوجيوس كنزاً أثناء عمله في الحجارة وأخذَه ومضى إلى القسطنطينية، وسعى بماله حتى صار وزيراً وترك عمل الخير. فلما سمع بخبره القديس دانيال قصد القسطنطينية، وعرف سيرته وما صار إليه من عدم الخير. حاول القديس الالتقاء به لكن الجند منعه. ثم رأى رؤيا كأن السيد المسيح جالس يحكم بين الناس، وكأنه أمر بتعليق القديس دانيال وطالبه بنفس أولوجيوس. ولما استيقظ من نومه عاد إلى ديره وسأل الله عن أولوجيوس أن يعيده إلى ماكان عليه. فظهر له ملاك الرب ونهاه أن يتعرض لحكم الله في خلقه. بعد هذا حدثت مؤامرة ضد يوستيان سنة ٥٣٢م، اشترك فيها أولوجيوس، وإذ أراد الإمبراطور البطش به هرب من القسطنطينية إلى مصر لينجو بنفسه. عاد إلى بلده يقطع الحجارة كما كان أولاً. اجتمع به الأتبا دانيال وقصّ عليه ما حل به بسببه، فعزاه وسنده وردّه إلى محبة الفقراء.

{٢٣٥} {مُشْكِلَتَنَا أَنَّنَا نَضْعُ الْمَشَاكِلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَسِيحِ فَتَحْجِبُ عَنَّا رُؤْيَا وَجْهِهِ الْمُحِبِّ فَتَنْتَعِبُ وَنَفْقِدُ سَلَامَنَا وَفَرْحَنَا، مَعَ أَنَّ الْمُفْتَرَضَ أَنَّ نَضْعَ الْمَسِيحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَشَاكِلِ وَنَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُسَاعِدَنَا عَلَى حُلِّهَا، وَبِذَلِكَ لَا نَفْقِدُ سَلَامَنَا} / أَحَدُ الْآبَاءِ.

{٢٣٦} {الْعَالَمُ يَنْبَرِي لِمَنَاوَةِ - أَى لِمُقَاوِمَةِ - أَصْحَابِ الطُّوبَى بِكُلِّ أَنْوَاعِهَا - أَى تَطْوِيَّاتِ الْمَسِيحِ عَلَى الْجَبَلِ - لِأَنَّهَا غَيْرُ مَعْرُوفَةٍ وَلَا مَقْبُولَةٍ لِلْعَالَمِ، لِأَنَّ حَامِلَ الطُّوبَى هُوَ لِحِسَابِ اللَّهِ، وَلَكِنَّ الْعَالَمَ لَا يَعْمَلُ لِحِسَابِ اللَّهِ "قَالَ الْعَالَمُ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهُ" (يُو ١٧: ٢٥)، وَكُلُّ مَنْ هُوَ لَيْسَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ يَبْغِضُهُ الْعَالَمُ، لَقَدْ أَبْغَضَ الْعَالَمُ الْمَسِيحَ وَهُوَ يَبْغِضُ كُلَّ مَا هُوَ لِلْمَسِيحِ، فَيَقُولُ الرَّبُّ "طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبَرِّ" اِكْتَسَبَ الْمَسِيحُ لِلْإِنْسَانِ الْمَسِيحِيِّ طُوبَى جَدِيدَةً لَيْسَتْ نَابِعَةً مِنْ دَاخِلِهِ وَلَكِنهَا شَاهِدَةٌ لَهُ، فَإِذَا اضْطَهَادَ الْعَالَمُ وَبُغِضَتْهُ لِلْإِنْسَانِ الْمَلَكُوتِ الطُّوبَانِيِّ، تُضَافُ إِلَيْهِ الطُّوبَى وَتُزَادُ، هَذَا هُوَ مَصْدَرُ التَّطْوِيلِ الْجَدِيدِ، غَيْرَ أَنَّ الْمَسِيحَ لَا يُعَاقِبُ الْمُضْطَهَدِينَ لِأَوْلَادِهِ لِأَنَّهُ "يَحِبُّ الْعَالَمَ"، وَلَا يَزَالُ مِنْ بَيْنِ الْمُضْطَهَدِينَ أَنْفُسَهُمْ أَوْلَادًا، فَهُوَ يُعْطِي الطُّوبَى لِلْمُضْطَهَدِ وَيَتْرَكَ الْمُضْطَهَدَ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ دَوْرُهُ، كَذَلِكَ فَإِنَّ الْمَسِيحَ يَسْمَحُ بِالطَّرْدِ وَالْإِهَانَةِ وَالِاضْطِهَادِ لِيَسْتَطِيعَ أَوْلَادُهُ أَنْ يُمَارِسُوا الصَّفْحَ وَالْمَغْفِرَةَ وَالصَّبْرَ وَطُولَ الْأَنَاءَةِ وَمَحَبَّةَ الْأَعْدَاءِ، فَيَزِيدُادُ رَصِيدُهُمُ الرُّوحِي وَتَزِيدُادُ تَرْكِيبَتُهُمُ لِلْمَلَكُوتِ} / الْأَبُ مَتَّى الْمَسْكِينِ.

{٢٣٧} يَقُولُ أَبُونَا كَرْنِيلْيُوسُ الْمَقَارَى فِي شَرْحِهِ ل (رؤ ١٥: ٢) {سَادَ اعْتِقَادَ قَدِيمٍ أَنَّ الرِّيحَ الَّتِي تَأْتِي مِنَ الْجِهَاتِ الْأَصْلِيَّةِ الْأَرْبَعَةِ تَكُونُ صَالِحَةً نَافِعَةً، أَمَّا الَّتِي تَهْبُ مُنْحَرِفَةً مِنَ الزُّوَايَا الْأَرْبَعَةِ تَكُونُ شَرِيرَةً ضَارَةً، وَهُنَا يُعَبَّرُ يُوْحَنَّا عَمَّا سَيَحْدُثُ فِي أَيَّامِ الضِّيْقَةِ الْأَخِيرَةِ وَالَّتِي سَيَحْدُثُ فِيهَا هُجُومٌ مِنْ كُلِّ قُوَّةٍ شَيْطَانِيَّةٍ شَرِيرَةٍ فَتُخَرَّبُ الْأَرْضُ خَرَابًا نِهَائِيًّا،

وستلعب الرياح دورها فى ذلك ولو بقيت ساكنة بعض الوقت ليتم ختم المؤمنين}، ويقول أيضاً {النار المُختلطة بالبحر الزجاجى تشير إلى الضيقة العظيمة التى ستمتحن إيمان هؤلاء الغالبيين، و "الغالبون على الوحش" (رؤ ١٥: ٢) هم المُعاصرون للدجال الذين لم يقبلوه إطلاقاً ولم يندعوا بالامتيازات الدنيوية فى البيع والشراء بل احتملوا كل قيود الاضطهاد من أجل المسيح}.

٢٣٨ {الأب أنتونى كونياريس.

٢٣٩ {الأب أنتونى كونياريس.

٢٤٠ {حقاً جيد أن نُخلّص أنفسنا، لكن هل جيد أن يهلك أخونا ونحن بإمكاننا خلاصه - أى بالصلاة - بل وخلاص الملايين؟} / الأب متى المسكين.

٢٤١ {لا يجب أن يُفهم هذا السعى لِكِرَازَةِ الآخرين على النِطاق الأضيّق من حيث اشتراط وجوب ولِزوم السفر للقارات والمدن لإبلاغ رسالة الخلاص والإعلان عنها، بل يكفى أن يكون الإنسان فى اشتياق لعموم وشمول هذا الخلاص على العالم كله استناداً على قول الكتاب إن "شهوة الصديق تُمنح"، ثُمَّ ومن ناحية أُخرى وَجَبَ على المسيحي أن يُدرك أن علاقته الشخصية مع المسيح قد تُبشِّرُ باسمه القدوس للعالم كله مُغتصبة له الخلاص بدون الحاجة إلى أسفارٍ ولا حتى كلامٍ كما يظهر جلياً من النص الكتابي القائل "إِذ صِرْتَ عَزِيزاً فِي عَيْنِي مُكْرَماً وَأَنَا قَدْ أَحْبَبْتُكَ. أُعْطِيَ أَناساً عِوَضَكَ وَشُعُوباً عِوَضَ"

نَفْسِكَ" (إش ٤٣ : ٤)، "طُوفُوا فِي شَوَارِعِ أُورُشَلِيمَ وَانْظُرُوا وَاعْرِفُوا وَفَتِّشُوا فِي سَاحَاتِهَا. هَلْ تَجِدُونَ إِنْسَانًا أَوْ يُوجَدُ عَامِلٌ بِالْعَدْلِ طَالِبُ الْحَقِّ فَأَصْفَحَ عَنْهَا؟" (إر ٥ : ١).

{٢٤٢} {نحن المسيحيون الأرثوذكس رُسُمنًا من خلال سر الميرون لِنكون كهنة، أى لِنكون أعضاءً فى الكهنوت الملوكى العام للمؤمنين، ومن خلال التكليف العظيم الذى دعانا إليه الرب قائلاً "فَازْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أُوصِيْتُكُمْ بِهِ" (مت ٢٨ : ١٩ - ٢٠) يُرْسِلَنَا الرب يسوع للعالم بعد كل فِدَاسٍ إلهي لكي نحتفل بليتورجية بعد الليتورجية، أى لِننشر فرح المسيح القائم الذى داس الموت بالموت، والذين فى القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية، فهل يُمكن أن تكون هُناك رسالة أعظم من تلك؟ فهدفنا فى الحياة هو نشر فرح المسيح القائم / أحد الآباء.

{٢٤٣} Bouyer (L'incarnation et l'eglise – corps du Christ p.٢٩)

Ibid, p.٢٧ {٢٤٤}

{٢٤٥} ولو بَتَغَصُّبٍ إِلَى أَنْ تَجِئَ الْمَرْحَلَةُ الَّتِي فِيهَا يَحِيدُونَ عَنِ الشَّرِّ بِكَامِلٍ إِرَادَتِهِمْ وَمِيلِهِمْ.

{٢٤٦} انظر المُلْحَق فى آخر الكتاب تحت عنوان (توضيح).

{٢٤٧} نلاحظ أن تَقَهُم المسيحي لرسالته التي أدركها حينما شعر بقيمة الخلاص الإلهي المُقَدَّم من الرب للبشريَّة هو ما يُعطيه الدافع للسعي لِخلاص الآخرين، أما لو لم يدرك المسيحي قيمة هذا الخلاص سيفوته حتماً تَقَهُم هذه الرسالة، وبالتالي لن يجد الدافع للسعي لِخلاص الآخرين بأية طريقة مما ذكرنا.

{٢٤٨} {لا تتجذبوا نحو العالم، الكل باطل، فقط السعادة التي وراء القبر هي حقيقة أبدية ثابتة، وهذه السعادة تعتمد على الكيفيَّة التي نقضى بها حياتنا على الأرض} / الأسقف ثيوفان الحبّيس.

{٢٤٩} هي مُخيفة طبعاً بالنسبة لغير المُستعدين وحدهم كما نقول في قطع الخدمة الثانية لِصلاة نصف الليل {إذا ماتقننتُ في كثرة أعمالِ الرديئة ويأتى على قلبي ذكر تلك الدينونة الرهيبة تأخذنى رعدة فأهرب إليك يا الله مُحب البشر}.

{٢٥٠} أخير إمّا بانتقال الإنسان في أية لحظة من لحظات حياته أو بمجئ الرب على السحاب، ولا يفهم قارئ أن انتقال الإنسان قبل مجئ الرب سيصل به للدينونة الأخيرة لأنها لن تكون قبل القيامة العامة ومجئ الرب على السحاب.

{٢٥١} كما رتبت الكنيسة أن يُناجى الإنسان نفسه كل يوم مُذَكِّراً إياها باقتراب الدينونة قائلاً {تفهمي يا نفسي ذلك اليوم الرهيب واستيقظي وأضيئي مصباحك بزيت البهجة لأنك لا تعلمين متى يأتى نحوك الصوت القائل ها هوذا العريس قد أقبل فانظري يا نفسي لا تتعسي لئلا تقفي خارجاً قارعة مثل العذارى الجاهلات}.

{٢٥٢} أى هم الندم لعدم ترك العالم لإبطال الانشغال به، ونحن نقول أن المُشغَل بالعالم بما فيه من "شهوة الجسد والعيون وتعظم المعيشة" (١ يو ٢ : ١٦) سيظل مُشغِلاً به حتى ولو تركه للتفرغ للعبادة.

{٢٥٣} طلب العلم فى حد ذاته لا يجلب غمّاً وخاصة وهو وصيّة إنجيليّة فى العهد القديم "قَدْ هَلَكَ شَعْبِي مِنْ عَدَمِ الْمَعْرِفَةِ. لِأَنَّكَ أَنْتَ رَفَضْتَ الْمَعْرِفَةَ أَرْفُضُكَ أَنَا حَتَّى لَا تَكْهَنَ لِي. وَلِأَنَّكَ نَسِيتَ شَرِيعَةَ إِلَهِكَ أَنْسَى أَنَا أَيْضاً بَنِيكَ" (هو ٤ : ٦) وفى العهد الجديد أيضاً "فَنَسُوا الْكُتُبَ لِأَنَّكُمْ تَطْنُونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي" (يو ٥ : ٣٩)، أمّا الذى يجلب الغم هو الانشغال بتحصيله إثباتاً للذات للافتخار بها أمام الآخرين الأقل علماً وفهماً.

{٢٥٤} لعل هذا ما يَتَّفِق وتراثيلنا القبطيّة والتي نقول فى أحدها {الكل يمضى ويزول، لا شئ يبقى لا يحول، لا يبقى عُشْبُ فى الحقول، والزهر أيضاً للزبول، العُمر يمضى ويزول، مثل بُخار لا يكون، تمضى الأيام والسنون، تمضى تطير لا تكون}.

{٢٥٥} الكاتب (س. س. لويس).

{٢٥٦} {كُلُّ سُكَّانِ الْجَحِيمِ يَتَمَنَّوْنَ دَقِيقَةً وَاحِدَةً يُقَدِّمُونَ فِيهَا تَوْبَةً وَأَنْتَ تَمْتَلِكُ الْعُمُرَ كُلَّهُ} / من أقوال قداسة البابا شنودة الثالث.

{٢٥٧} عجيب أنه لا يتوانى ولا يُضَيِّع وقت بُناء سورِ أرضي في حين أننا نُضَيِّع أوقاتاً وأعماراً بدلاً من استغلالها في التوبة.

{٢٥٨} لا ننكر طبعاً حقيقة ظهور ضد المسيح في آخر الأيام لكننا نُشير إلى ضرورة عدم التأجيل اعتماداً على بعض النبوات التي قد تُفسَّر وتُحدَّد وقت ظهوره بطرائق مُختلفة ومُتباينة.

{٢٥٩} إذ يفرح المسيح بِمثل هؤلاء الآتين من حظائر بعيدة يحزن أيضاً على الآخرين من أرباب الإيمان الأقدس والذين لِتوانيتهم صاروا إلى الظلمة الخارجيّة.

{٢٦٠} من صلوات الأجبية.

{٢٦١} نقول في قطع نصف الليل {يما أن الديّان حاضر اهتمي يا نفسي وتيقظي وتفهّمي تلك اللحظة المرهوبة لأنه ليس رحمة في الدينونة لمن لم يعمل الرحمة}.

{٢٦٢} كما يقول أحد المُلحدين.

{٢٦٣} الرب لِفِرطِ حنائه ولكي ما يُخرج الإنسان من سياج هذه الروتينيّة الخادعة قد يسمح له ببعض التجارب والأمراض والاضطهادات والأحداث الصعبة لكي ما يهبه التجديد (عب ١٠: ٢٤ - ٢٥) في المشاعر الروحيّة كأَيُوب الذي كان يعمل أعمالاً حسنة هذه عددها (أى ٢٩: ١٢ - ١٣)، (أى ٢٩ - ١٥) مُكتفياً بمظهرها الخارجى،

فلما أصابته الأمراض والتجارب انسحقت نفسه مُدركةً لِخَطَا اتكاله على أعماله الصالحة ومن ثَمَّ صار هذا الانسحاق له سبباً لِنِوال الطوبى من الله بِأَكْثَر مما أفادته كافة أعماله الحسنة التى عملها قبلا بِرُوتينية غشَّتْهُ هو نفسه وُخِذعته.

{٢٦٤} كما اقتنع الإنسان تحت إحياءات الشيطان بِعدم فعالية الوصايا الداعية للاستعداد وغيرها، هكذا يصير مُقتنعاً تمام الاقتناع بِعدم جدوى أو بالحرى بِعدم قوة تأثير الوصايا الداعية للتوبة.

{٢٦٥} راجع كتابنا (ثعالب صغيرة / الجزء الأول).

{٢٦٦} عن أمثلة واقعية رأيناها.

{٢٦٧} كما نقول فى قِطع صلاة النوم بالأجبية المقدسة {أيتها العذراء الطاهرة اسبلي ظلك السريع المعونة على عبدك وابعدي أمواج الأفكار الرديئة عني وانهضي نفسي المريضة للصلاة والسهر لأنها استغرقت فى سباتٍ عميق فإنك أمٌ قادرة رحيمة معينة والدة ينبوع الحياة ملكي وإلهي يسوع المسيح رجائي}.

†

(مُلْحَق)

توضيح

احتجنا فى بعض أجزاء الكتاب وأبوابه إلى توضيح بعض النِّقاط بإيجاز لكننا إذ لم نرد لها أن تأتى فى سياق الحديث لئلا تخرج بالقارئ عن تسلسل الأفكار والموضوعات أشرنا إليها تحت عنوان (توضيح) لكى ما نتناولها فى هذا المُلحق بإيجازٍ شديدٍ.

هامش {٢١٧} (معرفة الله لطاعة إبراهيم قبل اختباره)

فى كثير من قصص الكتاب يظهر الله كَمَنْ لا يعرف نهايات الأمور لفائدتنا، فمثلاً فى اختباره لإبراهيم بذبح ابنه كان يعلم بطاعته ويمدى محبته ولكنه أراد أن يُظهر هذه المحبة، التى وضحت جلياً من طاعته لله تحت أية ظروف، لنا ولِسائر البشر، الأمر عينه الذى وضع لَمَّا غضب على بنى إسرائيل فأظهر لموسى حُكمه عليهم بإهلاكهم (خر ٣٢: ١٠) وإذ أنه كان يعلم تماماً بِشفاعة موسى عنهم أراد إظهار مدى دالته مع موسى من ناحية وقبوله للشفاعة من ناحية أُخرى.

هامش {٢٢٠} (المرض فُرصة لمشاركة الرب فى آلامه)

الآلام التى يحتملها البشر مهما تباينت وتعددت أسبابها ومسبباتها ليست بحال من الأحوال كآلام الرب، لأن آلام الرب الخلاصية هى التى بسببها نلنا الخلاص إذ أدت به لموت الصليب وبالتالى لاستيفاء حُكم الله الصادر على البشر بالموت.

هامش {٢٢١} (المرض وسيلة لنوال الخلاص)

طبعاً المرض فى حد ذاته لا يُعد وسيلة لنوال أي خلاص لكنه يؤول بمن فيه لانسحاق والتذلل أمام الله، الأمر الذى يؤهله لالتصاق أكثر يؤدى به لِعشرة أعمق مع المسيح واهب الخلاص.

هامش {٢٤٦} (الصلاة على المنتقلين)

الصلاة على المنتقلين لا تعنى بحال من الأحوال إمكانية توبة المنتقل الذى لم يسعى أبداً إليها وهو فى الجسد، لكنها تعنى إمكانية تقبل الله للصلوات والصدقات والأتعاب "وَالْأَفْأَاذَا يَصْنَعُ الَّذِينَ يَعْتَمِدُونَ مِنْ أَجْلِ الْأَمْوَاتِ؟ إِنْ كَانَ الْأَمْوَاتُ لَا يَقُومُونَ النَّبَّةَ فَلِمَاذَا يَعْتَمِدُونَ مِنْ أَجْلِ الْأَمْوَاتِ؟" (١كو ١٥ : ٢٩) من أجل الذين انتقلوا وهم فى حالة سعي دؤوب للتوبة، على أن هذا السعي الدائم من الإنسان للتوبة لا يمنع زلته فى واحدة أو أكثر من مناهي الرب، الأمر عينه الذى لأجله يقبل الله الكلى الحنان والرحمة صلوات وصدقات الأحياء من أجل المنتقلين كما يتضح من قول الرسول "إِنْ رَأَى أَحَدٌ أَخَاهُ يُخْطِئُ خَطِيئَةً لَيْسَتْ لِلْمَوْتِ، يَطْلُبُ، فَيُعْطِيهِ حَيَاةً لِلَّذِينَ يُخْطِئُونَ لَيْسَ لِلْمَوْتِ. تَوْجَدُ خَطِيئَةً لِلْمَوْتِ. لَيْسَ لِأَجْلِ هَذِهِ أَقُولُ أَنْ يُطْلَبَ. كُلُّ إِثْمٍ هُوَ خَطِيئَةٌ، وَتَوْجَدُ خَطِيئَةً لَيْسَتْ لِلْمَوْتِ" (١يو ٥ : ١٦ - ١٧)، إذن الصلاة على المنتقلين تحتذب لهم مراحم الله الكلى الحنان والرحمة لكى ما يغفر لهم سهواتهم وزلاتهم، لكنها لا تعتق المتواني الذى مات وهو فى كامل العزم والإصرار على إتيان الخطية.

فهرس الكتاب

إهداء	
مقدمة	
لحظات حاسمة	
فكرة الكتاب	
الباب الأول	
التفكير فى حل وحيد هو الاستعداد	
الله يُحوّل الشر إلى خير	
الله يُحوّل الأحداث	
"رأس الحكمة مخافة الرب" (مز ١١١ : ١٠).	
الخوف لا يعيب الإنسان	
للموت شوكة وغلبة وسُلطان وظُلْمة.	
للموت شوكة	
للموت غلبة	
الموت لا يُميّز ولا يُحابى	
للموت سُلطان.	
للموت ظُلْمة	
لم يغلّب الموت سوى الرب	
من الذى ينال الغلبة.	
طلب الاستعداد لا يعنى	
١ فقدان الأمل والرجاء	

٢ الخوف أو القلق.....

- الله ينظر الظلم ولا يسكت.....
- من تقع عليهم يد الظلم.....
- الشعور بالغربة.....

إدراك الإنسان لغربته الأرضية رغبة إلهية.....

٣ الرهينة الجبرية (أى التى بدافع الهروب من الضيقات).....

- أتعاب الرهينة غير أتعاب العالم.....
- لكل واحد مقدرة على إرضاء الرب.....
- وصية الرسول بقدسية الزواج.....
- ليس عند الله مُحاباة.....
- الوصايا للجميع.....
- الفضائل للجميع.....
- الحياة الأبدية للجميع.....

الباب الثانى.....

(١) المسيح ضابط الكل.....

- الله عالٍ فوق الكل.....
- ضابطٌ للكون.....
- ضابطٌ لِخلائقهِ.....
- ضابطٌ لحياة الإنسان.....
- يضبط أعضائه.....
- يضبط روحه.....
- يضبط انفعالاته.....

- ضابطٌ لِأفكار الأشرار.....
- (٢) المسيح كُلِّي الحكمة.....
- الله بسيط متواضع.....
- لا يقدر الإنسان أن يُدرك الله.....
- لا يقدر الإنسان أن يُدرك نفسه.....
- حكمة الله في التدبير.....
- خبرة إيمانيّة.....
- حكمة الله في التعليم.....
- حكمة الله في التأديب.....
- وجوب قبول تأديبات الله.....
- أمثلة من تأديبات الله.....
- الذى لم يزل مُتسائلاً.....
- (٣) التسليم الكُلّي للمسيح.....
- الباب الثالث.....
- مخافة الله وصيّة.....
- الخوف مرحلة أوليّة.....
- الاشتياق للقاء.....
- درجة الاشتياق.....
- سبب الاشتياق للرب يسوع المسيح.....
- ١ أحب الإنسان.....
- مَحَبّة الله كاملة.....
- ما بين محبة الله ومحبة الآباء.....

- ٢ أسلم ذاته من أجل الإنسان.....
- ما بين تضحية الله وتضحية الآباء.....
- ٣ وهب الحياة للإنسان.....
- ٤ يرفع الإنسان.....
- ما بين حماية الله وحماية الإنسان.....
- ٥ يحمي الإنسان.....
- سلوك المشتاق.....
- الباب الرابع**.....
- كيف يكون الاستعداد والسهر.....
- ١ الثبات في الرب.....
- ٢ الاجتهاد.....
- ٣ انتظار الرب.....
- ٤ الاستمرارية.....
- ٥ مُحاسبة النفس.....
- مُحاسبة النفس واجبة كل يوم.....
- الله يهب الإنسان الحكمة في الأمور العالمية.....
- الله يهب الإنسان الحكمة لمُحاسبة نفسه.....
- الباب الخامس**.....
- ثلاثة خصائص للْحظتنا الفريدة.....
- ١ قريب.....
- اليوم قريب في نبوات العهد القديم.....
- اليوم قريب في العهد الجديد.....

- ما بين اقتراب اليوم فى العهد القديم والعهد الجديد.....
- ٢ يأتى فجأة.....
- فجائية اليوم فى العهد الجديد.....
- فجائية اليوم منذُ العهد القديم.....
- انتظار الرب يلغى مفاجئة ومُباغتة تلك اللحظة.....
- ٣ لا يعرفه أحد.....
- فى العهد الجديد.....
- فى العهد القديم.....
- لا يعلم إنسان بتلك اللحظة.....
- الوصية بطلب المعرفة لا يعنى معرفة تلك اللحظة.....
- حكمة الله من عدم الإعلان عن تلك اللحظة أو ذلك اليوم.....
- + الاستعداد الدائم.....
- + البُعد عن الفتور.....
- + استمرارية الحياة.....
- + استمرارية الخدمة.....
- الباب السادس.....
- بدء الحكمة مخافة الرب.....
- مُعاملة المسيح مع المُقسّين لِقُلُوبِهِمْ.....
- ◀ حتمية الموت الذى يأتى فجأة.....
- ◀ حتمية العذاب الذى يأتى بعد الموت.....
- تأديبات الله.....
- عقوبات الله.....

- عَذَابَات حَقِيقِيَّة.....
- عَذَابَات كَامِلَة.....
- أَنوَاع العَذَابَات.....
- ١ عَذَابَات جَسَدِيَّة.....
- الدود والنار.....
 - البُكَاء والظُّلْمَة.....
- ٢ عَذَابَات مَعْنَوِيَّة.....
- عَذَاب الخوف وقت الموت.....
 - عَذَاب الحزن.....
 - عَذَاب الاضطراب.....
 - عَذَاب تَبْكِيَت الضمير.....
 - ١. تَبْكِيَت الضمير عَقَابٌ قَاسٍ.....
 - عَذَاب الخوف من الدِيَان.....
 - ١. الإنسان لا يَحْتَمِل غضب الملوك والرؤساء.....
 - ٢. الخوف والرعدة تسرى على الملائكة.....
 - عَذَاب الندم.....
 - ١. فوائد الندم الروحيَّة.....
 - ٢. السبب فى عَذَاب ندم ذلك اليوم.....
 - ٣. ندم فُقْدَان النعيم الأبدى.....
 - ٤. ندم الانفصال عن القديسين.....
 - عَذَاب الانفصال عن النعمة.....
 - ١. النعمة توثِّق علاقة قويَّة مع الرب.....

٢. النعمة تهب الصبر والاحتمال.....
- عذاب الانفصال عن الله
 - ١. ما بين انفصال وانفصال.....
 - عذاب الخزي والعار
 - ١. ما بين خزي وخزي
 - ٢. الخزي من المؤمنين.....
 - ٣. الخزي من غير المؤمنين.....
 - عذاب مُزاملة الشياطين.....
 - ١. بُغْضَةُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ
 - ٢. ما بين احتمال الإنسان للأشرار واحتماله للشيطان
 - ٣. سلوك الخاطيء على الأرض لا يُخَفِّفُ عنه قساوة الشياطين في الجحيم....
 - العذاب الأصعب.....
 - ◀ احتمالية التأثير على الأحياء
 - التأثير على الأحياء من حيث الانفصال المؤقت أو الدائم عنهم
 - التأثير على الأحياء من حيث خلاصهم الأبدي.....
 - سيرة الأحياء تؤثر إيجاباً وسلباً على مُحِبِّهِمْ.....
 - تَعَصُّبُ الْإِنْسَانِ فِي طَرِيقِ الْمَلَكُوتِ يُكْرِزُ بِاسْمِ الرَّبِّ.....
 - **الباب السابع**
 - **العبادة الإيجابية**.....
 - وصية الرب بالكراسة تؤكد مبدأ الإيجابية.....
 - وصايا الرب عامة تؤكد مبدأ الإيجابية
 - السبب الحقيقي للاستعداد.....

- ◀ تَذَوُّقُ حَلَاوَةِ يَسُوع.....
- لِلوَصِيَّةِ مُكَافَأَاتٌ أَرْضِيَّةٌ (حَاضِرَةٌ) وَأُخْرَى أَبَدِيَّةٌ (مُسْتَقْبَلَةٌ).....
 - الْمُكَافَأَاتُ الْأَرْضِيَّةُ وَالْأَبَدِيَّةُ تُشْجَعُ عَلَى التَّوْبَةِ.....
- + حَلَاوَتُهُ عَلَى الْأَرْضِ.....
- ١ أَبَوَتُهُ.....
 - ٢ حَنَانُهُ.....
- مَا بَيْنَ حَنَانِ الْبَشَرِ وَحَنَانِ الْمَسِيحِ.....
- ٣ قُرْبُهُ.....
 - مَا بَيْنَ قُرْبِ النَّاسِ وَقُرْبِ الْمَسِيحِ.....
 - ٤ حِمَايَتُهُ.....
 - ٥ مَغْفِرَتُهُ.....
 - ٦ سُلْطَانَتُهُ.....
 - ٧ مُبَادَرَتُهُ.....
 - مُبَادَرَةُ الْمَسِيحِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْقِصَصِ الْإِنْجِيلِيَّةِ.....
 - ٨ مُثَابَرَتُهُ.....
 - مَا بَيْنَ مُثَابَرَةِ الْإِنْسَانِ وَمُثَابَرَةِ الْمَسِيحِ.....

حَلَاوَةُ يَسُوعَ تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ يَتَخَلَّى عَنْ أَثْمَنِ الْأَشْيَاءِ الْأَرْضِيَّةِ.....

+ حَلَاوَتُهُ فِي الْأَبَدِيَّةِ.....

لَمَحَةٌ عَنْ جَلَالِ الرَّبِّ فِي الْمَلَكُوتِ.....

 - ١ (سُلْطَانٌ | هَيِّئَةٌ | سَمُو | نَقَاوَةٌ) الْمَسِيحِ.....
 - ٢ عَظَمَةُ الْمَسِيحِ.....
 - ٣ جَمَالُ الْمَسِيحِ.....

٤	جبروت المسيح.....
٥	قداسة المسيح.....
٦	مجد المسيح.....
	لذات إلهية أخرى.....
١	المجد
	● ما بين مجد الأرض ومجد السماء
٢	الفرح
٣	ديمومة الأبدية.....
٤	الوجود في حضرة المسيح.....
٥	رؤية القديسين
	● حقيقة تعارف أرواح الأبرار.....
٦	رؤية الأحباب
٧	إدراك الهدف
	● بطلان أفكار الوجوديين والملحددين.....
	الباب الثامن
	نتيجة العبادة الإيجابية.....
	متربحاً اللقاء
	الغيرة المقدسة.....
	الغيرة على عدم تضييع فرصة التوبة الثمينة.....
	الغيرة على عدم احتساب يسوع لهم ضمن خاصته
	الغيرة على ضياع فرصة التغيير إلى صورة جسد مجد الرب
	الغيرة على ضياع فرصة التمتع بالأفراح الأبدية.....

- الغيرة على ضياع فرصة مُعَاينة الخلاص الثمين
- الغيرة على ضياع فرصة المجد
- الباب التاسع
- كَيْفِيَّة الوصول للعبادة الإيجابية
- ١ التدقيق
- التدقيق ليس صعباً.....
 - التدقيق رد فعل طبيعي.....
 - ما بين خوف العبادة السلبية والأخرى الإيجابية.....
 - نواحي مما يُدَقَّق فيها الإنسان.....
 - † الخطايا البسيطة.....
 - أمثلة من خطورة الخطايا البسيطة.....
 - † خطايا اللسان.....
 - القسم.....
 - الكلام المَضِيع للوقت.....
 - † خطايا الفكر.....
 - أمثلة كتابية عن خطايا الفكر.....
 - مبدأ الآية الواحدة.....
 - "يخلص كما بنار" (١كو ٣: ١٥).....
 - "خطيئة ليست للموت" (١يو ٥: ١٦ - ١٧).....
 - دوام الحال من المُحال.....
 - ٢ النمو
 - فائدة طلب النمو.....

- فائدة التدرُّج في النمو
- ٣ الامتناع عن كل شر وشبه شر
- ٤ الكمال
- الباب العاشر
- ارتباط وثيق
- خطيئة واحدة تجر خطايا عدّة
- أمثلة كتابية
- فضيلة واحدة تجر فضائل عدّة
- ما يلي خطوات الوصول للعبادة الايجابية
- ١ الفرح المقدّس
- الفرح غاية الله للإنسان
- الفرح حتى مع أصعب الظروف
- الفرح عند آباء الكنيسة وقديسيها
- المسيحية مبشّرة بالفرح
- لماذا الفرح
- + تحقيق وعد الخلاص
- + مغفرة الخطايا
- + اجتياز ظلمة الهاوية
- شهوة الموت عند الآباء القديسين
- + بهجة الخلاص
- لماذا الحُزن؟
- ٢ الفرح في كل الظروف

- + الأمراض
- + العيوب الخلقية
- الذى لم يهبه الله نعمة البصر
- الذى لم يهبه الرب القدرة على السمع
- الذى لم يهبه الرب يسوع القدرة على الكلام
- الذى لم يهبه الرب عقلاً سليماً
- الذى لم يُنعم عليه الله بنعمة الإنجاب
- تتويبه لابد منه.....
- "بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً" (يو ١٥ : ٥)
- ٣ تغيير الصورة التى فرضناها على المسيحية
- مخافة الله.....
- ٤ احتمال نقص الأشياء الضرورية
- أمثلة تُبين حكمة الله من عدم الاستجابة.....
- ٥ احتمال التجارب التى بسبب الإيمان
- المسيحي ليس من هذا العالم.....
- ٦ احتمال ضيقات آخر الأيام.....
- بسبب مقاومة الوحش
- بسبب غلبة الوحش لكثيرين
- بسبب مُعاناة مُعاصريّ تلك الفترة للضلالة الكبرى
- بسبب مُعابنتهم لِتجاسر الوحش وقتله
- بسبب مُعابنتهم لِنزع السلام من الأرض
- بسبب رؤيتهم للأحداث الكونية المُخيفة

- ٧ إدراك المسيحي لرسالته.....
- كيفية العمل الكرازى لإخلاص الآخرين.....
- + أن يكون إيجابياً.....
- + أن يُنذر
- + أن يؤدّب
- فائدة التأديب على المؤدّب وغيره.....
- + أن يسلك حسناً.....
- + أن يُصَلّي
- + الصلاة على المُنتقلين
- الباب الحادى عشر.....
- حُجَج عدم الإستعداد.....
- + حُجَج بسبب الوقت.....
- ١ الانشغالات المُختلفة.....
- منطقية هذه الحُجّة.....
- بُطلان هذه الحُجّة من الأمثلة الإنجيلية.....
- بُطلان هذه الحُجّة من الوصايا الكتابية.....
- وجوب عدم الانشغال حتى بالأمور الروحية.....
- ليس لإنسان عُذرٌ فى انشغالاته.....
- ٢ عدم الشعور بالوقت وضياع العُمر.....
- ليس لإنسان عُذرٌ فى إضاعته لوقته.....
- اللحظة الأخيرة من بين ما ليس فى نطاق حُرّية إرادة الإنسان.....
- ٣ تأخّر العلامات التى تسبق المجئ الثانى.....

- بدء تَحَقُّق نبوات إنتهاء الأيام.....
- + حُجَج بسبب فهم خاطئ.....
- ١ الاتكال على تنفيذ وصية واحدة.....
- تنفيذ وصية واحدة يفتقر إلى المنطق.....
- تنفيذ وصية واحدة يُخالف تعليم العهد الجديد.....
- "البر" في تطويب الجياح والعطاش له يُفهم بإتمام كل الوصايا.....
- تنفيذ وصية واحدة يُخالف تعليم العهد القديم.....
- الدعوة للكمال لا تتناسب والتعليم بحفظ وصية واحدة.....
- فكرة خاطئة.....
- ٢ الاتكال على محبة الله.....
- أمثلة من تلازم محبة المسيح وعدله.....
- رأس الحكمة مخافة الرب.....
- + حُجَج بسبب سلوك خاطئ.....
- ١ العبادة الروتينية.....
- الفريسية مثال للروتينية.....
- مظاهر العبادة الروتينية.....
- العبادة الروتينية خدعة من الشيطان.....
- بعض من أعراض روتينية العبادة.....
- + الفتور واللامبالاة.....
- + الاستسلام.....
- + الشعور غير السوي بالاتضاع.....
- ٢ الشعور بكبرياء وبر ذاتي.....

- • التصميم والعناد على نفس الأفكار
- • التصميم والعناد قد يَنَخُلُّ كافة أسباب عدم الاستعداد
- خاتمة
- هوامش الكتاب
- ملحق

†

مراجع الكتاب

- العهد القديم (باللغة العربية \ العبرية \ الإنجليزية)
- العهد القديم (الترجمة السبعينية)
- العهد الجديد (باللغة العربية \ اليونانية \ القبطية \ الإنجليزية)
- بعض الترجمات للكتاب المقدس
- فهرس الكتاب المقدس
- قاموس إلياس العصرى
- السنكسار
- الابصلمودية السنوية
- الابصلمودية الكيهكية
- ترتيب أسبوع الآلام (يوم الجمعة العظيمة).
- قصة الكنيسة القبطية (الكتاب الثالث) \ إيريس حبيب المصرى
- قصة الكنيسة القبطية (الكتاب السادس أ) \ إيريس حبيب المصرى
- قصة الكنيسة القبطية (الكتاب السابع) \ إيريس حبيب المصرى
- الكنيسة فى عصر الرسل \ الأنبا يوانس المُنْتِيح
- الفرح المقدس \ أنتونى كونياريس
- تسليم الحياة لله \ أنتونى كونياريس
- الله يعمل للخير \ أنتونى كونياريس
- فرحنا بقيامة المسيح \ أنتونى كونياريس
- قدسوا صوماً \ أنتونى كونياريس
- أحداث المجئ الثانى \ القس شنوده ماهر

موعد المجئ الثانى \ القس شنوده ماهر
الرهينة القبطية الأم لرهبنات العالم \ نيافة الأنبا مارتيريوس
الله والإنسان \ البابا شنوده الثالث
الكنيسة فى عصر الرُّسل \ الأنبا يوانس المُتَنَبِّح
كلمات المسيح على الصليب \ البابا شنوده الثالث
حياة الصلاة الأرثوذكسية \ الأب متى المسكين
يوحنا ذهبى الفم (حياته \ أعماله) \ القمص تادرس يعقوب ملطى
الأب أنثاسيوس السريانى (الأب والمرشد) \ أبناء أبونا أنثاسيوس السريانى
القديس مكاريوس الاسكندرى \ رهبان دير الأنبا مكاريوس الاسكندرى
قاموس آباء الكنيسة وقديسيها \ القمص تادرس يعقوب ملطى
طريق السماء \ القس منسى يوحنا
الموسوعة اللاهوتية \ بن المكين
ضد الآنوميين \ يوحنا ذهبى الفم
أبانا الذى فى السموات \ البابا شنوده الثالث
دراما الصليب \ الأنبا مكاريوس الاسقف العام
السلسلة الثالثة طقوس أسرار وصلوات الكنيسة (الدبلة والاكيل) \ الراهب أنثاسيوس
المقارى
فى عالم الروح (الجزء الأول) \ الأنبا غريغوريوس المُتَنَبِّح
فى عالم الروح (الجزء الثانى) \ الأنبا غريغوريوس المُتَنَبِّح
الإنسان ذلك الكائن الروحانى والجسدانى معا \ الأنبا غريغوريوس المُتَنَبِّح
شرح مُبسَّط لقانون الإيمان \ الأنبا غريغوريوس المُتَنَبِّح
القيم الروحية فى سر المعمودية \ الأنبا غريغوريوس المُتَنَبِّح

سماء جديدة وأرض جديدة \ الأب كرنيليوس المقارى
سفر الأعمال \ أبونا تادرس يعقوب ملطى
مُناظرات يوحنا كاسيان \ كنيسة مارجرس باسبورتنج - القمص تادرس يعقوب ملطى
الربا الحلال والربا الحرام \ الأنبا غريغوريوس المُتَنَبِّح
المسيح (حياته \ أعماله \ معجزاته) \ الأب متى المسكين
صرخة الانتصار \ أحد رهبان دير القديس العظيم الانبا مقاريوس الكبير بوادى النطرون
مجلة مرقس عدد اكتوبر سنة ١٩٧٥

†

†

قصدنا بهذا الكتاب أن تشتهوا الملكوت فإذا صار شهوتكم أصبح الصعب سهلاً
والمُسْتَحِيلَ مُمَكِّناً واليأس رجاءً والمرض فرحاً والألم لذةً والحياة بِجَمَلَتِهَا لَحْناً شَجِيّاً كَوْنِ
المسيح إلَهِنا العَظِيمِ الجَبَّارِ يَضْبِطُ حَيَاتِنَا وَيَعْرِفُنَا بِأَسْمَائِنَا وَيُدَبِّرُ خِطَّةَ عَجِيبَةٍ لِخَلَاصِنَا
ويكثرُث لَأَمْرِنَا ويهتم لِحالِنَا ويشتَهِى فرحِنَا، ولا دليل على ذلك بأكثر من قوله بِفمهِ
القدوس "لَا تَضْطَرِّبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ فَأَمِنُوا بِي. فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، وَإِلَّا
فَأِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ . أَنَا أَمْضِي لِأُعِدَّ لَكُمْ مَكَاناً، وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعَدَدْتُ لَكُمْ مَكَاناً آتِي
أَيْضاً وَأَخْذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً" (يو ١٤ : ٢ - ٣)، فِيا لِفِرْحِ
من يكون معه مُعَايِناً لِمَجْدِهِ الَّذِي مُجَرِّدٌ بِصِيصاً مِنْهُ أَدْهَشَ بِطَرَسَ بِلِ وَالْهَبَهُ فَلَمْ يَرِدْ أَنْ
يُفَارِقَ الجبلَ المُقَدَّسَ قَائِلاً "يَا مُعَلِّمُ، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ هَهُنَا. فَلْنَصْنَعْ ثَلَاثَ مَظَالٍ: لَكَ وَاحِدَةً،
وَلِمُوسَى وَاحِدَةً، وَلِإِيلِيَّا وَاحِدَةً" (لو ٩ : ٣٣).

†



قصدا بهذا الكتاب أن تشتتوا الملكوت فإذا صار شهوتكم أصبح الصعب سهلاً والمستحيل مُمكنًا واليأس رجاءً والمرض فرحاً والألم لذةً والحياة بجُمَلتها لحنًا شجيًّا كون المسيح إلَها العَظيم الجَبَّار يضبط حياتنا ويعرفنا بأسمائنا ويُدبِّر خِطة عجيبة لِإِخلاصنا ويكثرث لأمرنا ويهتم لِحالنا ويشتهى فرحنا، ولا دليل على ذلك بأكثر من قوله بِفمه القدوس "لَا تَضْطَرِّبْ قُلُوبَكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ فَأَمِنُوا بِي. فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، وَإِلَّا فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ . أَنَا أَمْضِي لِأَعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا، وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعَدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا أَتِي أَيْضًا وَأَخُذْكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا" (يو ١٤ : ٢-٣)، فإِذا لِفِرْح من يكون معه مُعَينًا لِمجده الذي مُجَرَّد بِصيصاً منه أدهش بطرس بل وألَهبه فلم يرد أن يُفارق الجبل المُقَدَّس قائلاً "يَا مُعَلِّمُ، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ هَهُنَا. فَلْنَصْنَعْ ثَلَاثَ مَظَالٍ: لَكَ وَاحِدَةً، وَلِمُوسَى وَاحِدَةً، وَلِإِيلِيَّا وَاحِدَةً" (لو ٩ : ٣٣).